



# مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

رجب ١٤٢٩  
عدد السادس عشر

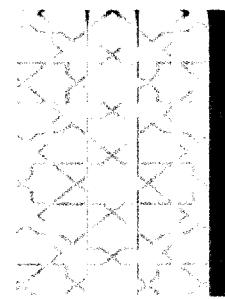
- الكلام على إذا "لعبدالباقي الزرقاني (١٠٩٩هـ)  
د. منى بنت علي الفلاج

- أقوال الرواة والعلماء في معجم العين وإشكالية النسبة  
د. سعود بن عبدالله آل حسين

- نَقْدُ مذهب التّقى السُّبُكى في دلالة التقديم على الحَصْر: دراسة بلاغية  
أ.د. محمود توفيق سعد

- أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام  
د. علي بن محمد الحمود

- صورة الحجاج في شعر معاصريه  
د. ليلى بنت محمد الدخيل

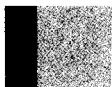


# مجلة العلوم العربية

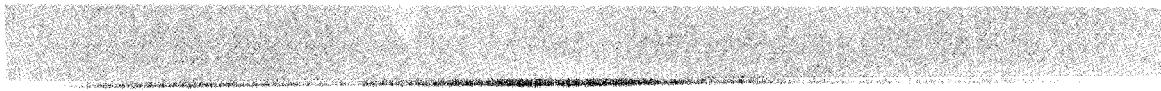
مجلة علمية فصلية محكمة

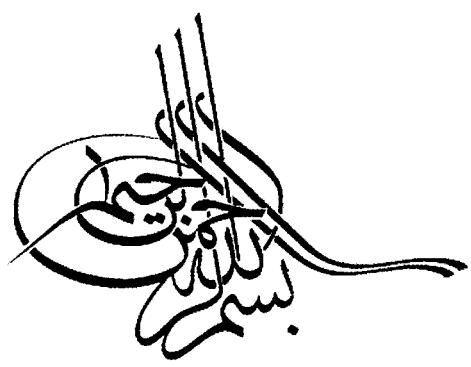
العدد السادس عشر  
رجب ١٤٣١هـ

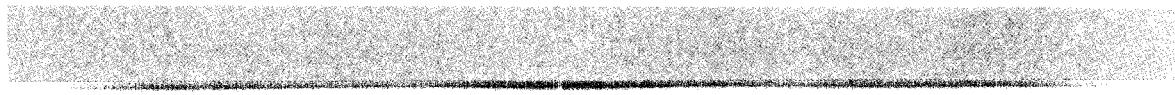




رقم الإيداع: ٣٥٦٢ / ١٤٢٩ / ١٩ بتاريخ ١٤٢٩ / ٠٦ / ١٤٢٩  
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ - ١٦٥٨







**المشرف العام**

**معالٰي الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الخيل  
مدير الجامعة**



**نائب المشرف العام**

**الدكتور / عبد الله بن حمد الخلف  
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي**



**رئيس التحرير**

**الأستاذ الدكتور / فهد بن عبد العزيز العسّeker  
عميد البحث العلمي**



## **أعضاء هيئة التحرير**

**أ.د. خالد بن محمد الجديع**

الأستاذ في قسم الأدب - كلية اللغة العربية

**أ.د. صالح بن محمد الزهراني**

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية

**أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي**

الأستاذ في معهد تعلم اللغة العربية

**د. عبدالرحمن بن عبدالله الحميدي**

الأستاذ المشارك في قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

## قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية:  
أولاً: يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتحريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستلماً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواءً أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً: يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير.
- ٢- ألا تزيد صفحات البحث عن (٥٠) صفحة مقاس (٤ A).
- ٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد).
- ٤- يقدم الباحث ثلاثة نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائة كلمة أو صفحة واحدة ..

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

- ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
  - ٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
  - ٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً: عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَالَم متوفى .
- خامساً: عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً: تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً: تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .
- ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر.
- تاسعاً: يُعطى الباحث خمس نسخ من المجلة، وعشرون مستلاء من بحثه.
- عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم عميد البحث العلمي

الرياض ١١٤٢٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٢٣٠ - ناسوخ (فاكس)

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: [journal@imamu.edu.sa](mailto:journal@imamu.edu.sa)

## **المحتويات**

- ١٣ "الكلام على إذا" لعبدالباقي بن يوسف الزرقاني (١٠٩٩هـ)  
د. منى بنت علي الفلاح
- ٥١ أقوال الرواة والعلماء في معجم العين واشكالية النسبة  
د. سعود بن عبدالله آل حسين
- ١٢١ نقدُ مذهب التقي السُّبْكي في دلالة التَّقْدِيم على الحَصْر : دراسة بلاغية  
أ.د. محمود توفيق سعد
- ١٧٧ أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام  
د. علي بن محمد الحمود
- ٢٤١ صورة الحجاج في شعر معاصريه  
د. ليلى بنت محمد الدخيل



**الكلام على (إذا) لعبدالباقي بن يوسف الزرقاني**  
**(١٠٩٩-١٠٢٠هـ)**  
**دراسة وتحقيق**

د. منى بنت علي الفلاح  
قسم اللغة العربية - كلية الآداب  
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن



# "الكلام على إذا" لعبدالباقي بن يوسف الزرقاني (١٠٩٩-١٠٢٠هـ)

دراسة وتحقيق

د. منى بنت علي الفلاح

قسم اللغة العربية

كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

## ملخص البحث:

حفظت لنا عنابة الله نسخة من رسالة "الكلام على إذا" لعبدالباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١٠٩٩هـ)،  
جمع فيها المؤلف شتات (إذا) المنتاثرة في بطون الكتب. وقد سلك منهجاً مجملًا في الشرح والتوضيح،  
فأغفل اسم الرسالة والموضوع، ولا غرور في ذلك والمقام رسالة. وتحديث عن (إذا) في عشرة مواضع،  
فتتناول اسمية (إذا)، والخلاف في تصرفها، وأي الأزمنة تدل عليه، والخلاف في شرطيتها، وعدم الجزم  
بها إلا في الشعر، واحتراصها بالجملة الفعلية، والخلاف في عامل النصب فيها، وبنائها، وفي الموضوع  
الأخيرتناول (إذا) الفجائية بين الاسمية والحرافية بإجمال شديد، مبيناً سبب ذلك بأن ابن هشام الأنباري  
قد بسط الحديث عنها في كتابه (معنى الليب عن كتب الأعاري卜)، لكنه لم يستوف الكلام على  
الموضع العشرة، وهذه حكمة تأليف هذه رسالة.



## المقدمة :

الحمد لله والصلوة على محمد ﷺ وصحبه أجمعين، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأصلى وأسلم على أشرف الخلق وسيد الأنبياء والمرسلين وبعد:

حفظت لنا عناية الله نسخة من (*الكلام على إذا*) لعبدالباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١٠٩٩هـ)، وهي لعالم فقيه، ألف في النحو، ولا غرو في ذلك والصلة وثيقة بين أصول النحو وأصول الفقه، فمعرفة الأحكام الفقهية مبناتها على فهم القواعد النحوية، ويظهر أثر النحو بجلاء في مسائل الفقه وبخاصة المتعلقة بمعانٍ الأدوات والحروف.

ومما دفعني للمضي في تحقيق هذه الرسالة :

- اشتهر المؤلف في مضمون الفقهاء، وتحقيق هذه الرسالة يُسهم في إبراز شخصيته النحوية من خلال رسالته الوحيدة التي تمثل نحوه و اختياراته.
  - إبراز جهد المؤلف حين جمع شتات ما تفرق في كتب النحو المتخصصة عن (*إذا*، تكون مرجعًا ميسراً يفيد منه الفقهاء والنحاة).
  - الارتباط الوثيق بين علم النحو، وعلم الفقه من خلال كتابة هذه الرسالة من عالم فقيه.
  - إثراء المكتبة العربية بر رسالة مختصرة شاملة أحكام (*إذا*).
- وقد جعلت هذا البحث في مقدمة، وقسمين رئيسين هما : الدراسة ومقدمات التحقيق ، والنص المحقق.

بنيت القسم الأول على تمهيد، وثلاثة مباحث.

التمهيد: بيّنت فيه بصورة موجزة العلاقة بين العلوم العربية، والعلوم الشرعية .  
المبحث الأول:تناولت فيه: اسم المؤلف، ونسبته، وموالده ونشأته، وشيوخه وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته.

وذكرت معلومات يسيرة مما اجتمع لدي وأفصحت عنه كتب الترجم.

المبحث الثاني: تناولت فيه: (*الكلام على إذا*), واحتوى على ما يلي:  
التعریف بالرسالة، ومنهج المؤلف، ومصادره، وشواهده، و موقفه من أصول الصناعة.

واختياراته.

المبحث الثالث : مقدمات التحقيق ، واشتمل على ما يلي:

- توثيق اسم الرسالة ، ونسبتها إلى مؤلفها ، وزمن تأليفها .
- وصف نسخة المخطوط .
- بيان المنهج المتبع في التحقيق .

أما القسم الثاني فهو النص المحقق ، وقد حرقته وفق منهج ارتضيته ، وهو يوافق ما عليه جلة المحققين.

والله أعلم أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد أسهمت في إحياء كتاب من كتب التراث خدمة للغة القرآن الكريم ، وأن ينفع به ، فإن أصبتهُ فمن الله توفيقه ، وإن أخطأتُ فحسبني أنني اجتهدت ، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم .

\* \* \*

## **القسم الأول : الدراسة :**

### **التمهيد : الصلة بين النحو والفقه :**

ترتبط علوم العربية بعلوم الشريعة في نشأتها وغایاتها، وهناك صلة وثيقة بين أصول الفقه وأصول النحو، وقد ربط الأنباري بين هذين العلمين، فقال: "أصول النحو أدلة النحو التي تفرّعت منها فروعه وفصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلة الفقه التي توّنعت عنها جملته وتفصيله".<sup>(١)</sup>

ومما يُبيّن عن هذه الصلة بين علمي النحو والفقه وأصولهما، توارد العلماء على كلّ واحد منهمما في التصنيف، فالزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) اشتهر في علم النحو، إلا أنّ له مؤلفاً صغيراً في الفقه أسماه (الادكار بالمسائل الفقهية)، وكذلك ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) إذ ألف في الأصول كتابه (منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل)، وابطليوسى (ت ٢١٥ هـ) ألف في الأصول كتاب (الإنصاف في التنبيه على المعانى والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم).

وثقّت علماء اشتهروا في الفقه وأصوله، وكانت لهم مشاركات في النحو، كالسهيلى (ت ٨١٥ هـ) في كتابه (نتائج الفكر في النحو) والإسنوى (ت ٧٧٢ هـ) إذ صنف كتابه (الكوكب الدرى فيما يتخرّج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية). فدراسة النحو ومراعاة أصوله وسيلة ممهدة للوصول إلى غاية شرعية، وهي التبصر بفقه الشريعة، وما لم يكن الفقيه ذابع في النحو لم يتم له فقه ولم يستقم له علم. وقد أدرك الزرقاني هذه العلاقة، فبني عليها رسالته (الكلام على إذا)، حيث إن التوصل إلى أحكام المسائل الفقهية متربّ على بيان القواعد النحوية، وبخاصة ما يتعلق منها بالأدوات والحراف.

### **المبحث الأول : التعريف بالمؤلف :**

**اسمه :**

عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد بن علوان .

**نسبته :**

---

(١) ينظر : لمع الأدلة ٨٠ .

للمؤلف نسبتان، الزرقاني والمالكي، أما الأولى فنسبة إلى المكان الذي عاش فيه وهو (زرقان) بمصر.

وأما الثانية، فمنسوب بها إلى المذهب الفقهي الذي يتبعه، وينتمي إليه، وصاحبه الإمام مالك بن أنس (رحمه الله).

#### مولده ونشأته وصفاته:

ولد بمصر سنة (١٠٢٠هـ)، وبها نشأ، وكان عالماً جليلاً، ومرجعاً للمالكية، وفقهياً متبhraً، لطيف العبارة، رقيق الطبع، حسن الخلق، جميل المحاورة، لطيف التأدية  
للكلام.<sup>(١)</sup>

#### شيوخه وتلاميذه :

نص المؤلف في نهاية المخطوط على شيخ من شيوخه، وهو ياسين الحمصي العلّيمي، فقال "هذا من فوائد شيخنا وأستاذنا العلامة المحقق المدقق مولانا الشيخ

ياسين، أطال الله في عمره، وبقاه، وبلغه ...".<sup>(٢)</sup>

وممن ذكر أنه شيخه : المحبّي ، والجبرتي.<sup>(٣)</sup>

ومن شيوخه أيضًا: النور الشبرا ملسي، والشمس البابلي ودرس عنه الحديث، واللقاء، والنور الأجهوري، وأبو الإكرم بن وفي، وتلقى الذكر منه سنة ١٠٤٥هـ وأجازه جل شيوخه.<sup>(٤)</sup>

تصدر المؤلف للتدريس بالجامع الأزهر، فأخذ عنه العلم ابنه محمد، ومحمد الصفار القيراوني<sup>(٥)</sup>.

#### مؤلفاته:

- ١- شرح على مختصر الخليل<sup>(٦)</sup> في الفقه المالكي.  
فرغ من تأليفه سنة (١٠٩٠هـ)، مطبوع بمطبعة بولاق، سنة ١٣٠٣هـ.<sup>(٧)</sup>

(١) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر ٢٨٧/٢، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٣٠٤، و تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١١٦/٤.

(٢) ينظر: [٢/٢ ب]. التحقيق ص ٤٥.

(٣) ينظر: خلاصة الأثر ٢٨٧/٢، و تاريخ عجائب الآثار ١١٦/٢.

(٤) ينظر: خلاصة الأثر ٢٨٧/٢، وشجرة النور الزكية ٣٠٤، و تاريخ عجائب الآثار ١١٦/٤.

(٥) ينظر: شجرة النور الزكية ٣٠٤، و تاريخ عجائب الآثار ١٢٢/١، ١٢٢/١، ومعجم المطبوعات العربية ٩٦٦.

(٦) خليل بن إسحاق الجندي المالكي، ت ٧٦٨هـ، ينظر: كشف الظنون ٥/١٦٢٨.

(٧) معجم المطبوعات العربية ٩٦٦.

وأختلف في اسم هذا الكتاب، فجاء اسمه عند البغدادي<sup>(١)</sup>: *شرح مختصر الشيخ خليل* في الفروع، وعند حاجي خليفة<sup>(٢)</sup>: *شرح مختصر الشيخ خليل* في فروع المالكية، وعند الجبرتي<sup>(٣)</sup>: *شرح مختصر خليل*، وعند المحبي<sup>(٤)</sup>: *شرح على مختصر خليل*، وعند ابن مخلوف<sup>(٥)</sup>: *شرح على المختصر*، وفي (الitimoriya)<sup>(٦)</sup> *شرح الزرقاني على مختصر خليل*، وفي (الأزهري)<sup>(٧)</sup> *شرح الزرقاني على شرح الناصر اللقاني على خطبة مختصر الخليل*.

٢- *شرح الزرقاني على المقدمة العزيّة*، فرغ من تأليفه سنة (٨٢٠ هـ).<sup>(٨)</sup>  
وجاء اسمه عند المحبي<sup>(٩)</sup>: *شرح على العزيّة*، وعند ابن مخلوف<sup>(١٠)</sup>: *شرح العزيّة*.

٣- رسالة في (*الكلام على إذا*)، وهو المخطوط الذي بين أيدينا<sup>(١١)</sup>

٤- منسّك وأجوبة على أسئلة رُفعت إليه<sup>(١٢)</sup>.

وفاته :

كانت وفاته ضحى يوم الخميس، الرابع والعشرين من شهر رمضان، سنة تسعة وتسعين وألف، بمصر<sup>(١٣)</sup>.

(١) هدية العارفين ٤٩٦ / ٥

(٢) كشف الظنون ١٦٢٨ / ٥

(٣) تاريخ عجائب الآثار ١١٦ / ٣

(٤) خلاصة الأثر ٢٨٧ / ٢

(٥) شجرة النور الزكية ٢٠٤

(٦) فهرس التيموري ١٢٠ / ٢

(٧) فهرس الأزهري ٣٥٨ / ٢

(٨) ينظر: معجم المطبوعات العربية ٩٦٦، ٤٠٠، وفهرس التيموري ٣ / ١٢٠

(٩) خلاصة الأثر ٢٨٧ / ٢

(١٠) شجرة النور الزكية ٣٠٤

(١١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(١٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(١٣) ينظر: شجرة النور ٤، ٣٠٠، وتاريخ عجائب الآثار ١١٦ / ١، وخلاصة الأثر ٢٨٧ / ٢.

## المبحث الثاني : التعريف بالرسالة :

حدد المؤلف موضوع الرسالة وقصده في أداة من أدوات النحو، وهي (إذا)، وبه المؤلف إلى موضوعه في بداية حديثه بقوله: (الكلام على إذا في موضع).  
وأشتملت الرسالة على مادة علمية دقيقة،تناول في عشرة مواضع: اسمية (إذا) والأدلة على ذلك، والخلاف في تصرفها، وأي الأزمنة تدل عليه، والخلاف في شرطيتها، وعدم الجزم بها إلا في الشعر، واحتصاصها بالجملة الفعلية، والخلاف في عامل النصب فيها، وبناعها، ومجيئها للمفاجأة، وعرض الموضع الأخير بإجمال شديد، مبيناً سبب الإجمال بأنّ ابن هشام الأنباري بسط الحديث عنه في كتابه المغني.  
وعلى الرغم من أنّ المؤلف قد سلك منهجاً مختصراً في الشرح والتوضيح إلا أنه استوفى حالات (إذا) المبسوطة في كتب النحو المتخصصة.  
وفي نهاية الرسالة أبان المؤلف عن الغرض من كتابة هذه الرسالة بقوله: "وقيل إنها حرف، انظر المغني، فقد بسط الكلام على (إذا) الفجائية، وعلى بعض وجوه الظرفية المتقدم، لكنه لم يستوف الكلام على الوجوه العشرة، فهذا حكمة كتابتنا هذه الرسالة، وعدم إطالة الكلام بما هو مقرر في المغني".<sup>(١)</sup>

**منهج المؤلف:**

استهلّ المؤلف رسالته بخطبة قصيرة مقتضبة، لم يذكر فيها اسم الرسالة، ولا موضوعها، ولا المصادر التي اعتمد عليها، ولا غرو في ذلك والمقام كما تقدم رسالة، فشرع مباشرة في الحديث عن (إذا)، وفي الموضع الأخير تحدث بإجمال شديد عن (إذا) الفجائية، محيلًا القارئ إلى كتاب ابن هشام (مغني اللبيب عن كتب الأعaries)، مبيناً سبب إجماله في الحديث عن (إذا) الفجائية بقوله: "انظر المغني فقد بسط الكلام على (إذا) وعلى بعض وجوه الظرفية".<sup>(٢)</sup>

وتباين أسلوب المؤلف في عرضه الموضع بين الإيجاز والإطناب، فتراه يُسهب في موضع ما، فيفيض فيه الحديث، كما فعل عند حديثه عن العامل في (إذا)، يقول: "أنّ عاملها عند الأكثرين جوابها، وإنما لزم تقديمها لمعنى الشرط، وإنما امتنع عليهم

(١) ينظر: [٢/ب]. التحقيق ص ٤٥ .

(٢) ينظر: [٢/ب]. التحقيق ص ٤٥ .

أنْ يعملا فِيهَا تاليهَا، لأنَّهُمْ قدرُوهَا كَإِذَا وَ(حيث) مضافَةٌ إِلَى الجملة التالية لها، وزعم بعضُهُمْ أَنَّ العامل تاليهَا ..<sup>(١)</sup>

وتارة يوجز في الموضع، حتى يكتنفه الغموض، كما في حديثه عن تصرف (إذا)، حيث أعرَبَ آيات تتصل بما استشهد به من آيات دون أنْ يذكر هذه الآيات، أو يشير إليها، فأوقع القاريء في حيرة، يقول: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» الآية، بنصب خافضة رافعة، زعم أبو الفتح أنَّ (إذا) الأولى مبتدأ، والثانية خبر، والمنصوبين حالان، وكذا جملة (ليس) ومعمولاتها...»<sup>(٢)</sup>.

وفي النهاية ذكر المؤلف خاتمة أَبَان فيها الهدف والحكمة من تأليف هذه الرسالة، وهو أَبُنْ هشام الأنصاري لم يستوف الكلام على الوجوه العشرة لـ (إذا) في كتابه (المغني).

#### مصادره:

ليس من اليسير الإلمام بالمصادر المتعددة التي استفاد منها الزرقاني، إذ إنه من نحاة القرن الحادي عشر، وهذا يعني أنه أتيح له الاطلاع على قدر كبير من المعارف العربية التي خلفها الأسلاف، فجاءت رسالته زاخرة بأراء العلماء.

ولنا في الكشف عن مصادره تتبع النقول والإحالات، ويمكن تقسيم مصادره قسمين:

مصادر رئيسة، وتمثل في الكتب التي نقل منها المؤلف.

مصادر غير رئيسة، وتمثل في العلماء الذين نقل عنهم.

#### أ- مصادره الرئيسية مرتبة حسب النقول:

أولاً: كتاب مغني الليب عن كتب الأعaries لابن هشام:

يعد هذا الكتاب الداعمة الأساسية التي ارتكز عليها المؤلف في رسالته، فقد تأثر به المؤلف أيما تأثر، وتفاوتت طريقة في الإفادة منه، فتارة ينقل منه ويشير إليه، كقوله: "ويلزم الدماميني أنهم يجعلون (إذا) تارة مضافة، وتارة غير مضافة كما لا

(١) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٤٠.

(٢) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٣٥.

يُخفى، لكن قال في المعنى إن ذلك الاتساع بابه الشعري ..<sup>(١)</sup> وتأرة يحيل إليه، طلباً للاختصار والإيجاز، كقوله: " وبالجر كالواقعة بعد (غد) في البيت، ولكن تقدّرها ظرفاً (الهف)، ورد الجمهور ما نقدم، فانظر المعنى ".<sup>(٢)</sup> وتأرة ينقل منه دون الإشارة إليه، كقوله: " زعم أبو الفتح أنَّ (إذا) الأولى مبتدأ، والثانية خبر، والمنصوبين حالان، وكذا جملة (ليس) ومعمولاتها، والمعنى: إذا وقعت وقوع الواقعة، خافضة لقوم، رافعة لآخرين، وهو وقت رجّ الأرض ".<sup>(٣)</sup>

جاء في معنى اللبيب ٤٤ / ١:

" زعم أبو الفتح في (إذا وقعت الواقعة) الآية فيمن نصب (خافضة رافعة) أنَّ إذا الأولى مبتدأ، والثانية خبر، والمنصوبين حالان، وكذا جملة (ليس) ومعمولاتها، والمعنى: وقعت وقوع الواقعة خافضة لقوم، رافعة لآخرين، وهو وقت رجّ الأرض ".<sup>(٤)</sup>

ثانياً: حواشي ابن هشام في شرح التسهيل:

ونقل عنه في موضع واحد فقط مصححاً به.<sup>(٥)</sup>

بـ- العلماء:

تبينت طريقة المؤلف في الإفادة من العلماء، فتأرة يذكر العلّام دون ذكر كتابه، فنقل رأياً للكلّ من الأخفش، وابن جني، وابن مالك، والدماميني، والنيلي.<sup>(٦)</sup> وتأرة يذكر اسم العلّام وكتابه، مثل ابن هشام وكتابه المعنى، والحواشي.<sup>(٧)</sup> وتأرة يبّهم النقل بكلمة (قيل)<sup>(٨)</sup>، و(عند بعض السلف)<sup>(٩)</sup>، و(عند الأكثرين)<sup>(١٠)</sup>، وزعم بعضهم.<sup>(١١)</sup>

(١) ينظر: [٢/١]. التحقيق ص ٤٢.

(٢) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٣٦.

(٣) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٣٥.

(٤) ينظر: [٢/١]. التحقيق ص ٤٢.

(٥) ينظر: [١/١]. و [٢/١]. و [٢/٢]. التحقيق ص ٤٣، ٤٢، ٣٥، ٣٤.

(٦) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٣٥.

(٧) ينظر: [١/١]. و [١/٢]. التحقيق ص ٣٥، ٣٦، ٣٧.

(٨) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٣٥.

(٩) ينظر: [١/٢]. التحقيق ص ٤٠.

(١٠) ينظر: [١/٢]. التحقيق ص ٤٠.

## شواهد:

اعتمد الزرقاني في تثبيت القاعدة التي يسوقها على شواهد متنوعة، إلا أن شواهده شعراً كانت أمر نثراً تعدّ قليلة، وقد تنوّعت شواهده على النحو التالي:  
القرآن الكريم:

بلغ مجموع الآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف تسعة آيات، وكان المؤلف يعتمد إلى ذكر موضع الشاهد من الآية، فيكتفي بذكره، كما في قوله: "وزعم بعضهم أن العامل تاليها لا جوابها، لمجيئه مقوّنا بالفاء في نحو: ﴿فَسَيَّح﴾" (١)، وقوله: "الكلام على إذا في مواضع... وقد ذُكر لذلك أدلة: دخول الجار عليها في نحو: ﴿حَتَّى إِذَا﴾" (٢).

- صدر الآيات القرآنية التي استشهد بها بكلمة (نحو)، مجردة من (قوله تعالى)، طلبًا للإيجاز، وأغفل في موضع واحد ذكر ما يدل على الاستشهاد، مما أدى إلى التداخل بين الآيتين المستشهد بهما، كما في قوله: "الثالث: أنها للمستقبل، قيل: وقد تجيء للمضي، نحو: ﴿إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ ﴿إِذَا مَا أَتُوكَ لِتَحْمِلُهُم﴾" (٣).  
الحديث النبوي الشريف:

استشهد المؤلف بحديث واحد صحيح، عزاه إلى الرسول ﷺ، عند حديثه عن الخلاف في تصرف (إذا) الشرطية، يقول: " وبالنصب على المفعولية، كحديث عائشة ... في قوله ﷺ لها: إنني لأعلم إذا كنت عنِي راضية وإذا كنت على غضب" (٤).

## الشعر:

استشهد المؤلف ببيتين من الشعر، ورجز واحد، جاء الأول من البيتين ناقصاً صدره، وعجزه كاملاً، وهو:

.... يالهُفْ نفسي على غدٍ      إذا راح إخواني ولستُ برأجٍ (٥)

(١) ينظر: [١/٢]. التحقيق ص ٤٠.

(٢) ينظر: [١/١]. التحقيق ص ٣٢.

(٣) ينظر: [١/ب]. التحقيق ص ٣٦.

(٤) ينظر: [١/أ]. التحقيق ص ٣٦.

(٥) ينظر: [١/أ]. التحقيق ص ٣٢.

وذكر من البيت الثاني صدره فقط وهو:

إذا ابن أبي موسى بلا بلا بلغته ... ... ... ... (١)

والرجز ذكره تماماً، وهو: ونحن عن ذِكْرَكَ ما استغفينا (٢)

ونظراً لأن المؤلف رسالة لم يتبع الزرقاني المنهج المتبع في ذكر الشواهد الشعرية من نسبة البيت إلى قائله، أو ذكر بحره، أو إكمال ناقصه، أو ضبط غريبه، أو ذكر مناسبته، أو إعراب بعض مفرداته بالحروف، والمقام يتضمن ذلك، كما في ذكره للشاهد:

إذا ابن أبي موسى بلا بلا بلغته ... ... ... ...

حيث يحمل المعنى نصب ورفع كلمة (ابن) (٣).

موقفه من أصول الصناعة:

لم يجد المؤلف مذهب النحوى ولم يُشر إليه، ولكننا إذا تفحصنا الأسلوب الذى اعتمدته، رأينا أنه يعتمد على المنطق الجدلی الذى يختبر الأقوال والأدلة، وكان عماده في هذا المنطق، السمع والقياس والإجماع، والمؤلف كغيره من العلماء احتدى هذه الأصول، وأثرى بها مادته، وفيما يلي بيان عن مدى إفاده المؤلف من كل أصل:

#### ١- السمع :

اعتمد المؤلف من السمع ما توافرت فيه ثقة النقل، وفصاحة الأصل من قرآن كريم، وحديث صحيح، وشعر معروف القائل، وظهور هذا الأصل في الكتاب يفوق الأصول الأخرى، وقد أتت الشواهد السمعاعية القرآنية في الدرجة الأولى، وتعلو على ما عادها، ولا غر في ذلك فهي الشواهد التي لم يتحقق لمثلها ما تحقق لها من حسن الضبط وإتمام الحفظ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤)، وقد سبق الحديث عن هذه الشواهد عند الحديث عن (شواهد) (٥)، مما يغني عن

(١) ينظر: [١/ب]. التحقيق ص ٣٩.

(٢) ينظر: [١/٢]. التحقيق ص ٤٠.

(٣) ينظر: [١/ب]. التحقيق ص ٣٩.

(٤) الحجر ٩.

(٥) ينظر: ما سبق.

إعادته هنا.

## ٢- القياس:

يعتمد المؤلف على الكثرة والاطراد، ويجعل القليل شاذًا لا يقاس عليه، وظاهر هذا الأصل عند حديثه عن الجزم بـ(إذا)، و اختياره بأنه لا يجزم بها، وإذا ورد ما يخالف ذلك فإنه خاص بالشعر.<sup>(١)</sup>

و كذلك ارتطاؤه ردًّا ابن هشام على الدماميني في أنَّ التوسيع خاص بالشعر، يقول: "ولازم الدماميني أنهم يجعلون (إذا) تارة مضافة، وتارة غير مضافة كما لا يخفى، لكن قال في المغني: إنَّ ذلك الاتساع بابه الشعر ...".<sup>(٢)</sup>

## ٣- الإجماع :

أعطى المؤلف هذا الأصل قيمة ظاهرة في احتجاجه، فإذا بدا من أحد العلماء خروج على الإجماع رجح المؤلف الإجماع عليه.

ويظهر جلياً التزامه بالإجماع بإغفاله الاسم، أو إظهاره في شكل اعترافات أو تساؤلات، ومن ذلك قوله: "أنَّ عاملها عند الأكثرين جوابها... وإنما امتنع عليهم أن يعملوا فيها تاليها لأنَّهم قدروها كـ(إذا) أو (حيث)... وزعم بعضهم أنَّ العامل تاليها لا جوابها... وللزم هؤلاء أن يدعوا أنَّ [لا إضافة]... وأجاب الأولون بأنَّ الطرف يتسع فيه بالتقديم حيث لا يقدمون غيره ... وبه سقط قول الدماميني ...".<sup>(٣)</sup>

## موقفه من العلة :

للعلة أهمية عظمى، ومكانة عليا عند المؤلف، وقلما يذكر الحكم دون بيان عن علته، ولا غرو في ذلك والمتألف فقيه، فهو دائم التكرار لفظ التعليل (الآن)، ومنه قوله: "إنما كان الوجه الأول ضعيفاً لأنَّ الحق أنَّ (حتى) حرف ابتداء لا حرف جر".<sup>(٤)</sup> و قوله: "أنها لا تجزم، لمخالفتها الشرط ... يقال آتيك إذا طاعت الشمس، لأنَّ

(١) ينظر: [٢/ بـ]، التحقيق ص ٤٢.

(٢) ينظر: [٢/ أـ]، التحقيق ص ٤٢.

(٣) ينظر: [٢/ أـ]، التحقيق ص ٤٢.

(٤) ينظر: [١/ أـ]، التحقيق ص ٢٤.

طلعها كان لا محالة...).<sup>(١)</sup>

ومن مظاهر العلة عند المؤلف أن حكماً واحداً يعلل بأكثر من علة، مما يجعل الحكم أكثر ثباتاً وأتمّ توطيداً، ومن ذلك قوله:

"بقي هنا بحث، وهو أنه إذا لم تكن [إذا] مضافة فما المقتضى [لبنائها]؟ لأنّ تضمن الشرط عارض ... وبناء إذا لازم، والافتقار للجملة يتقييد بتقدير كونها مضافاً إليها، لأنّ الجمل لا تكون مطلوبة للاسم قبلها إلا وهي صلة أو تابع ...".<sup>(٢)</sup>

اختياراته وترجيحاته:

على الرغم من أنّ المؤلف رسالة إلا أنّ شخصية الزرقاني بدت واضحة وجليّة، فكان يصرّ باختياراته في الأعمّ الأغلب من المواضع، وكثيراً ما يعلل لهذه الاختيارات، ومن الأمثلة على ذلك:

- تحدث في الموضع الأول عن اسمية [إذا]، فساق أربعة أدلة لذلك، ثم قال: "وهذان الوجهان قويان، والأولان ضعيفان، وإنما كان الوجه الأول ضعيفاً، لأنّ الحق أنّ حتى حرف ابتداء لا حرف جر، وأما البيت فلإمكان كونها شرطاً حذف جوابه مدلولاً عليه بـ (اللهف)".<sup>(٣)</sup>

- اختياره عدم الجزم بـ [إذا]، وتعليقه ذلك بقوله: "ال السادس: أنها لا تجزم بمخالفتها الشرط، ويتحقق وقوع مضمون تاليها".<sup>(٤)</sup>

- اختياره بناء [إذا]، تعليقه ذلك بافتقارها إلى الجملة، يقول: "الخامس: أنها مبنية، إما لافتقارها إلى الجملة، أو لتضمنها معنى الشرط، وفيه أنّ التضمن عارض، وبناء [إذا] لازم".<sup>(٥)</sup>

- اختياره دخول [إذا] على الجملة الفعلية، لأنّ فيها معنى الشرط، يقول: "السابع: أنها لما فيها من معنى الشرط لا تدخل على الجملة الاسمية ... بل على فعلية

(١) ينظر: [١/ب]. التحقيق ص ٢٨ .

(٢) ينظر: [٢/أ] ، التحقيق ص ٤٢ .

(٣) ينظر: [١/أ] ، التحقيق ص ٣٤ .

(٤) ينظر: [١/ب] ، التحقيق ص ٢٨ .

(٥) ينظر: [١/ب] ، التحقيق ص ٣٧ .

مُرّح [بفعلها].<sup>(١)</sup>

### المبحث الثالث : مقدّمات التحقيق

١- توثيق اسم الرسالة ونسبتها إلى مؤلفها، وزمن تأليفها:  
المؤلّف رسالة عن (إذا) وما يتعلّق بها من أحكام، ومما يؤكّد صحة نسبة هذا المؤلّف لعبد الباقي بن يوسف الزرقاني ما ورد في نهاية الرسالة من نسبتها إلى مؤلفها فقد جاء :

”وقال مؤلفها العلامة الشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني هذا من فوائد شيخنا ...“.<sup>(٢)</sup>  
كما نصّ ابن مخلوف والزركلي<sup>(٣)</sup> على نسبتها إليه ضمن تصانيف أخرى، وجاءت الرسالة منسوبة إليه أيضاً في (دار الكتب المصرية)<sup>(٤)</sup>. مما يدل دلالة قاطعة على صحة نسبة الرسالة إلى مؤلفها.

ولم يضع الزرقاني عنواناً للرسالة، وإنما بدأها بقوله : (الكلام على إذا في مواضع)،  
ونصّ من ترجم له كابن مخلوف والزركلي على أنّ له رسالة باسم (الكلام على إذا).<sup>(٥)</sup>  
كما وردت بهذا الاسم في (دار الكتب المصرية).<sup>(٦)</sup>

زمن تأليفها:

ليس على النسخة، ولا فيها ما يدل على سنة تأليف هذه الرسالة، وكتب التراجم أيضًا تخلو من ذلك.

### نسخة الرسالة المخطوطة ووصفها :

بين يدي نسخة واحدة من رسالة (الكلام على إذا)، وهي نسخة مخطوطة ضمن مجموعة مخطوطة بفهرس مكتبة المخطوطات بدار الكتب المصرية، بروض الفرج، تحت رقم (٣٤) مجاميـع، ورقم الميكروفيلم (٤٥٨٨).

(١) ينظر : [١/ب]. التحقيق ص .٢٩

(٢) ينظر : [٢/ب]. التحقيق ص .٤٥

(٣) ينظر : شجرة النور الزكية ٣٠٤، والأعلام ٢٧٢/٢.

(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٧٢/٢، رقم (٣٤) مجاميـع، رقم الميكروفيلم ٤٥٨٨.

(٥) شجرة النور الزكية ٣٠٤، والأعلام ٢٧٢/٢.

(٦) فهرس دار الكتب المصرية ٧٢/٢

تقع الرسالة في لوحين، في كل لوح ورقتان متقابلتان، مسطرة كل ورقة واحد وعشرين سطراً، يحوي الواحد منها ما يقارب عشر كلمات.  
كُتبت بخط واضح وغير مشكول، ووضع خط فوق الموضع الأول، والثاني، والثالث وحتى العاشر.

وفي نهاية المخطوط كُتب اسم ناسخها على أبي الليل بن سليمان بن سعد، ولم يذكر تاريخ نسخها ولا مكانه.  
المنهج المتبع في التحقيق:

١. إثبات النص محققاً كما أراده مؤلفه وفق القواعد الإملائية وال نحوية.
٢. تحرير الشواهد القرآنية والحديثية.
٣. نسبة الشواهد الشعرية إلى قائلها، بالرجوع إلى الدواوين المطبوعة، مع تكميلة الناقص من الأبيات، وضبطها، والإشارة إلى مصادرها.
٤. توثيق الآراء والأقوال والنقول، بالرجوع إلى مصادرها الأصلية سواء أصرح المؤلف بالمصدر أم لا، أو بالرجوع إلى مظانها عند عدم العثور عليها، مرتبة ترتيباً تاريخياً.
٥. توثيق المسائل النحوية، والقضايا العلمية والتعليق عليها.
٦. تفصيل ما أجمله المؤلف، وإيضاح ما أبهمه استثناساً بالمصادر والمراجع.
٧. ترجمة الأعلام الواردة في المتن، ترجمة موجزة.
٨. وضع علامات الترقيم في الأماكن المناسبة.
٩. تذليل الكتاب بفهرس المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتحقيق.

\* \* \*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وعلی آله وآلہ وسلم  
كلام على اذا في موضع ادھا انها اسم وقد كرد لکل ادلة  
وحوال المخار عليهما في محو حتى اذا واهي الاسم في قوله  
يا ابا نعیم على عده اذا راح اخواض ولمسفت برفع والاعمار  
رها مع مبادرة الفعل بمحض زيداً اخر جن والاعمار  
رها وعزمها حكم الاخفش اذا الجفون زيد اذا يضمون عمد و  
وهذه اسنان الاسم وهذه ادھا الوجهان فوبان والاولاد  
ضعيفتان وانما اعن الوجه الاول ضعيفتان لأن اكتوان  
حتى حدت بهذه الاصف حرواما البت قلادة مثلكن تكونها  
تدركها حدى حرواما مدلولا على بال المرفت الكاف اعنها  
نطري لا تصرف وقبلا زيداً قد تصرف بالرفع على الایتد  
واكثر حكم الاخفش السماقي وكفراءة بعض اسلف  
او اوقعت الواقعية الآنية تتصبأ خارضة رافعة  
رغم ابواشيح ان اذا الاول فبيتنا والثانية خبر والممعن  
حالان ولذا جملة ليس ومحظونا وآمن وفت  
وتقع الواقعية خارضة نقوله رافعة الآخرين وهو وقعت  
رج اذ درص وبالنصب على المفعولية كمد بيت عائشة فإن بها  
مالك نحيم ان اذا وقعت مفعولاً ثم قوله صلى الله عليه وسلم  
إيهان لا فهم اذا كنت عذر لاصبية وذا كنت هنئ عصبي وإن لم  
كان الواقعية بعد عن البيهـ ولذلك ان تقدر رهان فيه طرق فالبعـ

د نمير

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

وهو متبعٌ هنا وبه بهذه فرع ما قد نفينا الافتقار  
 حاصل ولا يتغير بالاضافة بدل الاسماء الموصولة  
 بل الحق الا ينتهي في ان تكون مقتضية للاعمار دافعه  
 للبناء لانها من خصائص الاسماء واجاب عن المكان  
 المتقدم بان اكونتني مهدوف والمعنى تزويت الارامك  
 عند اقال الماليكي و قال في ابريل عامل في عدو و قوي  
 عامل في اذ او انت اسع اتها لاجتنم مع اذ فيها معنى الرغبة  
 لما بيننا من مخالفة تالي الكروط بالاتفاق وقد جن لهم و اشعر  
 وينبغي القول بازها حيث غير مصنف العاشر  
 اتها قد تماي باصحاجة تكتون طرق سلطنة لفهم معنى  
 المخاجحة ومعنى في النفيبيه وارضاً يرتكبها ايجاب  
 كلام يرتبط بالفاء وفقط كلها اطراف زمان وقيل حرف  
 انظر لمعنى فقى بسط الكلام على اذ المخاجحة وعلى بعضه  
 وجوب النظر فيه المتقدم لكنه لم يصنف الكلام على وجوب  
 العشرين فرقة احكامها كما يتناوله الرساله وعده اطلاع  
 الكلام بما هو مقرر في المفهوم اذانا به بفصله ولطف  
 بما في تجميع الاحوال واصحاجة وحدة وصلة الله عليه سيدنا  
 محمد وعلمه واصحاجة وحدة وصلة الله عليه سيدنا  
 الشیخ عبد الباقی بن سویت الزرقاني عنه من قوله  
 داسمه ذئنا العلامة المحقق المدقق موزعها الشيخ ياسين اطال  
 الله سره وتجاهه وبلغه في الدارين سلوكه ونهاده وحفظه وحرسه  
 وتوارده وفقير ذلك بأولاده واحشوته ومحبه امته  
 تحيته وراحته حمسه على يديه ومالها  
 على ابابا سليمان بن ابي شوشة  
 له ولواريه ولمن وحاله ما لم يفهه

## صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

[١/أ] الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الكلام على (إذا) في موضع:

أحداها: أنها اسم، وقد ذُكر لذلك أدلة:

- دخول الجار عليها في نحو: « حتّى إِذَا » (١).

- وإبدالها من الاسم، كما في قوله:

... يالهُفَّ نفسي على غدٍ إذا راح إخواني ولست بِرَائِحٍ<sup>(٢)</sup>

(١) من الآياتين (٧٦،٧٣) من سورة الزمر. ونصفهما: «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زَمْرًا» حتَّى إذا جاءَوهَا فُتحَتْ أبوابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَرَّتْهُمُ الْأَرْضُ مَا يَاتَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتَلوُ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ رِّبِّكُمْ وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءً يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلْ وَأَكْنَحْتَ كَلْمَةَ الْعِدَّابِ عَلَى الْكَافِرِينَ». <sup>٤</sup>

وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِقَ الَّذِينَ أَنْتُوا رَهْمًا إِلَى الْجَنَّةِ رَمًّا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحْتَ أَبْوَابِهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّنَتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبِيعَمْ فَادْخُلُوهَا حَالِدِينَ ﴾.

اختلاف في (حتى) الدخلة على (إذا) على رأين:

أحد هما: أنها حرف ابتداء لا عمل له، و([إذا]) في موضع نصب على ما استقر لها، وهو رأي الجمھور، وبه جزم أبو البقاء العکبری، والرضی، والخضری. (التبیان فی إعراب القرآن، ۲۲۱/۱، وشرح الكافیة/۲، وحاشیة الخضری/۱۱/۲) وینظر: الجنی الدانی، ۳۷۲، والدر المصون ۴/۵۷۹. وتعليق الفراند على تسهیل الفوائد ۵/۱۷۲، وهمع الهامع ۱۷۹/۲

والثاني: أنها حرف جر. وما بعدها اسم مجرور بها.

وينسب هذا الرأي للأخفش في: المحاسب في تبيين وجوه شواد القراءات ٣٠٨/٢، وشرح التسهيل ٢١٠/٢، ومغني الليبب ٤٤١، وهمع المهاومع ١٧٩/٣، وحاشية الأمير على مغني الليبب ٨٦١/١).

<sup>٥٨٣</sup> ونسبة أبو حيyan والسميين الحليبي إلى الزجاج. وain درستويه. *البحر المحيط* ١٧١/٢، والدر المصنون ٣/٥٨٤-٥٨٣.

ووافق ابن مالك الأخفش. وعد دخول (حتى) على (إذا) مما انفرد به (إذا). شرح التسهيل ٢١٠ / ٢

<sup>٢٨٩</sup> وأحاج الرأيين الزمخشري والزركشي. ينظر: البرهان في علوم القرآن /٤٢٧٢، والكشف /٥٢٣٥، والمفصل /٢٨٩.

(١) لم اقف على رواية عجر البيت كما ذكره المؤلف.

وجاء البيت منسوباً لابي الطمحان القيني . شاعر إسلامي . وقبله:

الاعلاني قبل صدح النوافع وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

وأختلف في رواية صدر البيب، فجاء في (شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمرى ٢/٧٥٣) برواية: (وب قبل غد).  
وفي (الحماسة البصرية للبصري ١/٢٨١) برواية: (وبعد غد).

وجاء البيت بلا نسبة في: (الأمالي الشجرية ٢٧٦/١، ٢٠٠، وشرح شواهد المغني للسيوطى ٢٧٤/١) برواية:

وبعد غدٍ يالهف قلبي من غدٍ

وفي (شرح أبيات المغني للبغدادي ٢٢٩/٢) بלא نسبة. وبرواية:

وَقَبْلَ غُدُّ يَالْهَفِ قَلْبِي مِنْ غُدٍ

- وعزاه جماعة إلى هدبة بن خشرم . وهو في شعره ٨٩ . برواية : ( قبل غد ) .

- والإخبار بها مع مباشرة الفعل . نحو: خرج زيد إذا خرجت<sup>(١)</sup>.
  - والإخبار بها وعنها. حكى الأخفش<sup>(٢)</sup>: إذا يقوم زيد إذا يقوم عمرو<sup>(٣)</sup>. وهذا شأن الاسم.

وهذان الوجهان قويان، والأولان ضعيفان، وإنما كان الوجه الأول ضعيفاً لأنَّ الحقَّ أَنْ (حتى) حرف ابتداء، لا حرف جرٌّ<sup>(٤)</sup>، وأما البيت<sup>(٥)</sup> فلامكان كونها شرطاً حذف جوابيه مدلولاً عليه بـ (اللهف)<sup>(٦)</sup>.

ينظر: شرح شواهد المغني /١٢٧٥ وشرح أبيات المغني /٢٢١. وحاشية الأمير على المغني /٨٦.  
وجاءت رؤية العجز في كل ماسبق:

.....  
.....  
.....

- أجاز شرائح الحماسة أن تكون (إذا) في البيت بدلاً من (أغدٍ) في موضع جزأ، وأن تكون بدلاً من (أغدٍ) ومنصوبة المحل نصب المفعول به. (شرح الحماسة للمرزوقي ٢١٢٦ و١٢٢٢ / التبرizi ٢٠٨٠). وينظر: شرح شواهد المعني ٢٠٨٠ وشرح أبيات المغني ٢٢٩ / ٢.

- وأجاز البديلة ابن مالك، والزركشي، والدمامي، والسيوطى، أشرح التسهيل ٢١٠ / ٢، والبرهان في علوم القرآن ٤١٩٣ / ٥، وتعليق الفرائد ١٦٢ / ٥، والهمزة ١٧٨٣ / ٣.

- ويرى الجمهور ووأفهم ابن الشجري أنّ (إذا) في البيت ظرف لا (لهف). (أمالى ابن الشجري ٢٠٠١، ومغني اللبيب ٩٤١-٩٥٩).

- ورد ابن جني رأي الجمورو باقلاب المعنى إذا كانت (إذا) ظرفأ (الهف). (ينظر: شرح أبيات المغني ٢٢٣٠/٢). ونقل ابن الشجري عن الأخشن القول بزيادة (من) في البيت، على رواية (من غد)، والتقرير: يالهف نفسي غداً، و(إذا) بدلاً من (غد). (ينظر: أمالي ابن الشجري ١/٣٠٠).

(١) مراد المؤلف : من الدليل على اسمية [(إذا)] جواز وقوعها خبراً مع دخولها على الأفعال . نحو : راحه المؤمن إذا دخل الجنة . والقيام [إذا] طاعت الشمس . ينظر : شرح التسهيل ٢٠٦ / ٢ . وتعليق الفرائد ١١٢ . والجمع ١٧٨ / ٢ .

(٢) أبو الحسن، سعيد بن مسعود الأخفش، الماجاشي، أخذ النحو عن سيبويه، من مؤلفاته: معانى القرآن، وكتاب الأوسط، توفي سنة ١١٠هـ. وقيل: ٢٢٥هـ. ترجمته في:

<sup>١١١</sup> مراتب النحوين وطبقات النحوين واللغوين، ٧٢، والبلغة في ترجم

- وذكر الرضي رأي الأخفش منسوباً إلى بعضهم دون تحديد. وقال: لم أعثر لهذا على شاهد من كلام العرب». شرح الكافية / ١١٢ / ٢.

<sup>(٢)</sup> ينظر: شرح التسهيل ٢١٠/٢، البرهان ٤/١٩٤، والهمم ١٧٨/٢.

وسيرد تفصيل هذا الدليل في الموضع الثاني .

(٤) وافق المؤلف الجمهور في القول بأن (حتى) حرف ابتداء. ينظر له (١). ص ١٧.

و أثبتت الجر كثیر من العلماء. ينظر: حروف المعانی للزجاجي ٦٤، و معانی الحروف للرماتی ١١٩، والجني الدانی ٥٤٢. ومغنى البيب /١٢٢، والبرهان /٤٧٢.

(٥) يشير إلى ضعف الاستدلال على اسميتها بآيدالها من الاسم في البيت السابق:

... ياللهف نفسی على غدٍ إذا راح إخواني ولست براحت .

(٦) سيرد تفصيل ذلك في ذكر رد الجمهور في الأمر الثاني.

الثاني: أنها ظرف لا تتصرف، وقيل<sup>(١)</sup>: إنها قد تتصرف بالرفع على الابتداء والجر . كمثال الأخفش السابق. وكقراءة بعض السلف<sup>(٢)</sup>: «إذا وقعت الواقعة»<sup>(٣)</sup> الآية، بنصب «حافظة رافعة».

زعم أبو الفتح<sup>(٤)</sup> أن «إذا» الأولى<sup>(٥)</sup> مبتدأ، والثانية<sup>(٦)</sup> خبر، والمنصوبين حالان<sup>(٧)</sup>. وكذا جملة (ليس) ومعمولاتها<sup>(٨)</sup>، المعنى: وقتَ وقوعِ الواقعةِ حافظةً لقومٍ رافعةً لآخرين. وهو وقتِ رجِّ الأرض<sup>(٩)</sup>.

(١) قال بذلك ابن جني، وابن مالك، وأبو الفضل الرازي. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه القراءات ٣٠٧/٢، وشرح التسهيل ٢/٢٠، والجنس الداني ٣٧٢، والبحر ٨/٢٠٤، وهمع الهوامع ٢/١٧٩.

(٢) عزيز هذه القراءة لليزيدى. (معانى القرآن للزجاج ٥/١٠٧، واعراب القرآن للنجاشى ٥/١٠٧). ومحض في شواذ القراءات لابن خالويه ١٥٠، وإتحاف فضلاء البشر ١٥١). وزاد أبو حيان نسبتها : إلى زيد بن علي، والحسن، وعيسى، وأبي حيوة، وابن أبي عبلة، وابن مقصوم، والزغفرانى. (البحر المحيط ٨/٢٠٢).

(٣) الآية (١) من سورة الواقعة . وتمام الآيات: «ليسَ لِوَقْعَتِهَا كَازِيَّةٌ \* حَفَظَةٌ رَافِعَةٌ \* إِذَا رُجِّتِ الْأَرْضُ رَجَّاً» الواقعة /٤-٤.

(٤) عثمان بن جني الموصلي النحوى. ذو تصنیف كثيرة مشهورة منها: الخصائص. وشرح تصريف المازنى. وشرح المقصور والممدود. ت ٣٩٢ هـ.

ترجمته في: إشارة التعین ٢٠٠، والبلغة ١٤١، وبغية الوعاة ٢/١٢٢.

وقوله في: (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ٢/٣٠٧) وينظر: الجن ٣٧٢، ومغني اللبيب ١/٩٤، وتعليق الفرائد ٥/١٧٢.

(٥) في قوله تعالى: «إذا وقعت الواقعة».

(٦) في قوله تعالى: «إذا رجت».

(٧) وهذا [حافظة] وأرافعة.

(٨) في قوله تعالى: «أَيُّسَ لِوَقْعَتِهَا كَازِيَّةٌ».

(٩) قول المؤلف: «أن «إذا» الأولى «حتى قوله: «رجِّ الأرض». بنصه في: مغني اللبيب ١/٩٤».

- قال الكسائي في قراءة النصب: «لولا أنَّ اليزيدي سبقني إليه لقرأت حافظةً رافعةً بالنصب». محض في شواذ القراءات لابن خالويه ١٥٠. وينظر: البحر المحيط ٨/٢٠٤.

- وأجاز القراءة النصب على قبح، وذلك على اضمار (وَقَعَتْ). وقال: «لكنه حسن في الواقعة، لأنَّ النصب قبله آية يَحْسُنُ السكوت عليها. فحسُنَ الضمير في المستأنف». معانى القرآن ٢/١٢٢، وينظر: إعراب القرآن للنجاشى ٤/٢٢٢.

- كما أجاز النصب الزجاج، إما على الحال من الضمير في (كَازِيَّة)، أو على الحال من الفعل المضارع، والمعنى: إذا وقعتْ تقع حافظةً رافعةً. (معانى القرآن ٥/١٠٧).

- وردَ النجاش قراءة النصب بعدة أمور، تنظر في: معانى القرآن ٤/٢٢٢-٢٢٣، ومشكل إعراب القرآن ٤/٢٢٢.

٧١٠/٢

وبالنصب على المفعولية، كحديث عائشة - فإنَّ ابْنَ مَالِكَ زَعَمَ أَنَّ (إِذَا) وَقَعَتْ مَفْعُولًا فِي قَوْلِهِ لَهَا: إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيْهِ غَضِيبٌ (١). وبالجر، كالواقعة بعد (غد) في البيت (٢). ولَكَ أَنْ تَقْدِرْهَا فِيهِ ظرْفًا لِـ(الْهَفِ) [١١/١٧]. وَرَدَ الْجَمْهُورُ مَا تَقْدَمَ، فَانظُرْ إِلَى الْمَغْنِي (٣).

الثالث: أنها للمستقبل (٤)، قيل وقد تجيئ للماضي، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِحْرَةً﴾ (٥)، ﴿إِذَا مَا أَتَوكَ لِتَحْمِلُهُمْ﴾ (٦).

- وقراءة الجمهور بالرفع فيهما على أنهما خبر مبتدأ مقدر، أي: هي خافضة وهي رافعة.

(١) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، إمام مشهور، صاحب الألفية في النحو، من مؤلفاته: التسهيل وشرحه، وشرح الكافية الشافية، ت. ٦٧٢ هـ. ترجمته في: إشارة التعين، ٣٢٠، وبغية الوعاة، ١٢٠/١.

وقوله في: شرح التسهيل، ٢١٠/٢، وينظر الجنى، ٣٧٣، ومعنى الليبب، ٩٤/١، والبرهان، ٤/١٩٧.

(٢) نص الحديث: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيْهِ غَضِيبٌ». فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إنْ كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً فَأَنْتَ تَقْوِيلٌ: لَا وَرَبِّيَّ مُحَمَّدٌ، إِذَا كُنْتَ عَلَيْهِ غَضِيبٌ قُلْتَ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قُلْتَ أَجْلَ اللَّهِ يَارَسُولُ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا أَسْمَكَ».

الحادي في صحيح مسلم في فضائل الصحابة، ٤/١٨٩، وصحيحة البخاري في كتاب النكاح، ٩/٢٢٥.

(٣) وهو قول الشاعر: ... يالْهَفِ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا رَاحَ إِخْرَانِي وَلَسْتَ بِرَاحٍ.

وهوفي: الجنى، ٣٧٣، وشرح التسهيل، ٢١٠/٢، ومعنى الليبب، ٩٤/١، والهمج، ٢/١٧٨.

(٤) معنى الليبب عن كتب الأغاريب، ٤/١.

قال ابن هشام: والجمهور على أنَّ (إِذَا) لا تخرج عن الظرفية، وأنَّ (حتَّى) في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَوْهَا﴾ حرفة ابتداء لا عمل له، و (إِذَا) في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾. ظرف لجواب ممحوظ لفهم المعنى، وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَدَلَ مِنَ الْأَوَّلِ﴾، والتقدير بعد (إِذَا) الثانية: أي انقسمتم أقساماً، وَكُنْتُمْ أَرْوَاحًا ثَلَاثَةً، الواقعه، ٧.

أما (إِذَا) في البيت فظরف لـ(الْهَفِ)، وفي الحديث: (إِذَا) ظرف لممحوظ، وهو مفعول (أعلم)، وتقديره: شأنك ونحوه. ينظر: (الهمج)، ٢/١٧٩، وحاشية الخضري، ٢/١١٧.

(٥) الأصل في (إِذَا) أن تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان، متضمنة معنى الشرط، تختص بالدخول على الجمل الفعلية، ينظر: الكتاب، ٤/٢٢٢، وحروف المعانى للزجاجي، ١٣، والأزهية في علم الحروف، ٢٠٢، وشرح المفصل، ٤/٩٦، والجنى الداني، ٣١٧، ومعنى الليبب، ١/٩٢-٩٤، وشرح التسهيل، ٢/١٠، وتعليق الفرائد، ٢/١٦٣.

(٦) الآية (١١) من سورة الجمعة، وتمامها: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هُمْ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

(٧) الآية (٩٢) من سورة التوبة، وتمامها: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوكَ لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفَيَّضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَّنَا إِلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفَقُونَ﴾.

الرابع: أن فيها معنى الشرط<sup>(١)</sup>. قيل: وقد تخلو منه، نحو: «وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشَى»<sup>(٢)</sup> لأنها إن قدرت شرطية حُذف جوابها مدلولاً عليه بـ(أقسام) التي هي مقدرة كالمنطق بها<sup>(٣)</sup>. لَزَم تعليق القسم على شرطها<sup>(٤)</sup>. وإذا امتنع ذلك تعين أنها ظرف مجرد متعلق بمحذوف، لأنه حال. والتقدير: أقسم بالليل حاصلاً في وقت غشيائه، فإن قيل: فالحال مقيدة للفعل كتقييد الشرط، فلنا حال مقدرة، أي: مقدار غشيائه<sup>(٥)</sup>.

- تجيء (إذا) ظرفًا لما مضى من الزمان إذا كان عاملها فعلاً ماضياً. وذهب بعض النحوين ومنهم ابن مالك أنها حينئذ تكون بمعنى (إذا).

ينظر: شرح التسهيل ٢١٢/٢.٩٦/٤. وشرح الكافية للرضي ١٠٨/٢. ومغني اللبيب ٩٥/١ والبرهان ٤/١٩٠.١٩٧.١٧٩/٢. والهمع ١٧٩/٢. وحاشية الخضري ١١٠/٢.

- وصحح المغاربة ذلك بأن (إذا) لا تقع موقع (إذا) ولا العكس. وتأنوا جميعاً ما ورد من ذلك. (الجني الداني ٣٧١). وافقهم السهيلي. ينظر: الروض الأنف ١/٢٨٦-٢٨٧.

- وأجاز قطرب والأباري وقوع (إذا) للماضي . و (إذا) للمستقبل ، والعكس. ينظر: (الأضداد لقطرب ١٥١. والأضداد للأباري ١١٨).

- ومنع أبو حيان وابن الصاغن والدامامياني مجيء (إذا) للماضي. ينظر: تعليق الفرائد ٥/١٦٨-١٦٩. وشرح أبيات المغني ٢/٢٣٤-٢٣٥.

(١) تجيء (إذا) ظرفًا متضمناً معنى الشرط غالباً. ينظر: الكتاب ٤/٢٢٢. والمقتضب ٢/٥٥. وشرح التسهيل ٢١٠/٢. والأزهية في علم الحروف للهروي ٢٢. والمغني ١/٩٢-٩٣.

(٢) الآية (١)، من سورة الليل.

(٣) في قوله تعالى: «وَاللَّيلُ إِذَا».

(٤) قال ابن هشام في (المغني ١/١٠٠):

- لو كانت (إذا) شرطية كان ماقبلها جواباً في المعنى. كما في قوله: آتيك إذا أتيتني، ويكون التقدير: إذا يغشى الليل أقسمت. وهذا ممتنع لوجهي:

(١) أن القسم الإنساني لا يقبل التعليق، لأن الإنثاء إيقاع (أي ثابت)، والمعلم يتحمل الواقع وعدمه، ولا يمكن ادعاء هذا في الآية، لأن جواب «الليل» ثابت دائمًا.

(٢) أن الجواب خيري. فلا يدل عليه الإنشاء، لتبيان حقيقتهما.

ووافقه الزركشي والدامامياني. ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/١٩٥. وتعليق الفرائد ٥/١٦٤.

(٥) جاء في (الهمع ٢/١٧٩): «وقال قوم: إنها وقعت للحال في قوله تعالى: «وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشَى» لأن الليل مقارن للغشيان».

- وقد وافق المؤلف ابن هشام في القول بأن (إذا) إذا وقعت بعد واو القسم فإنها تخرج عن الشرطية. وتكون ظرفًا متعلقاً بحال محذوف، والمسوغ لذلك صحة الحال مقدرة. ينظر المغني ١/٩٥-٩٦.

- واختلف العلماء في تقدير عامل (إذا) في الآية الكريمة وما شابهها على عدة آراء:

الخامس: أنها مبنية، إما لافتقارها إلى الجملة<sup>(١)</sup>. أو لتضمنها معنى الشرط<sup>(٢)</sup>. وفيه أن التضمن عارض، وبناء (إذا) لازم<sup>(٣)</sup>.

السادس: أنها لا تجزم<sup>(٤)</sup>، لمخالفتها الشرط، ويتحققُ قوْعُ مضمون تاليها، يقال: آتيك إذا طلعت الشمس، لأن طلوعها كائن لا محالة، ولا يقال: إذا جاء زيد، إلا إن نزل منزلة ما هو قطعي الحصول<sup>(٥)</sup>.

---

- ذهب أبو البقاء العكيري إلى أن العامل هو فعل القسم المحذوف، والتقدير: أقسم بالليل وقت غشيانه، أو أقسم بالنجم وقت هويه في الآية: | وَنَجْمٌ إِذَا هَوَى | . (التبیان فی اعراب القرآن ١١٨٦/٢) وینظر: البرهان ٤-١٩١/٤-١٩٢.

- وذهب بعض العلماء إلى أن العامل محذوف، وهو مضاد أقيم المقسم به مقامه، أي: ومجيء الليل. وینظر: البرهان ٤-١٩٢/٤، والبحر المحيط ٤٨٠/٨.

- وذهب ابن الحاجب إلى أن العامل هو حال محذوفة، والتقدير: والليل حاصلًا في هذا الوقت. (الإيضاح في شرح المفصل ١٢١/٥). وینظر: البرهان ٤-١٩١/٤-١٩٣.

وقال الزركشي: « والتحقيق وبه يرتفع الإشكال في هذه المسألة أن يدعى أن (إذا) كما تجرد عن الشرطية كذلك تجرد عن الظرفية . فهي في هذه الآية الشرفية لمجرد الوقت من دون تعلق بالشيء تعلق الظرفية الصناعية . وهي مجرورة المحل هاهنا . لكونها بدلًا عن الليل . كما جرت حتى في قوله تعالى: | أَ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا | . والتقدير: أقسم بالليل وقت غشيانه، أي: أقسم بوقت غشيان الليل ». البرهان ٤-١٩٣/٤-١٩٤.

(١) قال بذلك ابن يعيش، وابن الحاجب، والراضي، والجامي. وینظر: شرح المفصل ٤/٤، والإيضاح ٥١٠/٢، وشرح الكافية للراضي ١٣٧/٢-١٠٧/٢.

(٢) قال بذلك أيضًا ابن يعيش، وابن الحاجب. (شرح المفصل ٤/٤، والإيضاح في شرح المفصل ٥١٠/٢). - وبُيّنت (إذا) عند سيبويه لإيهامها في المستقبل. ووافقه ابن يعيش. وینظر: (الكتاب ١٠٣/٢، وشرح المفصل ٤/٤).

(٣) سينذكر المؤلف بحثًا مستقلًا في بناء (إذا)، ولكن المؤلف من خلال كلامه هذا يرجح سبب بنائها بافتقارها إلى جملة الشرط المضافة إليها، لا لتضمنها معنى الشرط كسائر أدوات الشرط الاسمية، وحُجّته في ترجيح ذلك أن الشرطية عارضة، أما الإضافة إلى الجملة بعدها فهي لازمة لذا لزم البناء.

(٤) لأنها مؤقتة، وحرروف الجزاء مهمته. (شرح المفصل ٩٧٧/٤).

ويُجزم بها في الشعر اضطراراً، وسيأتي تفصيل ذلك في الأمر التاسع.

(٥) تختص (إذا) بما يتعين وجوده . نحو: آتيك إذا أحمر السرير، أو رجح . نحو: إذا قدم الحاج أكرمتك . بخلاف (إن) فإنها تكون للمحتمل والمشكوك فيه والمستحيل . كقوله تعالى: | أَ قُلْ إِنْ كَانَ لِرَحْمَنَ وَلَدًا ٨١ / الزخرف . أو: إن صعدت السماء فأنت حر، ولا تدخل على متيقن ولا راجح . وليكون (إذا) تدخل على المتيقن أو الراجح لم تجزم . وینظر: (شرح التسهيل ٢١١/٢، والجني الداني ٣١٧، وتعليق الفراتد ١٦٤، والهممع ١٧٩/٢).

السابع: أنها لما فيها من معنى الشرط لا تدخل على الجملة الاسمية، كما في "إذ" و "حيث". بل على فعلية صرّح [بفعلها]<sup>(١)</sup>. نحو: «إذا جاءَ نصْرُ اللهِ وَأَفْتَحَ»<sup>(٢)</sup>. أو حذف مدلولاً عليه بموافق، نحو: «إذا أَكَلَهُمْ أَنْشَقْتُ»<sup>(٣)</sup>. أو [مخالف]<sup>(٤)</sup> في البناء للفاعل. [كقول الشاعر]<sup>(٥)</sup>:

إذا ابنُ أبي موسى بلا بلا بلغته<sup>(٦)</sup>

(١) في المخطوط: بقلها. وهو تصحيف. والصواب ما أثبت.

(٢) الآية (١). من سورة النصر.

(٣) الآية (١) من سورة الانشقاق.

- اختلف البصريون والковفيون في الاسم الواقع بعد [إذا]. فذهب البصريون إلى أن [إذا] مثل [إن] الشرطية لا يقع بعدها إلا الفعل. فإذا أتى بعدها اسم فإنه فاعل بفعل ممحوظ يفسره الفعل المذكور.
- وأجاز الكوفيون وقوع المبتدأ بعدها، لأنها ليست شرطاً في الحقيقة. ووافقوهم الأخفش، وابن مالك.
- شرح التسهيل ٢١٣/٢، والجني الداني ٢٨٦. والبحر المحيط ٨/٤٤٦، والتصریح على التوضیح ٤٠/٢.
- والخلاف في: مشکل إعراب القرآن ٢/٧٩٢. والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٦١٥. والبرهان في علوم القرآن ٤/٩٦، وشرح المفصل ٤/٩٧-٩٦.

ونقل ابن مالك ومحمد الأمير عن الأخفش جواز الأمرین. ينظر: شرح التسهيل ٢/٢١. وحاشية الأمیر على مغني الليبب ١/٨٥.

- واختلف في النقل عن سببويه، فذكر المرادي وابن مالك أنه لا يجيئ إلا أن يليها الفعل ظاهراً أو مقدراً. ثم نقل المرادي عن السهيلي أن سببويه يجوز الابتداء بعد [إذا] الشرطية وأدوات الشرط إذا كان الخبر فعلاً. ينظر: الجن ٣٦٨. وشرح التسهيل ٢/٢١.

وما ذهب إليه السهيلي صواباً. جاء في (الكتاب ١/١٠٧-١٠٧): «ومما يجيئ بعده ابتداء الأسماء ويكون الاسم بعده إذا أوقعت الفعل على شيء من سببه نصباً في القياس: إذا وحيث ... إلى أن قال: » والرفع بعدهما جائز، لأنك قد تبتدئ الأسماء بعدهما فتقول: اجلس حيث عبد الله جالس. واجلس إذا عبد الله جلس ». وينظر: (النکت في تفسیر کتاب سببويه للأعلم ١/٢٤٠).

(٤) في المخطوط: أو مخالفاً. والصواب ما أثبت.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) البيت لدى الرمة، وهو في ديوانه ٣٤٠. وعجزه:

فقام بفأس بين وصليك جازٌ

... . . . . .

وهو من شواهد سببويه في (الكتاب ١/٨٢). وفي معانٍ القرآن للفراء ١/٢٤٥. ومعانٍ القرآن للأخفش ١/٢٤٥. والكامل ١/١٦٩. والمقتضب ٢/٢٢٩. وشرح أبيات سببويه للسيرافي ١/١٦٦. وشرح المفصل ٤/٩٦. والبرهان في علوم القرآن ٤/١٩٦. وخزانة الأدب ٢/٢٢٦.

وقد وافق المؤلف ابن هشام الأنباري في الجمع بين رواية رفع (ابن)، ونصب (بلا)، مغني الليبب ٢/٢٦٩.

وأنشد سببويه البيت برفع (ابن) و(بلا). وقال: » فالنصب عربي كثیر والرفع أجود « الكتاب ١/٨٢.

الثامن: أن عاملها عند الأكثرين<sup>(١)</sup> جوابها، وإنما لزم تقديمها<sup>(٢)</sup>، لمعنى الشرط، وإنما امتنع عليهم أن يُعملوا فيها تاليها<sup>(٣)</sup>، لأنهم قدّروها كـ(إذا) وـ(حيث) مضافة إلى الجملة التالية لها<sup>(٤)</sup>.

وزعم بعضهم<sup>(٥)</sup> [٢/٢١] أن العامل تاليها، لا جوابها، لمجيئه<sup>(٦)</sup> مقوزاً بالفاء في نحو: «فَسَيِّحٌ»<sup>(٧)</sup>، وبإذا الفجائية في نحو: «إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ»<sup>(٨)</sup>، وكقولك: إذا جئني

فالنصب على إضمار فعل يفسره المذكور، والرفع على الابتداء . وأنشده المبرد، والأعلم، وأبن الشجري، والزركشي بالنصب (ابنٍ وبلا). على أنه إذا وقع بعد (إذا) اسمًا منصوبًا فنصلبه على إضمار فعل. (المقتضب ٧٧/٢. والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٢٧/١. والأمالي الشجرية ١/٢٣-٢٤. والبرهان ٤/١٩٦).

وخطأ المبرد رفع (ابن) على الابتداء، وأجاز أن يكون رفعه على بناء (أبلغ) للمجهول، فيكون (ابن) نائب فعل ورد ابن ولاد على انتقاد المبرد رأي سيبويه حواز الرفع بعد (إذا)، ينظر النقد ورد ابن ولاد عليه في: الانتصار لسيبوه على المبرد .٦٥

ويرى البغدادي أن (بلاؤ) ينبغي أن يكون مرفوعاً لأنه بدل من (ابن)، أو عطف بيان له. ينظر: خزانة الأدب ٢٢-٢٣.

(١) نص على ذلك ابن الحاجب، والرضي، وأبن هشام، والدماميني، والحضرمي. ينظر: الإيضاح في شرح المفصل ٥١٢/٢. وشرح الكافية ٢١٠/٢. ومغني الليبب ١/٩٦. وتحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام على مغني الليبب ١/٢٠٣. وحاشية الحضري ٢/١١٧. ونسب المرادي رأي الأكثرين إلى الجمهور. (الجن الداني ٣٦٩).

(٢) أي: (إذا) الشرطية.

(٣) أي : فعل الشرط.

(٤) والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ينظر حاشية الحضري ١١/٢، والتصریح ٤٠/٢.

(٥) نص ابن هشام على أن هذا قول المحققين، وقال إنها حينئذ تكون بمنزلة (من) وـ(حيثما) وـ(أيان)، فهن غير مضافات إلى مابعدهن.

مغني الليبب ١/٩٤، وينظر: الجن ٣٦٩. وشرح الكافية ٢/١١٠، والتصریح ٤٠/٢، وتحفة الغريب في شرح مغني الليبب ١/٢٠٢.

(٦) أي: لمجيء جواب الشرط.

يعرض المؤلف هنا للأمور الواردة على قول الأكثرين القائلين بأن ناصب (إذا) هو جوابها، ووجه الاستدلال عليهم: إنه إذا كان الجواب مقترباً بالفاء أو (إذا) الفجائية فلا يصح عمله في (إذا) الشرطية، لأن ما بعد الفاء وـ(إذا) الفجائية لا يعمل فيما قبلهما، وبالتالي لا يصح أن يكون (الجواب) هو العامل في (إذا). ينظر:

الجن الداني ٣٦٩. والبحر المحيط ٦/٥٢٢، والمغني ١/٢١٢، وحاشية الشيخ يسن ٤٠/٢.

(٧) من الآية (٢) من سورة الفتح. وتمام الآيات: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفُتحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوْجًا \* فَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا».

(٨) من الآية (٢٥) من سورة الروم، وتمامها: «وَمَنْ آتَيْتَهُ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ».

اليوم أكرمتك غداً، والفعل الواحد كالجسم الواحد لا يحل في الآن الواحد في زمانين ولا في مكانيين<sup>(١)</sup>.

ولزم هؤلاء<sup>(٢)</sup> أن يدعوا أن [لا إضافة]<sup>(٣)</sup> وأن يفرقوا بأنّ (إذا) ترتبط بكونها شرطاً كما في (أين) وأتى)، وأما (إذا) و (حيث) فلولا الإضافة ما حصل ارتباط<sup>(٤)</sup>، وأجاب

(١) مراد المؤلف من قوله: «ال فعل الواحد كالجسم الواحد ... «إعْ أَنْ (إِذَا) بِمَعْنَى (وقت)، فلو كان العامل في المثال هو الجواب (أكرمتك)، وكانت (إذا) مضافة إلى جملة فعل الشرط (جنتك)، لفسد المعنى، إذ يصير المعنى: وقت مجتبثك اليوم وقت إكرامي لكَ غداً. أي: الوقت المفسر بـ (إذا) يصير وقتاً واقعاً فيه المجيء والإكرام، لأنه وقت للمجيء باعتبار إضافته إليه، وهو نفسه وقت للإكرام باعتبار عمله فيه، ولا يستقيم أن يكون (الوقت) المفسر بـ (إذا) طرفاً للمجيء والإكرام جميعاً، لأنه يؤدي إلى ما مُثُلَ به من كون الوقت الواحد - المعتبر عنه بالفعل الواحد - كالجسم الواحد لا يحل في الآن الواحد في زمانين ولا في مكانيين.

وهذا يرجع كون العامل في (إذا) هو شرطها التالي لها، وهي غير مضافة إليه، فهي غير لازمة الإضافة ومختلفة عن (إذا) و (حيث)، لارتباطها بالشرطية كـ (أين) (أوأني).

ينظر: الإباضح في شرح المفصل ٥١٢/٢.

يقول ابن هشام: "أنه يلزمهم في نحو (إذا جنتني اليوم أكرمتك غداً) أن يعمل (أكرمتك) في ظرفين متضادين [غداً، ويوم] وذلك باطل عقلاً، إذ الحدث الواحد المعين لا يقع بتمامه في زمانين وقصدًا، إذ المراد وقوع الإكرام في الغد لا في اليوم". مغني اللبيب ٩٦/٦.

وقد ذكر ابن هشام هذه الاعتراضات من جملة الأمور التي ترد على قول الأكثرين بلا نسبة. (مغني اللبيب ٩٧/١) وهذه الاعتراضات هي لأبي حيان في كتابة (التدليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل)، وهو مخطوط طبع بعضه، وقد ذكرها المرادي في (الجن الداني ٣٦٩). وينظر: البحر المحيط ٣١٢/٦ . ٥٢٣/٨.

ورد المرادي قول أبي حيان بأنّ مراد الجمهور أنّ العامل جوابها إنْ كان صالحًا للعمل . فإن منع مانع فالعامل مقدر بدل عليه الجواب. الجن ٣٦٨ . ٣٦٩.

ويرى أبو البقاء العكيري أنّ الفاء لا تمنع من عمل ما بعدها في (إذا). (التبيان ١٦٢/١).

ونقل المرادي عن الحوفي والمخشي أنّ العامل في (إذا جاء أهواه) فسيجعأ . وهذا بدل على أن الفاء عندهما لا تمنع، وقال المرادي: وفيه نظر. (الجن ٣٧٠).

وينظر: قول الزمخشري والحوفي في: الكشاف ٤٥٠/٦ . والجن ٣٧٠ . والبحر ٤٥٠/٨ . (٢) القائلون بأنّ ناصبها شرطها.

(٣) في الأصل المخطوط: أن الإضافة خطأ. صوابه ما أثبتت: لاستقامة المعنى معه، وينظر التصريح على التوضيح ٤٠/٢ . وحاشية الخضرى ١١/٢.

(٤) من قوله: «ولزم هؤلاء» ارتباط «، بنصه عند الشيخ يس العمصي . ينظر: التصريح على التوضيح ٤٠/٢ . نفلاً عن ابن هشام في كتابه حواشى التسهيل.

الأولون<sup>(١)</sup> بـأنَّ الطرف الجائز التأخير يُتَسْعَ فيه بالتقديم حيث لا يتقدِّم غيره، فما ظنك بالممتنع التأخير<sup>(٢)</sup>، هكذا نقله ابن هشام في الحواشي<sup>(٣)</sup>، ومن خطه نقلتُ، وبه سقط قول الدماميني: <sup>(٤)</sup> إنَّ قولهم إنَّ العامل جوابها مقيد بعدم المانع، كلفاء وإذا الفجائية، أما مع وجوده فالعامل تاليها، ووجه السقوط: أنَّ جوابهم المتقدم<sup>(٥)</sup> يقتضي أن يقولوا في الموضوع الذي وُجِدَ فيه المانع<sup>(٦)</sup>: إنَّ العامل الجواب ويتعذروا بما علمتُ، ويلزمه الدماميني أنهم يجعلون<sup>(إذا)</sup> تارة مضافة، وتارة غير مضافة كما لا يخفى، لكن قال في المغني<sup>(٧)</sup>: إنَّ ذلك الاتساع بابه الشعر، كقوله: وَنَحْنُ عَنْ قَضْلَكَ مَا سْتَغْنُنَا<sup>(٨)</sup>.

ـ والفرق بين<sup>(إذا)</sup> الشرطية وبين<sup>(إذا)</sup> (حيث) أنَّ مع<sup>(إذا)</sup> يحصل الربط بين جملتي الجواب والشرط بكونها شرطاً، كما في<sup>(أين ومتى)</sup>، أما<sup>(إذ)</sup> و<sup>(حيث)</sup> فلولا الإضافة ما حصل بهما ربط، ينظر: حاشية الخضري .١١/٢

(١) القائلون بـأنَّ ناصب<sup>(إذا)</sup> هو جوابها.

(٢) الممتنع التأخير<sup>(إذا)</sup> الشرطية.

ومراد المؤلف: إذا قيل: يوم الجمعة آتيك، فـ(يوم الجمعة) ظرف، توسيع فيه بالتقديم، حيث لا موجب لتقديمه، بخلاف<sup>(إذا)</sup> الشرطية، فاقتصران الجواب بالفاء أو<sup>(إذا)</sup> الفجائية لا يمنع عمله في<sup>(إذا)</sup> الشرطية، لتتوسعهم في الظروف التي لا تستحق التصدير والتقديم، فما ظنك بما يستحقه؟، ينظر: حاشية الخضري .١١/١

(٣) حواشي ابن هشام على التسهيل، وهي مفقودة، ينظر: ابن هشام الأنباري آثاره ومذهبة النحوى ٢٥٣، ٣٦٢

وجاء في حاشية التصريح على التوضيح للشيخ يس ٤٠/٢ « ( قوله لأنَّ إذا عند هؤلاء غير مضافة ) ظاهره أنهم مصرحون بذلك، وعبارته في الحواشي: ولزم هؤلاء أن يدعوا أن لا إضافة وأن يفرقو بـأنَّ إذا ترتبط بكونها شرطاً كـما في أين وأن، وأما إذ وحيث فـلولا الإضافة ما حصل ارتباط، انتهى ومن خطه نقلت ». (٤) بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر، نحوى، له من التصانيف: تحفة الغريب في حاشية مغني الليبب، وشرح التسهيل، وتعليق الفراند على تسهيل القواعد، وشرح البخاري، توفي سنة ٨٢٧هـ وقيل ٨٢٨هـ.

ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحوة ٦٦/١.

وقوله في: تحفة الغريب في شرح مغني الليبب ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.

(٥) وهو: أنَّ الظروف يتَوَسَّعُ فيها ما لا يتَوَسَّعُ في غيرها.

(٦) من اقتران الجواب بـ<sup>(إذا)</sup> والفاء.

(٧) مغني الليبب ٩٨/١.

(٨) البيت من الرجز منسوباً إلى عامر بن الأكوع في (شرح أبيات المغني ٢٥٠/٢)، وإلى عبدالله بن رواحة في (شرح شواهد المغني ٢٨٦/١)، وبلا نسبة في الخزانة ٧/١٣٩ وقبله:

بقي هنا بحث: وهو أنه إذا لم تكن (إذا) مضافة فما المقتضى [لبنائها]<sup>(١)</sup>؟ لأنَّ تضمن الشرط عارض كما مر<sup>(٢)</sup>، وبناء (إذا) لازم، والافتقار للجملة يتقييد بتقدير كونها مضافاً إليها، لأنَّ الجمل لا تكون مطلوبة للاسم قبلها إلا وهي صلة أو تابع، ولا سبيل لهما هنا، أو معمولة<sup>(٣)</sup> [بـ] وهو متعمّن هنا. وبه يندفع ما قد يقال الافتقار حاصل ولا يتقييد بالإضافة بدليل الأسماء الموصولة بل حق الإضافة أن تكون مقتضية للإعراب دافعة للبناء، لأنها من خصائص الأسماء.

وأجابوا عن المثال المتقدم بأنَّ الجواب ممحوظ، والمعنى: نوبت إكرامك غداً. قاله النيلي<sup>(٤)</sup>، وقال: فأكرمتك عامل في (غداً)، و(نوبت) عامل في (إذا). التاسع: أنها لا تَجُزِّم مع أنْ فيها معنى الشرط، لما بيننا من مخالفتها للشروط بالتحقق.

وقد تَجُزِّم في الشعر<sup>(٥)</sup>، وينبغي القطع بأنها حينئذٍ غير مضافة. العاشر: أنها قد تأتي للمفاجأة، فتكون ظرف مكان<sup>(٦)</sup> لتضمنه معنى المفاجأة. أو

إنَّ الذين قد بغوا علينا

إذا أرادوا فتنة أبينا

والشاهد فيه: أنَّ (عن فضلك) متعلق بـ (استغنينا)، وعمل ما بعد (ما) فيما قبلها لضرورة الشعر، لأنَّ (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، لأنَّ لها الصدارة كـ (إن) النافية.

(١) في المخطوط: لبيانها. تصحيف. صوابه ما أثبت.

(٢) في الأمر الخامس.

(٣) سعيد بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم. النيلي. النيسابوري. أديب. ونحوبي. وشاعر. وطبيب. ت سنة ٤٢٠ هـ. ترجمته في: بغية الوعاة ١/٥٨٥.

ولم أقل على قوله فيما يدي من كتب.

(٤) لا يجزم بـ (إذا) الشرطية، لأنها مؤقتة، وحرروف الجزء مهمّة. وجُزِّم بها في الشعر اضطراراً، قال الشاعر:

إذا قصرتُ أسيافنا كان وَطْلَها \*\*\* خطانا إلى أعدائنا فنضارب

حيث جزم (فنضارب) عطفاً على موضع (كان)، لأنها في محل جزم على جواب (إذا) التي عملت عمل (إن) ضرورة. ينظر: الكتاب ٦١/٢. والمقتضب ٥٦/٢. ومغني اللبيب ٩٢/٢. والهمع ١٨٠/٢. وجاز الجزم بها عند ابن مالك في الشعر، لأنَّ فيها ما في (إن) من ربط جملة بجملة. (شرح التسهيل ٢١١/٢).

ونقل المرادي عن الكوفيين جواز الجزم بـ (إذا) مطلقاً في الشعر وغيره. (الجني الداني ٣٦٨).

(٥) نسب أبو حيان هذا الرأي لسيبوبيه. (البحر المحيط ٤/١٢١).

معنى فاء التعقيب، ولهذا يرتبط بها الجواب كما يرتبط بالفاء<sup>(١)</sup>.  
وقيل<sup>(٢)</sup>: إنها ظرف زمان.

وقيل<sup>(٣)</sup>: إنها حرف. انظر المغني<sup>(٤)</sup> فقد بسط الكلام على (إذا) الفجائية، وعلى

وزاد المرادي نسبته إلى: المبرد والفارسي وابن جني. (الجنى الدانى ٣٧٤).  
وقد تحدث المبرد عن (إذا) الفجائية في موضعين. صرّح في الأول منهما بحرفيتها حيث قال: « ول (إذا)  
موضع آخر وهي التي يقال لها: حرف المفاجأة ». المقتضب ٥٧/٢.  
وفي الموضع الثاني ذكر بأنها ظرف من غير أن يخصصها بمكان أو زمان. فقال:  
« فأما (إذا) التي تقع للمفاجأة فهي التي تسد مسد الخبر. والاسم بعدها مبتدأ. وذلك قوله: جنتك فإذا  
زيد... وتأويل هذا جنت فجاجي زيد. وهذه تغنى عن الفاء وتكون جواباً للجزاء » المقتضب ١٧٨/٣.  
ورفع الشيخ عضيمة ما ظاهره أنه تعارض في قولي المبرد السابقين. فقال:  
« أرى أن نحمل ماهنا - أي قول المبرد الأول - على ما يوافق ما هناك. فنحمل لفظة (حرف) على الكلمة لا  
على الحرف الذي هو قسيمة الاسم والفعل. وهذا الاستعمال شائع عند سيبويه ». المقتضب ٥٨/٢.  
هامش (٢).

و (إذا) ظرف مكان عند المبرد في: (الجنى الدانى ٣٧٥. وشرح التسهيل ٢١٠/٢. وشرح الكافية ١٠٢/١)  
ومغني الليبب ٨٧/١. والفوائد الضيائية ١٣٩/٢. والهمع ١٨٢/٣.  
ونسب الرضي القول بأن (إذا) الفجائية ظرف مكان إلى الكوفيين. (شرح الكافية ١١٢/٢).  
واختار القول بأنها ظرف مكان: الهروي و ابن عصفور. (الأزهية ٢٠٢. ومغني الليبب ٨٧/١) وينظر: الهمع  
١٨٢/٣.

(١) مراد المؤلف: إذا قيل: إذا نظرت فإذا زيد. فالمعنى فجاجي زيد. فهذا تضمنه معنى المفاجأة. ودخلت عليهما  
فاء التعقيب من بين حروف العطف، لأنّ وقوع الثاني بعد الأول في المعنى، و الفاء للترتيب. ينظر:  
الأزهية ٢٠٢.

(٢) في الجنى الدانى ٣٧٤: « أنها ظرف زمان. وهو مذهب الزجاج و الرياشي، و اختاره ابن طاهر و ابن  
خرروف. وهو ظاهر كلام سيبويه ». وينظر الهمع ١٨٢/٣.  
ومعن نسبه إلى الزجاج: ابن مالك و الرضي و ابن هشام و الجامي و السيوطي. (شرح التسهيل ٢١٠/٢).  
وشرح الكافية ١٠٢/١. ومغني الليبب ٨٧/١. والفوائد الضيائية ١٣٩/٢.  
واختار القول بأنها ظرف زمان الزمخشري. ينظر: (الكشفاف ٩٢/٤. والجنى الدانى ٣٧٩-٣٧٨. ومعنى  
الليبب ٨٧/٢).

وزاد السيوطي على الزمخشري: ابن طاهر و ابن خروف والشلوبين. الهمع ١٨٢/٣.  
(٣) نسب هذا القول إلى الأخفش في (شرح التسهيل ٢١٤/٢ ومغني الليبب ٨٧/٢).  
وفي الجنى الدانى ٣٧٥: « أنها حرف. وهو مذهب الكوفيين و حكى عن الأخفش ».  
ونسب الرضي هذا القول إلى ابن بري. (شرح الكافية ١٠٤/١).  
واختار القول بحرفيتها: الشلوبين في أحد قوله، و ابن مالك، واستدل ابن مالك على صحته بثمانية أوجه.  
ينظر في: (شرح التسهيل ٢١٤/٢. والجنى الدانى ٣٧٥. والهمع ١٨٢/٣).  
(٤) مغني الليبب ٨٧/٢. ٩٢-٨٧/٢.

بعض وجوه الظرفية<sup>(١)</sup> المتقدم، لكنه لم يستوف الكلام على الوجوه العشرة. فهذا حكمـة كـتابـتنا هـذه الرـسـالـة، وعـدم إـطـالـة الـكـلام بـما هـو مـقـرـر فـي المـغـنـي، أـغـنـا اللـه بـفـضـلـه وـلـطـفـه بـنا فـي جـمـيع الـأـحـوالـ، وـالـحـمـد لـلـه وـحـدـه، وـصـلـى اللـه عـلـى سـيـدـنـا مـحـمـد وـعـلـى آـلـه وـصـبـه وـسـلـمـ. اـنـتـهـى.

وقـال مؤـلفـها العـلـامـة الشـيـخ عبدـ الـبـاقـي بنـ يـوسـف الزـرـقـانـي هـذـا مـن فـوـائـد شـيـخـنـا وـأـسـتـاذـنـا العـلـامـة المـحـقـق المـدـقـق مـولـانـا الشـيـخ يـاسـينـ، أـطـالـ اللـه فـي عمرـه، وـبـقـاهـ، وـبـلـغـه فـي الدـارـيـنـ سـؤـلـه وـمـنـاهـ، وـحـفـظـه، وـحـرـسـه، وـتـوـلـاهـ، وـفـعـلـ كـذـلـكـ بـأـلـادـه وـأـخـوـتـه وـمـحـبـيـهـ آـمـيـنـ.

تمـتـ وـبـالـخـيـرـ عـمـتـ عـلـى يـدـ كـاتـبـهـا وـمـالـكـهـا

عـلـيـ [أـبـيـ] [٢) الـلـيـلـ بنـ سـلـيـمانـ بنـ سـعـدـ

غـفـرـ اللـهـ لـهـ وـلـوـالـدـيـهـ وـلـمـنـ دـعـاـ

لـهـ بـالـمـغـفـرـةـ آـمـيـنـ يـارـبـ

---

(١) المصـدر السـابـقـ ٩٢/٢ - ١٠٠.

(٢) فـي الأـصـلـ المـخـطـوـطـ : أـبـوـ خـطـأـ، صـوـابـهـ مـاـ أـثـبـتـ .

## فهرس المصادر والمراجع:

- ابن هشام الأنباري آثاره ومنذهبة النحو، للدكتور: علي فودة نيل، الرياض، طبعة ٦٤٠٥-١٩٨٥ م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، لأحمد عبد الغني الدمياطي، الشهير بالبناء، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ٦٤٠٧-١٩٨٧ م.
- الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوفي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣-١٩٩٣ م.
- إشارة التعين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقى بن عبد المجيد دباب، شركة الطباعة السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ٦٤٠٦-١٩٨٦ م.
- الأضداد، لأبي علي بن محمد بن المستير، قطرن، تحقيق الدكتور: حنا حداد، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ٦٤٠٥-١٩٨٤ م.
- الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٦٤٠٧-١٩٨٧ م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق الدكتور: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ٦٤٠٥-١٩٨٥ م.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩٥ م.
- الأمالي الشجرية، لأبي السعادات هبة الله بن علي العلوي، دار المعرفة، بيروت.
- الانتصار لسيبوه على المبرد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد، تحقيق الدكتور: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٦٤١٦-١٩٩٦ م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والковفيين، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- الإيضاح في شرح المفصل لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، تحقيق الدكتور: موسى بناني العليلي، مطبعة العاني، بغداد.
- البحر المحيط، لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسبي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ٦٤٠٣-١٩٨٣ م.

- ١٤- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١، ١٩٧٢ م.
- ١٥- البلقة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد المصري، مركز مخطوطات التراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- ١٧- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للشيخ عبد الرحمن الجبرتي، دار العجيل، بيروت.
- ١٨- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن حسين العكברי، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي حلبي، مصر.
- ١٩- التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٩٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٢٠- التصریح بمضمون التوضیح، لخالد بن عبد الله الأزهري، وبها مشهدة حاشیة الشیخ یاسین الحمصی، دار الفکر، بيروت.
- ٢١- تعليق الفراند على تسهيل الفوائد، لمحمد بدر الدين الدمامي، تحقيق الدكتور محمد المفدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٢- الجن الداني في حروف المعانی، تأليف الحسن بن القاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٣- حاشیة الخضری، على شرح ابن عقیل علی أفیة ابن مالک، للشیخ محمد الخضری، مطبعة مصطفی البابی الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م.
- ٢٤- حاشیة محمد الأمیر علی مغنى اللبیب، المکتبة التجاریة بمصر، ١٣٧٢ هـ.
- ٢٥- الحماسة البصرية، تأليف: صدر الدين علي ابن الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
- ٢٧- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر، للمحبى، دار صادر، بيروت.
- ٢٨- الدر المصور في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق

- الدكتور: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٦٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٩- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي، تعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٣٠- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣١- شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف أبي سعيد السيرافي، تحقيق الدكتور: محمد علي سلطاني، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٧٩م.
- ٣٢- شرح أبيات المغني، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٣- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن السيد، والدكتور: محمد بدوي، هجر للطباعة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٤- شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري، تحقيق الدكتور: علي المفضل حمودان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٥- شرح الدماميني "منشور مع حاشية الشمني" نشر المطبعة البهية بمصر.
- ٣٦- شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٣٧- شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزى، عالم الكتب، بيروت.
- ٣٨- شرح شواهد المغني، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محمود بن التلاميذ، لجنة التراث العربي.
- ٣٩- شرح الكافية في النحو، لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترآبازى، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤٠- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
- ٤١- شعر هدبة بن الخشرم العذري، للدكتور يحيى الجبورى، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٤٢- صحيح البخاري، ضمن الكتب الستة وشروحها، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل

- البخاري، دار سحنون، تونس، الطبعة الثانية.
- ٤٤- صحيح مسلم ، ضمن الكتب الستة و شروحها للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، دار سحنون، تونس، الطبعة الثانية.
- ٤٥- طبقات النحوين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٤٦- الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب، لنور الدين عبد الرحمن الجامي، تحقيق الدكتور: أسامة الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ٤٧- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- ٤٨- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ٤٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، عني بتصحيحه وطبعه شرف الدين يالتقاي، الطبعة الثالثة، ١٢٨٧هـ.
- ٥٠- لمع الأدلة في أصول النحو، للأباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- ٥١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جنى، تحقيق: علي ناصف، والدكتور: عبد الحليم نجار، والدكتور عبد الفتاح شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٢٨٦هـ.
- ٥٢- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، لابن خالويه، عني بنشره ج. براغشتراس، مكتبة المثنى، القاهرة.
- ٥٣- مراتب النحوين، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
- ٥٤- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- ٤- معاني الحروف المنسوب لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثالثة، ٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٥- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن الزجاج، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ٨٠٤ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٦- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٧- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٨- معجم المطبوعات العربية والمغربية، جمعه ورتبه يوسف سركيس، مطبعة سركيس، مصر، ٦٤٢١ هـ - ١٩٢٨ م.
- ٩- معنى اللبيب، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٠- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عصيمة، عالم الكتب، بيروت.
- ١١- النكت في تفسير كتاب سيبويه، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى، تحقيق: عبد المحسن سلطان، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ٠٧٤١ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثالثة، ٨٢١ هـ .
- ١٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، شرح وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، والأستاذ الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٤ هـ - ٢٠٠١ م.

\* \* \*

# **أقوال الرواة والعلماء في معجم العين**

## **وإشكالية النسبة**

د. سعود بن عبدالله آل حسين  
قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## **أقوال الرواة والعلماء في معجم العين وإشكالية النسبة**

**د. سعود بن عبدالله آل حسين**

قسم النحو والصرف وفقه اللغة

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

### **ملخص البحث:**

لا يزال في تاريخ علم اللغة عند العرب كثير من القضايا التي تتطلب إعادة النظر فيها وإن أصبحت في ذهن الكثير من المسلمين التي لا تسترعي الانتباه، ومنها قضية التشكيك في نسبة معجم العين للخليل لوجود أقوال روایات لبعض المتأخرین، وقد ظلت تلك الأقوال محل تزید وتنازع ومدار نقاش بين الباحثین منطلقة من تصور إمكانیة الواقع واستحالته، ولم تتجاوز ذلك إلى دراسة طبیعة تلك الروایات والأقوال، ومدى صلتها بمادة الكتاب، كما أنها لم تعرّض على المعجمات اللغوية ولم يستأنس فيها بما كتب في تاريخ علم اللغة، فظللت في إطار الكلام المتداوی الذي يردد، وهو أحوج ما يكون إلى تمحيص وإعادة نظر، من أجل هذا وغيره جاءت هذه الدراسة محاولة وضع تلك الروایات والأقوال في موضعها من حيث العدد والطبيعة، ومن حيث الصلة بمادة الكتاب الأصلية، ومن حيث الدلالة على صحة النسبة وعددها، على أن هذه الدراسة توقفت عند حدود ما يمكن أن يستشف من تلك الأقوال والنقول، من حيث موقعها في تأسيس مادة الكتاب أو الاستدراک عليه، وعند حدود موقعها في الكتاب، ومن أصحابها، ومن أي طبقات اللغويین هم، ولم تعن الدراسة بموقع تلك الأقوال من حيث الصحة والخطأ، ولا من حيث التصريف والدلالة.



الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، أما بعد فإنه إذا كان نعت كثيرون من العلوم الإسلامية بالوضوح والاكتمال أمراً لا تنازع في تقريره، ولا تجاذب لأطرافه، فإن تواريخ العلوم ولاسيما علم اللغة لا يزال فيه مضطرب عريض، وميدان واسع، وفسحة للقول لا تأتي عليها الريح العصوف، ولا محاولات بعض الباحثين الفردية، مهما كان جدهم وتشميرهم؛ لأن ميداناً استمر ركض العلماء فيه طيلة خمسة عشر قرناً منذ أيام ابن عباس رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، حريٌ أن لا تدرك العين أطراقه، وحريٌ أن يوجد فيه من المسارات والمجاهل ما هو بحاجة إلى منارات وصُوّى، وهو مَظْنَنٌ لأن يكون فيه من المسلمات ما هو جدير بإعادة النظر وإثارة التساؤلات، لأن مابذل في ميدان تاريخ علم اللغة لا يزال قليلاً، وما شُنِّدَ من مبانيه لا يزال في تصوري قصيراً، والكلام فيه متشعب، بل متعارض متناقض.

فهذا فرد الدين وأهل الفضل والتقدم، والمسلم له بالتبريز، والمجمع على فضله، ومن دعم علم اللغة بدعاومة لا يزعزعها الزمان، الخليل بن أحمد الفراهيدي، لما ألف العين وتناوله الناس بالاستفادة منه، والنيل عنه، ثارت عجاجة التشكيك فيه، والتنازع حوله، فمتحمسٌ له ومشمرٌ عليه، ومصوبٌ ومخطئٌ مهجنٌ، يدعوه إلى الإعراض عنه، ويظهر التحامل عليه، ويسرُّ الارتضاع منه، والاستفادة من مادته، ولا تزال رحى النزاع حوله راكرة، والاختلاف في شأنه قائماً إلى يومنا هذا، وما أصدق قول الدكتور صلاح الدين الفروطسي: «والدراسات التي اهتمت بكتاب العين كثيرة، وأغلبها يدور حول أمر نسبته للخليل أو لغيره، ومن النادر أن يعثر الباحث على دراسة جادة تهتم بمادة الكتاب اهتماماً خاصاً»<sup>(١)</sup>.

وفي أثناء قراءتي لكتاب العين، واطلاعي على ما كتب عنه، استرعت انتباхи واستوقفتني أشياء كثيرة منها:

- ـ أن انقسام العلماء والباحثين إلى يومنا هذا في شأن هذا الكتاب العظيم مُغْرِي بالبحث، لأن الانقسام لا يزال مستمراً، والتجاذب لا يزال على أشده، مُغْرِي بالبحث وإعادة النظر، لأن الأوهام والأقوال وسوء القراءة والتجلل لا تزال تَعْمل عملها في

(١) المعجمية العربية، ص ٢٠٥.

تشكيل صورة ذلك الكتاب في الثقافة العربية.

٢- يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن كثيرا من الباحثين لا يزالون يناقشون ما ورد في العين من أقوال ونصوص مأثورة من باب تصور الواقع، أو استحالته، لا من منطلق مادة الكتاب ومنهجه، وما نُقل عنه.

٣- أن كثيرا من كتبوا عن الخليل وتعرضوا لكتابه كلما اعترض طريقهم أو خطر بيالهم ما يتصورون استحالة صدوره عن الخليل، فإنهم يسارعون بالخلص من تلك الاستحالة بنسبية الكتاب إلى الليث، مع أن نسبة ما يريدونه إلى الليث لا يمكن أن تحظى بالقبول، وذلك مثل قضية النقل عن المتأخرین، لأن الليث من حيث الزمن قريب من طبقة الخليل رحمهما الله.

٤- أن مواصلة الحديث بعيدا عن كتاب العين ومن غير استثناس بما تقدمه برامج الحاسوب من إحصاءات جعلت التزيد أمراً وارداً في التقول على الكتاب، وكأننا نتكلّم عن كتاب متصرّ لاعن كتاب مقروء، فقد قرر الكثيرون أن في الكتاب نقولاً وآراء لعدد من العلماء، بدأت أعدادهم وأعداد آرائهم تزيد كلما ازداد تعاور الباحثين الحديث عن المروي عنهم من اللغويين في العين.

٥- أن قضية الرواية عن معاصرى الخليل من طلابه، وعمن تأخر ربطت عند بعض الباحثين بأخر الكتاب لا بأوله، مما جعلهم يقررون أن أوله للخليل، وأن آخره من عمل الليث، مما يوجب البحث والدراسة والنظر في موضع هذه النقول، وفي طبيعتها ومدى صلتها بمادة الكتاب.

٦- أن دراسة تلك الآراء والنقول ستكشف وتحيب عن أسئلة جد مهمة وستحدد عدد تلك النقول، وطبيعتها وست Finch عن المنقول عنهم، وتحاول تحديد زمنهم ومدى قربهم وبعدهم عن الخليل، وستكشف مدى ترابط المادة المنقوله بمادة المعجم الأصيلة، وسترسم صورة لمدى دقة من تحدثوا عن المعجم العربي وأرجوا له.

لقد استوقفتني هذه الأمور وغيرها واسترعت انتباхи فأحببت أن أقف على أمر من أهم الأمور التي جعلت الكثيرين يشككون في نسبة الكتاب للخليل، ذلك الأمر هو قضية وجود آراء للغويين من طلاب الخليل ومنهم ليسوا في طبقته، مما يجعل نسبة

الكتاب للخليل أمراً مستحيلاً وغير مقبول في نظر كثرين من أرخوا للمعجم العربي فكانت هذه الدراسة رغبة في الإجابة عن تلك التساؤلات، على أن هذه الدراسة توقفت عند حدود ما يمكن أن يستشف من تلك الأقوال والقول من حيث موقعها في تأسيس مادة الكتاب أو الاستدراك عليه، وعند حدود موقعها في الكتاب، ومن أصحابها، ومن أي طبقات اللغويين هم، ولم تعن الدراسة بموضع تلك الأقوال من حيث الصحة والخطأ ولا من حيث التصريف والدلالة.

والله أسأل أن يوفقنا للصواب ويعصمنا من خطل القبول ومينه والحمد لله رب العالمين...»

\* \* \*

## موقف العلماء من نسبة العين:

انشغل العلماء عبر العصور بنسبة كتاب العين، وانقسموا في هذا الشأن أقساماً، فتحدثت كثيرون من العلماء والباحثين<sup>(١)</sup> عنها باختلاف في التقسيم، وتبادر في النظر إلى الأسباب الموجبة لذلك الاختلاف، والبواعث الداعية إليه، كما أن ما أوردوه ظلّ في دائرة تسمم بالاقتصرار وتحتاج إلى شيء من محاولة الاستقصاء.

ومن تحدثوا عن نسبة العين يمكن في نظري أن يصنفوا إلى الآتي:

١- فئة نسبته إجمالاً إلى الخليل، ومن هؤلاء محمد بن يزيد المبرد<sup>(٢)</sup> وأبو سحق الزجاجي، وله نسخة من العين اعتمدتها ونقل عنها كثيرون من العلماء<sup>(٣)</sup> وأ ابن دريد<sup>(٤)</sup> وأ ابن الأنباري<sup>(٥)</sup> وأ ابن درستويه<sup>(٦)</sup> فقد روى العين بسند متصل إلى الخليل، ورد على المفضل بن سلمة ت ٣٠٠ هـ ما نسبه إلى العين من الخليل، وممن أعده في نظري من القائلين بنسبة الكتاب إلى الخليل المفضل بن سلمة فقد ألف كتابين في نقد العين، ولكنه نسب أقوالاً في الفاخر إلى الخليل فقال: وقال الخليل بن أحمد: إنما سميت بيضة الديك بيضة العقر لأنها تمحن بها الجارية فيعلم حالها من العقر، وهذا لا يعقل ولا أعلم أحداً قاله غيره<sup>(٧)</sup> والقول بنصه في العين<sup>(٨)</sup>. ويقول: قال

(١) من هؤلاء: الأزهري في تهذيب اللغة /١٢٨، وأبو بكر الزبيدي في "استدراك الغلط" /١٩٦، والسيوطى في "المزهر" /٨٩، ود. حسين نصار في "المعجم العربى" /٢٧٩، ود. عبدالله درويش في "المعاجم العربية" /٤٩، ود. يوسف العش فى "أولية تدوين المعاجم" /٤٢٢، ود. صلاح الدين الفرطوسى في محاولة جديدة في دراسة كتاب العين، وهادى حسن حمودى في "الخليل ودراسة كتاب العين" /٥٦، ود. نعيم سليمان البدرى في كتاب "العين في ضوء النقد العربى" . ود. إبراهيم نجافى "المعاجم العربية". ود. أمين فاخر في المعاجم العربية. ود. عبد العزيز الحميد في مختصر العين /٧١.

(٢) المزهر /٨٩. المعجم العربى /٢٧٩.

(٣) المزهر /٥٢.

(٤) نص على رأيه صراحة في مقدمة كتابة الجمهرة /٤٠، وقد توقف عند بعض الكلمات فشكك في صحة رواية الليث لها عن الخليل، مثل حدبه عن إهمال زكـ /٢٦٩، فنسب الغلط إلى الليث وكذلك في /١٠٢ و /٢٦٩ و /٣٤٦، وتوقفه في مثل هذه الكلمات إنما هو توقف في صحة الرواية لا في صحة نسبة الكتاب. وقد اضطرب د. حسين نصار في تحديد موقفه فجعله في المعجم العربى /٢٧٩، من المؤديين وفيه في /٢٨٠، /٢٨٠ و /١٠٢، جعله من المنكريين.

(٥) نزهة الآلياء /٤٦.

(٦) المزهر /٨٩. المعجم العربى /٢٧٩.

(٧) الفاخر /١٨٨.

(٨) مادة عقر /١٥٠، وبغض /٦٩.

الخليل: "عَقُّ الْوَلَدِ وَالدَّهِ، يَعْقِهُ عَقًا وَعَقْوَقًا، فَهُوَ عَاقٌ، أَيْ قَاطِعٌ رَحْمَهُ، وَأَصْلُ الْعَقِّ الشَّقِّ، وَإِلَيْهِ يَرْجُعُ عَقْوَقُ الْوَالِدِينِ"<sup>(١)</sup>، وَالْقُولُ بِنْصِهِ فِي الْعَيْنِ<sup>(٢)</sup> وَقَدْ عَدَهُ الدَّكْتُور سَلِيمَانُ نَعِيمُ الْبَدْرِي<sup>(٣)</sup> مِنَ الْمُتَحَامِلِينَ عَلَى الْعَيْنِ، وَنَقْدُهُ لِلْعَيْنِ فِي نَظَرِي لَا يَمْثُلُ رَأِيَا فِي مَسَأَلَةِ نَسْبَةِ الْكِتَابِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَوْقِفِهِ الْعَلَمِيِّ مِنْ بَعْضِ الْقَضَايَا الْعَلَمِيَّةِ، وَمُخَالَفَتِهِ لِلْخَلِيلِ فِي الْمَسَائِلِ التَّفَصِيلِيَّةِ لَا عَلَاقَةَ لَهَا بِمَسَأَلَةِ نَفِي النَّسَبَةِ، لَأَنَّ كُلَّ مَنْ نَقَدَ كِتَابًا لِيُسَ بالِّضُرُورَةِ أَنْ يَكُونَ نَافِيًّا لِنَسَبَتِهِ إِلَى مَوْلَفِهِ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَارَزَنِجِيُّ الْبُشْتِيُّ الَّذِي أَلْفَ التَّكْمِلَةَ<sup>(٤)</sup> عَلَى الْعَيْنِ، وَنَقَلَ ابْنَ عَبَادِ عَنْهُ فِي الْمَحِيطِ<sup>(٥)</sup> مِرَارًا كَثِيرَةً قَوْلَهُ "أَهْمَلَهُ الْخَلِيلُ" عِنْدِ الْاسْتِدَارَكِ عَلَى مَا حَكَمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَهْمَلٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَزِ تَـ٢٩٦ـ وَهُوَ مِنَ الْقَائِلِينَ بِنَسَبَةِ الْكِتَابِ إِلَى الْخَلِيلِ، يَظْهُرُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّ الْخَلِيلَ أَلْفَ كِتَابَ الْعَيْنِ وَخَصَّ بِهِ الْلَّيْثَ، فَأَقْبَلَ عَلَى حَفْظِهِ حَتَّى حَفْظَ نَصْفِهِ<sup>(٦)</sup> وَيَدِلُ عَلَيْهِ أَيْضًا نَقْلُهُ نَصِينَ مِنَ الْعَيْنِ فِي كِتَابِ الْبَدِيعِ وَنَسَبَتُهُمَا إِلَى الْخَلِيلِ، فَقَدْ قَالَ: "وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْجِنْسُ: لِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ النَّاسِ وَالْطَّيْرِ وَالْعَروْضِ وَالنَّحْوِ"<sup>(٧)</sup>، وَالْقُولُ نَفْسُهُ بِالْخَلِيلِ يَسِيرٌ فِي الْعَيْنِ<sup>(٨)</sup>، وَيَقُولُ: "قَالَ الْخَلِيلُ -رَحْمَهُ اللَّهُ-: يَقَالُ: طَابَتْ بَيْنَ الشَّيْنِيْنِ إِذَا جَمَعْتُهُمَا عَلَى حَدَّ وَاحِدٍ"<sup>(٩)</sup>، وَالْقُولُ بِنْصِهِ فِي الْعَيْنِ<sup>(١٠)</sup>، وَتَطَابِقُ النَّصِينُ وَنَسَبَتُهُمَا لِلْخَلِيلِ دَلِيلًا عَلَى تَصْحِيحِ النَّسَبَةِ، وَلَيْسَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي نَظَرِي مِنْ يَشْكُّ فِي نَسَبَةِ كِتَابِ الْعَيْنِ لِلْخَلِيلِ، وَتَتَمَّمَ الْحَكَايَا الْمَرْوِيَّةُ عَنْهُ وَكَلامُهُ فِيهَا، إِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرُ لِلْخَلِيلِ الْوَاقِعُ فِي الْعَيْنِ، وَثَابَتْ بَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّرْقَسْطِيِّ، وَابْنُهِ

(١) الفاخر .٢٧٨

(٢) عَقْ .٦٢١/١

(٣) فِي كِتَابِ الْعَيْنِ فِي ضَوْءِ النَّقْدِ الْلَّغُوِيِّ .٢٢

(٤) التَّهْذِيبُ ١/٢٢، مَعْجمُ الْأَدْبَاءِ ٤/٢٠٧، الْوَافِيُّ بِالْوَفِيَّاتِ ٨/٧، بَغْيَةُ الْوَعَادَةِ ١/٣٨٨.

(٥) انظر: الْمَحِيطُ مُثَلًا ١/٦٦، ٦٦/٦٧.

(٦) طَبَقَاتُ الشَّعْرَاءِ

(٧) الْبَدِيعُ .٢٥

(٨) الْعَيْنُ جِنْسٌ ٦/٥٥

(٩) الْبَدِيعُ .٣٦

(١٠) طَبَقَ .١٠٩/٥

القاسم بن ثابت في كتاب الدلائل، فقد نقلًا عن العين بعض النصوص التي هي بفصها في العين مثل: حديثهما عن وطى يطا<sup>(١)</sup>، وعن الرَّجَز المشطور<sup>(٢)</sup>، والصاحب بن عباد ممن لا يشك في نسبة العين للخليل، فقد جعل العين للخليل ونقل عنه نصوصاً كثيرة، ولم ينسب من تلك المادة إلى الليث إلا ما تعلق برواية عن أعرابي حول كلمة "العُهُجُخ" وتعليقًا على كلمة الدُّعْشُوقة بأنها ليست عربية<sup>(٣)</sup>، وأبو الأزهر البخاري فقد ألف كتاب الحصائل تكميلاً للعين<sup>(٤)</sup>، وأبو معاذ معروف بن حسان السمرقندى، فقد روى كتاب العين عن الخليل<sup>(٥)</sup>، ومنذر بن سعيد البُلُوطِي، فقد روى العين عن ابن ولاد، وعن أبي جعفر النحاس<sup>(٦)</sup>، وعلى بن مهدي الكسروي الشاعر فقد ذكر أنه كان عارفاً بكتاب العين للخليل خاصة<sup>(٧)</sup>، والإمام الحافظ أبو بكر البهقي رحمه الله ت ٤٥٨ هـ فقد أورد نصوصاً في كتابه الرد على الانتقاد على الشافعى في اللغة يظهر منها بوضوح أنه هو ومن كان يروي عنهم مثل محمد بن عبد الله بن حمفتاد من القائلين بنسبة العين للخليل، يقول البيهقي عند حديثه عن الوقس والوقش في الواقع: قال أبو منصور الحمسادي: والصاد والسين مما يتعاقبان في كثير من المواقع، فإن قيل: ليس في كتاب العين بالسين ولا بالشين، بل بالصاد، والوقس بالسين: الفاحشة... قيل لهم: لا ينكر أن تكون هذه لغة سمعها الشافعى - رحمه الله - من العرب، ولم يعرفها الخليل بن أحمد، وقد وجدنا في كتب الشافعى الفاظاً لم نجدها في كتاب العين<sup>(٨)</sup> وقد ذكر البيهقي نصوصاً أخرى جعل العين فيها الخليل<sup>(٩)</sup> وممنرأيته يتخصص لنسبة الكتاب إلى الخليل ابن هشام اللكمي، فقد قال راداً على من لحن صيغة ((الكلاب)) قال الراد: قد قال الخليل في

(١) في الدلائل ١/٤١٧، وهو في العين - وطأ - ٧/٦٤.

(٢) في الدلائل ٢/١٢٢، وهو في العين رجز ٦٤.

(٣) انظر: المحيط ١/١٩٠.

(٤) التهذيب ١/٣٢٠.

(٥) لسان الميزان ٦/٦١.

(٦) تاريخ قضاة الأندلس ١/٤٣.

(٧) ذيل تاريخ بغداد ٤/٤١٤، وقد رجع د. صلاح الفرطوسى أنه كان ناسخاً للعين لا راوياً له. انظر: كتاب العين في ضوء النقد اللغوى ٢٥.

(٨) الرد على الانتقاد ٦١.

(٩) السابق. ٦٥، ٨٢، ١١١، ١١٧.

كتاب العين وهو المرجوع إليه والمعلول عليه: إن الكلب والكلوب لغتان.....)) فإذا حكاها الخليل في كتابه عن العرب فكيف تكون غير معروفة؟ وكيف تلحن بها العامة؟<sup>(١)</sup> وكذلك القرطبي<sup>(٢)</sup> وياقوت الحموي<sup>(٣)</sup> والجميدي<sup>(٤)</sup> وأحمد بن محمد المقرري التلمساني<sup>(٥)</sup> والذهبي<sup>(٦)</sup> وابن أبيك الصفدي<sup>(٧)</sup> وابن خلدون<sup>(٨)</sup> وقد ذكر بعض العلماء أن كتاب العين للخليل في موضع الافتخار عند أهل البصرة عامة. فقد ورد "ولأهل البصرة أربعة كتب يفتخرن بها على أهل الأرض: كتاب العين للخليل، وكتاب أبي حاتم في القراءات"<sup>(٩)</sup> وقد أشار السيوطي -رحمه الله- إلى قبول كثير من العلماء له. يقول: أما كتاب العين المنسوب إلى الخليل فهو أصل في معناه. وهو الذي نهج طريقة تأليف اللغة على العروض. وقد يمّا قد اعنى به العلماء وقبله الجهابذة<sup>(١٠)</sup> وقد أقرب بهذا من هم في أشد مستويات الإنكار فهذا الأزهري يقول: فلا تش肯َ فيه من أجل أنه زلَّ في حروف معدودة، هي قليلة في جنب الكثير الذي جاء به صحيحًا<sup>(١١)</sup> وفي العصر الحديث مال إلى هذا الرأي كثيرون فسلموا بنسبة الكتاب إلى الخليل منهم محمد صديق خان<sup>(١٢)</sup>، وجرجي زيدان<sup>(١٣)</sup>، ود. عبد الله درويش<sup>(١٤)</sup>، ود. إبراهيم نجا<sup>(١٥)</sup>، ود. أمين فاخر<sup>(١٦)</sup>، ود. إميل

- (١) تقويم اللسان .٧٤.
- (٢) تفسير القرطبي .٥٢.١٥.١٢٩.٧٥.
- (٣) معجم الأدباء .٢٧/١.
- (٤) حذوة المقتبس .١١٧.١١١.١٨/١.
- (٥) في أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض .٢٠٥/١.
- (٦) تاريخ الإسلام .٢٥٩٣/١.
- (٧) الوافي بالوفيات .٢٢٧/٢.١٥٤/١.
- (٨) المقدمة .٤٥٥.
- (٩) البلقة .١١٠.نور القبس .٨٢/١.
- (١٠) المزهر .٨٩/١.
- (١١) التهذيب .٢٩/١.
- (١٢) في دائرة المعارف الإسلامية - خليل .
- (١٣) تاريخ أداب العربية .١٢٢/٢.
- (١٤) المعاجم العربية .٢٠.
- (١٥) المعاجم اللغوية .٢٨.
- (١٦) دراسات في المعاجم العربية .١٠.

يعقوب<sup>(١)</sup>. ود. هادي حسين حمودي<sup>(٢)</sup>. ود. صلاح الفرطوسى<sup>(٣)</sup>. ود نعيم سلمان البدرى<sup>(٤)</sup>. ود. مهدي المخزومي الذى حرق كتاب العين وخلص قائلاً: إن كتاب العين بتأسيسه وبخشوه وبيانه وتفسيره واستشهاده إنما هو كتاب الخليل<sup>(٥)</sup>.

#### **الفئة الثانية:**

لما كثُر الخوض في مسألة نسبة العين بين العلماء واتسع ميدان التجاذب ظهر من العلماء من رام التوقف في المسألة فاستخدم عبارة "صاحب العين" عند نقله لنصوص من الكتاب، ومن هؤلاء النموذج رحمة الله فقد رأيته يفرز إلى تلك العبارة عند نقله من العين، وذلك في كتاب تهذيب الأسماء واللغات<sup>(١)</sup>. وشرح صحيح مسلم<sup>(٢)</sup>، والمفهوم لما أشكل من صحيح مسلم<sup>(٣)</sup>، وكذلك القاضي عياض في مشارق الأنوار<sup>(٤)</sup>، وأبن حجر العسقلاني في فتح الباري<sup>(٥)</sup> وبدر الدين العيني في عمدة القارئ<sup>(٦)</sup> وفي شرح صحيح البخاري لابن بطال<sup>(٧)</sup>، وكذلك ابن سعد الخير في القرط<sup>(٨)</sup> على الكامل، وممن رأيته يفرز إلى هذه العبارة كثيراً ابن عبد البر. فقد نقل عن العين كثيراً، مسنداً مائقلاً من أقوال إلى (صاحب العين)<sup>(٩)</sup> دون تحديد، وقد عده د. حسين نصار ممن يثبت العين للخليل<sup>(١٠)</sup>. ولا أدرى علام اعتمد، ولعله صدر عماراوي من أن ابن عبد البر رواه عن

٢٧) المعاجم العربية

الخليل وكتاب العين ٢٩-٦٧ .

<sup>٢٥</sup> (٢) محاولة جديدة في دراسة كتاب العين.

(٤) كتاب العين في ضوء النقد اللغوي، ٢١.

(د) العين ٢٧١. والكتاب خرج بتحقيق د- مهدي المخزومي ود- إبراهيم السامرائي إلا أن إبراهيم السامرائي نقض ما قرره في مقدمة العين بما قاله في مجلة الحكمة وسيأتي الكلام عليه.

• 270909 20.12/3.598/2(7)

۱۳۰۸۲۰۱۳/۳.۷۲/۱(۶)

.۳۵۱/۷.۳۳۰/۰.۳۷۴ و ۲۸۸/۱(۸)

• २०२१४७.९८.७२.३२/१(९)

<sup>٤٤١</sup> انظر فتح الباري ٢٠٢، ٤١٤، ٣١٢، ٢٠٢/١.

(١١) عمدة القاري / ٢٤١٢٥٣٤١٩٣٣٦٩٢٣٢٢٠١٨/٢٠٢٩:

17-180-04-49-5A-57/1(12)

188.178.155.1:8080/1015

EEG E-E/2-153 9V V3/15 ملکه

الدورة الأولى

عبدالوارث بن سليمان، وأن أبي علي الغساني رواه عن ابن عبد البر<sup>(١)</sup>.

### الفئة الثالثة:

أنكر صلة الخليل بن أحمد بالكتاب بعض العلماء، ورفضوا أن يكون هو من ألهه، ونسبوه إلى الليث بن المظفر، ومن هؤلاء أبو حاتم السجستاني الذي روى إنكاره فقال: حدثنا إسماعيل بن القاسم البغدادي قال: لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمان أبي حاتم، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ودفعه بأبلغ الدفع وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل سليماً من الزلل<sup>(٢)</sup>. ونسب الإنكار إلى أبي علي القالي بسبب روايته ما قاله أبو حاتم أيضاً، والحق أنه ليس مع المنكرين، كما يرى د. إبراهيم نجا<sup>(٣)</sup> ود. عبد العزيز الحميد<sup>(٤)</sup>. لأنه جعل أقوال الخليل في العين أساساً لمعجمه البارع ومض فيه ينسب النصوص المنقوله إلى الخليل، ثم إن عبارة "وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل سليماً من الزلل" هي من قول الزبيدي، وليس من قول أبي علي، ونسب الإنكار للنضر بن شمبل ت ٤٢٠ هـ فقد سئل عن الكتاب فأنكره فقيل له: لعله ألهه بعده؟ فقال: أوَّل خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل بن أحمد" على أن هذه الرواية يعارضها قول أبي أحمد العسكري: إن النضر اشتغل بتكميل كتاب العين وأتمه<sup>(٥)</sup>. ويذكر آخرون أن النضر ألف المدخل إلى كتاب العين<sup>(٦)</sup>، وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين<sup>(٧)</sup> يحاولون تخریج ما نسب للنضر على غير نفي نسبة الكتاب، وليس في أصحاب المعجمات - حسب اطلاعی - من تحمس لنفي نسبة الكتاب إلى الليث، سوى الأزهري وأبي بكر الزبيدي، وهما من أشاعا التشكيك فيه وتهجinya، وأشهرها القول

(١) المزهر ٩١/١.

(٢) المزهر ٨٤/١. استدراك الغلط ١٤٣.

(٣) المعاجم اللغوية ٢٦.

(٤) مختصر العين ٩/١.

(٥) انظر شرح ما يقع فيه التصحيح ٦٧. ووفيات الأعيان ٢٥٣/١. وقد ناقش هذه الرواية د. رشيد العبيدي في مشكلات في التأليف اللغوي ١٨٤.

(٦) تاريخ التراث العربي ٩٤/١٨.

(٧) مثل د. حسين نصار في المعجم العربي ٢٨٧/١. ود. رشيد العبيدي في مشكلات في التأليف اللغوي ١٨٤. ود. نعيم سليمان البدرى في كتاب العين في ضوء النقد اللغوى ١٥.

بنسبته للبيت، فالازهري يقول: "اللith بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله"<sup>(١)</sup> وكلام الأزهري رحمه الله في الكتاب وفي اللith مضطرب أشدّ الاضطراب. فهو في النص السابق يرى أن اللith نحل الخليل الكتاب جملة، ولذلك صار اسم اللith في التهذيب هو الأكثر ترددًا وحضورًا من بين أسماء العلماء، ويقول: ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه<sup>(٢)</sup> ويقول مدللاً على شدة عنايته بالعين: وقد قرأت كتاب العين غير مرّة، وتصفحته تارة بعد تارة، وعنيت بتتبع ماصحّف وغَيْرُ منه، وأما ما وجدته فيه صحيحًا .... فإني أعزّيه إلى اللith.... فلا تشکنَ فيه من أجل أنه زلَّ في حروف معدودة، هي قليلة في جنب الكثیر الذي جاء به صحيحًا<sup>(٣)</sup> والأكثر اضطراباً هو موقفه من اللith نفسه، فهو "من اتسموا بسمة المعرفة وعلم اللغة، وألفوا كتاباً أودعوها الصحيح والسقيم، وحشوها بالمزال المفسد، والمصحّف المغير"<sup>(٤)</sup>. ويقول عنه: وهذا صحيح من قول الخليل، وهو كما حكاه اللith، وكلما قال: قلت للخليل فقال، أو قال: سمعت الخليل فهو الخليل بن أحمد لا تدلّيس فيه، وإذا قال: قال الخليل، ففيه نظر<sup>(٥)</sup> فاللith يتحلّ العربية ويكتذب، وإن قال: قال الخليل فهو مدلّس وفي قوله نظر، وإن قال: قلت للخليل، أو سمعت الخليل، فسماعه حق وحكايته صحيحة، ووثيقة اللith عنده موضع نظر ولكن من أخذوا عن اللith كشمر بن حمدوه من الثقات إن قراءة مثل هذا الكلام أدنس قراءة، ومسنه بأدنس فحص، ليوحى بالاضطراب، بل وبخطل القول وميئنه، وقد ظهر لي من خلال النظر في التهذيب، والمقابلة بما في العين، ما يكفي لإدراك أبعاد منطلقات الأزهري وأسباب دعواه، فقد رأيته يقسم مادة كتاب العين قسمين: مادة مهملة، ومادة مستعملة، وكل ما في العين مما هو مستعمل مذكور عند العرب، فاللith هو من أورده، وكل ما في العين

(١) التهذيب ٢٨/١.

(٢) السابق ٤١/١.

(٣) السابق ٢٩/١.

(٤) السابق ٢٨/١.

(٥) التهذيب ٤٣٦/٢.

من نص على مواد أهمها العرب وهي غير مستعملة عندهم، فهو من صنع الخليل ومن عمله، إن المطالع على التهذيب ليجد نفسه بين عبارتين ”قال الليث“<sup>(١)</sup> و”قال الخليل“<sup>(٢)</sup> وهذا أقوى دليل على تناقض رأي الأزهري وعدم تماسته دعواه وثبات حجته فالكتاب مقسوم بينهما، وإن هذا الاضطراب في الرأي واجتماع المتناقضات فيه، هو الذي جعل أحد الشعراء يصوغ أبياتاً على نحو ماقال نفطويه في ابن دريد فيقول في الأزهري:

الأزهـري وَزَغَـةُـهـ وَحْمَقُـهـ حَمَقُـرَغَـهـ  
وَيَدْعُـيـ مـنـ جـهـاـهـ كـتـابـ تـهـذـيـبـ الـلـغـهـ  
وـهـوـكـتابـ قـدـ صـبـغـهـ إـلـأـنـهـ قـدـ صـبـغـهـ<sup>(٣)</sup>

وأما أبو بكر الزيدي فقد تلقف الكتاب بالأندلس، وهو يرى أن الخليل يجب أن ينزع عن نسبة الكتاب إليه يقول: ونحن نربأ بالخليل رحمه الله عن نسبة هذا الخليل إليه أو التعرض للمقاومة له، والرد عليه بأن نقول: إن الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه، فقد كان جِلَّ البصريين الذين أخذوا عن أصحابه، وحملوا علمه عن رواته ينكرون هذا الكتاب ويدفعونه<sup>(٤)</sup> على أن الشخص الذي نقل الكتاب إلى الأندلس، وهو ثابت بن عبد العزيز السرقسطي، وهو أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس، يقرُّ بنسبة الكتاب إلى الخليل، وما نقل عنه مرة إلا قال: قال الخليل كما مر، ويدولى أن شدة نكير الأندلسيين على الزيدي هو الذي حمله على الاجتهاد في حشد الأدلة وتنميقها، فجاءت أداته في مظهر أقوى مما هي عليه عند الأزهري، فهي أقل اضطراباً وأكثر تماستاً، مع أنه قال عند حديثه عن إبراهيم بن الوزان النحوي: يحفظ كتاب الخليل بن أحمد في العين ”مع أنه هو من يدعو إلى تنزيه الخليل عن نسبة العين إليه، وستأتي مناقشة حججه وأداته لاحقاً لأنها أصبحت منطلق الباحثين المنكريين لنسبة العين للخليل“.

#### الفئة الرابعة:

رأى كثير من العلماء أن كتاب الخليل لا يمكن أن ينسب بمجمله إلى الخليل ولا

(١) هذه العبارة مستفيضة في الكتاب.

(٢) هذه العبارة كثروتها في التهذيب أيضاً، وخاصة عند الحكم بغرابة لفظ أو عند قضية نحوه أو صرفه أو صوتية أو عند سمع عن العرب.

(٣) في نمار القلوب ٤٧٨/١، معجم الأباء ٤٧٩.

(٤) مختصر العين - تحقيق د. الشاذلي ٤٢١.

يمكن أن ينفي عنه، كما لا يمكن أن ينسب إلى الليث جملة ولا يمكن أن ينفي عنه، فنسبوا إلى الخليل بعضه، ونسبوا إلى الليث بعضه، وقد اختلفوا في الجزء الذي يمكن أن ينسب إلى الخليل ومقداره، وكذلك ما يمكن أن ينسب إلى الليث، على أن الكثرين منهم كانوا يميلون إلى أن أول الكتاب وخطته ومنهجه من وضع الخليل رحمة الله، فالإمام ثعلب يقول: إنما وقع الغلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه، ولو كان هو حشاه ما بقى فيه شيئاً، لأن الخليل رجل لم يُرَأْ مثله، وقد حشا الكتاب أيضاً قوم علماء، إلا أنهم لم يؤخذ منهم رواية، وإنما وجد بنقل الوراقين فاختل الكتاب لهذه الجهة<sup>(١)</sup> وأبو سعيد السيرافي يقول: "عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة"<sup>(٢)</sup> وممن يرى هذا الرأي أبو الطيب اللغوي يقول: "أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب العين، فإنه هو الذي رتب أبوابه وتوفي من قبل أن يحشوه"<sup>(٣)</sup> وابن جني -رحمه الله- يرى أن ليس للخليل إلا الخطة يقول: وأما كتاب العين ففيه من التخلط والخلل والفساد، مما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل... وإن كان للخليل فيه عمل فإنه هو وأنه أوما إلى عمل هذا الكتاب إيماء ولم يله بنفسه، ولا قرره ولا حرر<sup>(٤)</sup> وقد مال إلى هذا الرأي في العصر الحديث كثيرون منهم د. حسين نصار رحمة الله، يقول: والحق أن رأي ثعلب لهذا أقرب للأراء إلى الصحة، ونحن نطمئن إليه وإلى المفهوم العام من أقوال هذه الطائفة<sup>(٥)</sup> ود. طنطاوي محمد دراز<sup>(٦)</sup> ود. يوسف العش<sup>(٧)</sup> ود. عبد العزيز الحميد<sup>(٨)</sup>.

بواحد الجدل حول نسبة العين

لا يمكن لباحث أن يغفل أثر مسألة التعصب والهوى وتأهُّب الغَيْرَةِ في هذا الجدل

(١) مراتب النحوين ٣١، المزهر ٨٢/١.

(٢) أخبار النحوين ٢٨.

(٣) مراتب النحوين.

(٤) الخصائص ٣، المزهر ٢٨٨/٣.

(٥) المعجم العربي ١/٢٩٠.

(٦) في أصول اللغة ٢٠٨.

(٧) أولية تدوين المعاجم ٥٢٧.

(٨) مختصر العين ١/٢٠.

الدائر حول كتاب العين فاضطراب حجج الأزهري كما مرساً بـأيدل عليه، وقول أبي علي الفارسي لا يمكن أن يفسر إلا به، يقول ابن جني: وذاكرت به يوماً أبا علي رحمة الله فأرأيته منكرا له، فقلت له: إن تصنيفه منساق متوجه، وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجمهرة، فقال: الآن إذا صنف إنسان لغة بالتركية تصنيفاً جيداً أيؤخذ به في العربية<sup>(١)</sup>؟ لكن ذلك الجدل لا يمكن أن يُحصر على هذه الأسباب، بل قد تضافرت بوعاً ث وأسباب حملت العلماء ودعت الباحثين على مر العصور إلى ذلك الجدل في نسبة الكتاب، وقد بقي ذلك الجدل حاضراً غير غائب، وحياناً غير ميت، لأن أسبابه ودعاهيه حقائق ومسلمات غير مطعون فيها ولا مشكوك، بل لأنه:

١- مما يتصل بتاريخ العلوم وتاريخ العلوم العربية لا يزال ميداناً فسيحاً يُغرى بالبحث والنقاش.

٢- أن ذلك الجدل يتصل برواية أقوال علماء سابقين ترددت كثيراً في كتب الطبقات والتراجم، ومثلت تراكماً نظرياً يقى له صدى وطنين وإن لم يدعم بدعامة، ولم يتكى على سند.

٣- أن طبيعة أغلب كتب الطبقات والرجال مولع بإثبات ما قد قاله العلماء وتناقلوه، وإن كان متناقضاً، ولذا ترى في الكتاب الواحد نقولاً لنصوص متناقضة حول العين يصعب أن تخلص لصاحبها إلى موقف أو تبني له تصوراً<sup>(٢)</sup>.

نبت ذلك الجدل لأسباب ويفي حياً لأسباب هي في الغالب:

٤- اختلاف نسخه واضطراب روایاته وإن كان لهذين أثراً بلا شك في مادة الكتاب، إلا أن ذلك الاختلاف والاضطراب من آثار من تلقّفه، لا من أثر من ابتداعه، وقد استدل بهذين أبو بكر الزبيدي، وأما غيره من القدماء فلم يجعلوه دليلاً للشك في نسبة الكتاب<sup>(٣)</sup>.

(١) الخصائص ٢٨٨/٢، ولدكتور شلاش حديث جيد عن أثر العصبية في هذا الجدل.

(٢) فالزبيدي رحمة الله هو من تحمس لتنتزه الخليل عن العين، وهو في الطبقات ٢٤٦ ينسب له.

(٣) انظر: استدراك الغلط، ١٢٩، وقد أشار القدماء إلى تعدد نسخ العين ولكنهم لم يجعلوها عيباً يدفع النسبة كما في جذوة المقتبس ١٨١، معجم ماستعجم ٤/١٣٩٠، معجم المقاييس ٢٤٦/٢، وانظر المعجم العربي ١/٢٧٧، كتاب العين في ضوء النقد اللغوي ٨-١٣٥، مختصر العين بتحقيق د. الحميد ٢٠-٢٢.

٢- اشتماله على التصحيف وهذه القضية ألحّ عليها الأزهرى وقد ناقش كثيرون من الباحثين<sup>(١)</sup> مدى وجودها، مقلّلين من شأنها ناسبيّن كثيراً مما قيل إنّه مصحف إلى توهّم التصحيف.

٣- أن الكتاب ظل مجھولاً عند أصحاب الخليل، كالنضر بن شمیل، ومؤرج السدوسي، وأبی الحسن الأخفش، ولم يظهر إلا في زمان أبی حاتم<sup>(٢)</sup>، وقد ناقش هذا الأمر كثير من الباحثين<sup>(٣)</sup> وخلصوا إلى أنه لا يقوم حجّة، ولا ينهض دليلاً يسند نفي نسبة الكتاب عن الخليل، وفي نظري لو أنّ الباحثين والمحقّقين قابلوا نصوص الكتب التي ألفت منذ القرن الثالث بما في العين لوجدوا أنّ كتاب العين حاضر غير غائب، ولقد أوردت فيما سبق نقولاً عن العين في كتاب البديع لابن المعتز، وفي كتاب الدلائل للسرقسطي، وفي كتاب البيهقي، ومن ينظر في كتاب غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق العربي ٢٨٥-١٩٨ مثلاً، سيجد التطابق التام بين بعض الأقوال فيه، وبين ما في العين.

يقول الخليل	يقول العربي
قال الله عز وجل: "عَرَفَهَا الْهَمْ" أي: طيبها، وقال: "الْأَرْبُ يَوْمٌ قَدْ لَهُوتْ وَلِيلٌ بِوَاضْحَةِ الْخَدْيْنِ طَيْبَةُ الْعَرْفِ" <sup>(٤)</sup>	"وقال الخليل: قوله: "عَرَفَهَا الْهَمْ" طَيْبَهَا لَهُمْ، وأنشد: الْأَرْبُ يَوْمٌ قَدْ لَهُوتْ وَلِيلٌ بِوَاضْحَةِ الْخَدْيْنِ طَيْبَةُ الْعَرْفِ" <sup>(٥)</sup>
الرُّتْعُ: "الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ فِي الرِّبَعِ رَغْدًا، رَتَعَتِ الإِبْلُ رَتَاعًا... وَالرُّتْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْخَصْبِ" <sup>(٦)</sup>	وقال الخليل: "الرُّتْعُ: الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ فِي الْخَصْبِ، رَتَعَتِ الإِبْلُ إِذَا أَكَلَتْ مَا شَاءَتْ، وَلَا

(١) انظر: المعجم العربي ٢٧٤/١. وقد أفرد د. نعيم سلمان البدرى لهذا الأمر فصلاً في كتاب "العين في ضوء النقد اللغوي من ٢٣-٢٦٠" وردّ كثيراً مما قيل: إنه مصحف، ولم يثبت إلا لفظاً فقط، وقد اعترف الأزهرى في التهدىب ٢٩١ بسلامة لغة الكتاب فقال: "فلا تشکنَ فيه من أجل أنه زل في حروف معدودة، هي قليلة في جنب الكثير الذي جاء به صحيحاً".

(٢) انظر: استدراك الغلط ١٤٤، المزهراً ٨٤.

(٣) انظر: المعجم العربي ٢٨١/١، الخليل وكتاب العين ٥٧، مختصر العين تحقيق د. الحميد.<sup>٩</sup>

(٤) غريب الحديث ١٨٩/١.

(٥) العين. عرف ٢٠/٢٢.

(٦) غريب الحديث ١٢٢/١.

(٧) العين رتع ٦٧-٦٨/١.

كما أن الأقوال والاستدراكات التي ذيلت عليه كما سألي، تدل على اشتغال العلماء به منذ وقت مبكر.

٤- الاضطراب في تطبيق مبدأ الكمية في تقسيم أبواب الكتاب، فمدرسة التقليبات المعجمية تقسِّم وتصنِّف الألفاظ بحسب الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وفي كتاب العين حدث اضطراب وخلط فأدرج الرباعي المضاعف "زلزال وصرصر" في الثلاثي المضاعف "زلَّ صَرَّ" وجعلهما جمِيعاً من الثنائي وهذا الأمر قال به ابن جني<sup>(١)</sup>، والزبيدي<sup>(٢)</sup>، وقد ناقشه الباحثون<sup>(٣)</sup> ووجهوه توجيهات متباعدة، ومسألة معرفة الثنائي والثلاثي والرباعي لا تخفي على من شدا شيئاً في علم التصريف فضلاً عن الخليل، ويبدو لي أن الغفلة منمن جعلوا هذا عيباً يوسم به عمل الخليل وصنعيه، ولو تذكروا الأساس التي بنى الخليل كتابه عليها، لما أحوالوا على هذه المسألة وتلك الأساس هي:

- الأساس الجذري
- الأساس الصوتي
- الأساس التقليبي
- الأساس الكَمِي

وإدخال أن الأساس الثالث، هو الذي أملَى على الخليل جمع الثنائي المضاعف والرباعي المضاعف في باب واحد هو الثنائي، لأن تقاليبهما اثنان كما هو الحال في الثنائي، وليس صنيع الخليل على كل حال بمنفرد فقد تداخلت الأصول في كثير من المعجمات المتقدمة والمتأخرة<sup>(٤)</sup>.

(١) في الخصائص ٢٦٦/٢.

(٢) استدراك الغلط ١٤٥ وهو في المزهر ٨٥/١.

(٣) منه نعمة العزاوي في المعجم العربي ١/٢٠٧ ود. عبد العزيز الحميد في مختصر العين ١/٢٧.

(٤) انظر: البراسة القيمة التي أعدها د. عبد الرزاق الصاعدي بعنوان "تناول الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، وخصوصاً ص ٧٧٤ وما بعدها".

- ٥- أن في الكتاب أشياء على مذهب الكوفيين وقد أورد هذه المسألة<sup>(١)</sup> وناقشها الباحثون<sup>(٢)</sup>، وبينوا أن التعلل بها غير مقبول، لأنها غير صحيحة، ولا واقعة.
- ٦- الاستشهاد بالمرذول منأشعار المحدثين، وقال بهذه الزبيدي<sup>(٣)</sup>، وقد وضع الباحثون<sup>(٤)</sup> أن طريقة الخليل في الاستشهاد والاحتجاج لاتباع منهج غيره من التعویل على من يوثق بفصاحتهم.

#### أقوال العلماء في العين:

وأشار العلماء منذ زمان متقدم إلى اشتغال نسخ العين على أقوال علماء معاصرین للخليل أو متأخرین عن طبقته وجيله ودون مرتبته العلمية ومنزلته، وهذا الاشتغال كان من أبرز الأمور التي استدعت الشك في الكتاب، وفي صحة نسبة للخليل، وأول من أشار إلى هذا الأمر- فيما أعلم- هو الزبيدي فقد عدَّ هذا من أبلغ الأمور التي توجب نسبة الكتاب إلى الليث بن المظفر، يقول: ومن الدليل على ما ذكره أبو العباس من زيادات النسخ فيه، اختلاف نسخه واضطراب رواياته إلى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرین ..... فألفينا في كثير: أخبرنا المسعری عن أبي عبيد، وفي بعضها قال ابن الأعرابي وقال الأصممي فهل يجوز أن يكون الخليل يروي عن الأصممي وابن الأعرابي أو أبي عبيد فضلاً عن المسعری<sup>(٥)</sup>.

وقد ارتضى كثير من الباحثين ما أشار إليه وصار عند بعضهم حجة في موضوع تسلیم، يقول د إبراهيم السامرائي وهو أحد محققی الكتاب: " وقد أتحول إلى شيء آخر حملني على نسبة الكثير مما جاء في كتاب العين إلى غير الخليل، كان هذا في أعلام الرجال الذين ورد ذكرهم في كتاب العين، أقول: ليس لي أن أقول: إن كتاب العين صنعة الخليل، وأنا أجده في شواهد أبياتا للمحدثين ..... وإذا كان لي أن أغضُّ الطرف عن

(١) استدراك الغلط ١٤٥ المزهر ٨٥/١.

(٢) منهم د عبد الله درويش في المعاجم العربية ٦٢. د. نعيم اليدري في كتاب العين في ضوء النقد اللغوي ١٣٧. د.

عبد العزيز الحميد في مختصر العين ٢٥.

(٣) استدراك الغلط ١٤٢ المزهر ٨٢/١.

(٤) منهم د. حسين نصار في المعجم العربي ٢٦٨/١. د. نعيم البدري في كتاب العين في ضوء النقد اللغوي ١٢٦.

(٥) استدراك الغلط ١٩٧.

ابن الأعرابي وغيره من اللغويين الأوائل الذين ذكروا في مواد العين فكيف أقول وأنا أرى ابن قتيبة وغيره ممن عاصروه؟ ثم كيف أصل إلى معرفة الأعراقب وهم ثلاثة عشر<sup>(١)</sup>.

إن هذه الظاهرة في الكتاب غريبة حقاً ولكنها ليست بفريدة، غريبة لأن كتاباً أو وثيقة تحتوي على أقوال لمن ليسوا في طبقة كاتبها تدفع إلى الشك والاسترابة، وليس

بفريدة لأن مكتبتنا العربية فيها ما يماثل هذا<sup>(٢)</sup>.

إن تراوح الأمر بين الاستغراب والإلف جعل الباحثين والعلماء تجاه الكتاب على هذا التقسيم:

١- قسم ينكر الكتاب للخليل لأجل تلك النقول ويجعله لليث بن المظفر على نحو ما نراه عند الزبيدي<sup>(٣)</sup> والسamarائي<sup>(٤)</sup>.

٢- قسم يرى أن يدًا غير يد الخليل أسهمت في حشو وجمع مادته، على نحو مانرى عند ابن جني، وعند كثير من الباحثين أشرت إليهم سابقاً وقد رأيت بعض هؤلاء مثل د حسين نصار يشاركون في تحرير ما في العين من أقوال<sup>(٥)</sup>.

٣- قسم يسلم بأن الكتاب للخليل بن أحمد، ويخرج ما وجد فيه من نقول على تحريرات يرى أنها تدفع الشك وتصح النسبة للخليل.

وتلك التحريرات أخذت الاتجاهات الآتية:

(١) حمل بعض الباحثين تلك الآراء والنقول على أنها زيادات أدخلها الليث في الكتابأخذًا بنصيحة أستاذه الخليل، يقول د. حسين نصار: وتصريح روایة الليث أخطأ إلى جانب الإملاء والحوال بحسب الخليل إيه على السؤال عما شكه فيه وإثباته في الكتاب، وكان لهذه النصيحة أثرها الخطير في العين، إذ يبدو أن الليث أخذ يسأل من قابله من الأعراقب والعلماء ويبحث عن روايات غير الخليل من الآباء ويدخلها دون تحرج<sup>(٦)</sup>.

(١) مجلة الحكمة ٣٧٨.

(٢) فنون أبي زيد قد اضطربت وأدخل عليها النسخ ما حمل أبو زيد على أن يهم بالبراءة منها.  
انظر: أبو زيد الأنباري ونواتره اللغة ٢٣٧ وما بعدها.

(٣) استدراك الغلط ١٩٧.

(٤) مجلة الحكمة ٣٧٨.

(٥) انظر المعجم العربي ١/٣٩٠-٣٩٥.

(٦) السابق ١/٢٩١.

٢) أن الخليل أو الليث ربما أدخل بعض تلك العبارات، فهي زيادة أصلية في الكتاب، والبعض الآخرزيد لاحقا بفعل النساخ، يقول د حسین نصار: وربما كان الخليل أو الليث هو الذي أدخل عبارات أبي خيرة وأبي مالك وأبي عمرو دون أن ينسبها إليهم لأنهم جميعاً من روی عنهم الخليل في كتابه، ولكن لا شك أن عبارات ابن الأعرابي وأبي عبيد من الزيادات غير الأصلية في الكتاب<sup>(١)</sup>.

٣) غرابة أن ينقل الخليل عن عاصروه مثل أبي الدقيش ويونس وسيبوه والأصمي وأبوزيد وهذه أسماء مألوفة في كتب اللغة، والخليل بعد أن رتب الأبواب ونظم المواد وكان هذا همه الأكبر أخذ يضع المفردات أو يحشو الكتاب، فاعتمد على كتيبات معاصريه أو تلامذته، وقد مال إلى هذا التحرير د. أحمد أمين<sup>(٢)</sup> ود. عبد الله درويش<sup>(٣)</sup> وخصوصاً في تفسير ما في العين من نقول عن المعاصرين للخليل.

٤) أن الوراقين في العصور الإسلامية الأولى كانوا يضيفون إلى صلب النص ما ذكر على هامشه أو بين أسطرته من تعليقات لبعض اللغويين الذين قرؤوا الكتاب، اعتقاداً منهم بأن ذلك يزيد من الفائدة، وقد مال إلى هذا د عبد الله درويش مفسراً به ما في العين من أقوال لمن جاؤوا بعد الخليل.

٥) أن الحكايات الواردة عن المتأخرین عن طبقة الخليل يعود إلى بعض العلماء الذين نسخوا الكتاب، كما حصل من محمد بن منصور الذي نسخ نسخة من كتاب العين من نسخة الليث، ثم نسخ من نسخة محمد بن منصور<sup>(٤)</sup> علي بن مهدي الكسروي.

هذه هي تحريرات ما ورد في العين من أقوال كما يبدولي، واني لأحظ على الحديث عن تلك الأقوال ما يأتي:

١- أن في تلك الأقوال ما يصح أن ينسب إدراجه في الكتاب للخليل نفسه، كما سأوضح

(١) السابق ٢٩٥/١.

(٢) ضحي الإسلام ٢٧٠/٢.

(٣) المعاجم العربية ٧٦.

(٤) انظر الفهرست ٤، العين في ضوء النقد اللغوي ١٣٥.

عند إيراد تلك الأقوال .

٢- أن نسبة إدراج كثير من الأقوال لا يصح بحال أن تكون لمؤلف الكتاب، سواء أكان الخليل أم الليث، وذلك بالنظر إلى طبيعتها الاستدراكيّة أو الاعتراضية على ما ورد في الكتاب، كما سيظهر لاحقاً.

٣- أن كثيراً من الأقوال لا يمكن تخریجها على أنها من صنعة الليث، لكونها أقوال أنس جاؤوا بعد الليث وبعد الخليل.

٤- أن تلك الأقوال ظلت محل حديث للكثيرين ممن درسوا المعجم العربي ومثار شبهة حول الكتاب، إلا أنها لم تفرد بتحليل ولا بدراسة، مع عظم خطورها، كما أنها محل إهمال عند من عني بتحقيق الكتاب .

٥- أن في حديث بعض العلماء والباحثين عمن وردت أسماؤهم في الكتاب ما يشتمل على الاضطراب فقد أشاروا إلى ورود اسم المسعرى، ولا وجود له في العين المطبوع، كما أشار البعض إلى اسم ثعلب وأبى عبید وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب والأصمى وأبوزيد الأنطاري وكراع والزجاج<sup>(١)</sup>.

ولا وجود لأسماء هؤلاء في العين المطبوع، فهل اطلع من أشار إليهم على نسخ لم يطلع عليها المحققان؟ أم أن المحققين أسقطوا بعض أسماء الرواة؟ أم أن استمراء الحديث عن وجود أسماء بعض العلماء في العين هو الذي جعل هؤلاء الباحثين يدرجون أسماء هؤلاء العلماء تزيداً؟ إنني أرجح هذا الأخير، لأن حديث التسليم دون التحرى هو ما انطبع به أغلب الحديث عن هذه الأقوال.

والذين وردت أقوالهم في العين من العلماء من حيث التعيين على قسمين فقسم معين محدد الاسم<sup>(٢)</sup>، وقسم غير معين ولا محدد:

(١) أشار إلى هذه الأسماء أحمد أمين في ضحى الإسلام /٢٧٠/، وحسين نصار في المعجم العربي ٢٩٢/، ود. عبدالله درويش في المعاجم العربية ٧١، ود. نجا في المعاجم اللغوية ٢٥.

(٢) وإن كان بعضهم معين الاسم إلا أنه غير معروف عندي مثل موسى ورافع . فلم أدر من هما .

## القسم الأول: المجهولون:

ترددت في العين عبارات "قال غير الخليل" "قال غيره" "قال بعضهم" "ذكر بعضهم" "قال بعض الناس" "قال بعض العلماء" مسندًا إليها أقوالاً ذكرت في العين، والعبارات الأولى جاءت للاستدراك على ما قال الخليل، وإيراد هاتين العبارتين واضح أنه ليس من صنع الخليل فلا يمكن أن يستدرك الخليل بكلام الآخرين على كلامه، ولا أن يرد ما أبته هو بما قال غيره، ولكن هاتين العبارتين لا يمكن أيضًا أن تكونا دليلاً على أن مؤلف الكتاب شخص سوى الخليل، إن من استدرك بهاتين العبارتين يستحضر أن مؤلف الكتاب هو الخليل، ولذا استمر يشير إليه تصريحاً مرة فيقول: قال غير الخليل، وكناية مرة أخرى فيقول: قال غيره.

وأما ما أشير إليه من أقوال بالعبارات الأخرى، فإن طبيعتها الاستدراكية تقتضي أن لا تكون دليلاً صالحًا لنفي نسبة الكتاب عن الخليل، لوضوح أنها زيدت فيه في أزمنة متعددة، نظراً للآتي:

١- يدل عليه ما توصلت إليه من أصحاب تلك الأقوال فقد نسبت لأناس آخرين وهي في أغلبها أقوال مضادة مناقضة لما قرره الخليل.

٢- أن تلك الأقوال ليست في المعجمات التي صدرت عن العين واتخذته أصلاً، ولو كانت فيه لما صارت محل تجاهل عند الأزهرى، وابن دريد، والقالي مع عِظَم خطرها وبالغ أهميتها.

ومما أنسد إلى مجهول من أقوال في العين ما ورد في مادة عهن<sup>(١)</sup> ((قال غير الخليل: العواهِنُ السَّعْفُ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْ لُبِّ النَّخْلَةِ . وهذا القول استدراك بذكر معنى فات الخليل تقييده، وقد نسب إلى عدد من العلماء في المعجمات فهو في التهذيب<sup>(٢)</sup> من قول الأصمى، وفي المقاييس<sup>(٣)</sup> من كلام ابن الأعرابى، وفي المحكم<sup>(٤)</sup> من قول اللحيانى، وفي المخصوص<sup>(٥)</sup> من قول أبي عبيد.

(١) ١٠٨/١

(٢) عهن ٢٢/١

(٣) عهن ٤/٢٧٦

(٤) عهن ١/٤٠

(٥) ٤٧٥/٥

وفي قطع<sup>(١)</sup> عند الحديث عن المقطوعات وردت عبارة "غيرُ الخليل": هي الثيابُ المختلفةُ الألوان على بَدَنٍ واحِدٍ وتحتها ثوبٌ على لونٍ آخر. وهذا التحديد الدلالي لكلمة المقطوعات من الثياب لم أقف عليه في المعجمات، ولو وجد في كتاب العين أصالةً لما أهمل، ولا سيما مع هذا الاضطراب والتدافع الحاصل في السمات والمحِدّات الدلالية لـكلمة مقطوعات منذ زمن مبكر<sup>(٢)</sup>.

وفي قدم<sup>(٣)</sup> (القُدَّامُ: القادِمون من سَفَرِ جمْعِ قادِمٍ، وقيلَ القَدَامُ بفتح القاف، وعن غير الخليل: والقُدَّامُ: الجَزَّارُ). وهذا المعنى المستدرك لم يرد في غير العين، فلم أطلع في المعجمات على أن القُدَّامُ: الجَزَّارُ لا عن الخليل، ولا عن غيره لا أصالة ولا تصحيفا، وإنما التي بمعنى الجزار هي القُدَّارُ، وقد أوردها الخليل في هذه المادة عندما عرض لقول المهلل:

إِنَّ النَّضْرَبَ بِالصَّوَارِمْ هَامَهُمْ   ضَرَبَ الْقُدَّارَ نَقِيَّةَ الْقُدَّامَ

فالكلمة "القُدَّامُ: الجَزَّارُ" مصحفة دخلت نسخة العين زيادة، وقد غفل المحققان عن هذا، ولو كانت من تصحيفات الخليل أو غيره من المتقدمين لاما أهملت.

وفي كثيغ<sup>(٤)</sup> قال الخليل: امرأة مُكَثَّعةٌ. فقال أبو أحمد: مُكَثَّعةٌ على غير قياس وعَسَى أن تكلمت به العرب". ولم يرد هذا القول في التهذيب ولا المعجمات الأخرى، وأما القول المنسوب إلى غير الخليل في هذه المادة وهو: "وعن غير الخليل: لَبَنٌ مُكَثَّعٌ أي: قد ظهر زُبُدُهُ فَوْقَهُ" وهو في المعجمات فهو في المحيط<sup>(٥)</sup> بهذه الصيغة، وبصيغة "أكثع السقاء" في التهذيب<sup>(٦)</sup>.

وفي علس<sup>(٧)</sup> "والعَلَسُ الشَّيْوَاءُ السَّمِينُ" وقال غير الخليل: العَلَيْسُ الذي ليس

(١) .١٣٨/١

(٢) انظر: الاختلاف في تحديد سمات المقطوعات في اللسان قطع والتاج قطع.

(٣) .١٧٢/١

(٤) .١٩٦/١

(٥) .٢٩/١

(٦) .٨٩/١

(٧) .٢٢٢/١

بالسمين ولا المهزول بين ذلك" ، وقد نسب هذا القول لليث في العباب<sup>(١)</sup> ولم يورد الكلمة الأزهري عن العين، وإنما أوردها عن أبي عمرو الشيباني قائلاً: "وقال أبو عمرو: العَلِيس: الشوَاء المنضج<sup>(٢)</sup>" وفي المحكم<sup>(٣)</sup> جعلها مما حكاه كراع وفي المادة قوله آخر عن العَلَس هو:

"غير الخليل: العَلَس: الْقُرَاد". وهذا القول موجود في المحيط<sup>(٤)</sup> والمحكم<sup>(٥)</sup> والعباب<sup>(٦)</sup> فهو من استدراكات مالمر يورده الخليل.

وفي سمعط<sup>(٧)</sup> "المُسْعَط": الذي يجعل فيه الدّواء على مفعّل لأنّه أدّاة والمَسْعَطُ أصل بنائه وقال غيره: بالكسر وليس بشيءٍ ولم أقف على أن الكسر فيه هو الأصل، وليس من قائل إنّها بالكسر سماعاً عن العرب - فيما أعلم - وإنما تكسر قياساً على أصل الباب في أسماء الآلة وهو غير وارد فيها<sup>(٨)</sup>. وفي زلع<sup>(٩)</sup> الزلعُ مجازوماً: استلاب شيءٍ في ختل زَلَعَه يَزَلَعُه زَلَعاً وأزْلَعَتْه: أطعّمته في شيءٍ يأخذه. قالَ غيره: زلت الشيءَ قطعته فأبنته من مكانه، فأنا زالع، وقد انزلع. والقول بأن زلع بمعنى الانقطاع موجود في التهذيب<sup>(١٠)</sup> ومنسوب للمفضل بصيغة ازدلعت.

وفي عفّس<sup>(١١)</sup> العُفُسُ: شدة سوق الإبل ..... والرجل يَعْفِسُ المرأة بِرْجُلَه إذا ضربها على عَجِيزَتها، يعافِسُها وتُعَافِسُهـ قالَ غيره: المعافسة: المعارضـة في جـدـأـوـ.

(١) على ١/١٥١.

(٢) التهذيب - على ٢/٥٩.

(٣) على ١/١٧٤.

(٤) على ١/٣٦٦.

(٥) على ١/٣٦٦.

(٦) على ١/١٥٠.

(٧) .١٢٠/١.

(٨) انظر الكتاب .٤/٩١.

(٩) .١٢٥/١.

(١٠) زَلَع٢/١٣٧.

(١١) .١٣٩/١.

**لَعِبْ**, وأصله **اللَّعِبْ** ”والقول بصيغة أخرى غير منسوب لأحد في التهذيب<sup>(١)</sup>. فقد قال: وقال غيره: المعاافية: الممارسة: فلان يعافى من الأمور أي يمارسها ويعالجها.

وفي عهم<sup>(٢)</sup> العياهمة الناقلة الماضية ..... والذَّكْرُ: عَيْهَامٌ  
وعِيَهَمَتْهَا: سرعتها وقال بعضهم: عِيَاهَمَةٌ مُثْلُ عَذَافَرَةٍ وعِيَاهَمٌ عَذَافِرٌ وهذا  
القول منسوب لأبي عمرو في المقاييس<sup>(٣)</sup>.

وفي لقـع<sup>(٤)</sup> "اللـقـاع": الـكـسـاءُ الـغـلـيـظُ، وـقـالـ بـعـضـهـمـ: هـوـ الـلـفـاعُ لـأـنـهـ يـتـلـفـعـ بـهـ وـهـذـاـ أـعـرـفـ وـالـقـولـ بـأـنـ الـكـلـمـةـ بـالـقـافـ فـيـ التـهـذـيبـ<sup>(٥)</sup> مـنـسـوـبـ لـلـيـثـ، وـكـذـلـكـ فـيـ فـقـهـ الـلـغـةـ<sup>(٦)</sup> هـيـ مـنـ كـلـامـ الـلـيـثـ، وـبـعـضـ الـذـيـ اـسـتـدـرـكـ وـقـالـ: إـنـهـ بـالـفـاءـ إـنـمـاـ هـوـ الـأـزـهـرـيـ كـمـاـ فـيـ التـهـذـيبـ.

وفي جذع<sup>(٧)</sup> والدهر يسمى جَذَعاً لأنَّهُ جديد. قال:  
 يَا شُرُّولِمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةِ ... أَلْقِي  
 صِيرَ الدَّهْرَ أَزْلَمَ، لَأَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُوْدَحَ فِيهِ.

**يَقَالُ: قِدْحٌ مُّزَلَّمٌ أَيْ: مُسَوَّى وفِرْسٌ مُّزَلَّمٌ إِذَا كَانَ مُصْنَعًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْأَزْلَمُ**  
**الجَذْعُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ الْأَسْدُ، وَهَذَا خَطَأٌ، إِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ** "تفسير الأزلام بالأسد في هذا  
 البيت موجود في المقاييس<sup>(١٨)</sup> عن بعضهم، ولكن العبارة الموجودة في العين أقرب ما  
 تكون إلى ما في حواشى ابن بري فقد قال ابن منظور: "وقيل: هو الأسد، وهذا القول خطأ،  
 قال ابن بري: قول من قال إن الأزلام الجذع الأسد ليس بشيء<sup>(١٩)</sup>" فابن بري استدركها ثم  
 أضيفت إلى العين.

٦٥/٢ عضس (١)

M. / A (2)

.۱۷۵ / ۳ ماده (۲)

177/1 (2)

.170/1 (5)

(٦) للتعالى في الفصل الرابع عشر.

.221/1 (v)

(٨) حزء١/٤٣٧/للم

(٩) لسان العرب - زلم.

وفي عشر<sup>(١)</sup> ونافقة عشراء أي: أقربت وسميت به لتمام عشرة أشهر لحملها.  
ويقال: بل سُمِّيت عشراء لأنها حديثة العهد بالتعشير والتعشير: حمل، ويقال: بل  
العشار اسم النوق التي قد تُنْجَى بعضها وبعضها قد أقرب ينتظر نتاجها قال الفرزدق:

كم خالة لك يا جرير وعمة فدعاء قد حللت علي عشاري

قال بعضهم: ليس للعشار ابن وإنما سماها عشاراً لأنها حديثة العهد بالتعشير  
وهي المطافيل "وهذا القول المنسوب إلى البعض في المقاييس<sup>(٢)</sup>، والمحكم<sup>(٣)</sup>، وليس  
في الكتب التي صدرت عن العين كالتهذيب.

وفي شعب<sup>(٤)</sup> "يقال للمنية: شعبته شعوب، أي أماته الموت فمات".

وقال بعضهم: شعوب اسم المنية لا ينصرف ولا تدخل فيه ألف ولا م، لا يقال: هذه  
الشعوب "وهذا القول لابن السكيت كما في المخصص<sup>(٥)</sup>. وفي هذه المادة قول آخر هو:  
"وقال بعضهم: بل يكون نكرة". ولعل هذا من قول أبي حاتم، قال في المحيط<sup>(٦)</sup>:  
حکى أبو حاتم الشعوب.

وفي درع<sup>(٧)</sup>: درع المرأة يذكر ودرع الحديد تؤتى، وقال بعضهم: يذكر أيضاً والمراد  
بعضهم اللحياني، والعبارة أوردها ابن سيده قائلاً: "هكذا قال اللحياني" كما في  
المحكم<sup>(٨)</sup> و قاله الحربي في غريب الحديث<sup>(٩)</sup>.

وفي ترع<sup>(١٠)</sup> "التَّرَعُ": امتلاء الإناء، تَرَعَ يتَرَعُ تَرَعاً وَأَتَرَعْتُ قال بعضهم: لا  
أقول تَرَعَ الإناء في موضع الامتلاء ولكن أترع" وقد جعلها الأزهري في التهذيب<sup>(١١)</sup>

(١) .٢٤٨/١

(٢) .٢٢٥/٤

(٣) .١٢٥/١

(٤) .٢٦٤/١

(٥) .٧٢/٢

(٦) .٢٩٤/١

(٧) .٢٩٦/١

(٨) .٢٠٢/١

(٩) .٦٩٤/٢

(١٠) .٦٧/٢

(١١) .١٥٩/٢

من كلام الليث مع أنها في العين مسندة إلى البعض دون تعين، وابن فارس<sup>(١)</sup> أسندها للبعض دون تعين، والخليل رحمة الله يقول: تَرَعُ الْإِنَاءُ وَقُولُ الْبَعْضُ أَتَرَعُ إِنَمَا هُوَ رَدٌ عَلَيْهِ وَتَعَقِّبٌ، مَا يَظْهِرُ وَيَوْضُحُ أَنْ عِبَارَةً "قَالَ بَعْضُهُمْ" هِيَ مِنْ عَمَلِ مُعَقِّبٍ، وَكَذَا الْجَوْهَرِيُّ أَسَنَدَهَا لِلْبَعْضِ دُونَ تَحْدِيدٍ.<sup>(٢)</sup>

وفي عوه<sup>(٣)</sup> "عَاهَ الزَّرْعُ وَاعَاهَ الْقَوْمُ إِذَا أَصَابَ زُرْعَهُمْ خَاصَّةً عَاهَةً وَافَةً مِنَ الْيَرْقَانِ وَنَحْوُهُ فَأَفْسَدَهُ قَالَ: (قَذْفُ الْمَجْنَبِ بِالْعَاهَاتِ وَالسَّقَمِ...)".

وقال بعضهم: عِيهَ الزَّرْعُ فَهُوَ مَعُوْهُ<sup>(٤)</sup> وهي من كلام ابن بزرج في التهذيب<sup>(٤)</sup>، وابن بزرج عبد الرحمن من طبقة الأصمعي<sup>(٥)</sup>.

وفي هو<sup>(٦)</sup> "الهَاعُ": سوء الحرص هاع يهاع هيعة وهاعاً، وقال بعضهم: هاع يهيع هُيُوعاً وهِيَعَةً وهِيَعَانَّا<sup>(٧)</sup> وهذا القول هو عن مافي الصحاح<sup>(٧)</sup> واضح أنه أضيف إلى ما في العين استدراكاً، ولو كان فيه أصلة لما أجمعوا الكتب الصادرة عنه على إهماله.

وفي عدو<sup>(٨)</sup> والعنداؤة: التِّوَاءُ وَعَسَرُ فِي الرِّجْلِ، قال بعضهم: هو من العداء والنون والهمزة زائدتان<sup>(٩)</sup> هذا القول في التهذيب<sup>(٩)</sup> منسوب إلى بعضهم، وأما في المقاييس<sup>(١٠)</sup> فمنسوب إلى الخليل.

وفي قلعط<sup>(١١)</sup> افَلَعَطَ الرَّجُلُ اقْلِعْطَاطاً<sup>(١١)</sup> قال:  
بَأْتَلَعَ مُقْلَعْطِ الرَّأْسِ طَاطِ.....

أي مُنْهَدِرٌ مُنْخَفِضٌ، وقال غيره: افَلَعَطَ وَاقْلَعَدَ إِذَا مَضَ في الْبَلَادِ عَلَى

(١) في المقاييس ترع ١/٣١٧.

(٢) الصحاح-ترع.

(٣) ٢/١٦٩.

(٤) عوردة .٣/١٦.

(٥) انظر: تاريخ التراث العربي ٨/١٢٥. مرويات شمر .٣٨.

(٦) ٢/٢٧٠.

(٧) هو<sup>(٧)</sup>.

(٨) ٢/٢١٥.

(٩) ٢/٢٥١.

(١٠) عدو .٤/٢٥١.

(١١) ٢/٢٩٣.

وجهه وهو في التهذيب<sup>(١)</sup>، والعباب<sup>(٢)</sup>.

وفي عنقر<sup>(٣)</sup> "العنقرُ من المَرْزَنْجُوشِ قَالَ الْأَخْطَلُ:

أَلَا أَسْلَمْ سَلَمْتَ أَبَا خَالِدٍ وَحَيَّا كَرْبَكَ بِالْعَنْقَرِ

وقال بعضهم: العنقَر جرْدان الحِمار. هذافي الصحاح<sup>(٤)</sup> والتهديب<sup>(٥)</sup>.

وفي عَبَر<sup>(٦)</sup> والعَبَقْرِيُّ ضَرْبٌ مِنَ الْبَسْطِ الْوَاحِدَةِ بِالْهَاءِ، وقال بعضهم: عَبَاقِرِيُّ  
فَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ جَمْعَ عَبَقْرِيٍّ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ لِأَنَّ الْمَنْسُوبَ لَا يُجْمَعُ عَلَى نِسْبَةٍ، وَلَا  
سِيَّمَا الرُّبَاعِيُّ لَا يُجْمَعُ الْخَتَاعِيُّ بِالْخَتَاعِيِّ وَلَا الْمُهَلَّبِيُّ بِالْمَهَالَبِيِّ وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ  
يَكُونَ يَنْسَبُ اسْمٌ عَلَى بَنَاءِ الْجَمَاعَةِ بَعْدَ تَامَ الْاسْمِ نَحْوُ شَيْءٍ تَنْسِبُهُ إِلَى حَضَاجِرٍ  
وَسَرَاوِيلٍ فَيَقُولُ: حَضَاجِرٌ وَسَرَاوِيلٌ، وَيُنْسَبُ ذَلِكَ إِلَى عَبَاقِرٍ فَيَقُولُ: عَبَاقِرٌ" وَهَذَا  
الْكَلَامُ حَوْلَ جَمْعِ الْمَنْسُوبِ مُوجَدٌ فِي التَّهذِيبِ<sup>(٧)</sup>، وَغَيْرُهُ، وَجَعَلَهُ الْأَزْهَرِيُّ مِنْ كَلَامِ  
الْحَدَّاقِ، وَمِنْهُمُ الْخَلِيلُ وَأَمَا الْبَعْضُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فَالْمَرَادُ بِهِ أَحَدُ الْقَرَاءِ<sup>(٨)</sup>.

وفي حَلْفٍ<sup>(٩)</sup> "أَحَلَفَ الْغَلَامُ: جَاؤَرَهَاكَ الْحَلْمِ فَهُوَ مُحَلِّفٌ" وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَخْلَفَ  
بِالْخَاءَ وَالْمَرَادُ بِهِ الْأَزْهَرِيُّ<sup>(١٠)</sup> لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَ رَوَايَةَ الْكَلْمَةِ بِالْخَاءِ ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي رَدِّهَا.  
وَفِي فَكِهٍ<sup>(١١)</sup> قَالَ: "الْفَاكِهَةُ قَدْ اخْتَافَ فِيهَا، فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ سُمِّيَ فِي  
الْقُرْآنِ مِنَ الْثِمَارِ نَحْوَ الْعَنْبَرِ وَالرِّقَانِ فَإِنَّا لَا نُسَمِّيهُ فَاكِهَةً، وَلَوْ حَلَّفَ أَنْ لَا يَأْكُلَ فَاكِهَةً  
فَأَكَلَ عَنْبَأَا وَرُمَانًا لَمْ يَكُنْ حَانِثًا، وَقَالَ آخَرُونَ: كُلُّ الْثِمَارِ فَاكِهَةً، وَإِنَّمَا كَرَرَ فِي الْقُرْآنِ

(١) قلْعَط٢/٢٩٣.

(٢) قلْعَط١/٢٠٧.

(٣) ٢٩٣/٢.

(٤) عَنْقَر.

(٥) عَنْقَر٢/١٨٣.

(٦) ٢٩٨/٢.

(٧) عَبَر٢/١٨٧.

(٨) قرأ "عَبَاقِرِيُّ" الجحدريُّ وابن محيضٍ وغيرهما - انظر: المحتسبي٢/٥٢٠٥.

(٩) ٢٢٢/٢.

(١٠) حَلْف٥/٤٤.

(١١) ٣٨١/٣.

فقال عزو جل **﴿فيهما فاكهة ونخلٌ ورمان﴾**<sup>(١)</sup> لتفضيل النخل والرمان على سائر الفواكه، وذلك أسلوب اللغة العربية،... والبعض الذي أسنده إلى هذا الكلام قد صرخ الأزهري بأن هذا هو النعمان ابن ثابت، وفي نشل<sup>(٢)</sup> قال بعض الناس: إنها متشولة اللحم والنائلة أصوب، وقال بعضهم: فَخِذْ متهوشة اللَّحْمِ وَلَا تَعْرُفْ مِنْشُولَةً. وقد نسب قول متشولة إلى الأصممي، قال ابن سيده: إذا دَقَتْ العُذْدَ قَيْلَ لَهَا عَطْدَ نَاهِلَةً وَمِنْشُولَةً الأخيرة أعرَفُهُما في كلام أهل الحجاز، الأصممي<sup>(٣)</sup> فإذا كان القول لم يعرف إلا عن طريق الأزهري، فهو بلا شك عندي مما أضيف استدراكاً على العين.

ووُجِدَتْ في الكتاب قراءة مثبتة لا يمكن أن تكون للخليل ولا للبيث لأن التأليف في اللغة واعتماد المؤلفات مصادر ينقل عنها لم يأخذ موقعه في أواخر القرن الثاني، ولأن مضمون ذلك النص لم يشتهر بين أصحاب المعجمات، فماده خنسراً لم ينقل عن العين منها شيء كما يظهر من خلال التهذيب<sup>(٤)</sup> ومع ذلك ورد في العين<sup>(٥)</sup> قرأت في كتاب: الخناسيرة واحدة خنسير، وهومن الذين يشيعون الجنائز" والدلالة التي أثبتت في العين ليست في المعجمات اللغوية<sup>(٦)</sup> مما يوضح بجلاء أن هذه الإضافة وقعت من قرأ العين واشتغل به في أزمنة متأخرة.

\* \* \*

(١) سورة الرحمن ٥٥.

(٢) ٢٦٤/٦.

(٣) المخصص ١/١٢٨.

(٤) خنسراً ٧/١٦٧.

(٥) خنسراً ٤/٣٣٢.

(٦) انظر: التهذيب السابق.

## القسم الثاني: المعينون:

يشتمل الكتاب على أكثر من عشرين اسمًا كلها مذكورة في تاريخ علم اللغة العربي عدا ثلاثة وهم:

١- رافع ٢- موسى ٣- أبو أحمد حمزة بن زرعة

فهؤلاء الثلاثة لم أستطع أن أصل إلى زمنهم ومعالم شخصياتهم وموقعهم في الدرس اللغوي وأما البقية فهم على قسمين: أعراب فصحاء منهم من كان في زمن الخليل ومنهم من ليس في زمنه وهم:

أبو الدقيش، أبو ليل، عرام، أبو خيرة، زائدة، مبتكر، مزاحم، حماس.  
وأما العلماء من البصرة والكوفة وبغداد فهم:  
أبو عمرو بن العلاء، أبو عبيدة معمر بن المثنى، أبو عبيد القاسم ابن سلام، سيبويه، ابن الأعرابي، القاسم بن معن، أبو سعيد الضرير الليث، القتبي.

أبو الدقيش :

أبو الدقيش القناني الغنوبي<sup>(١)</sup>، أعرابي فصيح، سكن البصرة، وعاشر الطبقة الأولى من اللغويين، أمثال الخليل، والنضر بن شمبل، وأبي حنيفة الدينوري، وشمر، وذكر أبو حيان التوحيدي رحمه الله أنه شاعر<sup>(٢)</sup>، وقد تكرر اسمه في المعجم العربي<sup>(٣)</sup> وأسندت له روايات كثيرة بعضها متعلق بالشعر، وببعضها متعلق بتوضيح دالة، وببعضها متعلق بإيراد صيغة استعملها الفصحاء للألفاظ، وفي تهذيب الأزهر نقول عنه، من طريق كتاب العين، ومن غير طريق العين، بل من طريق أبي عبيدة وشمر، والنضر بن شمبل، وأبي زيد، وابن دريد، وقد وردت أقواله في العين في جميع أجزاءه الثمانية، كما سيأتي في أقواله، وقد تعددت صيغ ماحكي من أقواله في تلك الأجزاء، فكان من الغالب فيها أسلوب الاستفهام والاستفسار: قلنا أو قلت لأبي الدقيش ماذا؟ وسألت أبا الدقيش عن كذا، أو بأسلوب إسناد الرواية: قال أبو الدقيش، أو إسناد التفسير الدلالي

(١) انظر الفهرست، الوافي بالوفيات ٤، ٤٢٧/٤، تاريخ التراث العربي ٤/٦١٨.

(٢) في البصائر والذخائر ٢/٩٠ وذكره باسم ((الدقيش))، وقال في الأمثال للسدوسي ١/٥: قال أبو فيد: سمعت أبي الدقيش يقول: قد خرجت جنادعه والشر ليس وادعه.

(٣) انظر مثلاً الجمهرة ١٢٠، ٦٤٩، ٦٥١، التهذيب ١/٢٩٥، ٥٢٨٥، ٤٢٩/١.

إليه، بعبارة وهو قول أبي الدقيش، ويظهر فيما دار بين الخليل وبينه، ذلك الأسلوب الذي دار به الكلام بين عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وبين نافع بن الأزرق، وذلك في كلمة "العَصْدُ" الآتية قريراً، وحياناً يكون الحديث عمماً حكاها، أو خالف فيه، وحياناً بمعارضة قوله بأقوال اللغويين والفصحاء الآخرين، ولا سيما أبا خيره وحماساً الأعرابيين، وقد وقف الخليل بين أقوالهم موقف الموازن المختار، المرجع لما يسنه الدليل، على نحو ما سترني في كلمة "الموق" فقد عارض الخليل قول أبي الدقيش، بقول أبي خيرة، ورجح قول أبي الدقيش، مستشهاداً بالحديث، وكذلك فعل في كلمة "امرأة بظرير"، وقد تناولت هذه الأقوال في الكتاب من أوله إلى آخره بتشابه بين الأساليب، وهو دليل على الارتباط الوثيق بين الأول والآخر من الكتاب، وما أسند لأبي الدقيش قد خلا من الطبيعة التي تكون عليها أساليب الاستدراك في المعجمات، فأقوال أبي الدقيش لم تورد على سبيل رد ما أورد الخليل، ولا على سبيل تكميل مافاته من دلالات أو نقصه من شواهد، بل على سبيل تأسيس مادة الكتاب، ولم أقف على رواية من هذه الروايات قد أسندت إلى الليث عن أبي الدقيش، إلا مرة واحدة، وهي قوله: "قال ليث لأبي الدقيش: هل لك في زيد ورطب؟ فقال: أشدّ الهل وأوْحَاه" وهذه الرواية في مقدمة الكتاب، وقد وردت في مادة "هلل" بأسلوب "قال الخليل لأبي الدقيش" ونقلت في المعجمات بهذه الرواية، مما يؤكّد إدراج عبارة "قال ليث" وقد استمراً الأزهري -رحمه الله- زيادة "قال الليث" على كل عبارة نقلت في العين عن أبي الدقيش، بصيغة "قال أبو الدقيش، سمعت أبو الدقيش وسألت أبو الدقيش".

لتكون: "قال أبو الدقيش: قال أبو الدقيش" مع أن رواية الخليل عن أبي الدقيش غير مستغيرة، فقد ورد في الجمهرة "وأخبر عن الخليل أنه قال: سمعت أبو الدقيش يقول في كلامه: بُرُوزَ العَرَاقِ مِنْ قُرُوزَهَا وَخُرُوزَهَا"<sup>(١)</sup> ومن الأقوال والمروريات المنسوبة لأبي الدقيش في العين:

"فإن صيرت الثاني مثل قد وهل ولو اسمًا أدخلت عليه التشدید فقلت هذه لـ<sup>٢</sup>  
مكتوبة، وهذه قد حسنة الكتبة، زدت واوا على واو، ودالا على دال ثم أدمغت وشدّدت.

(١) الجمهرة ١٣٠/١

فالتشديد علامة الإدغام، والحرف الثالث كقول أبي زيد الطائي:  
ليت شعري وأين مني ليتْ إِن لَيْتَا وَإِن لَوْاً عَنَاء

فتشدد لَوْا حين جعله اسمًا. قال ليث: قلت لأبي الدقيش هل لك في زُبد ورطب؟  
فقال أشدّ الهلّ وأوحاه، فشدد اللام حين جعله اسمًا<sup>(١)</sup> وقد وردت هذه الرواية في موقع  
آخر من الكتاب<sup>(٢)</sup> بصيغة "قال الخليل لأبي الدقيش:....." وهي هكذا في التهذيب<sup>(٣)</sup>.  
اللسان<sup>(٤)</sup>، وقد أكد ابن بري أنها من رواية الخليل فقال: قال ابن حمزة: روى أهل الضبط  
عن الخليل أنه قال لأبي الدقيش أو غيره فالقائل هو الخليل<sup>(٥)</sup> وفي الاشتقاء<sup>(٦)</sup> بلفظ  
"وذكر عن الخليل قال: قلت لأبي الدقيش "وكذا في الجمهرة"<sup>(٧)</sup> والمحكم<sup>(٨)</sup> وفي دشن  
"قلنا لأبي الدقيش: ما الدقيش؟ قال لا أدرى، ولم أسمع له تفسيرا، قلنا: فتكلّيت بما لا  
تدرى! قال: الأسماء والكنى علامات، من شاء تسمى بما شاء لا قياس ولا حَنْمٌ"<sup>(٩)</sup> وابن  
جني في المبهج<sup>(١٠)</sup> جعلها من كلام ليث، فقال: قالت لأبي الدقيش وهي  
الجمهرة<sup>(١١)</sup> والمحكم<sup>(١٢)</sup>: قال يونس: سألت أبا الدقيش، وفي الاشتقاء<sup>(١٣)</sup>: قال:  
واحتجوا بما ذكره الخليل بزعمهم أنه سأله أبا الدقيش، وقد حدا بابن دريد إلى عبارة  
التشك استبعاده أن يسأل الخليل عن شيء، وفي التهذيب<sup>(١٤)</sup> والمقايس<sup>(١٥)</sup> ذكرت

(١) .٥٠/١

(٢) .٣٥٢/٣

(٣) هلال.

(٤) هلال.

(٥) لسان العرب - هلال.

(٦) .٦٠

(٧) .٤٧٤/١

(٨) .١٢٧/٢

(٩) .٣٤/٥.١٩٠/١

(١٠) .٢٥/١

(١١) .٣٤٧/١

(١٢) .٤٨٠/٢

(١٣) .٤

(١٤) دقنث .١٣٥/٣

(١٥) .٢٨٩.٢٣٦/٢

بلغظ "سئل أبوالدقىش".

وفي عَصْدٍ<sup>(١)</sup> قلت لأبي الدقىش: ما العَصْدُ؟ قال تَقْلِيْكِي العَصِيْدَةُ فِي الطِّنْجِيرِ  
بِالْمِعْصَدَةِ، تَقُولُ عَصَدٌ يَعْصِدُ عَصَدًا، قلت: هل تعرّفه العرب العاربة بِبواهِيهَا؟ قال: نعم،  
أَمَّا سمعت قول غَيْلانَ:

..... على الرَّحْلِ مَا مَنَّهُ السَّيْرُ عَاصِدٌ

أَيْ يذبَّبُ رَأْسَهُ وَيَضْطَرِبُ، شَبَّهَ النَّاعِسَ بِالَّذِي يَعْصِدُ لَخْفَةَ رَأْسِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:  
الْعَاصِدُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ الْمَيْتُ وَهُوَ خَطَا.

وقد أورد الأَزْهَرِيُّ<sup>(٢)</sup> هَذَا القَوْلُ بِتَغْيِيرِ الصِّيَغَةِ، وَإِسْنَادُ الْقَوْلِ إِلَى الْلَّيْثِ وَحْذَفَ "أَبُو  
الْدَّقِيْشَ".

وفي -وعي-<sup>(٣)</sup> قال أَبُو الدَّقِيْشَ: "وَعَتِ الْمِدَدُ فِي الْجُرْحِ، وَوَعَتْ جَائِتَهُ" وَهُوَ فِي  
الْتَّهْذِيبِ<sup>(٤)</sup> بِتَغْيِيرِ الْصِّيَاغَةِ، وَهُوَ فِي الْمَحْكَمِ<sup>(٥)</sup> دُونِ إِسْنَادٍ.

وفي عَلَكُومَ<sup>(٦)</sup> عَلَكُومَ: النَّاقَةُ الْجَسِيمَةُ السَّمِينَةُ، قَالَ لِبِيدَ:  
بَكَرْتُ بِهِ جَرْشِيَّةً مَقْطُوْرَةً تَرْوِيُ الْحَدَائِقَ بازْلُ عَلَكُومُ

قوله جَرْشِيَّةٌ يعني ناقَةٌ منسُوبَةٌ إلى جَرْشٍ، وهو موضعٌ والمقطورة المطلية  
بِالْقَطْرَانِ، قال أَبُو الدَّقِيْشَ: عَلَكَمَتَهَا: عِظَمَ سَنَامَهَا" وَهُوَ فِي التَّهْذِيبِ<sup>(٧)</sup> بِإِسْنَادِ الْقَوْلِ  
إِلَى الْلَّيْثِ.

وفي سَرْعٍ<sup>(٨)</sup> "وَالْيُسْرُوْعُ وَالْأَسْرُوْعُ": دُودٌ تَكُونُ عَلَى الشَّوْكِ وَالْحَشِيشِ، الْوَاحِدُ  
يَسْرُوْعَةٌ وَأَسْرُوْعَةٌ، وَالْجَمْعُ الْأَسْارِيعُ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسَ:

وَتَعْطُو بِرَحْصِيْرِ شَتَّنْ كَانَهُ أَسْارِيعُ طَبْيُّ أوْ مَسَاوِيْكُ إِسْجِلْ

(١) .٢٨٨/١

(٢) .٢/١ التَّهْذِيب

(٣) .٢٧٢/٢

(٤) .٢٦٠/٢

(٥) .٢٣٩/١ وَعِي

(٦) .٣٠٩/٢

(٧) .٣٠٨/٢ عَلَكُوم

(٨) .٢٣١/٢

نسب الدود إلى رمل يسمى طَبِيَا، وقال أبو الدقيش: نسبها إلى الطبي، لأن الطباء تأكل هذا الضرب من الدود، كما تأكل النمل، وضمُّ الياء لغة وجمعه يَسَارِيع قال: ونحن نُسَمِّي تلك الدود السُّرْفَة ويُجْمِعُ على سُرْفَ "وليس في التهذيب.

وفي كوع<sup>(١)</sup> الكُوْع والكَاع، زعم أبو الدقيش أنهما طرفا الزَّنَدِين في الذراع مما يلي الرسغ، والكوع منهما طرف الزند الذي يلي الإبهام، وهو أحفاهما، والكاع طرف الزند الذي يلي الخنصر، وهو الكُرْسُوع" وهو في التهذيب<sup>(٢)</sup> مسند للإمام دون أبي الدقيش، وكذا في المحكم<sup>(٣)</sup> فهو فيه دون ذكر لأبي الدقيش.

وفي هوّ<sup>(٤)</sup> "رجل هاع لاع أي حريص، سيء الخلق، والفعل من هذا لاع يلوع لوعا، وللوعا ويجمع على الألواح واللاعين، والمرأة اللاغة ويقال اللاعة بلامين التي تغازلوك ولا تتمكنك، قال أبو خيرة: هي اللاغة بهذا المعنى، والأول قول أبي الدقيش" ومقابلة القولين - قول أبي الدقيش بقول أبي خيرة عمل لغوي أصيل، لكن الأزهرى حکاه منسوباً إلى الليث، وضبط الكلمة بلامين عن أبي الدقيش خطأ، لأن الامر فاء وهي لاتشدد، والذي في التهذيب ، والمحيط أن أبي الدقيش قال: "اللاغة" وقد أورد هذه الرواية وأشار إلى أبي الدقيش.

وفي قزح<sup>(٥)</sup> حين تحدث عن قوس قزح "قال أبو الدقيش: القزح الطائق التي فيها، الواحدة: قزحة: القزح: اسم شيطان". وقد انتقلت هذه الحكاية عن أبي الدقيش إلى المعجمات فهي في التهذيب<sup>(٦)</sup> يجعلها كالعادة من طريق ليث، وهي في الفائق<sup>(٧)</sup> دون ذكر للحاكي أهو الخليل أم الليث؟، وفي شرح ديوان الحماسة<sup>(٨)</sup>: "قال الخليل حكاية عن أبي الدقيش: "تقزيحة: طرائقه، واحده قزحة، والجمع قزح".

(١) .١٨١/٢

(٢) كوع .٤١/٢

(٣) كوع .٢٠٠/٢

(٤) .٢٥٠/٢

(٥) في .٢٨/٣

(٦) .٢٨/٤

(٧) .١٩٠/٣

(٨) .٢٧٧/٣

وفي طوح<sup>(١)</sup> وسألت أبا الدقيش عن المدومة الطواحي. فقال: هن النسور تستدير حوالى القتل<sup>(٢)</sup> وهو في التهذيب<sup>(٣)</sup> بإسناد السؤال إلى الليث وفي حبو<sup>(٤)</sup> قال: "ويقال للمسايل إذا اتصل بعضها ببعض: حبا بعضها إلى بعض وأنشد:  
تحبُّو إلى أطْلَابِهِ أَمْعَاوَهُ"

وقال أبو الدقيش: تحبو هننا: تتصل، والمِعنى: كل مذنب بقرار الحضيض وهذا القول في التهذيب<sup>(٤)</sup>.

وفي حوح<sup>(٥)</sup> ويقال لابن مائة لاحاء ولاسأء أي لا محسن ولا مسيء ويقال: تفسيره أنه لا يستطيع أن يقول: حا وهو أمر للكبش عند السفاد، يقال: أححأت به وحاحت به. قال أبو خيرة: حاحاً. وقال أبو الدقيش: أحواهُ.

وفي سلهب<sup>(٦)</sup>: السَّلَهَبُ: الطَّوْبِلُ مِنَ الْحَيْلِ وَالنَّاسِ، وَسَمِعَتْ أَبَا الدُّقَيْشَ يَقُولُ: امرأة سرَّهَبَةُ كَ السَّلَهَبَةِ فِي الْحَيْلِ. فِي الْجَسْمِ وَالظُّلُولِ.

وفي كمخ<sup>(٧)</sup>: أَكْمَخَ الرَّجُلُ إِكْمَاخًا. إذا جَلَسَ جُلُوسَ الْمُتَعَظَّمِ فِي نَفْسِهِ، حَكَاهُ لَنَا أَبُو الدُّقَيْشَ، فَلَبِسَ كِسَاءَ لَهُ، ثُمَّ جَلَسَ جُلُوسَ الْعَرُوْسِ عَلَى الْمِنَّةِ، وَقَالَ: هَذَا يُكْمُخُ مِنَ الْبَأْوِ وَالْعَظَمَةِ.

وفي زلخ<sup>(٨)</sup>: الزَّلْخُ: رَفِعَكَ يَدَكَ فِي رَمِيِّ السَّهْمِ إِلَى أَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، تَرِيدُ بُعْدَ الْغُلُوْةِ، قَالَ:

..... من مائة زلخ بمريخ غال

وسألت أبا الدقيش عن هذا البيت بعينه. فقال: الزلخ أقصى غالية المغالى.

(١) ٢٧٧/٣

(٢) ١٨٢/٥

(٣) ٣٠٩/٢

(٤) ٢٦٥/٥

(٥) ٣١٦/٢

(٦) ١٢٢/٤

(٧) ١٥٧/٤

(٨) ٢٠٩/٤

وفي فقس<sup>(١)</sup> "إِذَا ماتَ الْمَيْتُ يُقالُ: فَقَسَ فَقُوسًا، هَذَا أَخْبَرْنِيهِ أَبُو الدُّقَيْشِ".  
وفي سقب<sup>(٢)</sup> "وَسَأَلْتُ أَبَا الدُّقَيْشَ عَنْ قَوْلِ أَبِي دُوَادَ: كَالْقَمَرِ السَّقْبِ" قَالَ: هُوَ الَّذِي  
امْتَلَأَ وَتَمَّ، عَامِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَحْوِهِ".

وفي موق<sup>(٣)</sup> "الْمُوقُ": مؤخر العين، في قول أبي الدقيش، والماق مُقدمها، ومؤخر  
العين مما يلي الصُّدُغ، ومقدم العين مما يلي الأنف، وأماق العين: مأخيرها وماقها:  
مقاديمها، قال أبو خيرة: كل مدْمَع مُوقٌ من مؤخر العين، ومقدمها، وقد وافق الحديث  
قول أبي الدقيش "جاء في الحديث أن رسول الله كان يكتحل من قبل موقه مرةً ومن  
قبل ماقه مرةً" أي مُقدمه مرة، ومن مؤخرها مرة، وهذا القول في التهذيب<sup>(٤)</sup> ، باختلاف في  
الصياغة، وقد علق على الحديث فقال: إنه غير معروف" وقد وردت الحكاية في الفائق<sup>(٥)</sup>  
فنسبها إلى الليث.

وفي شيث<sup>(٦)</sup> الشيث: شجر طيب الريح من الطعم ينبت في جبال الغور ونجد، قاله  
أبو الدقيش، قال في صفة النساء:

وَفِيهِنَّ مِثْلُ الشَّيْثِ يُعْجِبُ رِيحُهُ وَفِي عَيْنِهِ سُوءُ الْمَذَاقَةِ وَالطَّعْمِ  
قال حماس: الشيث لا ينبت بنجد وأظنه الدفل، أي من النساء مثل الشيث حسن  
المنظر، وفي مخبرتها وصحتها ما يخالف منظرتها من سوء خلقها وخبث غرضها  
وعيوب نفسها فمثل الشاعر بها".

وفي بظر<sup>(٧)</sup> "قال أبو الدقيش امرأة بظرير شبه لسانها بالبظر وهو معروف، وامرأة  
بظرير وهي الصخابة الطويلة اللسان، وروى بعضهم بطرير لأنها قد بطررت وأشارت وقول  
أبي الدقيش إلى الصواب أقرب" ولأبي الدقيش في العين أقوال مبئوثة في الكتاب من أوله  
إلى آخره كلها يتصل بمادة الكتاب المؤسسة له، تجدها في:

(١) ٨٣/٥

(٢) .٨٥/٥

(٣) .٢٣٤

(٤) .٢٧٢/٩-٦

(٥) .٣٤١/٣

(٦) .٢١٦/٦

(٧) .١٩٥/٨

أبوهلي :

لم أقف على اسم له، وإنما أشارت بعض المصادر<sup>(١)</sup> إلى أنه أحد الأعراب الذين انتقلوا إلى الحواضر، وأخذ عنهم اللغويون، ويبدو أن مالخلص إليه د. سزكين<sup>(٢)</sup> من أنه من عاشوا في الربع الأول من القرن الثالث صحيح. يؤيده ظهور ما يفيد بمعاصرته عرّاما بن الأصبغ السلمي، فقد عرضت آراؤه التي دونت في العين على عرام، فأنكرها مثل محدث في تفسير كلمة "شرعاً"، وبعضاها لم يعرفه أبو ليل، وعرفه عرّام مثل الحديث عن كلمة "العمش" وحينما يجمعان على عدم معرفة كلمة مثل كلمة "الصناع" وحينما يفسران كلمة واحدة بتفسيرين مثل كلمة "العصف" وقد رویت أقوال أبي ليل اللغوية من طريق المنذري عن أبي الهيثم في تهذيب اللغة، ولكن غالب ما ورد في العين من أقواله لم يرد في التهذيب، مما يدل على أنها ليست في نسخة العين الأصلية وطبيعة أقواله المروية في العين تدل على طبيعتها الاستدراكية مما يدل على أنها أدرجت في العين تعليقات عليه بعد أن استعرض اللغويون في أول القرن الثالث كتاب العين وشغلوا بمادته العلمية.

**ففي عَفْكَ<sup>(٢)</sup> الأَعْفَكُ: الأَحْمَقُ، وَقَالَ أَبُو لِيلَى: الْأَعْفَكُ الَّذِي لَا يُحْسِنُ عَمَلاً وَلَا خَيْرًا  
عِنْهُ. قَالَ:**

**فأبوليلى استدرك دلالة جديدة، وما استدرك أبو ليلى موجود في التهذيب<sup>(٤)</sup> بإسناد  
الكلام إلى الليث وكذا هو في التاج<sup>(٥)</sup>.**

الفهرست (١)

٢) في تاريخ التراث العربي ٦٤/١/٨

۲۰۷/۱ (۲)

۱۰۹/۱ (۲)

(٥) عَصَم

وفي عَكْمٍ<sup>(١)</sup> يقال عَكْمَتِ المَتَاعُ أَعْكَمَهُ عَكْمًا، إِذَا بَسْطَتِ ثُوبًا وَجَمَعَتِ فِيهِ مَتَاعًا فَشَدَّدَتِهِ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ عَكْمَةً، وَالْعَكْمَانُ عَدْلَانٌ يَشَدَّانُ مِنْ جَانِبِ الْهَوْدَجِ، قَالَ أَبُولِيلِيٌّ: هَمَا شَبَهَ الْحَقِيقَيْنِ تَكُونُ فِيهِمَا ثِيَابُ النِّسَاءِ، وَتَكُونُ عَلَى الْبَعِيرِ، وَالْهَوْدَجُ فَوْقَهُمَا، وَإِضَافَةً أَبْيَ لِيلِيٌّ فِي تَوْضِيحِ دَلَالَةِ الْعَكْمَيْنِ لَيْسَتِ فِي الْمَعْجمَاتِ عَدَا الْمَحِيطَ<sup>(٢)</sup>.

وفي عَجْمٍ<sup>(٣)</sup> قال سعد بن مسمع:

..... ذَا سُبْحَةٍ لَوْكَانْ حُلُوُّ الْمَعْجَمِ

أَيْ: ذَا جَمَالٌ وَهَذَا مِنْ سُبْحَاتِ الْوَجْهِ، وَهُوَ مَحَاسِنُهُ وَلَا نُكَلِّ إِذَا رَأَيْتَهُ قَلْتَ سَبْحَانَ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ "لَوْكَانْ حُلُوُّ الْمَعْجَمِ"، أَيْ: لَوْكَانْ مُحَمَّدُ الْخُبْرُ كَانَ قَدْ تَمَّ أَمْرُهُ، وَلَكِنَّهُ جَمَالٌ دُونَ خُبْرٍ، قَالَ أَبُولِيلِيٌّ: الْمَعْجَمُ هَذَا الْمَذَاقُ عَجَمْتَهُ ذَقْتَهُ وَمَا أَضَافَهُ أَبْيَ لِيلِيٌّ قَدْ خَلَتْ مِنْهُ الْمَعْجمَاتُ الْعَرَبِيَّةُ.

وفي عَرْشٍ "وَعَرْشُ الْبَيْتِ": سَقْفُهُ وَعَرْشُ الْبَئْرِ: طَلِيَاهَا بِالْخَشْبِ. قَالَ أَبُولِيلِيٌّ: تَكُونُ بَئْرٌ رَخْوٌ الْأَسْفَلُ وَالْأَعْلَى فَلَا تُمْسِكُ الطَّيِّ لَأْنَهَا رَمْلَةٌ، فَيُعَرْشُ أَعْلَاهَا بِالْخَشْبِ بَعْدَمَا يُطْوِي مَوْضِعَ الْمَاءِ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ تَقْوِيمُ السَّقَّاهَ عَلَيْهِ فَيُسْتَقْوِنُ قَالَ: .....  
وَمَا لِمَتَابَاتِ الْعَرُوشِ بِقِيَةٍ إِذَا      اسْتَلَّ مِنْ تَحْتِ الْعَرُوشِ الدَّاعِمُ  
وَكَلَامُ أَبْيَ لِيلِيٌّ لَا زِيَادَةَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ تَوْضِيحٌ وَبِسْطٌ لِمَا أُورَدَهُ الْخَلِيلُ لَا يَخْرُجُ عَنْ طَبِيعَةِ الْإِسْتِدْرَاكِ وَلَا يَمْكُنُ أَنْ يَجْهَلَهُ الْخَلِيلُ.

وفي عَشْمٍ<sup>(٤)</sup>: الْعِيشُومُ مَا هَاجَ مِنَ الْحَمَّاضِ. وَيَسِّنُ، الْوَاحِدَةُ بِالْهَاءِ، وَقَدْ اسْتَدْرَكَ أَبُولِيلِيٌّ، فَقَالَ: هِيَ عِنْدَنَا نَبْتَ دَقِيقٌ طَوَالٌ يُشَبِّهُ الْأَسْلَ مَحَدَّ الرَّأْسِ، كَأَنَّهَا شُوكٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الْحُصْرُ الدَّاقِقُ الْمَصْبَغَةَ، فَأَبْيَ لِيلِيٌّ قَدْ وَجَهَ دَلَالَةَ الْعِيشُومَ تَوْجِيهًا مُغَایِرًا لِمَا أُورَدَ الْخَلِيلُ، وَهَذَا يَدِلُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكَلَامُ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَنْيَعِ مَوْلَفِ الْكِتَابِ.  
وَأَقْوَالُ أَبْيَ لِيلِيٌّ مُبْثُوَثَةٌ فِي الْكِتَابِ وَهِيَ بِكَثِيرٍ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَطَبِيعَتُهَا وَأَسْلُوبُهَا وَارِدٌ بِمَثَلٍ مِمَّا أُورَدَتْ مِنْ أَمْثَالٍ، وَهِيَ فِي:

.٢٠٨/١ (١)

.٢٢٢/١ (٢)

.٢٣٩/١ (٣)

.٢٦٦/١ (٤)

.٣٠٥.٢٩٥.٢٩٦.٢٩٧.٢٦٧.٢٥٣.٢٨٧.٢٨٠.٢٧٧.٢٦٤.٢١٩/١  
.٣٠٦.٣٠٩.٣١٤.٣١٥.٣١٩.٣٢٤.٣٢٥.٣٢٩.٣٢٣.٣٤٢.٣٢٧.٢٤٤.٨/٢-٣٤٤.  
.٣٩٤/٨-٣٨٦.١٥٥.١٠٦

### عرام :

هو عَرَّامُ بْنُ الْأَصْبِحِ السُّلْمَيُ، أَعْرَابِيٌّ فَصِيحٌ مِّنْ طَبِيقَةِ أَبِي لَيْلٍ وَزِيَادَةِ الْقَيْسِيِّ،  
عَارِفٌ بِأَسْمَاءِ جَبَالٍ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَمَجَاهِلِهَا رَاوِيٌّ لِلشِّعْرِ، رَوَى عَنْهُ أَبُو تَرَابٍ، إِسْحَاقُ بْنُ  
الْفَرْجِ، وَابْنُ بُزْرَجٍ، وَقَدْ تَرَدَّ اسْمُهُ كَثِيرًا فِي الْعَيْنِ وَأَثْرَهُ فِي الْدِرَاسَةِ الجُغرَافِيَّةِ وَاضْعَافَ<sup>(١)</sup> .  
وَلَكُنِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا أَشَارَ إِلَى أَثْرِهِ فِي الدِّرْسِ الْلِّغُوِيِّ مَعَ أَهْمَيَّةِ مَا وَارَدَ فِي الْعَيْنِ عَنْهُ  
وَكُذُلُكَ فِي التَّهْذِيبِ وَأَقْوَالِهِ الْوَارَدَةِ فِي الْعَيْنِ لَيْسَتْ بِوَارَدَةٍ فِي التَّهْذِيبِ، عَدَا كَلَامَهُ عَنْ  
الْقَدْوَعَ "مَا يَدِلُ عَلَى أَنَّ نَسْخَةَ الْعَيْنِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْأَزْهَرِيُّ كَانَتْ خَالِيَّةً مِنْ هَذِهِ  
الْأَقْوَالِ، وَوَاضْعَافَ مِنْ خَلَالِ الْأَسْلُوبِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ أَقْوَالُهُ فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا أَنَّ نَسْخَةَ الْعَيْنِ  
قَدْ قَرِئَتْ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ، فَقَدْ صَرَحَ مِنْ عَرْضِهِ عَلَيْهِ بِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ لِبَعْضِ الْكَلَمَاتِ،  
وَأَثَبَتَتْ مَعْرِفَةَ أَبِي لَيْلٍ، أَوِ الْعَكْسِ، وَحِينَا تَبَثَّتْ عَدَمِ مَعْرِفَتِهِ مِنْ غَيْرِ إِيْرَادَ أَقْوَالَ لِغَيْرِهِ.  
وَطَبِيعَةُ أَقْوَالِهِ الْإِسْتِدَارَاكِيَّةُ وَاضْعَافُهُ كُلُّ الْوَضُوحِ مَا يَحْتَمِ القَوْلُ بِدُخُولِهَا الْعَيْنِ بَعْدَ  
اِنْتَشَارِ نَسْخِهِ، وَلَا يَمْكُنْ بِحَالٍ أَنْ يَكُونَ مَؤْلِفُ الْعَيْنِ هُوَ مَنْ أَدْخَلَهَا وَمَنْ تَلَكَّ الْأَقْوَالِ مَا

وَرَدَ .

فِي مَادَةِ عَهْنٍ<sup>(٢)</sup> : قَالَ الْخَلِيلُ : وَيَقُولُ كُلُّ صَوْفٍ عَهْنٌ قَالَ عَرَامٌ لَا يَقُولُ إِلَّا لِلْمَصْبُوغِ  
فَدَلَالَةُ الْكَلْمَةِ عِنْدَ الْخَلِيلِ غَيْرُ مَا هِيَ عَلَيْهِ عِنْدَ عَرَامٍ، وَيَعِيدُ أَنَّ يَؤْلِفَ الْخَلِيلَ أَوْ غَيْرَهُ  
الْكِتَابُ ثُمَّ يَرْضِي بِإِيْرَادِ قَوْلِهِ يَنْاقِضُ قَوْلَهُ دُونَ مَنْاقِشَةٍ، وَمَثُلُ هَذَا مَا وَارَدَ فِي مَادَةِ خَلْعٍ<sup>(٣)</sup> .  
"الْخَلْعُ الْقَدْحُ الَّذِي يَفْوِزُ أَوْلًا وَالْجَمْعُ أَخْلَعَةُ وَالْخَلْعُ مِنْ أَسْمَاءِ الْغُولِ" قَالَ عَرَامٌ :  
هِيَ الْخَلْعُ لِأَنَّهَا تَخْلِعُ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَمْ نُعْرِفْ الْخَلْعَ"  
وَفِي قَطْعٍ<sup>(٤)</sup> قَالَ : وَالتَّقْطِيعُ مَغْسُ تَجْدِهِ فِي الْأَمْعَاءِ قَالَ عَرَامٌ مَغْصٌ لَا غَيْرٌ .

(١) انظر: كتابه - أسماء جبال تهامة وسكانها.

(٢) ١٠٨/١

(٣) ١١٩/١

(٤) ١٣٦/١

وفي لبک<sup>(١)</sup>: يقال ما ذقت عَبْكَةً ولا لَبْكَةً، العَبْكَةُ: قطعة من شيء أو كسرة واللَّبْكَةُ لقمة من ثريدة ونحوها قال عرام: العَبْكَةُ ما ثرده من خبز وعُبَكَت بعده فوَّهُ بعض واللَّبْكَ سمن تصب على الدقيق أو السويق ثم ترويه.

وفي عجدا<sup>(٢)</sup>: العَجَدُ الزيبيب وهو حب العنب أيضاً ويقال: بل هو ثمرة غير الزيبيب شبيهة به، ويقال: بل هي العَنْجَدُ لا يعرف عرام إلا العَنْجَدُ.

العنوج: البغير السريع الضخم المجتمع الحلق يقال اعثوْنُج اعثيْنَا جالم يعرفه عرام<sup>١</sup>. ٢٢١/١

وفي جلع<sup>(٣)</sup>: المُجَالِعَةُ التنازعُ عند شُرُبِيْ أو قِمارِيْ أو قِسْمَةِ قال:  
ولا فاحش عند الشراب مجالع

وروى عرام مجالح أي مكابر وقال عرام: المجالعة أن يستقبلك بما لم تفعله ويبهتك به، وقد استمرت أقوال عرام على هذه الشاكلة التي تبني عن الاستدراك، وانظر:

.٢٨١.٢٦٧.٢٥٩.٢٥٦.٢٥٤.٢٣٥.١٨٩.١٤٧.١٤٥.١٣٩.١٢٤.١٠٨.١٠١.٩٨.٩٧/١  
.٢٧٥.٥٩/٢ - ٣٢٧.٣٢١.٣٢٨.٣٢٥.٣١٧.٣١٢.٣١١.٣٠٨.٣٠٦.٣٠٥.٢٨٦.٢٨٤  
.٣٥٠ - ٣١٧.٢٨٢.٢٨١.٢٨٠.٢٧٨.٢٧٧

أبو خيرة :

نهشل بن زيد العَدَوِيُّ، أعرابيٌّ فصيحٌ، دخل الحواضر وأقام بها، وأكثر الناس من الأخذ عنه، وهو من طبقة أبي الْدَّقِيقِيْشِ معاصر للخليل كما سيتضح من أقواله له الحشرات، والصفات، وقد تعددت أقواله في المعجم العربي، وقد نقل عنه الخليل وروى عنه، وكذلك أبو عمرو بن العلاء، والنضر بن شميل<sup>(٤)</sup>، وما أخذه عنه الخليل جاء معارضًا بأقوال أبي الْدَّقِيقِيْشِ غالباً، وهو لا يعدو سبعة أقوال.

(١) .٢٠٧/١

(٢) .٢٢١/١

(٣) .٢٢١/١

(٤) انظر: الفهرست، ٦٨، إنباه الرواة ١٠٨/٤ - ١١١، بغية الوعاة ٣١٧/٢، تاريخ التراث العربي ٤٣/١٨، الأعراب الرواة ٢٤٦، مرويات شمربن حمرويه ٤٠.

ففي رعاظ<sup>(١)</sup> قال: أبو خيرة المراعظ: الموصوف بالضعف.  
 وفي لوع<sup>(٢)</sup>: والمرأة الألعة، ويقال: الألعة بلا مين: التي تغازلك ولا تمكنك، قال أبو خيرة: هي الألعة بهذا المعنى، والأول قول أبي الدقيش.  
 وفي هوح<sup>(٣)</sup> قال: حأحأت به، وحاحيت به، قال أبو خيرة: حأحأ وقال أبو الدقيش: أحُو، أحُو.  
 وفي موق<sup>(٤)</sup> قال: المؤق: مؤخر العين في قول أبي الدقيش... قال أبو خيرة: مَدْمَع  
 موق من مؤخر العين ومُقدَّمها.  
 وفي كث<sup>(٥)</sup> قال: الـكـثـ والأكـثـ: نعت للكبير لللحية ..... قال أبو خيرة: رجل  
 أكـثـ ولـحـيـةـ كـثـاءـ بـيـنـةـ الـكـثـ.  
 وفي أول<sup>(٦)</sup> قال: في وصف الثور والكلاب:  
 جـهـامـ تـحـ الوـائـلـاتـ أـوـاخـرـهـ .....  
 رواية أبي الدقيش، وقال أبو خيرة:  
 جـهـامـ تـحـ الـأـوـلـاتـ أـوـاخـرـهـ .....  
 زائدة :

ورد اسمه هـكـذاـ في العين في مواضع كـثـيرـةـ، كما سـيـأـتـيـ فيـ أـقـوالـهـ التـيـ تـرـدـدـتـ  
 تـرـدـدـاـ لـيـسـ لـهـ نـظـيرـ فـيـ الـكـثـيرـ، إـلـاـ أـقـوالـ أـبـيـ الدـقـيـشـ وـعـرـأـمـ، وـقـدـ أـوـردـ اـسـمـهـ الـأـزـهـرـيـ  
 بـطـرـيقـتـيـنـ فـيـ عـثـنـ<sup>(٧)</sup> قال: زـائـدـةـ الـبـكـرـيـ، وـفـيـ خـضـمـ<sup>(٨)</sup> قال الـقـيـسـيـ، أـمـاـ النـديـمـ<sup>(٩)</sup> فـقـدـ  
 سـمـاهـ زـائـدـةـ الـبـكـرـيـ، وـلـاـ تـنـاقـضـ فـيـ رـأـيـ بـيـنـ النـسـبـتـيـنـ لـأـنـ فـيـ بـنـيـ بـكـرـ بـنـ وـائلـ قـيـساـ، وـقـدـ

- (١) .٨٤/٢
- (٢) .٢٥٠/٢
- (٣) .٣١٦/٣
- (٤) .٢٣٤/٣
- (٥) .٢٧٦/٥
- (٦) .٣٦٨/٨
- (٧) .١٦٢/٩، ١٩٣/٨، ٢٢٠، ١٠١/٣، ١٩٩/٢، وـكـذاـ فـيـ
- (٨) .٥٦/٧
- (٩) .١٤٩/١

قرنت في العين روايته في قعث<sup>(١)</sup> برواية مبتكر، وأما أبو تراب فقرن روايته برواية حَرْش الأعرابي،<sup>(٢)</sup> ولم يدر اسمه في المعجمات العربية دورانه في العين، إلا في مرات قليلة فقد روى له الأزهري من طريق أبي تراب.<sup>(٣)</sup> واقتصرت رواية الأزهري عنه على بعض المسائل ذات الطابع الصوتي.

وما أورده في العين عنه، جاء بأسلوب واحد هو "قال زائدة" ليس فيه من أسلوب النقاش والمساءلة والاستفسار شيء مما ظهر واضحاً عند أبي الدقيش، كما أنه خلا من المقارنة بأقوال الأعراب. عدّمرة واحدة حين تحدث عن العيبة فقال: وما في التهذيب من أقواله ليس في العين، كما أن كل ما في العين ليس في التهذيب، وليس في البارع ولا المعجمات الأخرى مع أهميته، وجدارته بأن يحظى بنقاش ومحاكمة، مما يدل على أن النسخة التي اعتمد عليها الأزهري من العين، هي نسخة مغابرة، لأنني أستبعد أن يتعمد الأزهري ترك أقواله في حال وجودها في العين، وربما يعود هذا الأمر إلى أن أقوال زائدة دخلت العين عن طريق عرض مادة العين عليه في إحدى نسخ العين، وهذا هو الأقوى في نظري، ويرجح هذا طبيعة تلك الأقوال فأغلبه جاء على نمط الاستدراك والتعليق، مما يظهر أن نسخة من العين كانت موجودة في أواخر القرن الثاني، وهي غير النسخة التي اعتمدها الأزهري، لأن زائدة الأعرابي عاش إلى الربع الأول من القرن الثالث، وأسلوب إيراد أقواله يدل على أنه كان يناقش ويستدرك على مادة العين وهي تُعرض عليه، ولا يمكن أن يكون ذلك الأسلوب وتلك الاستدراكات من فعل غيره، كما يظهر من أقواله الآتية:

ففي قفع<sup>(٤)</sup> قال زائدة: "القَعْقَعَان ضَرْبٌ من التَّمَرِ" وهو إضافة على ما في العين واستدراك على جمع الخليل وقد وردت الكلمة ثانية في عقد<sup>(٥)</sup> فقال: والعَقْدَان ضَرْبٌ

(١) تهذيب اللغة .١٦٢/٩.

(٢) انظر: السابق.

(٣) السابق .١٨٤، ١٦٢/٩، ١٩٢/٨، ٢٢٠، ١٠١/٣، ١٩٩/٢.

(٤) ٦٥/١.

(٥) ١٤١/١.

من التمر، سمعت به، وليس من لغتي وأعرف القَعْقَان من التمر" ولم يورد المعجميون هذه الكلمة بهذه الدلالة.

وفي نعنع<sup>(١)</sup> قال: والنَّعْنَع بقلة طيبة الريح وهو الفَوْزِينج، واستدرك زائدة فقال: الذي أعرفه النعناع" ولم ينقل قول زائدة في المعجمات مسندًا إليه بل ذكرت صيغة نَعْنَاع - وذلك في الصحاح، والمحيط والأساس. وكان موضع توهيم في القاموس، ولو عُرف قول زائدة وشهر لها بقيت محل توهيم.

وفي عبيب<sup>(٢)</sup> والعَبَيَّة شراب يُتَخَذُ من مَغَافِرِ الْعُرْفَط، وهو عَرَقُ الْأَصْفَعِ يكون حلوًّا يُضَرِّبُ بِمَجْدِحٍ حتَّى يَنْضَجَ ثُمَّ يُشَرَّبُ" وقد استدرك زائدة فقال: هو بالغين، وهو شراب يُضَرِّبُ بِالْمَجْدِحَةِ ثُمَّ يَجْعَلُ فِي سِقاءِ حَارِّ يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ يَمْخُضُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الزَّبَدُ ، وقد وردت الكلمة بالعين في التهذيب<sup>(٣)</sup> عن غير ابن الأعرابي فقال: "وقال غيره: العَبَيَّة بالعين: شيء يَقْطُرُ مِنَ الْمَغَافِرِ".

وفي عهن<sup>(٤)</sup> قال: والعِهْنَة انكسار في قَضَبِ من غَيْرِ بَيْنَوْنَةٍ، إذا نظرت إلى حسبته صحيحاً، وإذا هزَّته اثنين، وقضب عاهن أي منكسر، وسمى الفقير عاهناً لأنكساره، وقد استدرك زائدة فقال: لا أعرف العِهْنَة في ذلك ونحن نسميه الشَّرَّاج، اشرجت القوس والقناة أي أصابها انكسار غير باتٍ" وقول زائدة ليس في المعجمات.

وفي عرض<sup>(٥)</sup> - "عارض وجهك ما يبدو منه عند الضحك، قال زائدة مستدركاً: أقول عارض الفم لا غير" فالخليل يتحدث عن عارض الوجه، وإضافة عارض إلى الوجه لم ترد في المعجمات، والوارد هو ما أشار إليه زائدة<sup>(٦)</sup>.

وفي عضر قال: العَضْر لم يُستعمل في العربية، ولكنه حيٌّ من اليمن ويقال: بل هو اسم موضع لموضع، قال زائدة: عَضَر بِكَلْمَةِ أَيْ باح بها وهل سمعت بعدها عَضْرَةَ أَيْ خَبَرَا. فزائدة استدرك هذه الدلالة ولم يرد في المعجمات استدرك زائدة إلا في تاج

(١) ٩١/١.

(٢) ٩٣/١، وذكر قول زائدة مرة أخرى في ٣٥٠/٤.

(٣) ٣٢/١.

(٤) ١٠٨/١.

(٥) ٢٧٦/١.

(٦) انظر: التهذيب - عرض ٢٩٦/١.

العروس<sup>(١)</sup> نقلًا عن الصغاني.

وفي عرزل<sup>(٢)</sup> قال: العِرْزَالْ مَا يجتمعه الأسد في مأواه من شيء يُمهده لأشباله كالعُشّ، قال زائدة: العِرْزَالْ جُحْر لحية، وذكره أبو النجم في شعره "ما أورد زائدة مستدركاً على الخليل ليس في المعجمات.

وفي حكم<sup>(٣)</sup> فرس مَحْكُومة في رأسها حَكَمَة، وقد استدرك زائدة فقال: مَحْكَمَة وَأَنْكَرَ مَحْكُومَة وَمَا أَنْكَرَهُ زائدة مذكور في المعجمات<sup>(٤)</sup>، واستدراكه يستدعي الرد عليه ممن اهتموا بالمعجمات، ولكن بقاء ذلك الكلام وغيره دون رد هو موضوع تساؤل.

وفي ملح<sup>(٥)</sup> قال: المَلْجَ تناول الضرْع والثدي بأدني الفم، وفي الحديث "لا بأس بالإملابة والإملاجتين" وهو أن يتناول الصبي من ثدي أمه ملْجَة أو ملْجَتين شُرُبًا يسيرًا ثم تقطع ذلك عنه، فلا يُحرَم به النكاح وفيه اختلاف، قال زائدة اللَّمْجَة واللَّمْجَتين ولم تعرف الإملابة واستدرك زائدة موضع تساؤل فهو لم يرد في المعجمات، كما أن ما استدرك به يوجب الرد ولا يستدعي التسليم، لأن ورود الإملابة والإملاجتين ظاهر في الحديث<sup>(٦)</sup> فاش في المعجمات<sup>(٧)</sup>، هذه بعض أقوال زائدة في العين وهي توضح الطبيعة الاستدراكية لأقوال زائدة، وله أقوال أخرى في:

.٢٨٨.٢٨٥.٢٧٠.٢٦٩.٢٥٩.٢٥٧.٢٢٢.١٤٩.١٤٨.١٤٢.١٣٤.١٣٣.١٣٢.١٣١.١٣٠.٩٧/١  
.١١٥.٩٦.٧١.٦٠.٥٩.٥٥.٥٤.٣٦.٢٣/٢ - ٣٤٧.٣٤٦.٢٤١/٢ - .٣١٤.٣٢٤.٣٢١.٢٩٨.٢٩١  
.١٩٥.١٥٨.١٤٥.١١١.١٠٧.١٠٥.٩٤.٩٢.٨٩.٤٦.٣٨.٣٣.٢٨.٢٦.٢٣.١٢/٦ - .٣١٧.٣٥٠.١٢/٦ - .٢٥٠.

مبتكراً:

هو الكلابي<sup>(٨)</sup> وهو أحد الأعراب الذين أخذ عنهم اللغويون حينما انتقلوا إلى

(١) عضر.

(٢) ٢٢٤/٢

(٣) ٦٧/٢

(٤) انظر: الاشتقاد لابن دريد ٧٥، ١٤٧، ١٤٧، ٣٤٤/١، الزاهري، المحكم - حكم ٤٢٨/١، التهذيب حكم ٧١/٤.

(٥) ١٤٠/٦

(٦) انظر: ستن سعيد بن منصور ١٣٧، ٢٤١.

(٧) انظر: الجمهرة ملح ١/٤٩٢، ١١/٧٧، التهذيب ١١/١١، النهاية ملح.

(٨) انظر: تاريخ التراث العربي ٨/٧٥.

الحاضر، وقد ورد اسمه في العين في موضع قليلة، وقد قرن قوله بقول عَرَامَ مرة واحدة في العين، وقد ورد له في التهذيب واللسان أقوال كثيرة حكاهَا عنه أبو سعيد الضرير الكوفي ١٧٨هـ - ٢٨٢هـ وأبو تراب، وما ورد في العين من أقوال له لم يرد في التهذيب، وعدم قبوله لما يراه عَرَامَ في كلمة ((اقتعدت)) دليل على أن مادة العين قد عرضت عليه في فترة مبكرة، وأقواله في العين ليست بالكثيرة ومع قلتها في العين، لم تنتقل إلى المعجمات العربية عدا قول واحد أورده ابن عباد في المحيط.

ففي قطع<sup>(١)</sup> قال عَرَامَ: القَعْطُ شِبَهُ الْعِصَابَةِ، وَالْمِقْعَدَةُ مَا تَعَصَّبُ بِهِ رَأْسُكَ، ويقال قَطَعَتُ الْعَمَامَةَ فِي مَعِي اقْتَعَطْتُهَا، وأنكر مبتكر قَطَعْتُ بِمَعْنَى اقْتَعَطْتُ، ولم يذكررأي مبتكر في إنكار قَطَعْتُ في التهذيب<sup>(٢)</sup>، ولكنَّه وارد في المحيط دون إسناد لمبتكر "فقال": قَطَعَتُ الْعَمَامَةَ وَاقْتَعَطْتُ لَمْ أَدْرِهَا تَحْتَ الْحَنْكَ<sup>(٣)</sup>.

وفي قعث<sup>(٤)</sup> قال:

أَفْعَثَنِي مِنْهُ بِسَبَبِ مُقْعِثٍ      لَيْسَ بِمَنْزُورٍ وَلَا بِرَبِّيٍّ

والقَعْثُ الْكَثِيرَةُ، وَإِنَّه لَقَعِيْثُ أَيْ كَثِيرٌ وَاسِعٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَنَحْوِهِ، قال مبتكر الأعرابي اقْتَعَثْتُ وَقَعْثُ وَعَذْمُ لَهُ مِنْ مَالِهِ وَاعْتَذَمْ وَعَثْمُ لَهُ وَاعْتَثَمْ. وليس قوله في المعجمات التي اطلعت عليها.

وفي جعن<sup>(٥)</sup>: جَعُونَةُ اسْمُ رَجُلٍ مِنَ الْبَادِيَةِ، قال مبتكر: بَنُو جَعُونَةُ بَطْنُ مِنْ بَنِي تَمِيمِ، وليس قول مبتكر في المعجمات.

وفي جمل<sup>(٦)</sup>: قال مبتكر: الجَمِيلُ اسْمُ لِلْحَرَّ، وهذا القول فيه إضافة دلالية، ولم أقف عليه في المعجمات التي رجعت إليها.

مزاهم:

لم أستطع الوصول إلى معلومات تحدد شخصية هذا العلم، لأنَّ كتب اللغة لم

(١) ١٢٩/١

(٢) ١٢٨/١ قعث

(٣) ١٤٦/١ المحيط قعث

(٤) ١٤٩/١

(٥) ٢٢٢/١

(٦) ١٤٢/٦

ذكره، وكذلك كتب تاريخ علم اللغة، و كنت أظن أنه مزاحم بن الحارث بن مُصَرِّف الذي تكرر ورود اسمه في المعجمات العربية وفي الكتب اللغوية، إلا أن السمات التي كانت عليها شخصية مزاحم العقيلي أبى هذا وردته، فمزاحم العقيلي شاعر، وليس بلغوئي وهو متقدم على زمن تأليف العين، فهو معاصر لجرير والفرزدق، وأما مزاحم الوارد اسمه في العين فهو متأخر عن الخليل والليث، لأن أبا تراب روى عنه كما قال الأزهري في مادة زنجل، كما أنه قد علق على كلمة البربريت الواردة في شعر رؤبة ورؤبة عاش إلى ٤٥٤هـ<sup>(١)</sup> وقد استدرك أبو زيد الأنطاري على الخليل تفسير دلالة كلمة قبعترى ٠٠٠٠ فقال هي ... وفي مادة قبعترى في العين وجدت حكاية موافقة مزاحم لأبي زيد في العبارة الآتية: وقال بعضهم ليس ذا شيء ووافقه مزاحم، قال: ولكن القبعترى دابة من دواب البحر لا ترى إلا منقبعة في الثرى أو على ساحل البحر، وهذا دال على أن أقوالهستة التي وردت بصيغة الاستدراك في العين إنما هي من عمل غير الخليل، وأنه من طبقة غير طبقة الخليل والليث، وجميع ماورد من أقواله في العين لم يجد طريقه إلى المعجمات التي اعتمدت العين مصدرًا لها مثل الجمهرة والتهدیب والبارع، مما يسند خلو العين منها أصلًا، ومما يدعم صحة القول بدخولها العين في فترة بعد عصر الخليل.

والتأمل في هذه الأقوال بأدبن فحص وبأسرع قراءة يظهر الطبيعة الاستدراكية لهذه الأقوال، ومن غير المقبول عقلاً وواقعاً أن يورد الخليل استدراكات غيره عليه، ثم يتوقف عن مناقشتها أو الرد عليها.

وفي عرز<sup>(٢)</sup> قال: والتعزيز كالتعريف في الخصومة، ويقال العرز اللوم، قال مزاحم: التعزيز التوزير وإفساد الشيء وتعيبيه. وما استدركه مزاحم من معنى دلالي للتعريف ليس في المعجمات.

وفي جشب<sup>(٣)</sup> قال: والجشّاب من الندى الذي لا يزال يقع على البقل. قال:

رُوضًا بِجَشَّابِ النَّدَى مَأْدُومًا .....

قال مزاحم: كل شيء وقع على شيء فقد جشبته، وجشّبَ الله شبابك أي أماته

(١) انظر وفيات الأعيان ٢٠٥ / ٢.

(٢) ٢٥٢ / ١.

(٣) ٢٩ / ٦.

وذهب، وأقول جشب الندى البقل أي رده يعني ركبـه، فـكاد يغـيـبهـ، وقول مـزاـحـمـ لمـيـأـخـدـ طـرـيقـهـ إـلـىـ المعـجمـاتـ الـعـرـبـيـةـ.

وفي سنج<sup>(١)</sup>: السناج أثر دخان السراج على شيء أو الجدار، قال مـزاـحـمـ سـنـجـتـ الشـيـءـ إـذـاـ كـهـبـتـهـ بـلـونـ سـوـيـ لـوـنـهـ، وـهـوـكـلـ مـاـلـطـحـتـ شـيـئـاـ بـشـيـءـ فـقـدـ سـنـجـتـهـ، وـماـ استـدـرـكـ بـهـ مـزاـحـمـ لمـيـجـدـ طـرـيقـهـ لـلـمـعـجمـاتـ.

وفي زجر<sup>(٢)</sup>: والأزجر من الإبل الذي في فقار ظهره انحرزال أو من ذبر، قال مـزاـحـمـ: الأزجر من الإبل مثل الأفزر، والافزر في الظهر، وناقة زجـراءـ ونوق زـجـرـ، وكـذـلـكـ قـومـ فـزـرـ وجـملـ أـزـجـرـ، وقول مـزاـحـمـ ليسـ فيـ سـوـيـ العـيـنـ معـجمـ آخـرـ سـوـيـ العـيـنـ.

وفي شسيف<sup>(٣)</sup> قال: اللحم الشـسـيـفـ الذي كـادـ يـبـيـسـ وفيـهـ تـدـوـةـ بعدـ، قال مـزاـحـمـ بالباءـ والفاءـ أـقـولـهـمـاـ جـمـيعـاـ، وبالفاءـ أـحـسـنـ، وقول مـزاـحـمـ ليسـ فيـ سـوـيـ العـيـنـ. وفي برت قال: "البرـتـ: الفـأـسـ بـلـغـةـ الـيـمـنـ، والـبـرـتـ بـلـغـتـهـمـ السـكـرـ الطـبـرـزـ، وـقـالـ مـزاـحـمـ: المـبـرـتـ وـالـبـرـيـتـ فـيـ شـعـرـ رـوـبـةـ اـشـتـقـ مـنـ البرـيـةـ فـيـ قـوـلـهـ: يـنـشـقـ عـنـ الخـرـقـ وـالـبـرـيـتـ.....

فـكـأـنـماـ أـسـكـنـ الـيـاءـ فـصـارـتـ الـهـاءـ تـاءـ فـغـلـبـتـ وـجـعـلـهـ اـسـمـاـلـلـبـرـيـةـ وـهـوـ الصـحـراءـ والـجـمـعـ الـبـرـارـيـتـ فـصـارـتـ التـاءـ كـأـنـهاـ أـصـلـيـةـ فـيـ التـصـارـيفـ كـمـاـ لـزـمـتـ التـاءـ فـيـ عـفـريـتـ".

حماس :

لم أـسـتـطـعـ الوـصـولـ إـلـىـ مـاـيـبـنـ عنـ شـخـصـيـةـ هـذـاـ الرـجـلـ فـيـ كـتـبـ اللـغـةـ وـكـتـبـ تـارـيخـ عـلـمـ اللـغـةـ، وـالـذـيـ يـيدـولـيـ أـنـهـ مـنـ طـبـقـةـ مـتـأـخـرـةـ عـنـ الـخـلـيلـ وـالـلـيـثـ، فـأـقـوـالـهـ ذـاتـ طـبـيـعـةـ اـسـتـدـرـاكـيـةـ لـاـيمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ الـخـلـيلـ هـوـمـنـ دـوـنـهـ فـيـ كـتـابـهـ، ثـمـ إـنـ هـذـهـ الـأـقـوـالـ لـمـ تـجـدـ طـرـيقـهـ إـلـىـ الـمـعـجمـاتـ الـعـرـبـيـةـ، وـلـوـ كـانـتـ هـذـهـ الـأـقـوـالـ الـأـسـتـدـرـاكـيـةـ مـوـجـودـةـ فـيـ نـسـخـ الـعـيـنـ الـمـتـقـدـمـةـ لـوـجـدـنـاـمـنـ يـحـتـفـلـ وـيـهـتـمـ بـهـ، وـخـصـوـصـاـ الـأـزـهـرـيـ، وـالـقـالـيـ، وـالـأـقـوـالـ الـمـنـسـوـبةـ لـحـمـاسـ فـيـ الـعـيـنـ أـخـذـتـ منـحـىـ الـأـسـتـدـرـاكـ وـالـتـعـقـبـ بـوـضـوحـ ظـاهـرـبـينـ.

(١) ٥٦/٦.

(٢) ٦١/٦.

(٣) ٢٢٩/٦.

ففي عكر<sup>(١)</sup> قال: والعكر القطيع الضخم من الإبل فوق خمسمائة قال:  
فيه الصواهل والرايات والعكر .....

فقال "حماس رجال معتكرون أي كثير" بإضافة كلمة "ماعت" في حق الرجال.  
وفي زمع<sup>(٢)</sup>: الزمع هنات شبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زمعتان كأنهما  
خلقتا من القرون تكون لكل ذي ظلف ويقال: للأرانب زمعات خلف قوائمها، ولذلك يقال  
لها زموع قال الشماخ:

وما تنفك بين عورضاتٍ تجُرّ برأس عِكْرِشَةٍ زَمَوْعٍ

قال حماس: زموع فردة من الأرانب تكون وحدها. فالأرنب زموع عند الخليل  
لوجود الزمعات، وهي زموع عند حماس لأنها فردة.

وفي عدل<sup>(٣)</sup> والعدولية: ضربٌ من السفن نسب إلى موضع يقال له عدولاًة أميت  
اسمها، قال حماس وأرويه أيضاً عدولية من الاستواء والاعتدال، فحماس يرى الكلمة من  
العدل والاعتدال برواية جديدة.

وفي عدو<sup>(٤)</sup> لأنه إذا كان فقيراً لم ير الناس له قيمة ولا ينتفعون بحمله ولا يهابونه  
إذا كان غنياً هيب واحتمل له وإن كان جهولاً طمعاً فيما عنده، قال:  
أما ترينِي اليَوْمَ لَا أَعْدُو غَنَمَ أَعْيُنَ ما اسْطَعْتُ وَعَوْنَى كَالْعَدَمِ

قال حماس: قوله لا أعدو غنم أي ليس لي فضل على الغنم، أي على حفظها.  
ويكون المعنى ليس عندي منفعة ولا كفاية، إلا مثل كفاية شاة من الغنم، فقول حماس  
بهذا القول إنما هو توجيه معاير لما هو عليه عند الخليل، وهذه هي طبيعة الاستدراك لا  
طبيعة المادة الأصلية في الكتاب.

وقد استمرت أقواله في الكتاب على هذا الشكل.

.٢٨٤، ٢٨٠، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٤٧، ٢١٦ / ٦ .

أبو عمرو: وهو ابن العلاء :

أحد القراء السبعة المشهورين، وإمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة،

(١) ١٩٧/١

(٢) ٣٦٧/١

(٣) ٤٠/٢

(٤) ٥٧/٢

أخذ عن جماعة من التابعين ومات سنة ١٥٩هـ وميلاده ووفاته قبل الخليل مما جعل الزييدي يعده في الطبقة الرابعة قبل طبقة الخليل<sup>(١)</sup> وقد وردت أقواله في العين في مواضع معدودة، وما ورد من أقوال له في العين لا يؤثر في مسألة نسبة الكتاب، لأن أبي عمرو أسبق من الخليل، لكنني مع هذا أستبعد أن تكون هذه الأقوال في العين أصالة، لأنها لم تأخذ طريقها إلى المعجمات التي صدرت عن العين، وما ورد منها في تلك المعجمات فقد صرخ بروايتها عن طريق ليس هو طريق الخليل وتلك الأقوال هي:

عين<sup>(٢)</sup> قال: يوصف بسعة العين فقال بقرة عيناء وامرأة عيناء ورجل أعين ولا يقال ثور أعين وقيل يقال ذلك وروي عن أبي عمرو وهو حسن العينة والعين والفعل عين عيناً وقول أبي عمرو ليس في معجمات اللغة.

وفي حزن<sup>(٣)</sup> قال: الحُزْنُ والحزَنُ لغتان إذا تَلَّقا فتحوا، وإذا ضموا خففوا، فقال أصابه حُزْنٌ شديد وحزَنٌ شديد، ويقال حَزَنِي الأمر يُحْزِنِي فأنا مَحْزُونٌ وأُحْزَنِي فأنا مُحْزَنٌ، وهو مَحْزُونٌ لغتان أيضاً، ولا يقال حازن، وروي عن أبي عمرو إذا جاء الحزن منصوباً فتحوه، وإذا جاء مرفوعاً أو مكسوباً ضموا الحاء، وقول أبي عمرو في التهذيب<sup>(٤)</sup> فيما رواه يونس عنه، وهو في اللسان والتاج<sup>(٥)</sup>.

وفي حير<sup>(٦)</sup> قال: والحرارة كل محللة دنت من منازلهم، فهم أهل حرارة، قال أبو عمرو أشدتني امرأة من حمير وهي تُرْقِص ابنا لها:

ياربنا من سرّه أن يَكُبْرا فهب له أهلاً ومالاً حِيرَا

والحَيْرُ الكثير من الأهل والمال، ورواية أبي عمرو في الجمهرة<sup>(٧)</sup> من رواية أبي حاتم عن الأصممي عن أبي عمرو، وهو في التهذيب<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر طبقات النحوين واللغويين ٣٥، بغية الوعاة ٢٣١/٢.

(٢) ٢٥٥/٢/٢.

(٣) ١٦٠/٢.

(٤) حزن ٤/٢١١.

(٥) حزن.

(٦) حزن.

(٧) ٢٨٩/٣.

(٨) حير ١/٢٦٨.

وفي بلغ<sup>(١)</sup> قال: شيء بالغ أي جيد والمبالغة أن تبلغ من العمل جُهْدك قال الضرير: سمعت أبا عمرو يقول: البَلْغُ مَا يلْغِكَ من الخبر الذي لا يعجبك القول "اللهم سَمِعْ لَا بَلْغْ" أي اللهم نسمع بمثل هذا فلَا تُنْزِلْهُ بنا وليس في شيء من المعجمات حسب اطلاقي.

وفي جلب<sup>(٢)</sup> قال: والجُلْبَةُ الْعُوْذَةُ التي يحرز عليها الجِلْدُ وجمعها الجلب، وقال علامة يصف فرسا:

**بَعْوَجُ لَبَانَهُ يَتَمُّ بِرِيمَهُ      عَلَى نَفْثِ رَاقِ خَشِيهِ الْعَيْنِ مُجْلِبِ**  
الغوج: الواسع جلد الصدر، والبريم خيط يعقد عليه عُوذة، ويتم بريميه أي يطال إطالة لسعة صدره "المُجْلِبُ" الذي يجعل العُوذة في جلب ثم يخاط على الفرس عن أبي عمرو، وكلام أبي عمرو في التهذيب<sup>(٣)</sup>، وما في التهذيب ليس في اللسان.  
وفي صرصر<sup>(٤)</sup> قال: وقال أبو عمرو الصرصاراني من البُحْت: العظيم" وقول أبي عمرو ليس في المعجمات العربية عامة، ولا فيما صدر عن العين منها خاصة كالتهذيب.

وفي صور<sup>(٥)</sup> قال أبو عمرو والصواري ريح المسك، قال:  
**إِذَا تَقَوَّمْ يَضُوعُ الْمَسْكُ أَصْوَرَةً      وَالْعَنْبَرُ الْوَرَدُ مِنْ أَرْدَانَهَا شَمِيلُ**  
ورواية أبي عمرو لم يُشرَ إليها في المعجمات، وإنما قيل وروى بعضهم كما هو في المخصوص<sup>(٦)</sup>، لسان العرب<sup>(٧)</sup>.

وفي بدبي قال:  
**وَهُمُّ أَيْسَارُ لِقَمَانَ إِذَا      أَغْلَتِ الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الْجُرْزِ**  
وقال أبو عمرو: الأبداء: المفاصل، والواحد بدَّى مقصور، وكلام أبي عمرو في التهذيب<sup>(٧)</sup>، اللسان والتاج.

(١) .٤٢١/٤

(٢) .١٣٢/٦

(٣) جلب/١١.

(٤) .٨٣/٧

(٥) .٩٤٨/٥

(٦) هادة - صور.

(٧) بدبي .١٤٤/١٤

## أبو عبيدة :

هو معمر بن المثنى أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر، وأبي الخطاب الأخفش، وقد ولد سنة ١١٠هـ وبرع في علوم العربية وتوفي سنة ٢١٣هـ تقريباً<sup>(١)</sup>، ولم يتردد اسمه كثيراً في العين فلم يرد سوى مرتين تتصلان بإيراد شاهدين على دلالة وردت في العين وهما: ”والخنديذ: البذيء اللسان، والخنديذ الخطيب الماهر الفائق في كل شيء وأنشد أبو عبيدة يصف الشاعر الخنديذ:

..... صدوَّدَ الْبَكْرُ عنْ قَرْمَ هِجَانٍ<sup>(٢)</sup> .. عنا .....

وفي قصر<sup>(٣)</sup>: والقَصْرَة: أصل العنق، وكذلك عنق النخلة أيضاً، ويجمع القَصْرَ والقصَّرات. وقال أبو عبيدة: كان الحسن يقرأ «إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جملت صُفْر»<sup>(٤)</sup> ويفسر أن الشرير يرفع فوقهم كأعناق النخل ثم ينحط عليهم كالأبنق السود. ولم أقف على قوله في مجاز القرآن.

## أبو عبيد :

القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤هـ وقد ورد اسمه مرتين في كتاب العين، ولم يكن من تلاميذ الخليل ولا الليث، ولكنه من تلاميذ تلاميذ الخليل فقد أخذ عن النضر بن شمبل، وما ورد له في العين متصل بكلمتين "الجِعَة وصَمَح" وهمما من الألفاظ الواردة في لغة الحديث. فالكلمة الأولى لم يوردها مؤلف العين، ووردت استدراكاً على نقص مادة العين، ومن أوردها فيه من المحسنين جعلها في مادة "هجع" وهي في غريب الحديث لأبي عبيد وفي التهذيب واللسان في مادة "جعو" والكلمة الثانية وردت في العين أصلاً والمنقول عن أبي عبيد فيها يتصل بإضافة شاهد لها من الحديث.

ففي هجع<sup>(٥)</sup> الهِجْعَة ومثلها الجِعَة عن أبي سعيد: نَبِيَّ الشَّعَّيرِ وَالذُّرَّةِ وَعَنْ أَبِي

(١) طبقات النحوين واللغويين ١٧٥، بغية الوعاة ٢٩٤ / ٢.

(٢) ٢٤٥ / ٤

(٣) ٥٩٩ / ٥

(٤) سورة المرسلات: آية ٣٣.

(٥) ٩٨ / ١

عبد نبيذ الشعير، وكلام أبي عبيد في غريب الحديث<sup>(١)</sup>.  
وفي صفحه الصيف: كاد يذيب دماغه من شدة الحر ... وفي حديث مقتل حُجر بن عَدِي عن أَبِي عَبِيد فِي ذِكْرِ سُمْمِيَّةِ أَمْ زِيَادٍ إِنَّهَا لَوَطْبَاءُ شَدِيدَةُ الصِّمَاحِ تَحْبَّبُ النَّكَاحَ أَيْ: شَدِيدَةُ الْحَرَّ. وَقَوْلُ أَبِي عَبِيدٍ هَذَا فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ<sup>(٢)</sup>، وَكِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ أَلْفُ بَعْدِ زَمْنِ الْخَلِيلِ.

سيبويه :

هو عمرو بن عثمان بن قبر، أحد تلاميذ الخليل النابهين توفي سنة ١٨٠ هـ<sup>(٤)</sup> وقد ورد ذكره مرتين في العين.

ففي كرع<sup>(٥)</sup>: قال سيبويه الكُرَاع الماء الذي يُكُرَع فيه، والذي في الكتاب<sup>(٦)</sup> ”وقالوا كَرَاعٌ كُرُوعًا، وَالْكَرَاعُ الماءُ الَّذِي يُكُرَعُ فِيهِ.“

وفي جدع<sup>(٧)</sup>: والجَدْعَةُ موضع الجَدْعِ من المَجْدُوعِ، قال سيبويه: يقال جَدَعْتَهُ أَيْ قلت له جَدْعًا، وهذا القول في الكتاب<sup>(٨)</sup>.

ووفاة الخليل قبل ظهور كتاب سيبويه، مما يؤكّد إضافة القولين - تعليقاً.

أبو عبد الله :

وردت كنيته هذه في مواضع قليلة في العين، ويبدو أنه من العلماء لامن الأعراب يظهر هذا واضحًا من خلال حديثه عن البناء والقياس والاشتقاق والجمع، ويغلب عندي أنه ابن الأعرابي أبو عبد الله محمد بن زياد ١٥٠ هـ<sup>(٩)</sup> وورود استدراكاته يضفي كثيراً من الشك على صحة القول إن كتاب العين ظل غير معروف عند جيل الخليل وطلابه.

(١) ١٢٩/٣

(٢) ١٣٥/٢

(٣) ١٧٦/٢

(٤) طبقات النحوين واللغويين ٦٦، بغية الوعاة ٢٢٩/٢.

(٥) ٢٠٠/١

(٦) ٤٢/٤

(٧) ٢١٩/١

(٨) ٥٨/٤

(٩) طبقات النحوين واللغويين ١٩٥، بغية الوعاة ١٠٥/١.

ودوران أقواله في العين، لم يتجاوز سبعة موضع، تتضح فيها جميعاً طبيعة المادة الاستدراكية أو التوضيحية التي تدل على أن ورود أقواله إنما كان مُدرجاً في الكتاب بعد عرضه عليه وقراءته له، ففي عرق<sup>(١)</sup> قال أبو عبد الله: أصل العَقْ الشَّقُّ واليَه يَرْجع عُقوق الوالدين، وهو قطعهما، لأن الشَّقُّ والقطع واحد، يقال عَقْ ثوبه إذا شفَّهَ عَقْ والديه يَعْقُّهما عَقْ وعُقوفاً وقد روى المفضل جزءاً من هذه المادة توضح بجلاء مدى صعوبة استجلاء قول الخليل من قول المستدركيين عليه أحياناً، وقد أورت كلام المفضل فيما سبق<sup>(٢)</sup>.

وفي نصع<sup>(٣)</sup> "النَّصِيعُ الْبَحْرُ" قال:

أدليتُ دلوى في النَّصِيعِ الْبَاخِرِ .....

لم يعرفه عرام ولم ينكره، قال أبو عبد الله هو بالضاد والباء وكذلك البيت ولم يشك فيه وقال هو ما خوذ من البَضْع وهو الشَّقُّ لأن هذا البحر شَقَّة شَقَّةً من البحر الأعظم" وقد اعتمد هذا القول الأزهري في التهذيب دون أن يشير إلى "أبي عبد الله" دون رد أورد في العين بالصاد "النصيع".

وفي علط<sup>(٤)</sup> العِلَاطِ كَيٌّ وسِمَةٌ في العنق عَرْضاً، وثلاثة أَعْلَاطٍ، ويجمع على عَلْطٍ، عَطَّاتُ الْبَعِيرُ أَعْلَطُه عَلْطًا، قال أبو عبد الله: هو أن سِمَةٍ في بعض عَنْقٍه في مُقدَّمه، واسم تلك السِّمَة العِلَاطُ، وما قاله أبو عبد الله ليس في المعجمات عند تحديد معنى كلمة عِلَاطٍ، إلا ما كان من ابن فارس في معجم المقاييس فقد قال: "وهي كَيٌّ وسِمَةٌ تكون في مقدم العنق عَرْضاً".

وفي عفر<sup>(٥)</sup> قال: ولقيته عن عُفرٍ أي بعد حين، وأنشد:

أَعْكَرْمَ أَنْتَ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ وَالَّذِي أَتَاكَ ابْنُ عَمِ زَافِرَا لَكَ عن عُفرٍ

قال أبو عبد الله يقال إن المُعَفَّر المفظوم شيئاً بعد شيء، يحبس عنه اللَّبَن للوقت

(١) .٦٣/١

(٢) ص .١٢

(٣) .٣٠٦/١

(٤) .١٠-٢

(٥) المقاييس علط .١٢٤/٤

(٦) .١٢٤-٢

الذي كان يرضع شيئاً ثم يعاد بالرضاع ثم يزداد تأخيراً عن الوقت، فلا تزال أمّه به حتى يصبر عن الرضاع فتفطمته فِطاماً باتاً، وما قاله أبو عبد الله شارحاً كلمة "معفر" ليس في المعجمات العربية مما يوضح أمرين:

١- أن هذه الاستدراكات قد علقتها العلماء على العين في فترة مبكرة، وظلت في بعض نسخ العين عاريةً منها نسخ أخرى، ولو كانت من لدن الخليل لما أهمل مثل هذا التعليق الذي له أثر واضح في توجيه الدلالة كل من أعتمد العين مصدرًا له، كابن دريد والأزهري.

٢- أن كتاب العين قد أهمل وجود الصدور ممن ألقوا في المعجمات بعد حملة الأزهرى عليه ولذا بقي ما عُلِّق به على الكتاب وما استدرك به عليه في دائرة التجاهل.

وفي بغيث<sup>(١)</sup> قال: **البغاث طير كالبواشيق لا تصيد شيئاً من الطير الواحدة بُغاثة** ويجمع على البغاثان، قال أبو عبد الله: هو الرخم وشبيهه واستدرك أبي عبد الله بأن **البغاث هو الرَّحْم** ليس له وجود في المعجمات، والميل بالكلمة إلى دلالة لم تُورَدْ أمرٌ يافت الأنظار وهو جدير بالاهتمام وإثباته ومناقشته، لكن هذا لم يكن لأن العين قد غيب عن الساحة.

#### القاسم :

هو ابن معن من رؤساء النحوين الكوفيين<sup>(٢)</sup> روى عنه الكسائي، ومحمد بن إسحق بن عيسى، وكان من طبقة أبي عمرو بن العلاء، وهو من سمع عن العرب<sup>(٣)</sup> ومات في خلافة هارون الرشيد سنة ١٧٥هـ<sup>(٤)</sup> وأقواله التي في العين لم تتردد كثيراً.

ففي نغف<sup>(٥)</sup> قال: **النَّغَف دود عَقْف ينسليخ عن الخنافس ونحوها**. قال القاسم **النَّغَف**: دود في عَظْمِي الوجنتين لكل رأس نَغْفَتان أي عظامان ويقال من تحركهما يكون العطاس. وما قاله القاسم بنص مختصر في المحيط<sup>(٦)</sup>. ومنه تسرب إلى الفائق<sup>(٧)</sup>.

(١) .٤٠٢/٤

(٢) انظر طبقات النحوين واللغويين ١٣٢. بغية الوعاة ٢٦٣/٢.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٧/٢٨٠، المحرر الوجيز ٥/٥٤، ٥٤/٣٢٤.

(٤) الثقات لأبن حبان ٧/٣٣٩، الوافي بالوفيات ٧/٢١٧، سير أعلام النبلاء ٨/١٩٠، معجم الأدباء ٢/٢٧٤.

(٥) .٤٢٤/٤

(٦) .٩١/٥

(٧) نغف.

والتابع<sup>(١)</sup>، وليس في المعجمات المعتقدمة التي اعتمدت العين كالتهذيب والبارع . وفي سقي<sup>(٢)</sup>: والسقُي ماء أصفر يقع في البطن، وفي الحديث "سقيت الشراب" أي ما اتخذ من خشب أو خزف أو قرَّع، وقال القاسم لا أعلم إلا من الجلود وليس هذا القول للقاسم في المعجمات العربية.

وفي قوز<sup>(٣)</sup>: القَوْزُ من الرمل مستدير صغير تشبه به أرداف النساء، قال القاسم: هو طويل معقب وهذا هو الكثيف، وليس قول القاسم في المعجمات العربية. وفي وقر<sup>(٤)</sup>: قال القاسم: وَقِرْتَ دَوَابٍ وَقِرْتَ دَوَابٍ وَقِرْتَ، وليس قول القاسم في المعجمات العربية.

وفي سرج<sup>(٥)</sup>: سرج اللَّهُ وجْهَهُ وبِهِجَهُ أَيْ حَسْنَهُ، قال العجاج:  
وَفَاحِمًا وَمَرْسِنَا مُسَرَّجًا ..

لم يعن به أنه أَفْطَسَ مُسَرَّجَ الوَسْطَ، لكن عنِّيهِ الْحُسْنُ وَالْبَهْجَةُ، قال القاسم: شَبَّهَ حَسْنَ الْأَنْفِ وَامْتَدَادَهُ بِالسَّرِيجِيِّ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِّن السَّيُوفِ، وليس قول القاسم في المعجمات التي اعتمدت العين ولا غيرها حسب اطلاقي وتنقيبي. واضح أن أقوال القاسم هذه على سبيل الاستدراك والزيادة على مافي العين وأنها دخلت العين في فترة متأخرة، ولو وجدت في نسخه الأصلية الأولى لما أغفل من نقلوها مادة العين هذه الأقوال.

الضَّرِيرُ:

هو أبو سعيدأحمد بن خالد البغدادي، لغوياً أديباً سمع من أبي عمرو الشيباني، وابن الأعرابي، وسكن نيسابور، وأخذ عن الأعراب الذين أقدمهم ابن طاهر كأبي العمين وعُوسِحة، وقد عاش عمراً طويلاً وأخذ عنه ابن الفرج وغيره، وقيل إنه توفي سنة ٢٨٢ هـ<sup>(٦)</sup> وقد تردد اسمه في المعجمات العربية عن طريق التهذيب، وغالب ماورد عنه متعلق بلغة

(١) نَفَفَ.

(٢) ١٩٠/٥

(٣) ١٩٧/٥

(٤) ٢٠٧/٥

(٥) ٥٣/٦

(٦) انظر بغية الوعاة ٢٠٥/١

ال الحديث، والمصدر الذي أفاد منه الأزهري ومن ثم غيره، هو كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث، يؤيد هذا الألفاظ التي تعلقت أقواله بها في التهذيب واللسان مثل البَيْان السَّبَّاجَةُ، الْأَرْصَحُ، ابْهَارُ، الْخَامِةُ، النَّذْرُ، الْأَرْزَنُ، التِّيَعَةُ، قَصْعُ الْجِرَّةُ، الْزَّاحِفُ، الْكَاهِلُ، الشَّنْقُ.

وقد تردد اسمه في العين كثيراً، غالباً بألقبه الضرير ونادراً بكنيته أبو سعيد، وما ورد له في العين لم أقف عليه في المعجمات العربية وخصوصاً الجمهرة والتهذيب وما يطبع من البارع، وهذا يدل على أن:

١- أن كتاب العين يخلو في نسخته الأصلية من هذه الروايات الكثيرة عن أبي سعيد، إذ لو كانت موجودة لما تجاهلتها هذه المعجمات التي نقلت كل ما في العين.

٢- أن نسخة العين ظلت متداولة بين أيدي العلماء في الفترة من ١٨٥ هـ إلى ٢٨٨ هـ وهي الفترة التي عاش فيها أبو سعيد عند عرض مادة العين عليه، فقد صرخ بعدم معرفة الضرير بكلمة "الغَلَوْضُ".

٣- أن هذه النقول والروايات المروية عن أبي سعيد لا يمكن بحال أن تكون من عمل مؤلف العين، سواء كان الخليل أو الليث لأنها استدراكات وردود لما قاله المؤلف، ولا يتصور أن مؤلفاً سيذكر ما يراه ثم يورد أقوال من هم دون طبقته لرد أقواله وتسفيه حُجَّجه وللننظر الأمثلة الآتية:

ففي نزع قال<sup>(١)</sup>: المَنْزَعَةُ إِذَا نَزَعْتَ يَدَكَ عَنْ فَيْكَ بِالإِنَاءِ فَنَحِيَّتِهِ، تقول إن هذا الشراب لطيب المنزع.

قال الضرير: المَنْزَعَةُ: الْجَتَذَابُ، وَهُوَ أَنْ يَجْرِعَ جَرْعاً شَدِيداً، وَوَاضِحٌ أَنْ أَبَا سَعِيدَ توجَّهُ بِالدَّلَلَةِ إِلَى مَعْنَى مَغَايِرِ لِمَا أَثَبَتَ الْخَلِيلُ، وَلَيْسَ قَوْلُ الْضَّرِيرِ فِي الْمَعْجَمَاتِ.

وفي رَجَع<sup>(٢)</sup> قال: الاسترجاع أن تقول إِنَّ اللَّهَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجُونَ، قال الضرير أقول رجع ولا أقول استرجاع، وليس قول الضرير في المعجمات.

وفي عَهْق<sup>(٣)</sup> قال: وَالْعَيْهَقَةُ عَيْهَقَةُ النَّشَاطِ وَالْأَسْتِنَانِ قال:

(١) العين ٣٥٨/١.

(٢) ٤٢٦/١.

(٣) ٩٧/١.

إن لِرَيْعَانِ الشَّبَابِ عَيْهُمَا

قال الضرير: هو بالغين وهو الجنون وقد عاقب بين العين والعين. قال زائدة هو بالعين المهمشة، واستدركه الضرير هذا، أورده الأزهري لا على أنه من كلام الضرير بل قال: "سمعناه من الثقات"<sup>(١)</sup>.

وفي زعج<sup>(٢)</sup> قال: "إِلَزَعْجَ نَقِيضُ الْقَرَارِ، أَرْعَجَتْهُ مِنْ بَلَادِهِ فَشَخَصُ، وَلَا يُقَالُ فَرَّأَعَجَ، وَلَوْقَيلَ اتَّرَاعَجَ وَازْدَعَجَ لِكَانَ صَوَابًا وَقِيَاسًا، قَالَ الضرير لا أقوله، ولكن يقال أَرْعَجَتْهُ فَرَّأَعَجَ زَعْجًا".

وقد تناولت أقوال الضرير الاستدراكيية في أجزاء العين جميعها فهي في:

- ٣٦٦، ٣٥٨، ٣٥٧، ٣٢٩، ٣٠٢، ٣٠٠، ٢٩٥، ٢٧٩، ٢٠٣، ١٩٩، ١٩٢، ١٧٤، ١٤٥، ١٠٩، ٩٨ /١  
- ٢٤٧، ٩٢، ٢٨ /٣ ، ٤٢١، ٤١٨، ٣٨٦، ٣٤٧، ٣٤٢، ٣٤٠، ٢٦٦، ٢٥٧، ٢٥٤، ٢٤٤، ٢٢٤، ٢٢٠ /٤ - ٢٤٧  
٢٩٨، ٧٢، ٢٩، ٢٨، ٢٦ /٦ - ٤٠١، ٣٦٩، ٣٥٧ /٥ - ٣٥٤، ٣٤٨، ٣٣٨، ٢٧٥، ٢٧٣، ٤٢٤  
. ٣٨٢، ٣٢٧، ٢٧ /٧ -

الليث بن المظفر :

ابن نصر بن سيار، بارع في اللغة والنحو، واشتغل بالكتابة عند البرامكة، وهو أحد تلاميذ الخليل المقربين منه، وهو قريب من الخليل سناً فقد ولد في سنة ١٢٠هـ تكريباً وتوفي سنة ١٩٥هـ<sup>(١)</sup>، وهذه الفترة قريبة من تاريخ وفاة الخليل وماورد له من ذكر في العين كان في ثلاثة عشر موضعًا أخذت الأساليب الآتية:

- ١- الرواية والنقل "قال الليث قال الخليل".
- ٢- الحوار والاستفسار "قال الليث: قلت فكيف".
- ٣- الاستدراك والزيادة، وقد ورد في ثلاثة مواضع في "الحقيقة" و"الكسع" و"الحب" وهذه الأقوال المسندة للبيهقي لم يرد منها في التهذيب سوى قول الليث عن "الحب والكرامة":  
سمعت هاتين بخراسان.

وقد اجتهد الأزهري ونسب كل ما في العين لليث مما جعل اسمه يتربّد في

(١) تهذيب اللغة عهق ٢٥ /١

(٢) العين ٢ /٢١٧.

(٣) انظر: ترجمته في نزهة الأنبياء ٤، ١٩٦، بغية الوعاة ٢٧٠ /٢

التهذيب في كل صفحة، في حين أنه لم يرد في العين إلا مرات قليلة لا يمكن عند النظر إليها وعند فحص مضمونها أن تكون مؤثرة في توجيهه نسبة العين إلى غير الخليل، وتلك الأقوال هي:

”قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب، قال الليث وهذا أسلوب متبع في رواية الكتب.

وفي مقدمة العين<sup>(١)</sup>: قال الليث قال الخليل في العربية تسعة وعشرون حرفاً وفي المقدمة<sup>(٢)</sup> أيضاً قال الليث قلت: فكيف تكون الكلمة المولدة المبتداة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف فقال نحو الكشעنج<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذا أيضاً ”قال الليث قال الخليل فالعين والحاء والخاء والغين<sup>(٤)</sup>“ ومثل هذا الأسلوب ورد في ٢٠٥٩/٢٠٤٥/٢٠٥٩.

ومما جاء بصيغة السؤال ما ورد في مادة عشر<sup>(٥)</sup>:

”قال الليث قلت: للخليل زعمت أن عشرين جمع عشر والعشر تسعة أيام، فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعة، وعشرين يوماً، حتى تستكمل ثلاثة أتساع، فقال الخليل: ثمانى عشر يوماً عِشران، ولما كان اليومان من العشر الثالث مع الثمانية عشر يوماً، سميت بالجمع، قلت: من أين جاز لك ذلك، ومثله ما ورد في ٢٠٣٢/٢٠٣٢.“

ومما جاء بصيغة الاستدراك قول الليث في مادة عرق<sup>(٦)</sup>: ”قال الخليل العرب يقول عَقَ الرجل عن ابنه يَعِقُّ إذا حلق عَقْيَته وذبح عنه شاة وتسمي الشاة التي تذبح لذلك عقيقة قال ليث توفر أعضاؤها فتطبخ بماء وملح وتطعم المساكين ومثل هذا ما ورد في مادة كسع<sup>(٧)</sup>“ وحبي.

القتبي :

وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة البغدادي ولد سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة

(١) .٥٧/١

(٢) .٥٢/١

(٣) .٥٨/١

(٤) .٢٤٦/١

(٥) .٦٢/١

(٦) .٢٢/٢ ومتلها ما ورد في كسع ١٩٢/١ وحبي.

الخليل والليث رحمها الله ومات سنة ٢٦٧ هـ<sup>(١)</sup> وقد ورد له ذكر في العين في مادة سهر وفي مادة وصر.

ففي سهر<sup>(٢)</sup>: والساهور من أسماء القمر. وقال القتبي: بل هو في ليل تمامه" وهذا قول متعقب مستدرك، ولم أقف على هذا الكلام في غريب الحديث لابن قتيبة، ولكن الأزهري أورده في التهذيب قائلاً: وقال غيره: الساهور للقمر كالغلاف للشيء ... قاله القتبي "وفي وصر<sup>(٣)</sup> قال: قال القتبي: الوصر : كتاب الشراء، والأصل: إصر ...." .

وقول ابن قتيبة في غريب الحديث<sup>(٤)</sup> .

وإذاعرفننا أن ما في العين من أقوال لابن قتيبة منقولة بنصها من غريب الحديث فهل يصح أن تحمل على غير أنها من عمل المستدركيين الذين رأوا في عمل الخليل بعض الفرج فاجتهدوا في سدها؟ إن مؤلف العين أكان الخليل أم الليث لا يمكن بحال أن يكون من أضاف هذه الأقوال، بل إن الاستدلال بها على التشكيك في نسبة الكتاب غير وجيء ولا مقبول.

رافع :

ورد اسمه في العين مرة واحدة في مادة .

تعل<sup>(٥)</sup> قال: والأئم من الثعالب ثعالبة، ويقال للذكر أيضاً ثعالبة، قال رافع: التعل دويبة صغيرة تكون في السقاء إذا خبث ريحه" وقد انتقل هذا القول إلى المحيط، ومنه إلى القاموس والتاج. ورافع المذكور لم أستطع التعرف على شخصيته وربما يكون من الأعراب، وربما يكون هو رافع والد الليث بن المظفر.

موسى :

ورد اسمه مرتين في العين، ولم أستطع التعرف عليه. وقد ورد قوله على سبيل إضافة دلالة الكلمة من صفات الفرس في مادة ضبع قال موسى: فرس ضابع إذا كان يتبع أحد شقيقيه فيثني عنقه، وهو أن يركض فيقدم إحدى رجليه ويجمع ضوابعه، ولم تظهر

(١) بغية الوعاة ٦٢/٢.

(٢) العين ٤/٧ ..

(٣) العين ٧/٧ ..

(٤) ١٩٨/٢ .

(٥) ١٠٩/٢ .

هذه الكلمة في المعجمات إلا في المحيط، التاج.

وفي عفط قال: يقال يعْفَطُ فِي كَلَامِهِ عَفْطًا، وَيَعْفُتُ كَلَامَهُ عَفْتًا، وَهُوَ عَفَّاتٌ عَفَّاتٌ، ولا يقال على وجه النسبة الأعْفَطِي، والعَفَّة ريح الجوف المصوت. قال موسى: العافط كلام الراعي للإبل، والنفيط للشاء ضائتها وماعذها والكلمتان واردتان في المعجمات، وهما في العين على سبيل الاستدراك. ولا وجود لهذا الكلام منسوباً إلى موسى في المعجمات العربية حسب اطلاقي.

أبو أحمد حمزة بن زرعة :

لم أتمكن من التعرف على هذا العلم، ولم أجده له ذكرا فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع. وقد ذكر في العين باسمه وكنيته في موضعين وذكر باسمه في ثلاثة مواضع، وما دون في العين منرأي له ليس في المعجمات التي اعتمدت العين مصدرها، وأرأوه في العين تدل على أن طبيعتها استدراكيّة تعقيبية، وهي تنم عن شخصية علمية لا عن راوية.

في مقدمة العين<sup>(١)</sup> تحدث الخليل عن حذف الحرف الثالث (الباء من يد) فقال: فلما جاء التنوين ساكنا جُمع ساكنان، فثبت التنوين لأنه إعراب، وذهب الحرف الساكن" قال أبو أحمد حمزة بن زرعة معقباً: قوله يد دخلها التنوين وذكر أن التنوين إعراب، قلت: بل الإعراب الضمة والكسرة التي تلزم الدال في يد في وجوهه، والتنوين يميز بين الاسم والفعل لأنك تقول تفعل فلا تجد التنوين يدخلها، وألا ترى أنك تقول رأيت يدك وهذه يدك وعجيت من يدك فتعرب الدال وتطرح التنوين، ولو كان التنوين هو الأعراب لم يسقط، فأما قوله فموان فإنه جعل الواو بدلاً من الذهابة، فإن الذهابة هي هاء وواو، وهذا إلى جنب الفاء، ودخلت في الميم عوضاً عنهما، والواو في فموين دخلت بالغلط، وذلك أن الشاعر يرى مما قد أدخلت في الكلمة، فيرى أن الساقط من الفم هو بعد الميم فيدخل الواو مكان ما يظن أنه سقط منه ويغلط. وفي مقدمة<sup>(٢)</sup> العين قال الخليل: "أما البناء الرباعي المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذائق، أو من بعضها، إلا كلامات نحو ما من عشر جنٍ شواذ ومن هذه الكلمات العسجد والقسطنطوس والقداحس والأشنوقه والهدعة والزهقة وهي مفسرة

(١) ٥١/١ .

(٢) ٥٣/١ .

في أمكتنها قال أبوأحمد حمزة بن زرعة: هي كما قال الشاعر:  
وَدْعُشُوقَةٍ فِيهَا تَرَّاحَ دَهْتَمْ      تَعْشَقْتَهَا لِيَلًا وَتَحْتِ جَلَاهِقْ  
فأضاف ابن زرعة هذا الشاهد.

وفي كثع<sup>(١)</sup> يقال شفة ولثة كائنة، أي كادت تنقلب من كثرة دمها وامرأة مكثعة، والفعل كثعت تكثع كثوعا، فاستدرك ابن زرعة فقال: قال أبو أحمد مكثعة على غير قياس، وعسى أن تكلمت به العرب، وعن غير الخليل لbin مكثع أي قد ظهر زبده فوقة". وفي حنذ<sup>(٢)</sup> "الحنذ اشتبأه اللحم المحنوذ بالحجارة المسخنة تقول أنا أحِنْدَه حنْدًا قال العجاج:

قال العجاج:

..... وَرَهْبَا مِنْ حَنْذَهْ أَنْ يَهْرَجَا

يعني الحمران يحذنها حر الشمسم على الحجارة، قال أبو أحمد الحنذ مصدر والحنيد والحنذ اسمان للحم، وقد يسمى الشيء بالمصدر، إلا أن هذا لم يرد به المصدر، وقوله تعالى: (فما لبث أن جاء بعجل حنيداً) أي: مشوياً.

وفي حبـ(٢) حبـذا أـي: أـحبـ بهذاـ. قالـ أبوـأـحمدـ أـصلـهاـ حـبـ ذـاـ فـادـغـمـتـ الـباءـ الـأـولـىـ  
فيـالـثـانـيـةـ، وـرمـيـ بـضـمـتـهـاـ". وـواضحـ منـ خـلـالـ هـذـهـ الـأـقوـالـ:  
ـ١ـ أـنـ أـبـاـ أـحـمـدـ وـردـ كـلـامـهـ فيـ أـسـلـوبـ الـاسـتـدـرـاكـ.  
ـ٢ـ أـنـهـ أـحـدـ الـعـلـمـاءـ فـهـوـ يـتـكـلـمـ عـنـ الـقـيـاسـ وـالـاشـتـقـاقـ وـالـإـدـغـامـ وـهـذـاـ غالـبـاـ لـيـسـ  
بـمـذـهـبـ الرـوـاـةـ.

وليس في المعجمات أثر لهذه الأقوال فيما اطلعت عليه، كما أن اسمه لم يرد فيها.

\* \* \*

.197/1 (1)

• १०४/३ (२)

۲۰۲/۲ (۵)

## الخاتمة:

بعد نظر وتنقير في العين وفيما صدر عنه من المعجمات وفيما قيل فيه عبر تاريخ علم اللغة العربي يمكن أن أخلص إلى:

- أن الكثير مما قيل عن الكتاب ومؤلفه لم يصدر عن نظر في الكتاب منهجاً ومادة بل عن صورة أسهمن في تشكيلها ووضع إطارها العلماء من باب إمكانية الحدوث أو استحالته. لا من منطلق المادة والمنهج.
- أن مادة العين في الصورة التي وصل بها إليها فيها الكثير من التعليقات والاستدراكات التي ليست في المعجمات التي صدرت عن العين خصوصاً ولا هي في المعجمات العربية عموماً.
- أن أول كتاب العين لا يخالف آخره وأقوال العلماء والرواية واستدراكاتهم وتعليقاتهم مثبتة في أول الكتاب وفي آخره.
- أن المادة العلمية التي سجلها العلماء في العين مستدركين عليه هي المادة الأولى للاستدراك في المعجمات العربية، ومع أهميتها وعظم شأنها واستحقاقها الدراسة والاهتمام ظلت بعيدة عن التأثير في الصورة التي وصل إليها المعجم العربي عند المتأخرین لأن من صدوا عن الكتاب كابن دريد والأزهري والغالبي صدوا من نسخ ليس فيها هذه الاستدراكات بعيدة عن الدراسة وعن الدخول في المعجمات العربية ولا تناقض إلا كمسوغ للشك في نسبة الكتاب.
- أن ادعاء وجود أقوال في العين لعلماء عاصروا الخليل أو جاؤوا بعده لم يشر إليها من عني بالكتاب في المشرق العربي ومن اعتمدوه مصدرًا كالإذري ولم تظهر إلا عند الزبيدي.
- أن خلو المعجمات العربية التي جاءت في المرحلة الثانية كالجمهرة والتهذيب والبارع مما ورد في العين من أقوال أولئك العلماء والإشارة إليها عند الزبيدي تدل دلالة قاطعة على أن نسخة العين الأصلية حالياً من تلك الأقوال.
- أن طبيعة تلك الأقوال استدراكية تعقيبية فهي تناقض ما أورده مؤلف الكتاب أو تكمل نقص جمعه وتدوينه ويستحيل مع هذه الطبيعة أن تكون لم مؤلف الكتاب.
- بعض الأقوال قد ورد بصيغة استفهام وفي سياق مناقشة وبمادة علمية هي من

- المادة التي تؤسس لكتاب، مما يدل على أن موردها هو مؤلف الكتاب نفسه ويتمثل هذا في أقوال أبي الدقيش وأبي خيرة وعaram.
- ٩- أن أقوال العلماء والرواية المتقدمين في الكتاب والأقوال التي نقلها المتقدمون عن الخليل كابن المعتز والحربي وأمثالهم يدل على أن قول أبي حاتم أن الكتاب لم يعرف غير مسلم له.
- ١٠- أن أقوال العلماء في العين وردت بصيغتين صيغة قال غيره أو قال غير الخليل وبصيغة الإسناد إلى أناس معينين كانوا من الأعراب المعاصرين للخليل وممن جاؤوا بعده وكانوا من العلماء الذين جاؤوا بعد طبقة الخليل وقد وصل مجموع من نص على اسمه في العين واحداً وعشرين شخصاً.
- ١١- أن الحملة التي تحمس لها الأزهري ومن بعده ثالت من قيمة الكتاب عند المهتمين بالمعجمات فبقي أثر العين المباشر في المعجمات المتأخرة محصوراً فيما ظهر لي في ثلاثة معجمات هي مقاييس اللغة ومجمل اللغة لابن فارس ومحيط اللغة لابن عباد على أن الدارس يلمح أثر الكتاب في الدراسات اللغوية بوجه عام على نحو ما نجده عند ابن هشام الخمي في المدخل إلى تقويم اللسان.
- ١٢- أن من تعرضوا لكتاب العين ومؤلفه كانوا على أربعة أقسام قسم ينسبة للخليل مع اختلاف في المقدار، وقسم يتوقف وينقل عنه بإسناد ما نقل إلى صاحب العين دون تحديد، وقسم ينفي صلة الخليل بالكتاب، وقسم يجعل بعضه مع اختلاف في المقدار للخليل وبعضه للبيث.
- ١٣- لا تزال الأقوال الواردة في العين على سبيل الاستدراك والتعقب على ما أورده الخليل بحاجة إلى دراسة تضعها في إطارها من حيث الصحة والخطأ في مجال الأصوات والتصريف والدلالة.
- ١٤- أن متقدمي النها الكوفيين قد اهتموا بالكتاب أكثر من اهتمام البصريين ولذا ورد من أقوالهم وتعليقاتهم واستدراكاتهم أكثر مما ورد للبصريين وذلك لأبي سعيد الضرير وللقاسم بن معن وابن الأعرابي، ولعل المصطلحات الكوفية التي وردت في الكتاب جاءت عن طريق هؤلاء.
- ١٥- حاجة المصطلحات القراءات القرآنية والشواهد في الكتاب إلى تتبع يدحض ما

ورد من شبّهات حولها أو يدعمها.

- ١٦ ذكر الزبيدي وبعض المحدثين أسماء ممن قالوا إن لهم أقوالاً في العين وهم غير موجودين فيما حرق نسخة العين الموجودة الآن كالمسعرى والأصماعى والزجاج.  
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين فاتحة كل خير وتمام كل نعمة.

\* \* \*

## فهرس المصادر والمراجع:

- ١- أخبار النحوين - للسيرافي، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة الحلبى القاهرة.
- ٢- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقرى - إحياء التراث الإسلامي - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٣- استدراك الغلط للزيدي - عبدالعلي الودغيري، المناهل - العدد الثامن، السنة الرابعة، ١٩٧٧م.
- ٤- الاستذكار لابن عبد البر - دار الكتب العلمية تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معاوض.
- ٥- أسماء جبال تهامة وسكانها، لعرام بن الأصبع، تحقيق عبد السلام هارون، ط١٣٧٣هـ.
- ٦- أبوزيد الأنطاري ونواذر اللغة، د. محمد عبدالقادر أحمد، ١٩٨٠م - النهضة المصرية.
- ٧- الاشتقاد لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.
- ٨- الأعراب الرواية، د. عبد الحميد الشلقاني.
- ٩- أولوية تدوين المعاجم - يوسف العشن.
- ١٠- البارع للقالى - تحقيق د. هاشم الطعان، بغداد - مكتبة النهضة ١٩٧٥م.
- ١١- البديع - لابن المعتز، نشر - أغناطيوس كراتشقوفسكي - مكتبة المثنى - بغداد.
- ١٢- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدى - تحقيق د. وداد القاضى - ط١ - دار صادر بيروت.
- ١٣- بغية الوعاة - للسيوطى، تحقيق محمد أبوالفضل --- المكتبة العصرية - بيروت.
- ١٤- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - للفيروزآبادى، تحقيق محمد المصري - ط٧: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. جمعية إحياء التراث.
- ١٥- تاريخ آداب العرب - جرجي زيدان.
- ١٦- تاريخ الإسلام - للذهبي، تحقيق عمر تدمري، ط١ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٧- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ١٨- تاريخ قضاة الأندلس - أبو الحسن المالقى - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - ط٥.
- ١٩- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم العربي - د. عبد الرزاق الصاعدي ط١.
- ٢٠- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار إحياء التراث - بيروت.
- ٢١- تقويم اللسان - لابن هشام اللكمي، تحقيق - د. حاتم الظاظن، ط١٤٢٤هـ دار البشائر الإسلامية.

- ٢٢- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق - عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة.
- ٢٣- ثمار القلوب للشعالي، تحقيق - إبراهيم صالح، ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ - دار البشائر.
- ٢٤- الثقات لابن حبان- دار الفكر- ط ١٢٩٥هـ - ١٩٧٥- تحقيق السيد شرف الدين أحمد.
- ٢٥- جذوة المقتبس للحميدي؛ تحقيق محمد بن تاویت. مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
- ٢٦- جمهرة اللغة - لابن دريد، تحقيق - رمزي البعليكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١- ١٩٨٨م.
- ٢٧- الخصائص لابن جني، تحقيق د. محمد النجار، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٨- الخليل، كتاب العين - د. هادي حمودي، ١٩٩٤م - عمان.
- ٢٩- دائرة المعارف الإسلامية. دار الشعب ١٣٨٩هـ.
- ٣٠- دراسات في المعاجم العربية. د. إميل يعقوب ط ١- ١٩٨١م- دار العلم للملايين.
- ٣١- الدلائل - للسرقسطي، تحقيق - محمد القناص، ط ١٤٢٢هـ - مكتبة العبيكان.
- ٣٢- ذيل تاريخ بغداد. لابن النجاشي - دائرة المعارف - الهند - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨.
- ٣٣- الرد على الانتقاد على الشافعى في اللغة - لأبي بكر البهيفي، تحقيق - د. عبدالكريم بكار - دار البحار.
- ٣٤- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري تحقيق حاتم الضامن ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - مؤسسة الرسالة.
- ٣٥- ستن سعيد بن منصور. دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ
- ٣٦- سير أعلام النبلاء - للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٧- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - للعسكري، تحقيق - عبدالعزيز أحمد، ط ١- ١٤٢٨هـ - ١٩٦٣م، البابي الحلبي.
- ٣٨- ضحى الإسلام - أحمد أمين، ط ١٠ - دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣٩- طبقات الشعراء - لابن المعتز - تحقيق - عبد السtar فراج، دار المعارف بمصر ط ٤.
- ٤٠- طبقات النحوين واللغويين للزبيدي - تحقيق محمد أبوالفضل. دار المعارف ط ٢.
- ٤١- شرح صحيح البخاري - دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

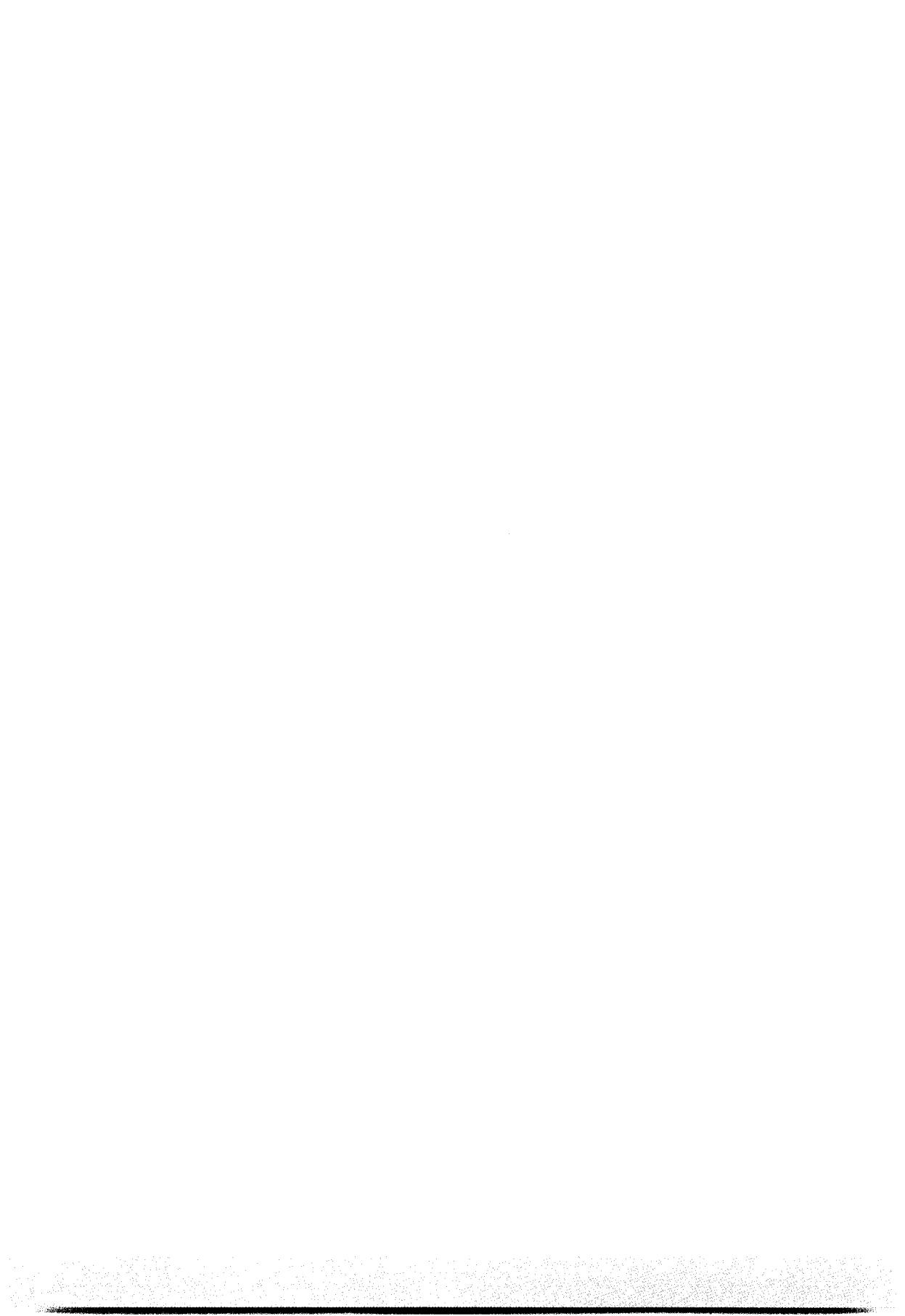
- ٤٢- عمدة القاري. شرح صحيح البخاري لابن حجر. دار الفكر. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤٣- العين في ضوء النقد اللغوي - د. نعيم البدري. ط١ - ١٩٩٩م - دارأسامة.
- ٤٤- العين للخليل بن أحمد. تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. دارالرشيد  
١٩٨٢م.
- ٤٥- الفاخر للمفضل بن سلمة، تحقيق عبد العليم الطحاوي ط١ - ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، دارإحياء  
الكتب العربية.
- ٤٦- فتح الباري. بشرح صحيح البخاري. دار الفكر. ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- ٤٧- الفهرست - للنديم. تحقيق - رضا تجدد المازندراني - إيران.
- ٤٨- في أصول اللغة - د. طنطاوي محمد دراز.
- ٤٩- غريب الحديث لابن قتيبة. تحقيق - د. عبدالله الجبوري. مطبعة العاني - ١٩٧٧م.
- ٥٠- غريب الحديث للحربي. تحقيق. د. سليمان العайд. ط١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م جامعة أم القرى.
- ٥١- الباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت  
لبنان ١٤١٩هـ ط١.
- ٥٢- لسان العرب لابن منظور. دار صادر - بيروت.
- ٥٣- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني - مؤسسة العلمي للمطبوعات - بيروت ط٢ - ١٤٠٦م  
١٩٨٦.
- ٥٤- المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة لابن جني ط١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. دار  
الكتاب العربي .
- ٥٥- مجلة الحكمة - العدد الثاني والعشرون. محرم ١٤٢٢هـ.
- ٥٦- محاولة جديدة في دراسة كتاب العين. د. صلاح مهدي الفرطوسى . من مجلة المجمع  
العلمي العراقي ط١ - المجلد الثامن والثلاثون - ١٩٨٧م.
- ٥٧- المحتسب لابن جني. تحقيق - علي البحتري ورفقاه. دار سركين. ط١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٨- المحرر الوجيز لابن عطية. دار الكتب العلمية.
- ٥٩- المحيط - لابن عباد. تحقيق - محمد آل ياسين. عالم الكتب - بيروت.
- ٦٠- مختصر العين - للزبيدي. تحقيق - نور حامد الشاذلي. ط١٩٩٦م - عالم الكتب.
- ٦١- مختصر العين للزبيدي - تحقيق - د. عبد العزيز الحميد - رسالة محفوظة في كلية

- اللغة العربية بالرياض.
- ٦٢ المخصوص لابن سيده. ط -١٣١٦هـ - المطبعة الأميرية ببولاقي.
  - ٦٣ مراتب النحوين. لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبوالفضل، دار نهضة مصر.
  - ٦٤ مرويات شمر بن حمرويه - جمع وتحقيق - د. حازم البياتي - مركز جمعه الماجد - دبي.
  - ٦٥ المزهر في علوم اللغة للسيوطى. دار الفكر.
  - ٦٦ مشكلات في التأليف اللغوى.
  - ٦٧ المعاجم العربية - د. إبراهيم نجا - ١٩٨١م - مطبعة السعادة.
  - ٦٨ المعاجم العربية - د. إميل يعقوب. دار العلم للملايين - بيروت.
  - ٦٩ المعاجم العربية. د. أمين فاخر ط١ - ١٩٨٤م. مطبعة حسان
  - ٧٠ المعاجم العربية - د. عبدالله درويش - ٦٤٠هـ المكتبة الفيضاية.
  - ٧١ معجم الأدباء - ياقوت الحموي - مطبعة عيسى البابى الحلبي.
  - ٧٢ المعجم العربى - د. حسين نصار - دار مصر للطباعة، ط٢ - ١٩٦٨م.
  - ٧٣ معجم ما استعجم للبكري - تحقيق مصطفى السقا. ط٣ - ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م. عالم الكتب - بيروت.
  - ٧٤ المعجمية العربية - أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي - ١٩٩٢م، مطبوعات المجمع العلمي العراقي.
  - ٧٥ مقاييس اللغة لابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتب العلمية - إيران.
  - ٧٦ مقدمة ابن خلدون. دار الكتب العلمية. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
  - ٧٧ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر.
  - ٧٨ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير - تحقيق د. طاهر الزاوي ود. الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت.
  - ٧٩ نوادر اللغة لأبي زيد الأنباري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد - دار الشروق - بيروت ط١٤٠هـ - ١٩٨١م.
  - ٨٠ الوافي بالوفيات للصدفي، ط٢ - مجموعة من المحققين صادر - بيروت.
  - ٨١ وفيات الأعيان - لابن خلkan - تحقيق د. إحسان عباس. دار الثقافة.

**نَقْدُ مِذَهَبِ التَّقِيِّ السُّبْكِيِّ فِي دَلَالَةِ التَّقْدِيمِ عَلَى الْحَصْرِ**  
**دِرَاسَةٌ بِلَاغِيَّةٌ**

أ.د. محمود توفيق محمد سعد

قسم الدراسات العليا العربية - كلية اللغة العربية  
جامعة أم القرى



# تقدُّم مذهب التقى السُّبُكِي في دلالة التقديم على الحَصْر

دراسة بلاغية

أ.د. محمود توفيق محمد سعد

قسم الدراسات العليا العربية

كلية اللغة العربية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

## ملخص البحث:

يقوم هذا البحثُ على مراجعة علمية ناقحة مذهب التقى السُّبُكِي (٦٨٢ - ٧٥٥هـ) فيما ذهب إليه من التفرقي بين الاختصاص والحصر، وإلى أنَّ تقديم المعمول على عامله يفيد الاختصاص، ولا يفيد الحصر ، مستدلاً بأنَّ الفضلاء من أهل العلم لم يقل أحدٌ منهم بأنَّ هذا التقديم يفيد الحصر، ولم يجر هذا المصطلح على ألسنتهم ، وما جرى هو إفادته الاختصاص . وقد أبان البحثُ عن مرتعية مذهب التقى في هذا، وناقشه، وأبان عمما فيه من مجاوزة منهجية ، وما في تأويله البيان من نظرٍ . وانتهى إلى أنَّ الذي عليه البلاغيون من أنَّ بعض صور تقديم المعمول على عامله في بعض السياقات يُفيد الحصر بمدلوله الاصطلاحي عند البلاغيين، وأنَّ العلماء الذين استند إليهم التقى السُّبُكِي لا يذهبون مذهب التقى . وأثبت البحثُ أنَّ من جلة العلماء المتقدمين من صرح بإفاده التقديم الحصر على خلافٍ ما زعمَ ، ولو أنَّ التقى السُّبُكِي قال بأنَّ الاختصاص هو الغالب والحصر نادر، لكان لما قال وجہ يُسکت عن مراجعته، ولو أنَّه راجع ما قال أهلُ العلم مراجعة استقرائية ناقحة لرجوع عمما ذهب إليه، فالتقى على الرغمِ من أنَّه أصوليٌّ فقيه لم يستثمر عقله الأصولي في الالتزام بضوابط المُناقحة العلمية للبلاغيين في هذه المسألة.



من معهود جمهرة أهل العلم في زمن التقى السبكي : علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي (٦٨٢ - ٧٥٥ هـ) (١) تدوين رسائل في مسائل مفردة. هي أشبه بالمقالات العلمية في زماننا، فما يكاد العالم يناقشُ مسألة إلا ويسجل ما يذهبُ إليه في رسالة، فكثرة الرسائل العلمية المنسوبة إلى أهل العلم، وهذا نهج حميدٌ حفظ لنا غير قليلٍ مما أنتجته عقولهم.

التقى السبكي تعدد رسائله ، وكان لولده تاج الدين السبكي فَضَلَّ في رصد أسماء رسائل أبيه العلمية ، ومؤلفاته ، وهذا ما تراه في ترجمته في طبقات الشافعية ، وهو متداولٌ في أيدي أهل العلم . ونقل بعضاً من رسائله في مجموع فتاوى السبكي من خط أبيه التقى كما صرخ في فاتحة الفتاوى . ورسائل التقى السبكي متعددة فنونها ، والذي يعنيه الآن ما هو ذو علاقة ببلاغة العربية ، ومن أهم تلك الرسائل :

- رسالة : الاقتراض في الفرق بين الحصر والقصر والاختصاص .
- رسالة : الإغريض في الفرق بين الحقيقة والمجاز والكلامية والتعريض (٢).
- رسالة : الرفدة في معنى وحده (٣).
- رسالة : نيل العلا في العطف بـ(لا) (٤).
- أحكام (كل) وما عليه تدل (٥).
- الإقناع في الكلام على أن (لو) لامتناع .

(١) من شاء مزيداً من ترجمة التقى السبكي فدونه كتاب ولده التاج السبكي "طبقات الشافعية" تحقيق عبد الفتاح الحلو . ومحمد الطناحي . الجزء العاشر - طبعة الحلبى بالقاهرة فهو أوثق وأوفى ما ترجمه من المصادر.

(٢) قدمتُ الرسالة محققة مشرورة في مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر . المنوفية .  
٢) نشر الدكتور زياد أحمد الحاج إبراهيم هذه الرسالة محققة في مجلة معهد المخطوطات العربية مج: ٢٨ ع ٢ - شوال : ١٤٠٤ هـ . وهي منشورة في كتاب (الأشبه والنظائر في النحو للجلال السيوطي).مراجعة فائز ترجيني . دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١٤١٤ هـ . ح ٤ ص ١٤٢-١٥٢ .

(٤) نشر الدكتور خالد عبد الكريم جمعة الرسالة محققة في مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٢٠ ج ١-٢ هـ . وهي منشورة في الكتاب العربي - بيروت - ط ١٤١٤ هـ . ح ٤ ص ١٣٧-١٤٢ .

(٥) نشرت بتحقيق د. جمال مخيمر بالقاهرة ١٩٨٥م. ثم بتحقيق د. طه محسن في بغداد ٢٠٠٠م.

- بيان حكم الربط في اعتراض الشرط على الشرط<sup>(١)</sup>.
- التعظيم والمنة في (الؤمن به ولتنصرنه).
- وشي الحل في تأكيد النفي (لا).
- البصر الناقد في " لا كلمت كل واحد".

ورد نص رسالته "الاقتناص في الفرق بين الحصر والقصر والاختصاص" في كتاب "عروض الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" لولده البهاء السبكي<sup>(٢)</sup> (٦٧٧٢هـ) في مبحث "تقديم معمولات الفعل عليه"<sup>(٣)</sup> وفي كتاب "فتاوي السبكي" التي جمعها ولده "التاج" (٦٧٧١هـ).

وورد في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطى، وفي كتاب "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده.

ويعد كتاب "عروض الأفراح" للبهاء السبكي، و"فتاوي السبكي" "جمع التاج السبكي من أوثق المصادر في هذا، فالفتاوي يقول ولده التاج في مفتحتها: "وبعد فهذه آيات متفرقة، وفتاوي في مسائل من الفقه متعددة، من كلام شيخ الإسلام الشيخ الإمام تقي الدين آخر المجتهددين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تamar السبكي الشافعى، تغمد الله برحمته، منقوله من خطه حرفا حرفا، فإذا قلنا: قال الشيخ الإمام، إلى أن نقول: "انتهى" فاعلم أن ذلك كلامه نُقل من خطه، ولم يُنقل عنه شيء بالمعنى، بل بالعبارة، وكذلك إذا أطلقنا، وكذا المسألة، فاعرف أنها منقوله من خطه حرفا حرفاً.

فهذان مصدرايان عاليان يوثق بناقلهما، بل ما في "الفتاوى" نقل من نسخة المؤلف، وما في "العروض" إن لم يكن نقلًا من نسخته، فالناسخ إمام في علم البلاغة، فوق أنه ولد المؤلف.

\* \* \*

(١) حققت في جامعة أم القرى سنة ١٤١٤هـ.

(٢) عروض الأفراح ج ٢ ص ١٥٤ ( ضمن شروح التلخيص - ط: عيسى الحلبي - القاهرة ) وعروض الأفراح - تحقيق: خليل إبراهيم - ط: دار الكتب العلمية: ١٤٢٢هـ . مج ١: ص ٤٧٨ .

محاور مقال التقى السبكي (٦٨٣-٧٥٥هـ في رسالته "الاقتناص":

قام قول التقى السبكي في رسالته على محاور منها:

- ١- تقرير موقف الناس من إفادة تقديم المعمول الاختصاص، فمنهم من قال به، ومنهم من ينكر ذلك ويقول: "إنما يفيد الاهتمام، وهو مفاد مذهب سببيويه إذ قال في كتابه: وهم يقدمون ما هم به أعنـى. أما البيـانـيون فـعلـ إـفادـتـهـ الاختـصاصـ وـمنـ النـاسـ منـ يـفـهـمـ منـ الاختـصاصـ الحـصـرـ. وـلـيـسـ كـذـلـكـ . وإنـماـ الاختـصاصـ شـيءـ وـالـحـصـرـ شـيءـ آخرـ. وـالـفـضـلـاءـ لـمـ يـذـكـرـواـ فـيـ ذـلـكـ لـفـظـةـ الـحـصـرـ. وإنـماـ قـالـواـ الاختـصاصـ".
- ٢- أخذ في إيراد مقالات أهل العلم معتمداً على الزمخشري في تفسيره "الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل" ، ساعياً إلى تأويل مقالتهم. ومناقشـاـ منـ يـذـهـبـ إـلـىـ القـوـلـ بـإـفـادـةـ التـقـدـيمـ الحـصـرـ.
- ٣- يقرر أنَّ من يتبع موقع تقديم المعمول في الكتاب والسنة ، وأشعار العرب لا يرى إفادة الحصر، بل الاختصاص، ويدفع مقالة القائلين بالحصر، ويتعجب من ذلك.
- ٤- يُبين لنا أنَّ مسالك الحصر في العربية ثلاثة ، ويجعل أسلوب التقديم أدناها - على فرض التسلیم الجدلی عنده - وهو لا يعُد منها هنا العطف بلا ولكن وبل، على الرغم من أنه فيها يقول بإفادة قوله: "زيد كاتب لا شاعر" ، قصر الموصوف إفراداً كما يقول البلاغيون<sup>(١)</sup> وكذلك لم يعد تعريف الطرفين، ولا ضمير الفصل، على الرغم من أنَّ الأصوليين يقولون بإفادتهما الحصر، ولم يذكر ما عده الأصوليون من أساليب مفهوم المخالفة، وتحصيص العام بالمتصل .

وهذا ما يعمل هذا البحث على مناقدته تفسيراً وتقويمـاً، كشفـاً لوجه الحقـ في المسألـةـ بالـحـجـةـ وـالـبرـهـانـ .

\* \* \*

(١) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو للسيوطـيـ: ٤٧٤.

**نقد التصور العلمي لدلالة التقديم عند التقى السبكي:**

تنتمي المسألة التي يتكلّم فيها التقى إلى باب : دلالة الصورة (الأسلوب) على المعنى، ووجه دلالتها، ومستوى دلالتها، وهي مسألة تقوم في عدة فنون من العلم، منها علم أصول الفقه، وعلم التفسير، وعلم البيان .... ولكل علمٍ من هذه العلوم منهاجه وأدواته وغايته التي يحط رحاله عندها ، وهي غایاتٌ متفاوتةٌ، أبعدها غایةُ البلاغيَّ . وأقربُها غایة المفسر، فهم المفسر كشف المعنى المكنون في الصورة (الأسلوب) وليس من همه الحكم عليه ، ولا من همه بيان جهة دلالة الصورة على المعنى ، ولا كيفية الدلالة ، ولا مستوى دلالة الصورة على المعنى ، هو مهموم باستنباط المعاني المكنونة على تنوعها سواء كانت معانٍ عقليةً أو نفسيةً، أو معانٍ عقديةً أو شرعيةً أو أخلاقية . كل ذلك عنده سواء ، فإذا ما قام بذلك فقد وقى حق الفريضة ، وليس بالمسؤول عن ما وراء ذلك .

والأصوليُّ غايته استنباطُ المعاني الشرعية القائمة بالأمر والنهي ، ومهمومُ ببيان مستويات الدلالة ، والعلاقة بين هذه المعاني الشرعية عموماً وخصوصاً ، وإطلاقاً وتقيداً ، ومهمومُ بدرجات الدلالة ليماضي بينها حين تعارض كما هو معهود في النظر الأصولي في النصوص التي تحتمل وجوهاً متنوّعة.

والبلاغيُّ غايته أبعد ، وأبسطُ مجالاً ، وأكثرُ أبعاداً ، هو لا يقتصرُ نظره على استنباط نوع من المعاني ، ولا على تحليل صور المعاني أو ما يعرفُ بخصائص التراكيب ، ومن يقرأ مفتتح كتابِ "أسرار البلاغة" يقفُ عند قول عبد القاهر الكاشفي عن مقصدِه من هذا الكتاب :

"واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق ، ومن أين تجتمع وتفترق ، وأفضل أجناسها وأنواعها ، وأنتبه خاصها ومشاعها، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل، وتمكنها في نطابه، وقرب رحيمها منه، أو بعدها- حين تُنسب- عنه، وكوئنها كالحليف الجاري مجرى النسب، أو الزنيم الملتصق بالقوم لا يقبلونه، ولا يمعضون له، ولا يذبون دونه (١)."

(١) أسرار البلاغة، لعبد القاهر، قراءة وتعليق محمود شاكر. ط: الحاجي. القاهرة - ص ٢٦ .

هذا يدلُّ على موقف البلاغي من المعنى ، على تنوعه وتعده . وأنَّ أسرارَ بلاغةً أي خطابٍ عالٍ إنما مَعْدُنُها ومَكَنْزُها هو المعنى ، وخصائصُ المعانِي في صدر المتكلِّم هي مُنْتَجٌ خصائصُ التراكيب في لسانِه ، فما خصائصُ التراكيبِ إلا ولادُ خصائصِ المعانِي التي تفعُّم قلبَ المتكلِّم ، يقولُ صُحَارُ العُبْدِيَّ لَسِيدِنَا مَعاوِيَةَ في هذا : " ذلك شيءٌ تَجَيِّشُ بِهِ صُورُنَا فَتَقْذِفُهُ عَلَى الْسِنْتَنَا " .  
وتقرأً في مفتاح كتابه " دلائل الإعجاز " قوله :

" ومن المعلوم أنَّ لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجرها [ يقصد البلاغة والفصاحة والبراعة والبيان ] مما يفردُ فيه اللفظُ [ أي الصورة ] بالمعنى والصفة ، وينسب فيه الفضلُ والمزيةُ إليه دون المعنى [ أي الغرض والمعنى غير المصوَّر المطروح في الطريق ] غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة . ثم تترجمها في صورة هي أبهى وأزين . وأنق وأعجب . وأحق بأن تستولي على هوى النفس . وتثال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن تطلق لسان الحامد . وتطيل رغم الحاسد .

ولا جهة لاستعمال هذه الخصالِ غير أنْ يُؤْتَى المعنى من الجهةِ التي هي أصلٌ لتأديته . ويختارَ له اللفظُ الذي هو أخصُّ به ، وأكشفُ عنه ، وأتمَّ له ، وأحرَّي بأن يُكسَبَه نُبلاً . ويظهرَ فيه مزيةً <sup>(١)</sup> .

تقرأُ ذلك فتقف على موقف البلاغي من تشكيل المعنى في صدر المتكلِّم . ثم تصويره في لسانه ، ثم دلالة صورة المعنى المتقاذفة على لسانه على المعنى المكنون في صدره . ومستوى الدلالة . جلاءً وخفاءً . قوَّةً وضُعْفاً . وكذلك جهةُ دلالتها على المعنى .

كلُّ ذلك مشغولة العقلِ البلاغي ، فهو أكثرُ العقولِ الثلاثة عملاً في النصّ .  
والتقى السبكيُّ الغالبُ عليه العقلُ الأصوليُّ الفقهي . والعقلُ المفسِّر . فقد أفلَّ تفسيرًا مات قبلَ تمامه : " تفسير الدرُّ النَّظيم في تفسير القرآن العظيم " كما أنه تولَّ تدريس تفسير " الكشاف عنْ حِقَائِقِ التَّنْزِيل " للزمخشري . ويأتي العقلُ البلاغيُّ عنده من دونهما . وهو في هذه المسألة يقدِّم أهلَه العقلُ البلاغيُّ . ولم يكن في

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر . قراءة وتعليق محمود شاكر . ط: الخانجي . القاهرة - ص ٤٣ .

نقده متخدًا أدوات البلاغي في النظر.

تناول هذه المسألة من جهة النظر العلمي ، ثم عرض لتأويل بعض من الآيات على منهج تصوّره العلمي للمسألة.

يستفتح قوله في الرسالة بأنّه " قد اشتهر كلام الناس في أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، ومن الناس من ينكِر ذلك، يقول : إنما يفيد الاهتمام، وقد قال سيبويه في كتابه : وهم يقدمون ما هم به أعنى " (١).

كأنه يدفع هنا مقالة من يمنع القول بِإفادة التقديم الاختصاص ، ويصرّها على الاهتمام ، والذين أنكروا إفادة التقديم " الاختصاص " كأستاذ أبي حيان في " البحر المحيط " بناءً على أنّ معنى " الاختصاص " عنده هو " الحصر" ، وهو المعنى المعهود المشهور ، وليس بمعناه عند التقى السبكي . فالاختصاص عنده غير " الحصر" ، وليس " الحصر" عنده درجة من درجات " الاختصاص " . بل هو ضرب آخر من المعاني لا يفترق عن الاختصاص في الدرجة . وإنما في المعنى والمدلول ، فهما مصطلحان متبايانان عنده . وعلى ذلك يكون عنده القائلون بنفي الاختصاص . وقصر دلالة التقديم على الاهتمام ، هم في مآل قولهم قائلون بنفي دلالة التقديم على الحصر .

والتقى يستشهد بقول سيبويه في باب " الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول " وهو يتحدث عن تقديم المفعول على الفاعل :

" فإن قدّمت المفعول وأحرّت الفاعل جرّ اللفظ كما جرى في الأول ، وذلك قوله : ضرب زيداً عبد الله " لأنك إنما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدمًا ، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرًا في اللفظ . فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدمًا . وهو عربي جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانوا جميعاً يهِمُّنَّهم وبِعْنَيَانَهُم " (٢) .

وغير خفي أن هذا النص من سيبويه في تقديم المفعول على الفاعل ، لا على الفعل ، وكلامنا إنما هو في تقديم المفعول على الفعل ، فهو الذي يدل على الحصر أحياناً عند البلاغيين . وليس تقديم المفعول على الفاعل . وعلى هذا لا يكون استشهاد أو

(١) عروس الأفراح للبهاء السبكي ( ضمن شروح التلخيص - ط: عيسى الحلبي أ ج ٢ ص ٤١٥ ) .

(٢) الكتاب لسيبوه . تحقيق: عبد السلام هارون . ط: دار الجليل ، بيروت . ج ١ ص ٣٤ .

استئناسُ التقيِّ السبكيِّ بعبارة سيبويه محكماً.

ولسيبوه عبارةٌ أخرى هي أولى بالاستشهاد ، وهي قوله في ”باب ما يكون فيه الاسمُ مبنياً على الفعل قَدْمَأَ أو أَخْرَأَ، وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم“ : ”فإذا بنيتَ الاسمَ عليه قلتَ : ”ضربتُ زيداً“ وهو الحدُّ ، لأنَّك ت يريد أن تُعْمِلَه وتحملَ عليه الاسمَ كما كان الحدُّ ”طَرَبَ زَيْدٌ عَمَراً“ حيث كان زيداً أولَ ما تشغَلُ به الفعل ، وكذلك هذا إذا كان يَعْمَلُ فيه . وإنْ قدَمتَ الاسمَ ، فهو عربٌ جَيْدٌ ، كما كان ذلك عربياً جَيْداً ، وذلك قوله : ”زيداً ضربَ“ .  
والاهتمامُ والعناء هنا في التقديم والتأخير سواءً مثله في ”طَرَبَ زَيْدٌ عَمَراً“ و ”طَرَبَ عَمَراً زَيْدَ“ .<sup>(١)</sup>

وعبد القاهر عندما ذكر نصَّ سيبويه ، وبيان النحوة له أيضاً . نَعَيَ على بعضِ أهل العلم أنَّهم لا يُعنون ببيان علة العناية ، فقال عن التفاتهم إلى دلالة التقديم على العناية بالمعنى المفعول ، سواءً قَدْمَ على الفعل أو الفاعل :

”فهذا جيدٌ بالغٌ إلا أنَّ الشأنَ في أنه ينبغي أن يُعرف في كلِّ شيءٍ قَدْمٌ في موضع من الكلام مثلُ هذا المعنى ، ويُفسِّرُ وجه العناية فيه هذا التفسير . وقد وقع في ظنون الناسِ أنَّه يكفي أن يُقال : إنه قَدْمٌ للعناء ، ولأنَّ ذكره أهْمٌ من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبِمَ كان أهْمٌ؟ ولتخيلهم ذلك . قد صَغَرَ أمرُ التقديم والتأخير في نفوسيهم“ .<sup>(٢)</sup>

والتقى يبيِّنُ أنَّ البيانيين على إفاده التقديمِ الاختصاص ، ولكنه لا يرى أن الاختصاص عندهم هو الحصر ، بل هو التوكيد والتقرير ، وينبع على أساسِ أنَّهم يفهمون من الاختصاصِ الحصر ، فإذا قُلْتَ : ”زيداً ضربَ“ يقولُ معناه : ما ضربَ إلا زيداً . ويدفعُ ذلك ، فالاختصاصُ شيءٌ والحصرُ شيءٌ آخرُ . ويؤكِّدُ أنَّ الفضلاء لم يذكُروا في ذلك لفظةَ الحصر . وإنَّما قالُوا الاختصاصُ .<sup>(٣)</sup>

وهو بهذا يفرقُ بين المصطلحين ، ومجملُ التفريق عنده أنَّ الاختصاص افتِعالٌ مِنْ

(١) الكتاب: ٨٠-٨١/١.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٠٧-١٠٨ .

(٣) عروس الأفراح ٢/١٥٥ .

الخصوص . والخصوص مركب من شيئين :

أحد هما عام مشترك بين شيئين أو أشياء .

والثاني : معنى متضمن إليه يفصله عن غيره كضرب زيد . فإنه أخص من مطلق الضرب . فإذا قلت : ضربت زيداً ، أخبرت بضربي عام وقع منه على شخص ، فطار ذلك الضرب المخبر به خاصاً لما انضم إليه منه ومن زيد .

وهذه المعانى الثلاثة ، أعني مطلق الضرب ، وكونه واقعاً على زيد ، قد يكون قد المتكلّم لها ثلاثة على السواء ، وقد يتراجح قصده لبعضها على بعض . ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه . فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح في غرض المتكلّم .<sup>(١)</sup>

القول بأن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به ... ليس على إطلاقه ، وإنما يتحقق هذا إذا كان الابتداء معدلاً بما هو معهود ، فأتى إذا ما قلت : "كتب محمد الدرس" لم يكن تقديم الفعل كتب "دالاً على اهتمامك بالفعل ، لا الفاعل أو المفعول ، لأن الابتداء بالفعل هو المعهود ، فليس ثم عدول عن المعهود يلفت إلى شيءٍ زائد ، فعبارة التقى غير محررة .

ولهذا كان قوله من بعد : "إذا قلت : زيداً ضربت" علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود .<sup>(٢)</sup> هو المشتمل على الابتداء بما ليس معهوداً الابتداء به . فكان هذا حاملاً دالة زائدة على ما يحمله التركيب المعهود .

وأنت إذا ما نظرت في عبارته تلك ، كان لك أن تحلّها إلى قوله : "إثبات خصوص الضرب على زيد ، ونفيه غيره ، أي ضرب غيره ."

وهذا جامع في مآل معناه بين مدلولين : نفي وإثبات ، والمنفي ضد المثبت ، وهذا هو جوهر مدلول الحصر .

ثم انظر قوله : "هو المقصود" . ألا يفيد هذا معنى الحصر؟ فضمير الفصل : (هو) يفيد في هذا التركيب معنى الحصر تأسيساً أو توكيداً لما أسسَ بغيره ، كما في "محمد هو الكريم لا خالد" ، والأصوليون على أن ضمير الفعل مسلكاً من مسالك الحصر عندهم .

(١) السابق / ٢٥٦ .

(٢) السابق / ٢٥٦ .

## وَكَذَلِكَ الْبَلَاغِيُّونَ (١)

ويزيد التقىُ الأمَرَ بِيَابَانًا عَلَى فَهْمِهِ، وَهُوَ "أَنَّ كُلَّ مُرْكَبٍ مِنْ خَاصٌ وَعَامٌ لَهُ جِهَتَانِ". فَقَدْ يَقْصُدُ مِنْ جِهَةِ عَمُومِهِ، وَقَدْ يَقْصُدُ مِنْ جِهَةِ خُصُوصِهِ، فَقَصْدُهُ مِنْ جِهَةِ خُصُوصِهِ هُوَ الْاخْتِصَاصُ، وَإِنَّهُ هُوَ الْأَعْمَ الأَهْمُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ. وَهُوَ الَّذِي قَصَدَ إِفَادَةُ السَّامِعِ مِنْ غَيْرِ تَعْرُضٍ وَلَا قَصْدٍ لِغَيْرِهِ بِإِبَاتٍ وَلَا نَفْيٍ. (٢)

كَلَامُهُ هَذَا قَائِمٌ عَلَى تَحْكُمٍ فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ بِالتَّقْدِيمِ، وَهَذَا لَا يَسْلِمُ لَهُ إِلَّا بِاسْتِقْرَاءِ تَامٍ لِمَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنْ صُورِ التَّقْدِيمِ، وَلِمَا جَاءَ عَنْهُمْ مِنْ فَهْمٍ لِمَدْلُولِ هَذِهِ الصُّورِ، فَالْقُولُ بِأَنَّ التَّقْدِيمَ تَرْكِيبٌ يَقْصُدُ مِنْ جِهَةِ خُصُوصِهِ لِإِفَادَةِ مَعْنَى مُتَعَيْنٍ لَا غَيْرَ، هُوَ قَصْدُ إِفَادَةِ السَّامِعِ أَنَّ الْمَقْدِمَ هُوَ الْأَهْمُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقُولَ فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ إِشَارَةً إِلَى حُكْمِ غَيْرِهِ.

وَهَذَا مَا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَدْعُيهِ، فَيَسْلِمُ لَهُ، فَإِنَّا مَا ثَبَّتْ أَنَّ الْعَرَبِ مِنْ يَقْدِمُ وَيَفْيِدُ الْأَمْرَيْنِ مَعًا: إِفَادَةُ السَّامِعِ أَنَّ الْمَقْدِمَ هُوَ الْأَهْمُ بِلِ الْمُخْصُوصِ بِالْحُكْمِ، وَأَنَّ مَا عَدَاهُ لَا يَثْبِتُ لَهُ الْحُكْمَ.

فَهَذَا يَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ مَعْهُودِ الْعَرَبِ فِي خَطَابِهِا فَهْمًا وَإِفْهَامًا.

"روى ابن وهب عن مالك عن أبي الرجال عن أمّة عمرة أنّ رجلين استبا في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال أحدهما للأخر: والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية. فاستشار عمر في ذلك فقال قائل: مدح أباه وأمه، وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا، نرى أن يجلد الحد، فجلده عمر ثمانين". (٢)

وَعَمَرُ الْعَدْلُ لَا يَقْيِيمُ الْحَدَّ إِذَا مَا كَانَ شَبَهَهُ فِي دَلَالَةِ الْعِبَارَةِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ يَدِلُّ بِمَنْطُوقِ عَبَارَتِهِ عَلَى نَفِيِ الْفَاحِشَةِ عَنْ أَمَّهُ، وَيَبْتَهِ لِأَمِّ الْمُخَاطِبِ، وَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ الْحَصْرِ وَلَوْ كَانَتْ دَلَالَةُ النَّظَمِ عَلَى هَذَا مَرْجُوحَةً أَوْ ضَعِيفَةً، لَمَا أَقَمَ عَمَرُ الْحَدَّ بِهَذِهِ

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه لبر الدين الزركشي، ط: وزارة الأوقاف، الكويت، ١٤٠٩هـ / ٤٥٦. والمطول للسعد، ط: تركيا، سنة ١٢٣٠، ص ١٠٤.

(٢) عروس الأفراح: السابق: ٢٠٦.

(٣) المغني في فقه الإمام أحمد، لأبي محمد ابن قدامة المقدسي، ط (١) ١٤٠٥هـ، دار الفكر - بيروت، ج ٢٠٤/١٠١، و مختصر اختلاف الفقهاء للطحاوي: ج ٢/٢٨٦، والمجموع في الفقه الشافعي: ج ٢٠، ص ٦٠، والحاوي في فقه الشافعي - الماوردي، ط (١) دار الفكر، بيروت: ج ١١/١٢٢.

العبارة.

وإذا ما نظرت في مادة (خص) أفيت أن مدلولها قائمٌ من أمرین :  
الأول أن تجعل شيئاً لشيءٍ ، والآخر ألا يكون ذلك الشيء لغيره ، فكلّ من يسمع  
قولك: خصتُ محمدًا بالدخول، يفهمُ فطرةً أن الدخول مقصورٌ على محمدٍ . وغیره  
ليس مسكوناً عن حاله، بل غیره مفهوم حالي أنه لا يشارک محمدًا في الدخول، وإنما  
كان قولك: خصتُ محمدًا بالدخول، مساوياً قولك : أذنت أو سمحت لمحمدٍ  
بالدخول، وهذا لا يقال .

يقول ابن منظور في لسان العرب: "خصه بالشيء يخصه خطاً وخصوصاً وخوصصيةً  
وخوصصيةً - والفتح أفصح - وخاصيص وخصوصه واحتضنه أفراده بدون غيره".  
فالمعنى الوضعي للاختصاص هو إفراد شيءٍ بشيءٍ ، ولا يكون إفراد إلا إذا كان  
هناك إثباتٌ ونفي . أي إثبات أمر (الدخول) لأمر(محمد)، ونفيه (الدخول) عن غيره (غير  
محمد).)

فالقول بأن ما عدا المذكور مسكونٌ عنه ليس هو من المعنى الوضعي لهذه  
الكلمة. لأنه لا يكون تمييزاً وإفراداً لشيءٍ بشيءٍ ونحن لا نعلم حكم غیره من  
مشاركته فيه أو عدم مشاركته فيه . ولو قلت لأي سامع : أريد بقولي : "خصت  
محمدًا بالدخول " وفهمَ أن غیره قد يكون مأذوناً له بالدخول معه ، لكان هذا منكراً  
عليه ، لأنَه يخالفُ معهودَ العربِ في خطابها فهماً وإفهاماً . فالمدلولُ الحقيقى  
للخاصيص هو إفراد شيءٍ بأمر، ومنع غيره من أن يشاركه فيه ، وهذا هو جوهر  
الحصر<sup>(١)</sup>.

ويبيّن التقى مدلول "الحصر" بأن "معناه نفي غير المذكور، وإثبات المذكور . ويعبر  
عنه بما وإلا، أو يائناً .  
فإذا قلْت : ما ضربت إلا زيداً، كُنتَ تفيت الضربَ عنْ غيرِ زيدٍ واثبته لزيدٍ ، وهذا  
المعنى زائدٌ على الاختصاص .<sup>(٢)</sup>

(١) لمزيد من التدقيق راجع كتابي : دلالة الألفاظ على المعانى عند الأصوليين . ط (٢) : مكتبة وهبة . القاهرة  
سنة ١٤٣٠، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٢) عروس الأفراح: ٢/١٥٦

ما جاء به غير مدفوع ألوه ، وغير مسلم عموم آخره ، وهو " وَهَذَا الْمَعْنَى زَانِدُ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ " فليس "الحصر" معنى زائداً على الاختصاص، بل هو درجة من درجات الاختصاص . يفهم بالسيادي والقرائن . ولهذا ذهب البينانيون إلى أن إفادة التقديم الحصر إنما هو بالفحوى ، وليس بالوضع كما في النفي والاستثناء ، وإنما ، والعلطف بلا ، ونحوها <sup>(١)</sup> .

طرق الحصر عند التقى في رسالة "الاقتراض" :

يجعل التقى للحصر طريقين ، ثم يذكر الثالث على سبيل التسليم الجدل :

الطريق الأول : (ما وإلا) .

والطريق الثاني (إنما) .

يقول : ".... الْحَصْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

(أحدهما) : بـ "ما وإلا" كقولك : "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ" ، صريح في نفي القيام عن غير زيد . ويقتضي إثبات القيام لزيد ، قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم . وهو الصحيح ، لكنه أقوى المفاهيم ، لأن "إلا" موضع لاستثناء ، وهو الإخراج ، فدلائلها على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم ، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام ، بل قد يستلزمـه ، فلذلك رجـحـناـ أنهـ بالـمـفـهـومـ . <sup>(٢)</sup>

دلالة الاستثناء على حكم ما قبل "إلا" بطريق اللغة المنطوقـاـ ، وعلى ما بعدهـاـ يـمـقـتـضـيـ العـقـلـ الدـالـ علىـ أنـ إـخـرـاجـ "إـلاـ" ماـ بـعـدـهاـ عـمـاـ قـبـلـهاـ يـلـزـمـهـ دـخـولـهـ فـيـمـاـ هـوـ نـقـيـضـ ماـ حـكـمـ يـهـ عـلـيـهـ . فـيـتـعـيـنـ الدـخـولـ فـيـ الإـثـبـاتـ ، فـالـدـالـلـةـ عـلـىـ حـكـمـ ماـ بـعـدـ "إـلاـ" منـ بـابـ دـالـلـةـ الـلـفـظـ عـلـىـ لـازـمـ مـسـمـاـهـ . <sup>(٣)</sup> وإذا ماـ كـانـتـ دـالـلـةـ عـلـىـ إـثـبـاتـ بـالـمـفـهـومـ ، وـعـلـىـ الـنـفـيـ بـالـمـنـطـوـقـ ، فـيـنـ المـقـصـودـ

(١) مفهوم الفحوى هنا هو المفهوم البلاغي ، وليس الأصولي ، فالفحوى عند الأصوليين هو ما يعرف بمفهوم المواجهة . وكلماتنا هنا في مفهوم المواجهة ، ينظر : مفتاح العلوم للسكاكى ط: مصطفى الحلىي - ١٤٢٥هـ . ص ٤١ . وعروض الأفراح: ٢٠٤-٢٠٢: والمطلول للسعد . ط: تركيا سنة ١٢٣: ص: ٢١٤ . دلالات التركيب دراسة بلاغية ، للدكتور محمد أبوالموسى ط(٢) ١٤٠٨هـ . مكتبة وهبة ، القاهرة : ١٧٢ .

(٢) عروس الأفراح: ١٥٨/٢

(٣) لمزيد من المراجعة في هذا ينظر كتابي : دلالة الألفاظ على المعانى عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية . ص ٢٩٨ .

الرئيس هو إثبات الحكم لما بعد إلا، وليس نفيه عن غيره، بل نفيه عن غيره مقصودًّا تبعًا، فإذا قلت : ”ما قامَ إلا زيدٌ“، فقصدك الرئيس، هو إثبات القيامِ لزيدٍ وحده، ونفيه عن غيره مقصودًّا تبعًا، ولا معارضةٌ بينَ أن يكونَ المقصودُ الرئيسُ هو الإثبات ، وطريقُ الدلالة عليه هو المفهوم .

(والثاني ) : الحصرُ بـ ”إنما“ وَهُوَ قریبٌ مِنَ الْأَوَّلِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ جَانِبُ الإِثْبَاتِ فِيهِ أَظْهَرَ، فَكَانَهُ يُفِيدُ إِثْبَاتَ قَيَامِ زَيْدٍ إِذَا قُلْتَ : ”إِنَّمَا قَامَ زَيْدٌ“ بِالْمُمْتَوْقِ وَنَفِيَ عَنْ غَيْرِهِ بِالْمَفْهُومِ .<sup>(١)</sup>

التقى في قوله بإفاده ”إنما“ الحصر يجري على مذهب إمامه الشافعى في كتابه ”الأم“ فقد جاء تأويله قول النبي صلى الله عليه وسلم : ”إنما الولاء لمن أعتق“<sup>(٢)</sup>. قال الشافعى : ”بين في قوله ”إنما الولاء لمن أعتق“ أنه لا يكون الولاء إلا لمن أعتق“<sup>(٣)</sup>.

وهذا من الشافعى حجة قوية، فهو من يتحقق بلغته أداء، وبفهمه لسان العربية . فيؤخذ منه البيانُ وتبيينه .

وفي كلام التقى إشارة إلى وجه المفارقة بين ”إنما“ و ”ما“، و ”إلا“ فيما يتعلق بركتني الحصر : (الإثبات والنفي) .

في ”إنما“ (الإثبات) مدلول عليه بمنطق العبارة . والنفي بمفهومها، وفي ” ما ، وإلا“ النفي مدلول عليه بمنطق العبارة ، والإثبات بمفهومها.

(١) القول بإفاده (إنما) الحصر دائمًا ليس متفقاً عليه عند الأصوليين ، فمنهم من يذهب إلى أنَّ إفادتها توكيد الحكم هو المطرد، كما عند الأمدي في الإحكام في أصول الأحكام، وكذلك أبو حيان من التحاة وشدد على ذلك، وقالت طائفة هي تفيد الحصر أحينا، وهو موقف على الدليل من الاحتمال . ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزرκاشي ج ٢٤ ص ٤٠٥ . وانظر كتابي (سبل الاستباط من الكتاب والسنة . دراسة بيانية ناقدة . ط: الأمانة – القاهرة ٢٠١٤هـ . فقد بسطت فيه القول ص ٣٦٦-٣٨١).

(٢) روى البخاري في كتاب (البيوع) من صحيحه بسنته عن نافع عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنَّ عائشة أم المؤمنين أرادت أن تستترى جارية فتعمقتها . فقالَ أَهْلُهَا نَبِيِّكُمْ عَلَى أَنَّ لَوْلَاهَا لَنَا . فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : لَا يَمْنَعُكِ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا الولاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ . ورواه مسلم في كتاب (العتق) من صحيحه .

(٣) الأم. للشافعى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ط (٢) ج ٤ ص ٨١ .

وكان في قول التقي السبكي هنا إشارة إلى أنه إذا ما كانت منازعة في ركن من ركني الحصر، فالأعلى أن يتخذ الطريق الذي هو أدل على المتأزع فيه بمنطقه . فإذا كان المتأزع فيه الإثبات، فالأعلى اتخاذ طريق " إنما" وإذا ما كان المتأزع فيه النفي ، فالأعلى اتخاذ طريق النفي والإثبات .

ويأتي القسم الثالث الذي يذكره على سبيل التسليم الجدي وهو التقديم، فيذهب فيه إلى أن "الحصر الذي يُفيدُه التقديم، ليس هو على تقدير تسليمه، مثل الحصرين الأولين، بل هو في قوّة جملتين:

إِذْهَاهُمَا مَا صَدَرَ بِهِ الْحُكْمُ نَفِيًّا كَانَ أَوْ إِثْبَاتًا، وَهُوَ الْمَنْتُوقُ.  
وَالْأُخْرَى مَا فَهِمَ مِنْ التَّقْدِيمِ.

والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط دون ما دل عليه من المفهوم ، لأن المفهوم لا مفهوم له، فإذا قلت : " أنا لا أكرم إلا إياك " أفاد التعریض بأن غيرك يكرم، غيره ولا يلزمك أنك لا تكرمه .<sup>(١)</sup>

يفرق التقى بين جهة دلالة التقديم على الحصر عند القائلين بها ، وجهة دلالة "ما" وإنما" عليه بأن "الحصر" في "ما" و "إلا" كان النفي هو المنطوق لزاما ، والإثبات هو المفهوم ، وفي "إنما" الأمر بعكسه تعيناً "أما التقديم" فالأمر فيه على غير ذلك ، فالتعيين لنوع المقدم ، فإن كان في حيز نفي، فالمنطوق هو النفي ، والمفهوم هو الإثبات " ما محمدًا لقيت" وإن كان المقدم في سياق إثبات ، فالإثبات هو المنطوق ، والنفي هو المفهوم " محمدًا لقيت".

ويقر أن "الحصر يقتضي نفي المنطوق فقط. دون ما دل عليه من المفهوم ، لأن المفهوم لا مفهوم له، فإذا قلت : " أنا لا أكرم إلا إياك " أفاد التعریض بأن غيرك يكرم غيره، ولا يلزمك أنك لا تكرمه"<sup>(٢)</sup>.

في المثال الذي ذكر طريقان للحصر : تقديم (أنا) على الفعل المنفي ( لا أكرم) وهذا لا يلزم في كل سياق دلالته على الحصر.

(١) عروس الأفراح: ١٥٨/٢.

(٢) الأفضل أن يقول: أنا لا إكرم إلا أنت ، فالإثنان بالضمير المنصوب المفهول بعد إلا غير فصيح. ولا ضرورة تحمله على ما ارتكب.

والآخر النفي والاستثناء : ( لا أكرم إلا إياك ) وهذا دلالته على الحصر وضعية لازمة .  
مفad الأول على القول بأنه للاختصاص، أنَّ غيرك يكرمُ غير المخاطب، وأنك لا  
تفعل. وهذا معنٍ أنه ، ” وفيه تعريضٌ بأنَّ غير المتكلّم يكرم غير المخاطب ”، ولكنَّ  
التقيَّ يرى أنَّ هذا لا يلزم أن يكون المتكلّم لا يكرم غير المخاطب، بل يحتملُ أنه  
يكرمه، وألا يكرمه .

وهذا من التقيِّ محل نظرٍ ، لأنَّه إذا استُفید الحصرُ من التقديم ( أنا لا أكرم... ) فإنه  
يلزمه أمران :

تقرير نفي إكرام المتكلّم غير المخاطب، وهذا بمنطق العبارة .  
وتقرير ثبوت إكرامه المخاطب .

فزعمه أنَّ هذا التركيب لا يلزم المتكلّم أنه لا يكرم غير المخاطب، لا يتبيّن له وجهٌ  
عندِي .

وقوله : ” أنا لا أكرم إلا إياك ” في قوّة معنٍ ” أنا لا أكرم غيرك ” أيفهم من هذا أنه لا  
يلزمه أنَّ المتكلّم لا يكرم غير المخاطب ؟

التقى لم يستوفِ طرائق الحصر لا في مذهبِ البيانيين ، ولا في مذهبِ الأصوليين .  
وهي عندِ الأصوليين أكثر منها عندِ البلاغيين ، ومن تلك الطرق العطف بلا ، وأخواتها ،  
وتعريفِ الطرفين ، وضمير الفصل ... والأصوليون يقولون بذلك<sup>(١)</sup> .  
المهمَّ أنه مما مضى يتبيّن لنا أنَّ التصورُ العلميُّ للمسألة لدى التقى السبكيِّ ليس  
محرراً ، وأنَّه ليس من طائفة القائلين بأنَّ التقديم للاهتمام ، ولا يفيد الاختصاص ، كأبي  
حيان .

ولا من طائفة القائلين بـأنَّه يفيدُ الاهتمام في مقامِ ، والاختصاصَ (الحصرَ) في مقامِ .  
وأنَّ القرائن هي السبيل إلى تعين المستفادِ من التقديم ، كما هو الشأنُ عندَ البيانيين .  
وإنما التقى على مذهبِ أنَّ التقديم يفيدُ الاختصاص الذي هو الاهتمام والعناية ،  
مسوياً بين المصطلحين ، نافياً أن يكون الاختصاص هو الحصر أو منه الحصر ، فأضافَ  
مذهبَا آخر في المسألة بناء على أمرٍ لا يُسلّمُ له ، لافتقاره إلى حجةٍ : معهودِ العربِ في

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزر��شي: ج٤، ص٥٢-٥٦.

خطابها إنشاءً وفهمًا.

وبيانُ الْوَحْيِ قرآنًا وسنةً إنما جاء في نظمه ودلالته على معاني الهدى على معهودِ  
العربِ في خطابها، ونحوها في الفهمِ والإفهامِ، وكلُّ مذهبٍ لا يؤسسُ على هذا  
الأصل، هو حاملٌ فيه عواملٌ تقضِيه ودفعِهِ.

\* \* \*

نقد تأويله المعنى في آياتٍ من الذكر الحكيم :

التقى السبكي مفسرٌ، وأصوليٌّ فقيه، ومثله يمارسُ التأويل وفقَ ضوابطه : من نزوله على معهود العربِ في خطابها ، ومناسبته لسياقِ القول ، وغاياته ، ومقادصه الجزئية والكلية ، ومناسبته لما يليقُ بحال المتكلّم به . فهذه هي الضوابط الكلية التي لا يُقبلُ تأويلٌ غير آخرٍ بها.

تناولَ التقى السبكي عدّة آياتٍ من الذكر الحكيم بالتأويل ، وناقشَ بعضَ أهل العلم في فهمهم لها، وأولَ مُراداتِ بعضِهم في تأويلها. وكلُّ ذلك جديرٌ بأن ينظرَ في أمره تفسيرًا وتقويمًا.

عرضَ لقول الزَّمخشريِّ في قوله تعالى « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » (الفاتحة: ۵) : « وَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ لِقَصْدِ الْاخْتِصَاصِ كِبَوْلِهِ تَعَالَى : « قُلْ أَفْعِرْ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ » (الزمر: ۶۴)، « قُلْ أَفْعِرْ اللَّهِ أَبْغِي رَبَا » (الأنعام: ۱۶۴) والمعنى نَخْصُك بالعبادةِ، ونَخْصُك بِطِلَبِ الْمَعْوِنَةِ<sup>(۱)</sup>.

استشهد التقى السبكي بهذا التأويل على أنَّ الزَّمخشريَّ لم يصرح بمصطلح "الحصر" في دلالة التقديم، وأنَّه نصَّ على قصدِ الاختصاص، وهو عند التقى غير الحصر، ففهم مدلول الحصر عند الزَّمخشريَّ على وفق مدلوله عنده هو، وهذا غير حسنٍ، فلا يستقيمُ أن تأوَّلَ مدلولَ مصطلحَ عَالِمٍ على مدلوله عندي ، ولكلٌّ منا مدربته، فالزَّمخشريَّ مفسرٌ بيانيٌّ، وليس بأصوليٌّ، بل إنَّه لا يجري في هذه المسألة على مذهبِه الفقهي : المذهب الحنفي . الدافعُ القولَ بمفهومِ المخالفة الذي يبني عليه البلاغيون القولَ بإفادَة التقديم "الحصر" . فالزَّمخشريَّ في دلالة التقديم غير آخرٍ بما عليه الحفيفَة ، وإنما هو آخرٌ بما عليه البَيَانِيُّونَ . وكان حریاً بالتقى أن يستقرئَ موقعَ القولِ بالاختصاص في كتابِ الكشافِ لينظر أجزاء في مواضع منه ما يقطع بإرادة الحصر من قوله بمصطلح الاختصاص، أمَّا كلَّ موضعٍ جاءَ فيه مصطلح الاختصاص المستفاد بالتقديم مدلوله القطعي أو الرَّاجح هو الاهتمام والعناية والتوكيد ، لا الحصر، وأنَّه مصروفٌ إلى تقريرِ الحكمِ للمذكور دون الالتفاتِ أدنى التفاتٍ إلى حكمِ ما عدا

(۱) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري . تحقيق : خليل مأمون شيخا . ط دار المعرفة بيروت

سنة ۱۴۲۴ھ ص ۲۸

المذكور.

هذا هو الذي يجب أن يكون عليه الاستشهاد بمقال الزمخشري في هذا، وتقرير أنه لا يزيد من مصطلح "الاختصاص" المستفاد بالتقديم غير التوكيد لحكم المذكور، دون التفاتٍ لغيره . فإذا ثبتَ غير ذلك ، فقد انقضَّ ما قامَ عليه نظرُ التقى في المسألة .

قولُ الزمخشري : وَتَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ لِقَصْدِ الْأَخْتِصَاصِ كَقُولُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبِّا ﴾ وَالْمَعْنَى نَحْصُكُ بِالْعِبَادَةِ، وَنَحْصُكُ بِطِلَابِ الْمَعْوِنَةِ

ظاهره دالٌ على أنَّ الاختصاص هنا قائمٌ من معنيين : تأكيدُ ثبوتِ الحكمِ للمذكور، ونفيه عن غيره، لأنَّ قوله : "وَالْمَعْنَى نَحْصُكُ بِالْعِبَادَةِ..." لا يفهم منها إلا أنَّ غير الله تعالى لا يعبد، فليس القصدُ بمنحصرٍ في إثباتِ العبادة للله سبحانه وتعاليه وتوكيدها وتأطيدها، فلو قلت لأحدٍ : ما أخصك بكذا ، ثم منحت غيره شيئاً منه، اعترضَ عليك بأنك أخبرته بأنه هو المخصوصُ بهذا الأمر لا يشركه فيه أحد. ذلك معهود الفهم من عبارة : "أخصه بكذا" ومن قال بغير ذلك خالفَ معهودَ الخطابَ فهماً وإفهاماً.

والتقى في موضعٍ من الرسالة يذهبُ إلى أنَّ الحصر الذي يفهم من قوله تعالى : ﴿ إِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَاكَ نَسْتَعِنُ﴾ ليس من خصوصِ التركيبِ التقديمِ ، بل من خصوصِ المادةِ ، فمعنى العبادة هو الذي يقرر هذا التخصيص ، لأنَّ لن تكونَ العبادة مقبولة إلا إذا كانت مُنحصرة في إلهٍ واحدٍ، وهذا يعني أنَّه إذا قيل : نعبدك ونستعينك ، فالحصر قائمٌ غيرُ زائلٍ مع زوالِ التقديم.

يقول فيما عرضَ له الزمخشري : فَهَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا لَمْ يَذْكُرِ الزَّمَخْشَرِيُّ لَفْظَةَ الْحَصْرِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا . وَلَا يَصِحُّ إِلَّا فِي الْآيَةِ الْأُولَى فَقَطُّ . [ يعني قول الله تعالى : ﴿ إِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَاكَ نَسْتَعِنُ﴾ ] . (١)

أمَّا قوله : وَلَا يَصِحُّ إِلَّا فِي الْآيَةِ الْأُولَى فَقَطُّ " فهو محلُّ نظرِنا في ذلك ، كما سبأته . ثم يقول فيها : وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا فِي ﴿ إِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَاكَ نَسْتَعِنُ﴾ لِلْعُلُمِ بِأنَّهُ لا يعبدُ غيرَ اللهِ وَلَا يُسْتَعَانُ بِغَيْرِهِ . (٢)

(١) عروس الأفراح: ١٥٦/٢.

(٢) الموضع السابق.

فـخـصـوصـ المـادـةـ هوـ جـهـةـ الدـالـلـةـ عـلـىـ الحـصـرـ لـاـ التـركـيبـ ،ـ وـهـوـ بـهـذـاـ يـحـرـرـ جـهـةـ دـالـلـةـ  
الـآـيـةـ عـلـىـ الحـصـرـ عـلـىـ مـذـهـبـهـ .

وـهـذـاـ يـسـلـمـ لـهـ إـذـاـ مـاـ ثـبـتـ أـنـ هـذـاـ مـعـنـىـ لـاـ يـفـهـمـ إـلاـ إـذـاـ كـانـ القـوـلـ فـيـ العـبـادـةـ ،ـ فـإـنـ  
فـهـمـ مـنـ غـيرـهـ مـعـ التـقـدـيمـ ،ـ فـلـاـ سـبـيلـ إـلـىـ أـنـ جـهـةـ الدـالـلـةـ خـصـوصـ مـادـةـ العـبـادـةـ  
وـالـاسـتعـانـةـ ،ـ لـزـوـالـ هـذـهـ المـادـةـ ،ـ فـيـزـوـلـ مـعـنـىـ الحـصـرـ بـزـوـالـهـ ،ـ وـهـذـاـ مـاـ سـيـأـتـكـ بـيـانـهـ مـقـرـراـ  
بـحـجـتـهـ وـبـرـهـانـهـ .

وـبـذـهـبـ التـقـيـ إـلـىـ تـأـوـيلـ آـخـرـ لـقـوـلـ اللـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ إـيـاكـ نـعـبـدـ وـإـيـاكـ نـسـتـعـنـ»ـ يـقـولـ :ـ  
ـ بـلـ أـقـوـلـ إـنـ الـمـصـلـيـ قـدـ يـكـوـنـ مـقـبـلـاـ عـلـىـ اللـهـ ـ وـحـدـهـ لـاـ يـعـرـضـ لـهـ اـسـتـحـضـارـ  
غـيـرـهـ بـوـجـهـ مـنـ الـوـجـوـهـ .ـ وـغـيـرـهـ أـحـقـرـ فـيـ عـيـنـهـ مـنـ أـنـ يـشـتـغلـ بـهـ ،ـ يـقـصـدـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ  
بـيـنـفـيـ عـبـادـتـهـ ،ـ وـإـنـمـاـ قـصـدـ إـلـىـ إـخـبـارـ بـعـبـادـةـ اللـهـ ،ـ وـأـوـلـ مـاـ حـضـرـ فـيـ ذـهـنـهـ عـظـمـةـ مـنـ هـوـ  
وـاقـفـ بـيـنـ يـدـيـهـ فـقـالـ :ـ إـيـاكـ نـعـبـدـ وـإـيـاكـ نـسـتـعـنـ.ـ لـيـطـابـقـ الـلـفـظـ الـمـعـنـىـ،ـ وـيـتـقـدـمـ مـاـ  
تـقـدـمـ حـضـورـهـ فـيـ الـقـلـبـ وـهـوـ الرـبـ ـ ثـمـ بـنـ عـلـيـهـ مـاـ أـخـبـرـ بـهـ مـنـ عـبـادـةـ ،ـ وـكـمـعـنـىـ  
اـخـتـصـاصـهـ بـالـعـبـادـةـ .ـ اـخـتـصـاصـهـ بـإـلـىـ إـخـبـارـ بـعـبـادـتـهـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـأـكـوـانـ لـمـ يـخـيـرـ عـنـهـ بـشـيـءـ  
ـ بـلـ هـوـ مـعـرـضـ عـنـهـ .

ماـ قـالـهـ التـقـيـ السـبـكـيـ فـيـ هـذـاـ مـبـنيـ عـلـىـ أـنـ سـوـرـةـ "ـ الـفـاتـحةـ"ـ إـنـمـاـ نـزـلـتـ مـلـاحـظـةـ  
حـالـ المـصـلـيـ التـيـ هـيـ أـشـرـفـ أحـوالـ العـبـدـ .

وـالـقـوـلـ بـأـنـ الـمـصـلـيـ قـدـ يـلـغـ مـبـلـغاـ يـسـتـغـرـقـ فـيـهـ ،ـ فـيـصـلـ إـلـىـ درـجـةـ فـنـاءـ الـأـغـيـارـ ،ـ فـلـاـ  
يـرـىـ غـيـرـ اللـهـ ـ مـسـتـحـقـاـ أـنـ يـذـكـرـ وـلـوـ عـلـىـ سـبـيلـ تـنـزـيـهـ اللـهـ ـ فـلـاـ يـسـتـحـضـرـ غـيـرـ اللـهـ ـ  
ـ بـوـجـهـ مـنـ الـوـجـوـهـ .ـ إـنـمـاـ هـوـ مـنـ الـإـغـرـاقـ الـذـيـ يـتـهـافـتـ إـلـيـهـ أـدـعـيـاءـ التـصـوـفـ .ـ  
ـ إـنـ مـنـ كـمـالـ التـوـحـيدـ أـنـ يـجـمـعـ الـعـبـدـ بـيـنـ إـثـبـاتـ وـحـدـانـيـةـ اللـهـ ـ وـانتـفـاءـ الـأـلوـهـيـةـ  
ـ عـمـاـ عـدـاهـ ،ـ أـلـاـ تـرـىـ أـنـ كـلـمـةـ الشـهـادـةـ لـمـ تـقـمـ عـلـىـ إـثـبـاتـ وـحـدـانـيـةـ اللـهـ ـ وـادـعـاءـ أـنـ  
ـ غـيـرـ اللـهـ ـ أـحـقـرـ مـنـ أـنـ يـقـصـدـ إـلـيـهـ بـنـفـيـ أوـغـيـرهـ .

الـشـهـادـةـ التـيـ هـيـ مـفـتـاحـ الدـخـولـ إـلـىـ إـلـسـامـ قـائـمـةـ أـوـلـاـ عـلـىـ نـفـيـ الـأـلوـهـيـةـ عـنـ غـيـرـ  
ـ اللـهـ ـ ثـمـ عـلـىـ إـثـبـاتـهـ اللـهـ ـ وـحـدـهـ .ـ فـكـيـفـ يـزـعـمـ التـقـيـ السـبـكـيـ أـنـ تـجـريـدـ قـلـبـ

. ١٥٧/٢: )١(

المُصلّى من ملاحظة الأغيار على سبيل نفي الألوهية عنهم، من كمال الاستغراق في تجريد التوحيد؟!! فيرتّب على هذا أنَّ الآية قائمةٌ على إثبات العبادة لله دون ملاحظة حال غير الله تعالى بإثباتٍ أو نفيٍّ، لأنَّ غيرَ الله تعالى أحقُّ من أن يلاحظ بنفي أو إثباتٍ.

غلوٌ في التأويل، ومثلُ هذا الغلو كثيراً ما يطربُ له أدعية التصوف والدهماء، وهو في حقيقته غيرُ قويمٍ، وهو غيرُ منضبط بما أشرتُ إليه في مفتتح القولِ من الأخذِ بضوابطِ التأويل المقبولِ.

ولو بقي التّقىُ السبكيُّ على مذهبه أنَّ الحصرَ في هذه الآية من خصوص المادة. لكان أفضل مما قاله هنا.

ويعرضُ التقىُ لتأويل الزَّمْخُشريِّ قولَ الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَبِالآخِرَةِ هُمُّ يُوقَنُونَ» (البقرة: ٤).

”وفي تقديمِ «الآخرة» وبناءً «يُوقَنُونَ» على «هُمُّ» تعرِيضٌ يأهلُ الكتابِ وبِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِثْبَاتٍ أَمْرٌ الْآخِرَةِ عَلَى خَلَفِ حَقِيقَتِهِ، وَأَنَّ قَوْلَهُمْ لَيْسَ بِصَادِرٍ عَنْ إِيْقَانٍ، وَأَنَّ الْيَقِينَ مَا عَلَيْهِ مِنْ آمَنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ.“ (١)

ويقضى بأنَّ الَّذِي قَالَهُ الزَّمْخُشُرِيُّ في غَايَا الْحُسْنِ. (٢)

ووجه استحسان التقى تأويلَ الزَّمْخُشريِّ أنَّه لم يقل بالتحصيص في التقديمِ، ولذلك أنكرَ على من اعترضَ على الزَّمْخُشريِّ بتركِه القولَ بالحصرِ في الآيةِ، يقولُ التقى:

”وَقَدْ اعْتَرَضَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَيْهِ فَقَالَ: تَقْدِيمُ الْآخِرَةِ أَفَادَ أَنَّ إِيْقَانَهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى أَنَّهُ إِيْقَانٌ بِالآخِرَةِ لَا بِغَيْرِهَا.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُ بَنَاهُ عَلَى مَا فَهِمَهُ مِنْ أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ يُفِيدُ الْحَصْرَ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِمَا بَيَّنَا.

ثُمَّ قَالَ هَذَا الْقَائِلُ: ”وَتَقْدِيمُ (هُمُّ) أَفَادَ أَنَّ هَذَا الْقَصْرُ مُخْتَصٌ بِهِمْ، فَيَكُونُ إِيْقَانُ

(١) الكشاف: ٣٩.

(٢) عروس الأفراح: ١٥٧/٢.

غَيْرُهُمْ بِالآخِرَةِ، إِيمَانًا بِغَيْرِهَا حَيْثُ قَالُوا : لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ (١) وَلَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ (٢).  
وَهَذَا مِنْ هَذَا الْقَائِلِ اسْتِمْرَارٌ عَلَى مَا فِي ذِهْنِهِ مِنَ الْحَصْرِ، أَيْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا  
يُوقِنُونَ إِلَّا بِالآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ يُوقِنُونَ بِهَا وَبِغَيْرِهَا .

وَهَذَا فَهْمٌ عَجِيبٌ !!!

ثُمَّ قَالَ هَذَا الْقَائِلُ : ثُمَّ إِنَّ التَّعْرِيضَ فِي قَوْلِهِ : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ » (وِمَا كَانُوا ) أَنَّ  
قَوْلَهُمْ ”ظَاهِرٌ مَعْنَى قَوْلِ الزَّمْخَشْرِيِّ“ . قَالَ هَذَا الْقَائِلُ : ”وَأَمَّا فِي قَوْلِهِ وَأَنَّ الْيَقِينَ ... إِلَخْ  
مُشْتَكِلٌ، لَا تَهْلِكُنِي فِيهِ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ الْيَقِينَ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَمَنَ، بَلْ تَصْرِيفٌ .  
قُلْتُ مُرَادُ الزَّمْخَشْرِيِّ أَنَّ التَّصْرِيفَ بِأَنَّ مَنْ يُوقِنُونَ، تَعْرِيضٌ بِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا  
يُوقِنُونَ، فَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِ هَذَا .

ثُمَّ قَالَ هَذَا الْقَائِلُ : ”فَالْوَجْهُ أَنْ يُقَالَ : ”وَإِنَّ الْيَقِينَ ...“ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ ”تَعْرِيضٌ“ لَا  
عَلَى مَعْمُولَتِهِ مِنْ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ... ) وَكَانَهُ قَالَ : وَفِي تَقْدِيرِ (الآخِرَةِ) وَبِنَاءِ  
»يُوقِنُونَ« عَلَى (هُمْ) تَعْرِيضٌ، وَأَنَّ الْيَقِينَ .....  
قُلْتُ : مُرَادُ الزَّمْخَشْرِيِّ أَنَّهُ تَعْرِيضٌ يُنْفِي الْيَقِينَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَكَانَهُ قَالَ : دُونَ  
غَيْرِ مَنْ أَمَنَ، فَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ الْعَطْفِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ هَذَا الْقَائِلُ .  
وَهُوَ إِمَّا أَنْ يُقْدَرَ دُونَ غَيْرِهِمْ أُوْ لَا، فَإِنْ قَدِرَ فَهُوَ تَعْرِيضٌ لَا تَصْرِيفٌ، وَإِنْ لَمْ يُقْدَرْ فَلَا  
يَحْتَاجُ إِلَى بِنَاءِ (يُوقِنُونَ) عَلَى (هُمْ) . فَحَمِلْتُ كَلَامَ الزَّمْخَشْرِيِّ عَلَى مَا زَعَمَ هَذَا  
الْقَائِلُ لَا يَصْحُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَهَذَا الْقَائِلُ فَاضِلٌ، وَإِنَّمَا الْجَاهُ إِلَى ذَلِكَ فَهْمُهُ الْحَصْرُ  
وَهُوَ مَمْنُوعٌ . (٢)

المُعْتَرِضُ بِهَذَا هُوَ قَطْبُ الدِّينِ الرَّازِيِّ التَّحْتَانِيِّ الْمُتَوَفِّ فِي سَنَةِ (٧٦٦هـ) فِي حاشِيَتِهِ  
عَلَى الْكَشَافِ وَالَّتِي وَصَلَّى فِيهَا إِلَى أَوَّلِ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ (٤) وَاعْتَرَاضُهُ عَلَى الزَّمْخَشْرِيِّ  
مَحْلُ اعْتَرَاضِيِّ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْجَهَةِ الَّتِي نَظَرَ إِلَيْهَا التَّقِيُّ السُّبْكِيُّ .

(١) قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيْهِمْ قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البِّرْقَةُ: ١١١).

(٢) قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا يَوْمًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَخَذُتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البِّرْقَةُ: ٨٠).

(٣) السَّابِقُ : ١٥٧/٢-١٥٨.

(٤) يَنْظَرُ اعْتَرَاضِيِّ فِي حاشِيَتِهِ عَلَى الْكَشَافِ وَرَقَةٌ ٢٢ بِرَقْمٍ ٣٥٢ تَفْسِيرٌ تِيمُورٌ - دَارُ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّ .

وجه خطأ المعارض (القطب التحتاني) على الزمخشري ليس كما فهمه "التقي السبكي". وإنما وجده أنه جعل المنفي في الحصر المستفاد من تقديم (الجار والمحرور) هو كل ما عدا الآخرة الحقة مما يجب الإيمان به، فجعل المنفي عاماً، فكان القصر حقيقياً، وهذا غير صحيح، بل القصر هنا إضافي، والمنفي خاص هو المقابل لحقيقة الآخرة، وهو ما عليه أهل الكتاب في شأن الآخرة. وعلى هذا يكون معنى التقديم: إنما يؤمنون بالآخرة الحقة التي جاء بها القرآن الكريم، لا بالآخرة التي يظنها أهل الكتاب، فإن ما يظنونه باطلٌ ووهمٌ.

فالتقى السبكي لم يحرر مناط الخطأ في اعتراض القطب التحتاني على الزمخشري. وهو أيضاً لم يحرر مدلول "بغيرها" في قول القطب التحتاني: "وَتَقْدِيمُ هُمْ أَفَادَ أَنَّ هَذَا الْقُصْرُ مُخْتَصٌ بِهِمْ، فَيَكُونُ إِيَقَانٌ غَيْرِهِمْ بِالآخِرَةِ إِيمَانًا بِغَيْرِهَا".

قول التحتاني: "غيرها" هنا ليس هو غير الآخرة مطلقاً، بل هو غير حقيقة الآخرة التي جاء بها القرآن الكريم، فالتردد هنا بين حقيقة الآخرة التي اختص المتقون بالإيمان بها، والتي جاء بها القرآن الكريم، وغير حقيقتها مما توهمه أهل الكتاب في شأنها.

ولو التفت التقى السبكي إلى قول القطب التحتاني "حَيْثُ قَالُوا : لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارَ" لعلم أنَّ غيرها هو ما فهمه أهل الكتاب من شأن الآخرة، وهو فهم باطل.

فما قاله القطب التحتاني معتبراً به على الزمخشري ليس مناط ما فيه من مواجهة هو اعتماده على إفادة التقديم الحصر في الموضعين، بل عدم تحرير ما عطف عليه قوله "وأن اليقين" وذهب إلى أن المعطوف عليه هو قوله "تعريض" لا على معمولاته. وهذا غير دقيق من التحتاني، وهذا ما ناقشه أهل العلم فيه<sup>(١)</sup>.

أما ما ذهب إليه التحتاني من إفادة التقديم الحصر فليس مناط مواجهته. وأعلى مما قاله القطب التحتاني ما فهمه شرف الدين الطبيسي<sup>(٢)</sup> من أن عبارة الزمخشري هنا مفيدة أن التقديم للتحصيص (الحصر) قوله: "وفي تقديم الآخرة"

(١) حاشية السيد الشريف على الكشاف - ط: عيسى الحلبي - القاهرة: ١٣٧١.

وقوله: "وبناء يوقنون" على سبيل النشر ، فدلّ التقديم على التخصيص، وأنَّ إيمانهم مقصورٌ على الآخرة الحقيقةِ ، لا يتجاوز إلى ما أثبته اليهود، وهو أنَّه لا يدخلُ الجنة إلا من كان هُوداً ، وأنَّه لا تمسُّهم النار إلا أياماً معدوداتٍ<sup>(١)</sup>.

ويعرضُ التقى لتأويل الزمخشري في قوله تعالى:

**﴿ قُلْ أَفَغَيْرُ اللَّهِ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ أَيْمًا أَجْهَلُونَ ﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَخْبَطَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْحَسِيرِينَ (الزمر: ٦٤ - ٦٥) : "مَعْنَاهُ أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَعْبُدُ بِأَمْرِكُمْ" .<sup>(٢)</sup>**

وهذا أيضًا عند التقى السبكى لـما كانت المادة هي العبادة، كان الحصر مستفاداً منها لا من التقديم، وعلى هذا يستوي عند التقى استفادة العصر من نظم الآية ، ومن قولنا: أتأمروني أعبد غير الله، فيكون الإنكار منصباً على الأمر بعبادة غير الله بِهِ.

وَقَالَ التَّقِيُّ فِي تَأْوِيلِ الزَّمْخَشْرِيِّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : « قُلْ أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَعْبُدُ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَرِزُّ وَارِزَةٌ وَرَأْخَرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَتَّهُمُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ » (الأنعام: ١٦٤) : "الْهَمْزَةُ لِلإنْكَارِ، أَيْ مُنْكِرًا أَنْ أَبْغِيَ رَبَّا غَيْرَهُ<sup>(٣)</sup> .

وَفِي تَأْوِيلِ الزَّمْخَشْرِيِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « قُلْ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دِينِي » (الزمير: ١٤) : "إِخْبَارٌ يَأْنَهُ يَخْصُّ اللَّهَ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ بِعِبَادَتِهِ مُخْلِصًا لَهُ دِينَهُ"<sup>(٤)</sup> .

وَفِي تَأْوِيلِ الزَّمْخَشْرِيِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » (آل عمران: ٨٣) .

"قَدَمَ الْمَفْعُولَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ دِينِ اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ لَأَنَّهُ أَهْمَرُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الإِنْكَارَ الَّذِي هُوَ مَعْنَى الْهَمْزَةِ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْمَعْبُودِ بِالْبَاطِلِ.<sup>(٥)</sup>

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. للطبيبي، تحقيق: صالح بن عبد الرحمن الفايز - رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن. إشراف: د/ حكمت بشير ياسين. كلية القرآن، قسم التفسير، الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة - ١٤٢٠ هـ ص ٢٢٢.

(٢) الكشاف: ٩٤٦.

(٣) السابق: ٢٥٤.

(٤) السابق: ٩٣٦.

(٥) السابق: ١٨٠.

وفي تأويل الزمخشري قول الله تعالى: «أَيْفُكَ إِلَهٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ» (الصافات: ٨٦) : إنما قَدَمَ المَفْعُولَ عَلَى الْفَعْلِ لِلْعِنَاءِ، وَقَدَمَ الْمَفْعُولَ لَهُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، لأنَّهُ كَانَ أَلَّا هُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُكَافِهُمْ بِإِنْهُمْ عَلَى إِفْكٍ وَبَاطِلٍ فِي شِرْكِهِمْ .  
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «إِفْكًا» مَفْعُولًا بِهِ، يَعْنِي أَتْرِيدُونَ إِفْكًا ، ثُمَّ فَسَرَّ الْإِفْكَ بِقَوْلِهِ «إِلَهَ دُونَ اللَّهِ» عَلَى أَنَّهَا إِفْكٌ فِي أَنْفُسِهَا . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا .<sup>(١)</sup>  
في كُلِّ هَذَا يَقُولُ التَّقِيُّ السَّبْكِيُّ : «فَهَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا لَمْ يَذْكُرِ الزَّمَخْشَرِيُّ لِفُطْطَةَ الْحَصْرِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا . وَلَا يَصْحُّ إِلَّا فِي الْآيَةِ الْأُولَى فَقَطُّ . وَالْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ فِي الْآيَاتِ الْأَهْتِمَامُ، وَيَأْتِي الْاِحْتِصَاصُ فِي أَكْثَرِهَا .<sup>(٢)</sup>

ما قاله التقى فيه نظر، فتشبيهه بعدم التَّصْرِيف بلفظ الحصر من الزمخشري، لا ينفي فهمه وارادته معنى الحصر. إلا ترى أنَّ الزمخشري في تأويله قول الله تعالى: «قُلَّ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي» (الزمر: ١٤) : قال : ما معنى التكثير في قوله : «قُلْ إِنِّي أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» (الزمر: ١١) وقوله : «قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي» (٣)  
قلت : ليس بتكرير، لأنَّ الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص.  
والثاني : إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدَّمَ المعبدَ على فعل العبادة، وأخره في الأولى، فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه، وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله، ولذلك رتب عليه قوله : «فَاعْبُدُوا مَا شَيْئُتُمْ مِنْ دُونِهِ»<sup>(٤)</sup> .  
أولاً ترى أنه كالتصريح بالحصر، فماذا يفهم أي سامع من قوله الزمخشري : «إِخْبَارٌ بِإِنَّهُ يَخُصُّ اللَّهُ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ بِعِبَادَتِهِ مُخْلِصًا لَهُ دِينَهُ» . ولدلالته على ذلك قدَّمَ المعبدَ على فعل العبادة؟

أيتها لأحدٍ أن يقول: إن ذلك ليس هو مضمون مصطلح الحصر؟  
وقوله: «مُخْلِصًا لَهُ دِينِي» في قوله تعالى «قُلَّ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي» مؤكِّدٌ لمعنى التقديم، وهو في قوله تعالى قبله: «قُلْ إِنِّي أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» مؤسس للحصر، لأنَّ الإخلاص يقتضي الإفراد بالعبادة . وهو من التَّصْرِيف البِياني للمعاني .

(١) السابق: ٩٠٨.

(٢) عروس الأفراح: ١٥٦/٢.

(٣) الكشاف: ٩٣٦.

وتشبّثُ التقيّ بـأَنَّ الرِّمْخَشِرِيَّ لَمْ ينطِقْ فِي هَذَا بِلِفْظِ الْحَصْرِ، تَشَبّثٌ لَا يُعْهَدُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَجَمِهْرُهُمْ، وَلَا سِيمَّا الْأَصْوَلِيُّونَ عَلَى أَنَّ الْاعْتِدَادَ بِالْمَعْنَى لَا بِالْأَلْفَاظِ .

وَالْتَّقِيُّ وَهُوَ الْأَصْوَلِيُّ الْفَقِيهُ، وَالْقَاضِيُّ أَيْضًا لَابِدَّ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى مَنْ قَالَ لِزَوْجِهِ: حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، أَوْ أَنْتَ حَرَةٌ، وَهُوَ يَرِيدُ الطَّلاقَ - بِطَلَاقِهَا مِنْهُ، وَهُوَ لَمْ يَنْطِقْ بِلِفْظِ الطَّلاقِ، وَبَابُ الطَّلاقِ يَعْتَدُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَرَادِ بِهَا الطَّلاقَ، وَلِيُسَّ فِيهَا مَادَةُ الطَّلاقِ، وَلَكِنْ فِيهَا مَعْنَاهُ إِرَادَةً مِنَ الْمُتَكَلِّمِ .

**يَقُولُ الشَّافِعِيُّ :** "أَخْبَرَنَا مَالِكٌ أَنَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنَ الْعَرَاقِ فِي رَجُلٍ قَالَ لِأَمْرَاتِهِ: 'حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ'" فَكَتَبَ عُمَرٌ إِلَى عَامِلِهِ: "أَنَّ مَرْهَ يَوَافِينِي فِي الْمَوْسِمِ، فَبَيْنَا عَمَرٌ يَطْوُفُ بِالْبَيْتِ، إِذَا لَقِيَهُ الرَّجُلُ، فَسَلَمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: 'مَنْ أَنْتَ؟' فَقَالَ: 'أَنَا الَّذِي أَمْرَتَ أَنْ أَجْلِبَ إِلَيَّكَ' فَقَالَ عُمَرٌ: 'أَنْشَدْكَ بِرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، هَلْ أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ: حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ الطَّلاقِ؟' فَقَالَ الرَّجُلُ: 'لَوْ اسْتَحْلَفْتَنِي فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ مَا صَدَقْتَكَ، أَرَدْتَ الْفَرَاقَ'" فَقَالَ عُمَرٌ: "هُوَ مَا أَرَدْتَ" .

قال الشافعي: رحمه الله تعالى : فبهذا نقول ، وفيه دلالة على أنَّ كلام أشبه الطلاق لم نحكم به طلاقا. حتى يسأل قائله. فإن كان أراد طلاقا فهو طلاق، وإن لم يرد طلاقا لم يكن طلاقا ولم نستعمل الأغلب من الكلام على رجل احتمل غير الأغلب ، فخالفتم عمر في هذا فزعمتم أنه طلاق. وأنه لا يسأل عما أراد.<sup>(١)</sup>

فهذا قاطعٌ في أنَّ الاعتداد بالمعنی لا بالألفاظ . فإذا أريد بكلمة "الاختصاص" معنی الحصر فكيف يتثبت بأنه لم ينطِقْ بكلمة الحصر، وإمامه الشافعيٌّ لم يتثبت في باب (الطلاق) بأنه لم ينطِقْ بكلمة الطلاق حين قال: "حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ" .

وعَلَى هَذَا فَقَوْلُ التَّقِيِّ السَّبْكِيِّ: "وَقَدْ يَتَكَلَّفُ لِمَعْنَى الْإِخْتِصَاصِ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي بَقِيَّةِ الْآيَاتِ . وَأَمَّا الْحَصْرُ فَلَا .<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا هُوَ غَيْرُ قَوِيمٍ، بَلْ إِنَّ عَدَمَ الْقُولِ بِالْحَصْرِ هُوَ الْمُتَكَلَّفُ الْمُخَالِفُ لِمَعْهُودِ الْعَرَبِ فِي الْخَطَابِ فَهُمَا، وَإِفْهَامًا، وَلَذَا جَاءَ تَأْوِيلُ غَيْرِ قَلِيلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِبَيْانِ الْقُرْآنِ مَصْرَحًا أَوْ كَالْمُصْرَحِ بِالْحَصْرِ أَوْ مَعْنَاهُ، وَلَوْلَا الإِطَالَةُ لِرَصْدَتُ غَيْرَ قَلِيلٍ مِنْ تَأْوِيلِهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ .

(١) الْأَمْرُ: ٢٤٩/٧ .

(٢) عِرْوَسُ الْأَفْرَاحِ: ١٥٦/٢ .

وممّا تشبّث به التقى أنّ قولَ الله تعالى: «أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (آل عمران: ٨٢) لو جعل "غير دين الله يبغون" في معنى "ما يبغون إلا غير دين الله". وهمزة الإنكار داخلةٌ علىَهُ، لَزَمَ أَنْ يَكُونَ الْمُنْكَرُ الْحَصْرُ: لَا مُجَرَّدٌ بِغَيْرِهِمْ غَير دين الله، وَلَا شَكَّ أَنَّ مُجَرَّدَ بِغَيْرِهِمْ غَير دين الله مُنْكَرٌ.<sup>(١)</sup>

هذا من التقى عجيب ، لأن الزمخشرى لم يقل بأن التقديم هنا للاختصاص حتى يؤول الاختصاص بمعنى الحصر، والزمخشرى مدرك أن التقديم للاهتمام ، وأن معنى الإنكار متوجه إلى ابتغاء غير دين الله ﷺ ، والذي يقوله التقى يلزم من يقول إن الحصر لازم التقديم ، لزومه "الاستثناء المفرغ" ، وإنما . وهذا لا يقول به أحدٌ ممن يعتد بقولهم ، فلم يحجج لمذهبِه بما لم يقل الزمخشرى إن التقديم فيه للاختصاص.

هذا في عرف المباحثة خروجٌ عن مناط النظر. فالتقى هنا فرضٌ فرضًا لم يثبت ، وبين عليه نتيجةً يتسبّث بها لإثبات مذهبه . فصنعيه هنا ينقضه أمران :

الأول أن الزمخشرى لم يقل في قول الله تعالى: «أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ» إن التقديم للاختصاص، كما قال في غيرها.

والآخر أن الزمخشرى لم يقل إن التقديم دالٌ على الحصر حيثُ وقع ، بل ذلك يكون في مقامٍ دون مقامٍ . فدلالة التقديم على الحصر دلالة سياقية ، ولذا قالوا إنها دلالة بالفحوى.

والتقى يزعمُ أنك "إِذَا تَأَمَّلْتَ مَوَاقِعَ ذَلِكَ [أي التقديم] فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَأشْعَارِ الْعَرَبِ تَجِدُهُ كَذَلِكَ" [أي لا يفيد الحصر] : يقول : "الاتَّرَى قَوْلَ الشَّاعِرِ : أَكَلَ امْرَى تَحْسِبَيْنَ امْرًا وَنَارٌ تَوَقَّدُ بِاللَّيلِ نَارًا لَوْقَدْرُتْ فِيهِ الْحَصْرُ بِـ 'مَا إِلَّا' هَلْ يَصْحُّ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ؟"<sup>(٢)</sup>

ليس الأمر كما زعم التقى السبكي . بل إنَّ غير قليل من موضع التقديم ، ولاسيما تقديم المفعول على الفعل، يفيدُ التقديمُ فيها معنى الحصر ، وسوف أورد من بعد مواطنَ من تفسير الزمخشرى وغيره تقطعُ بأنَّ التقديم فيها مفيد للحصر.

(١) السابق : ١٥٧/٢.

(٢) السابق .

فإن أراد أن تقدم المفعول على فعله في حيز الاستفهام الإنكارى لا يكون مفيداً في شيء من الكتاب والسنة وأشعار العرب الحصر. فإن الإمام عبد القاهر قد عقد ببحثه لتقديم المفعول على فعله في حيز الاستفهام قال فيه:

"واعلم أن حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل، أعني تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت: أزيما تضرب؟ كنت قد أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب، أو بموضع أن يجترأ عليه ويستجاز ذلك فيه.

ومن أجل ذلك قدم "غير" في قوله تعالى: «قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَخْنَدُ وَلِيَا» (الأنعام: ١٤) وقوله ﷺ - عز وجل: «قُلْ أَرَءَيْتُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُكُمْ أَسَاطِعُهُ أَغِيرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (الأنعام: ٤٠) وكان له من الحسن والمزيدية والفحامنة ما تعلم أنه لا يكون لوآخر فقيل: قل أنتخذ غير الله ولها؟ وأندعون غير الله؟ وذلك لأنّه حصل بالتقديم معنى قوله: أيكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولها؟ وأيرض عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ وأيكون جهل أحفل وعمى أعمى من ذلك؟

ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل: أنتخذ غير الله ولها. وذلك لأنّه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط، ولا يزيد على ذلك، فاعرفه.

وكذلك الحكم في قوله تعالى: «فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَ وَاحِدًا نَتَعَاهُدُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ» (القمر: ٢٤) وذلك لأنّهم بنوا كفرهم على أنّ من كان مثلكم بشيراً، لم يكن بمثابة أن يتبع ويطاع، ويتنهى إلى ما يأمر ويصدق أنه مبعوث من الله - تعالى - وأنّهم مأمورون بطاعته كما جاء في الأخرى: «قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرَ كُمْ إِلَى أَجْلٍ مُسَمٍّ قَالُوا إِنَّا شَرُّ مَشَرٍ مَثَلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُونَا عَمَّا كَارَ بِعَبْدٌ إِبَابُونَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ» (إبراهيم: ١٠) وكقوله ﷺ : «فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ أَلَا يَعْبُدُ إِبَابُونَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ بُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكَةً مَا سَمِعْنَا بِهِنَّا فِي إِبَابِنَا الْأَوَّلِينَ» (المؤمنون: ٢٤).<sup>(١)</sup>

(١) دلائل الإعجاز. ص ١٢١-١٢٢.

ما قاله الإمام عبد القاهر هنا دالٌ على أنَّ الاستفهام الدَّاخِل على المفعول المقدم على فعله، لا يمنع إفادة التقديم الحصر. ودالٌ على أنَّ الإنكار معناه أن المقدم ليس أهلاً لأن يقع عليه ذلك الفعل. فهو مصْرُّ بإنكار ونفي أهلية المقدم لذلك ، وهذا يؤخذُ من مفهومه أن نقىض المقدم، هو المستحق أن يقع عليه الفعل.

واليبيت الذي ذكره التَّقِيُّ (أكَلَ أمرئٍ...اهو لأبي دواد الإيادي: حارثة بن الحجاج، وهو شاعر قديم فاق في وصف الفرس ، وأكثُر شعره فيه . وقيل البيت لعدي بن زيد، وهو من شواهد الكتاب ، وهو في كثير من مصادر النحو، والنحاة يستشهدون به على جواز أن يحذف المضاف مع ترك المضاف إليه على إعرابه. كما في قوله "ونار" تقديره: وكل نار، فحذف "كل" مع بقاء جر الكلمة "نار".

والمعنى :أتحسِّبَنَ كُلَّ رجُلٍ رجلاً كاملاً في رجلِته . وأتحسِّبَنَ كُلَّ نارٍ توقد بالليل نار قرى وكرم، بل الرجل هو من كان كريماً شجاعاً ، والنار هي النار الموددة لقرى الضياف، والاستفهام هنا إنكارٌ بمعنى النفي، وهو متضمن أيضاً معنى التوبیخ على الضلال في الحسبان . فكأنَّه قال: ما كُلَّ رجلٍ بِكَاملِ الرِّجْوَلَةِ، فهو ينفي الرجال عن كُلِّ أحدٍ، ويثبتها لمن كان شجاعاً كريماً .

وكأنَّه قال: ما كُلَّ نارٍ توقد بالليل نارٍ جديرةً بالإقدام عليها والفرح بها، بل ذلك لنار القرى وحدها، فهو ينفي أن تكون كُلَّ نار مستحقة ذلك، ويثبته لنار القرى وحدها . أليس هذا هو تأويلُ الحصر لو قال : (إنما الرجلُ الْكَرِيمُ الشَّجَاعُ ) أو (ما الرجلُ الْكَرِيمُ الشَّجَاعُ ) وإنما النار نار القرى، أو ما النار إلا نار القرى .

والتقى السُّبْكِيُّ مقرِّرٌ بـ (إنما) (ما وإلا) طريق حصر، فالبيت وإن كان تأويلُ نظمِه الحصر الذي بينته لك ، فإنَّ في الاستفهام معنىًّا زائداً على معنى الحصر ، ولهذا عدل الشاعر إلى أسلوب الاستفهام والتقديم ، فلو أنه أعرض عن التقديم والاستفهام لما كان في الكلام ما يوحى بمعنى العتب والتنبية على الضلال فيما كان منها ، وذلك معنى رئيس ، وإن كان لا اختيار كلمة (تحسِّبَنَ) أثراً في هذا أيضاً . فالحسبان الغالب عليه أن يأتي في البيان القرآني في سياق ما لا يستقيم اعتقداه . وهذا كالمطرد في بيان الوحي، فحيثُ وردت مادة "الحسبان" التي هي من باب الاعتقاد أو العلم، كان متعلقه باطلًا مدفوعاً . وإن كان في غير البيان القرآني لا يطرد فيه ذلك ، وهذا من إحكام

البيان القرآني .

وممّا عرّض لتأويله، وهو محل منازعة قول الله ﷺ : « أَلَّا زَانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشَرِّكًا... » (النور: ٣) .

ويرى أنه يفيد أن العفيف قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نكاحه الزانية، فقال سبحانه وتعالى بعده: « وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا زَانِي أَوْ مُشَرِّكٌ » (النور: ٣) بيانا لما سكت عنه في الأولى<sup>(١)</sup> .

ما ذهب إليه التقي في فهم الآية يعني أنه لولم يأت قوله ﷺ : « وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكُحُهَا إِلَّا زَانِي أَوْ مُشَرِّكٌ » لكان للعفيف أن ينكح الزانية، لأنّه ليس في صدر الآية ما يمنع منه تصريحًا أو تلویحا، ولذا جاء عجز الآية مقرراً ذلك .

هذا من التقي بعيد عن السنة البيانية للقرآن الكريم ، فالقرآن الكريم في مقامات لا يكتفي فيها بالإبارة عن المعنى بطريق اللزوم ، بل يضيف إلى التلویح تصريحًا لمزيد تحرير المعنى، ألا ترى أنه كثيراً ما يجمع بيان إنما ونفي ضد ما يثبت بمنطوقها . يقول الله تعالى :

« إِنَّمَا الْتَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَلٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَارِبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا وَلَيَسْتَ الْتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَعْنَى وَلَا الَّذِينَ يَمْوُتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (النساء: ١٧-١٨) .

أيتها التقي أن يقول إن قوله تعالى: « وَلَيَسْتَ الْتَّوْبَةُ... » جاء لأنّ الآية قبلها لا تفيد النفي ، فصرّح به في الآية التي بعدها ؟

الآياتان من سورة النساء، اشتغلت الأولى على إثبات التوبة لطائفه (الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ) بالمنطوق، ونفيها عن غيرها بالمفهوم ، وجاءت الآية الأخرى بعدها لتقرر بالمنطوق ما قرر بالمفهوم في الأولى ، وهو نفي التوبة عن تلك الطائفه : الذين يعملون السيئات...

وكذلك تجد الأمر في قول الله ﷺ : « قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبَّيْ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا » (الجن:

(١) الموضع السابق .

٢٠ قوله ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ يثبت بمنطقه دعوته ربه ، وينفي بمفهومه أن يشرك أحد في هذه الدعوة ، وهذا ما قرره قوله ﴿لَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي قال إنه لو لم يقل ﴿لَا أُشْرِكَ...﴾ لفهم من صدر الآية احتمال أن يدعوه غير ربّه ؟ المعنى المصطفى عندي في آية سورة "النور" : الزاني لا يرغب في نكاح غير الزانية أو المشركة ، والزانية لا يرغب في نكاحها غير الزاني أو المشرك . فالآية خبرٌ بغالب ما يقوم في الواقع ، وهو على بابه ، وليس صدر الآية تشريعًا ، وإنما التشريع بالنهي جاء في مقطعها ﴿وَحَرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حرمت الرغبة في نكاح الزانية أو الزاني على المؤمنين . وإذا ما حرمت الرغبة ، فقد حرم النكاح نفسه بطريق الأولى .

وهذا الذي اصطفيته متوافق مع ظاهر البيان وسياق الكلام ، ومع أسباب التزول . وما اصطفيته يمكنك أن تجعل تقديم المسند إليه على الخبر المنفي في (الزاني لا ينكح ) مفيداً للحصر ، ولا يمنع المعنى منه ، أي أنك تحصر الزاني في وصف عدم الرغبة في نكاح غير الزانية أو المشركة ، وهو من قبيل حصر الموصوف في الصفة ، ومن البين أننا إذا ما حصرنا الموصوف في صفة ، فإننا لا ننفي عنه كل صفة عادها ، فذلك لا يقال البة . بل ننفي عنه الصفة التي هي من جنس الصفة المثبتة له ، فإذا قلت : ما المتتبقي إلا شاعر ، فأنت لا تنفي عنه كل الصفات . فهو إنسان وعربي ومسلم وطويل أو قصير ، وأبيض أو أسمر ... إلخ . ولكنك تنفي عنه الصفات التي هي من جنس الصفة المثبتة ، أي الصفات التي هي من جنس موهبة الإلابة كالخطابة والكتابة الفنية ، وعلى هذا ننفي عن الزاني الرغبة في نكاح العفيفة ، ولا ننفي عنه الصفات كلها على إطلاقها .. والواقع يؤكد صدق هذا الخبر . فإن الزاني الذي صار زنا من سماته وكان من شأنه تلك الموبقة ، الغالب أن تنصرف نفسه كلية إلى الرغبة في نكاح الزانية أو المشركة . ومن كان منهما بسبيل ، وكذلك الزانية التي من شأنها الزنا الغالب أن لا يرغب في نكاحها إلا زان أو مشرك أو من كان منهما بسبيل .

تَقْدِيْمِ تَشْبِيْهِ التَّقِيِّ السُّبْكِيِّ بِأَنَّ الْفَضَلَاءَ وَالسَّيِّدَ الزَّمْخَشْرِيَّ فِي تَفْسِيرِهِ يَقُولُونَ فِي دَلَالَةِ التَّقْدِيْمِ بِالْاِخْتِصَاصِ، وَلَا يَقُولُونَ بِالْحَصْرِ.

إِذَا مَا كَانَ أَبُو حِيَانُ النَّحويُّ الْأَنْدُلُسِيُّ (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) شِيْخُ التَّقِيِّ السُّبْكِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ "الْبَحْرُ الْمَحِيطُ" وَغَيْرُهُ يَرْفَضُ إِفَادَةَ التَّقْدِيْمِ "الْاِخْتِصَاصِ" ، فَذَلِكَ بَنَاءً عَلَى أَنَّ الْاِخْتِصَاصَ عِنْدَهُ هُوَ الْحَصْرُ ، وَيَزْعُمُ غَيْرُ مُوقِّعٍ عِنْدَ تَأْوِيلِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أَنَّ الزَّمْخَشْرِيَّ يَذَهِّبُ إِلَى أَنَّ التَّقْدِيْمَ عَلَى الْعَامِلِ يُوجَبُ الْاِخْتِصَاصَ (١) إِنَّ تَلَمِيْذَهُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ (ت: ٧٥٥ هـ) يَذَهِّبُ إِلَى أَنَّ الزَّمْخَشْرِيَّ لَا يَقُولُ بِإِفَادَةِ التَّقْدِيْمِ الْحَصْرِ ، إِنَّمَا يَقُولُ بِالْاِخْتِصَاصِ ، وَيُفَرِّقُ التَّقِيِّ السُّبْكِيَّ بَيْنَ الْحَصْرِ وَالْاِخْتِصَاصِ ، وَهُوَ فِي رِسَالَتِهِ "الْاِقْتِنَاصُ" يَسْتَنِدُ إِلَى أَنَّ الْفَضَلَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَمْ يُرِدْ عَنْهُمُ الْقَوْلُ بِإِفَادَةِ التَّقْدِيْمِ الْحَصْرِ ، وَمِنْ أَوْلَئِكَ الزَّمْخَشْرِيَّ فِي كِشَافِهِ .

وَالْتَّقِيِّ السُّبْكِيُّ ذُو صَبْرَةٍ تَدْرِيْسِيَّةٍ لِتَفْسِيرِ الزَّمْخَشْرِيِّ "الْكِشَافُ" بَلَغَتْ بِهِ إِلَى الآيَةِ الْثَالِثَةِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ سُورَةِ التُّوْبَةِ . قَالَ تَعَالَى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِي بَرَكْتَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذَّابِيْنَ﴾ (التُّوْبَة: ٤٢) ثُمَّ كَفَّ عَنْ تَدْرِيْسِهِ . وَأَنْشَأَ رِسَالَةً سَمَاهَا "سَبَبُ الْاِنْكَفَافِ عَنِ إِقْرَاءِ الْكِشَافِ" . وَهُوَ يَقِيْنًا قَدْ تَوَقَّفَ عَنِ آيَاتٍ جَاءَ فِيهَا تَقْدِيْمٌ كَلِمَاتٍ عَلَى بَعْضٍ ، وَقَالَ الزَّمْخَشْرِيُّ فِيهَا بِالْتَّخْصِيصِ ، وَفَسَرَّ نَفْسِهِ فِي رِسَالَةِ "الْاِقْتِنَاصِ" أَنَّ الْمُسْلِكَ الرَّئِيسَ لِلْحَصْرِ هُوَ النَّفِيُّ وَالْاِسْتِثْنَاءُ ، وَإِثْبَاتُ أَمْرٍ لَا مِرْءٍ وَنَفِيَّهُ عَنِ غَيْرِهِ هُوَ مَضْمُونُ الْاِسْتِثْنَاءِ الْمُفْرَغِ ، وَأَيْضًا مَضْمُونُ مَعْنَى التَّخْصِيصِ الْحَصْرِيِّ الَّذِي يَأْبَى التَّقِيِّ السُّبْكِيُّ أَنْ يَكُونَ مَفَادُ التَّقْدِيْمِ .

وَإِذَا مَا كَانَ عَمَدةُ مَذَهَبِ التَّقِيِّ هُوَ الْاِعْتِمَادُ عَلَى مَقَالَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَاصْطَفَى مِنْهُمْ الزَّمْخَشْرِيُّ ، فَجَعَلَهُ مَنَاقِدَةً مَعْتَمِدَةً .

وَإِذَا مَا كَانَ التَّقِيِّ السُّبْكِيُّ يَقُولُ إِلَى الْمَنَازِعَةِ فِي تَقْدِيْمِ الْمَعْوَلِ "الْمَفْعُولُ" عَلَى فَعْلِهِ الْحَصْرِ . وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِغَيْرِهِ إِلَّا لِمَامًا ، وَكَانَ ولَدُهُ الْبَهَاءُ فِي "الْعَرْوَسِ" يَقُولُ:

(١) الْبَحْرُ الْمَحِيطُ . دارُ النُّشْر / دارُ الْفَكْرِ ج ١ ص ٢ . هَذَا مِنْ أَبْيَ حِيَانٍ غَيْرِ دَقِيقٍ . فَالْزَمْخَشْرِيُّ وَسَائِرُ الْبَلَاغِيْنَ لَا يَقُولُونَ بِوُجُوبِ إِفَادَةِ التَّقْدِيْمِ التَّخْصِيصِ (الْحَصْرِ) بَلْ يَقُولُونَ إِنَّهَا لِلتَّخْصِيصِ (الْحَصْرِ) وَكَذَلِكَ الزَّمْخَشْرِيُّ ، فَالْتَّخْصِيصُ (الْحَصْرِ) وَاحِدٌ مَا يَفِيْدُهُ التَّقْدِيْمُ فِي بَعْضِ صُورِهِ ، وَفِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ وَالْمَقَامَاتِ .

"سلك الوالد رضي الله عنه في الاختصاص حيث وقع- إما بتقديم الفاعل المعنوي، أو بتقديم المعهول- مسلكاً غير ما هو ظاهر كلام البهائيين"<sup>(١)</sup> ، فإن الأكمل أن أبين عن مذهب الزمخشري في دلالة التقديم عموماً على الاختصاص غير الحصرى أو الاختصاص الحصرى . ولن استقرئ مواطن ذلك في الكشاف، ولا أبسط البيان، فالمقام لا يتسع له، بل قد يكفي أحياناً إيراد النص .

وسوف أكتفي تمثلاً بأصنافٍ من التقديم جاء فيها تأويل الزمخشري التقديم بالخصوص، الذي هو تقرير لحكم المذكور وبيانه، لأن المسكون عنه محكوم عليه بضم ما حكم به على المذكور، وهذا هو جوهر الحصر عند البلاغيين .

\*تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ)

\*تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

\*تقديم المفعول به على فعله.

أولاً: تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ).

١- دلالة تقديم المسند على المسند إليه في قول الله تعالى : «**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَقْنَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» (البقرة: ١٢٤) على الحصر . يقول الزمخشري "... **تِلْكَ** إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون . والمعنى : أن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متاخراً . فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا ، فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم . وذلك أنهم افتخروا بأوالدهم .<sup>(٢)</sup>

قوله : "لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا ، فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم" قاطعاً في دلالة التقديم على الاختصاص الحصرى عنده . فقد فسر التقديم بمعنى الاستثناء المفرغ . وهو وإن لم يصرح بمصطلح "الحصر" هنا فقد صرخ بمعناه الاصطلاحى عند أهل ذلك الاصطلاح ، وليس لغير البلاغى أن يشاح في مصطلح البلاغيين ، وإن كان للكل واحدي منهم أن يشاح فيه . فقولهم : "لا مشاحة في المصطلح" يعني به: لا مشاحة لمن ليس من أهل هذا المصطلح أن يشاح أهله فيه . فليس لنحوى أو فقيه أن يشاح بلاغياً

(١) عروس الأفراح: ١٥٤ / ٢ .

(٢) الكشاف: ص ٩٨ .

في مصطلحه البلاغي، وإن كان لقرينه البلاغي أن يشاح فيه، والتقي السبكي ليس من أهل علم البلاغة، بينما ولده البهاء صاحب "عروض الأفراح" له أن يُشاح، ولم يفعل.

٢ - ومن تقديم المسند على المسند إليه المفيد للحصر عند الزمخشري" قوله الله

سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾  
(الأنعام: ٥٢).

يقول : " ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ كقوله: ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّهِ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ (الشعراء: ١١٣) وذلك أنهم طعنوا في دينهم وخالفتهم فقال : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ بعد شهادته لهم بالإخلاص وإبرادة وجه الله في أعمالهم على معنـىـ : وإن كان الأمر على ما يقولون عند اللهـ،ـ فـما يـلزمـكـ إلاـ اعتبارـ الـظـاهرـ والـاتـسامـ بـسيـمةـ الـمتـقـينـ .ـ وإنـ كانـ لـهـمـ باـطـنـ غـيرـ مـرضـيـ فـحسـابـهـمـ عـلـيـهـمـ لـازـمـ لـهـمـ لاـ يـتـعـادـهـمـ إـلـيـكـ،ـ كـماـ أـنـ حـسـابـكـ عـلـيـكـ لـاـ يـتـعـادـكـ إـلـيـهـمـ كـقـولـهـ :ـ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أَخْرَى ﴾ (الزمر: ٧) (١).

قولـهـ :ـ كـقـولـهـ :ـ ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّهِ ﴾ دـالـ دـالـ قـطـعـيـةـ عـلـىـ أـنـ الـمعـنـىـ عـلـىـ الـحـصـرـ الـذـيـ هـوـ مـعـنـىـ النـفـيـ وـالـاسـتـثـنـاءـ .ـ فـقـدـ سـوـىـ بـيـنـ دـالـةـ التـقـيـمـ فـيـ سـوـرـةـ (الأنعامـ) وـدـالـةـ النـفـيـ وـالـاسـتـثـنـاءـ فـيـ آيـةـ سـوـرـةـ (الـشـعـراءـ)ـ.

وقـولـهـ :ـ فـحسـابـهـمـ عـلـيـهـمـ لـازـمـ لـهـمـ لـاـ يـتـعـادـهـمـ إـلـيـكـ،ـ كـماـ أـنـ حـسـابـكـ عـلـيـكـ لـاـ يـتـعـادـكـ إـلـيـهـمـ "ـ جـامـعـ بـيـنـ الإـثـبـاتـ وـالـنـفـيـ الـذـيـ هـوـ مـعـنـىـ الـحـصـرـ .ـ وـلاـ يـمـلـكـ أـحـدـ أـنـ يـقـولـ إـنـ الزـمـخـشـريـ هـنـاـ لـاـ يـرـىـ فـيـ التـقـيـمـ دـالـةـ عـلـىـ الـحـصـرـ .ـ

٣ - ومن إفادة تقديم المسند على المسند إليه الحصر قوله الله ﷺ : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْطَلِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٩) يقولـهـ :ـ ﴿ وـبـاطـلـ مـاـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ ﴾ أيـ ماـ عـمـلـواـ شـيـئـاـ مـنـ عـبـادـتـهـمـ فـيـمـاـ سـلـفـ إـلـاـ وـهـوـ بـاطـلـ مـضـمـحـلـ لـاـ يـنـتـفـعـونـ بـهـ .ـ وـإـنـ كـانـ فـيـ زـعـمـهـمـ تـقـرـباـ إـلـىـ اللهـ ...ـ

(١) السابق: ٢٢٩.

وفي إيقاع (هؤلاء) اسمًا لأنَّ وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها، وسُمِّيَ لعبدة الأصنام بأنَّهم هم المعرضون للتبار، وأنَّه لا يعدونهم البتة...<sup>(١)</sup>.

هذا دالٌ على أنَّ كلمة : « باطل » خبرٌ عن « ما » في « ما عملوا » وأنَّ هذا الخبر قدِّمَ فأفاد ما يفيد النفي والاستثناء بدليل قوله : « أي ما عملوا شيئاً من عبادتهم فيما سلف إلا وهو باطل » فجعل مآل معنى التقديم هو مآل معنى النفي والاستثناء . وهذا قاطع في إفاده التقديم عنده الحصر الذي يفيد النفي والاستثناء .

٤- الزمخشريُّ حين يردُ تركيبُ في آيةٍ يحتمل التقديم والتأخير، ثمَّ يأتي التأخير يُبيّنُ لنا وجه اختيار التأخير بعدمِ إرادة الحصر، مما يدلُّ على أنَّه لو كان التقديمُ لأفاد الحصر الذي لا يقتضيه المقام في هذا السياق .

يقولُ في قول الله تَعَالَى : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبٌ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ » (البقرة: ٢٠) فإنَّ قلت: فهل قدِّمَ الظرفَ على الريب، كما قدمَ على " الغول " في قوله تعالى: « لَا فِيهَا غَوْلٌ » (الصفات: ٤٧)؟

قلت: لأنَّ القصدَ في إلإِ الريب حرفَ النفي نفيُ الريب عنه، وإثباتُ أنه حقٌّ وصدقٌ لا باطلٌ وكذبٌ كما كان المشركون يدعونه، ولو أولَ الظرف لقصد إلى ما يبعدُ عن المراد وهو أنَّ كتاباً آخر فيه الريب، كما قصد في قوله: " لا فيها غول " تفضيل خمر الجننة على خمور الدنيا لأنَّها لا تغتال العقول كما تغتالها هي، كأنَّه قيل: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنفيصة<sup>(٢)</sup>.

تخليص كلامه هذا أنَّه لو قدِّمَ المسند « فيه » على المسند إليه: « ريب » لفهمَ أنَّ القصدَ إلى الإشارة إلى أنَّ كتاباً غيره فيه ريب، فيجتمع في القصد معنيان:

الأول: نفي أن يكون في القرآن الكريم ريب .

والآخر: إثبات الريب في غيره من الكتب .

والثاني ليس مما يقصد إليه هنا. فحسُنَ عدمُ التقديم كي لا يفهمَ منه ما ليس بالمقصودِ إليه .

وهذا من الإحسان إلى السامع ، فإنَّ من بلاغة المتكلِّم أن يعينَ سامعَه على أن

(١) السابق: ٢٨٣.

(٢) السابق: ٣٦.

يفهم ما يقصد إليه دون أن ينزل إلى ما لا يقصد إليه. ولا تجد هذا كمثل ما أنت واجده في القرآن الكريم.

وإذا ما جئت إلى آية الصافات التي أشرنا إليها : ﴿لَا فِيهَا غُولٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (الصافات: ٤٧) تجدها قد اشتملت على ثلاثة أضرب من التقديم :

- تقديم المسند (فيها) على المسند إليه (غول).

- تقديم المسند إليه (هم) على المسند (ينزفون) في حيز النفي.

- تقديم المتعلق (عنها) على ما تعلق به (ينزفون) وهذا يحملنا إلى النظر فيما جاء به الزمخشري في تفسير هذه الآية لعلنا نبصر ما ينفع في هذه القضية.

يقول الزمخشري : " المعنى : لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغضِّ أو صداع أو خمار أو عرباء أو لغو أو تأثير أو غير ذلك .  
ولا هُمْ يسْكرونَ، وهو أعظم مفاسدِها، فأفرزه وأفرده بالذكر" (١).

اكتفى هنا في الدلالة على أنَّ في التقديم نفي وصف عن شراب أهل الجنة بقوله : " لا فساد فيها قط " وإثبات هذا المنفي لغيره بقوله : " التي تكون في شرب الخمر فكان المعنى عنده : لا فيها غول بل خمر أهل الدنيا.

واكتفى في التقديم الذي في ﴿لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ بقوله : " ولا هُمْ يسْكرونَ، وهو أعظم مفاسدِها" معنياً بوجه ذكر هذه الجملة بعد جملة ﴿لَا فِيهَا غُولٌ﴾ بأنَّ هذا من باب ذكر الخاص بعد العام، لما أنَّ الخاص من أعظم ما في العام وأجمله وكأنه أصلٌ لسائر ما في العام المذكور أولاً.

ولم يتعرض للتقديمين اللذين في هذه الجملة ، لأنَّ السياق لا يصلح أن يراعى فيه قصد إثبات المنفي لغيرها، فإنه لا يقال في تأويل تقديم ﴿هم﴾ على ﴿ينزفون﴾ القصد إلى أنَّ غيرَهم هم الذين يسْكرون بها ، لأنَّه ليس في الجنة غيرَهم حتى يُخبر عن حالهم معها ، ولا يقال في تأويل تقديم ﴿عنها﴾ على ﴿ينزفون﴾ القصد إلى أنَّ أهل الجنة ينْزفون عن غيرَهذا الشراب ، أمَّا هذا الشراب فلا ينْزفون عنه ، لأنَّ أهل الجنة لا يذهب عقلهم ، وليس في الجنة البتة شرابٌ يؤدي إلى ذلك ، فانتهى ما يمكن أن تثبت

(١) السابق : ٩٠٥ .

له الصفة المنافية عن الشراب الذي الكلام فيه .

وبهذا يتبيّن لك وجه عدم إشارة الزمخشرى إلى إفادة التقديم في «هم عنها ينزفون» الحصر، وأنه لم يدع ذلك لعدم قوله بإفادة التقديم الحصر، بل ترك ذلك هنا لأنّ المقام لا يستقيم معه القول بإفادة التقديم هنا الحصر. ولو كان المقام يليق به ذلك لقالـ . فالمانع من القول هو السياقـ ، وليس عدم إفادة التقديم الحصرـ .

وهذا يتبيّن لك جلياً أن التقديم لا يدل دلالة لزومية في كل سياق على الاختصاص الحصري كما في الاستثناء المفرغـ . فهو يفيده بمعونة السياق والقرائن ، لأنّه ليس بالموضع له وضعاً تحقيقياًـ . لا شخصيا ولا نوعياـ ، بل هو موضوع له وضعاً تأويلياً تقديرياًـ . تنزيلياً يفترق فيه إلى السياق والقرائن افتقاراً رئيسياًـ . وهذا ما يؤكده البلاغيونـ . ويقررون أن إفادة التقديم الحصر بالفحوىـ .

وبهذا يتضح لك جيداً أنَّ تقديم المسند إليه على خبره الفعلي في حيز النفيـ . لم يوضع للدلالة على الاختصاص الحصري الذي يدل عليه الاستثناء المفرغـ وضعاً تحقيقياًـ يلازمـ في كل سياق ومقامـ . بل تقضي بعض السياقات والقرائن تجردهـ من تلك الإفادة خاصةـ . وإن أفاد فائدةً معنويةً أخرىـ ، والفوائد المعنوية للتقديم غير ممحضـةـ في فائدة الاختصاص الحصريـ .

#### ثانياً : تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي :

إذا ما كان الذي مضـ هو نمط تركيبـ قدمـ فيه المسند على المسند إليهـ . سواءـ في سياق الإثبات أو في سياق النفيـ . فإنـ مما يفيد تقديمـهـ الحصر عندـ الزمخشرـ تقديمـ المسندـ إليهـ على خبرـهـ الفعليـ فيـ سياقـ إثباتـ أوـ غيرـهـ . وهذاـ النـمـطـ فيماـ أـذـهـبـ إليهـ أـصـلـهـ الجـملـةـ الفـعلـيـةـ التـيـ وـقـعـ فـيـهاـ عـدـوـلـ بـتـقـدـيمـ الـفـاعـلـ الـمـعـنـوـيـ عـلـىـ فـعـلـهـ لأـمـرـ مـعـنـوـيـ . فـالـأـصـلـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ هـوـ الـجـملـةـ الـفـعلـيـةـ . ولـيـسـ الـأـسـمـيـةـ . فـكـيـفـ إـذـاـ كـانـتـ الـأـسـمـيـةـ فـعـلـيـةـ العـجـزـ؟ـ

١ـ يقول الله تعالى : «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكُمْ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْأَصْمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقُلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَظْهَرُ إِلَيْكُمْ أَفَأَنْتَ تَهْرُبُ الْمُعْنَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ ﴿٤٣﴾» (يوحنا: ٤٢ - ٤٣)ـ . يقولـ الزمخشرـيـ :ـ وـقـولـهـ :ـ «ـأـفـأـنـتـ»ـ ،ـ «ـأـفـأـنـتـ»ـ دـلـالـةـ عـلـىـ أـنـهـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ إـسـمـاعـلـهـمـ وـهـدـاـيـتـهـمـ إـلـاـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ بالـقـسـرـ وـالـإـجـاءـ .ـ كـمـاـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ رـدـ الأـصـمـ

والأعمى المسلوب العقل، حديدي السمع والبصر، راجحي العقل إلا هو وحده ”<sup>(١)</sup>. صريحٌ هذا في ذهابه إلى أنَّ تقديم المسند إليه »أنت« على الخبر الفعليّ »تسمع«، »تهدي« في حيز الاستفهام، مفيّدٌ في كلِّ معنى الحصر ، ولذلك أول المعنى إلى الاستثناء المفرغ المقطوع بدلالته على الحصر.

ولست هنا في سياق النظر في مناقشة تأويل معنى الاستفهام وعلاقته بقوله: »وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ« وموقع ”الفاء“ في »أفانت« فذلك وإن كان في نفسه مهما يحرر معنى الاستفهام وعلاقته بخطاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ وَسَلَّمَ - من جهة ، وبتصوير حال المطبوع على قلوبهم من الكافرين ، ولكنني في سياق النظر في إفادة تقديم ”المسند إليه“ »أنت« على الخبر الفعليّ »تسمع«، »تهدي« في حيز الاستفهام أو غيره .

٢ - في قول الله ﷺ : »وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلَحًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُ وَاللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ، هُوَ أَنْشَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ لَمْ تُؤْتُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ« (هود: ٦١).

يقول الزمخشري : » هُوَ أَنْشَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ « لم ينشئكم منها إلا هو ، ولم يستعمركم فيها غيره، وإن شاؤهم منها خلق آدم من التراب ...<sup>(٢)</sup>.

قوله : ”لم ينشئكم منها إلا هو ، ولم يستعمركم فيها غيره“ صريحٌ في أنَّ معنى التقديم هو معنى (الاستثناء المفرغ ) الذي فسرَه به .

وهذا من حصر الصفة في الموصوف في الجملتين معاً . وذلك على أنَّ قوله : »وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا« من عطف الجملة على الجملة، أي هو أنشأكم . وهو استعمركم، وليس من عطف »استعمركم« على »أنشأكم« عطف مسند على مسند، وإلا قال الزمخشري: ”لم ينشئكم منها ولم يستعمركم فيها إلا هو . و الدَّهَابُ إلى استقلال كلِّ جملة أعلى ، لأنَّا إنْ قلنا بأنَّه من عطف المسند على المسند ، فقد يتوجهُ أنَّ الجمع بينهما ”الإنشاء والاستعمار معاً“ هو مناط النظر ، أي لم يجمع بينهما إلا الله ﷺ وغيره قد يقعُ منه واحدٌ منها ، كمثل أن يقول لأحدِهم : ”لم يطعْمكُ ويعلمكُ إلا فلان“

(١) السابق: ٤٦٥.

(٢) السابق: ٤٨٩.

تريد: لم يجمع لك بينهما إلا فلان، أما غيره فإنه قد يعلمك أو يطعمنك، أما أن يجمع بينهما فلا، ولا ريب في أنَّ هذا ليس بالمعنى الذي جاءت به الآية، وهذا يبين لك وجهاً من دقة الزمخشرى في تأويله وتعبيره.

٣ - يقول الله ﷺ: «الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الْزَكُوْةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُؤْقَنُونَ» (النمل:٣) يقول الزمخشرى : "فإن قلت : «وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُؤْقَنُونَ» كيف يتصل بما قبله؟

قلت: يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ، ويحتمل أن تتم الصلة عنده . ويكون جملة اعتراضية ، كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، هم المؤمنون بالآخرة، وهووجه .  
ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو «وَهُم» حتى صار معناها : وما يؤمن بالآخرة حق الإيمان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق<sup>(١)</sup>.

فسرَ الزمخشرى التقاديم هنا بالاستثناء المفرغ الذي هو العلم في الدليلة على معنى الحصر : " وما يؤمن بالآخرة حق الإيمان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ...".

فهو من حصر الصفة في الموصوف ونفيه عمما عداه .

وهذا يُبيّن ما جاء في تفسيره آية البقرة : «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُؤْقَنُونَ» (البقرة:٤) فالمسند إليه «هم» في الآيتين مقدم على خبره «يُؤمنون» وعدم تقدم «هم» على «بالآخرة» في آية سورة (البقرة) لا يؤثُّ فيما نحن فيه من أن تأويل التقاديم في آية سورة (البقرة) هو تأويلها في آية سورة (النمل) من أن السياق سواء ، والنظام الذي هو محل التظُّر سواء . وإن كان تصريح الزمخشرى بمعنى الحصر في تأويل آية سورة (النمل) أظهر .

٤ - ومن هذا ما جاء عنه في تأويل قول الله ﷺ :

«وَقَالَ الَّذِينَ آتَيْعُوا لَوْاْنَ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّاً مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّهُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ

. ٧٧٥ (١) الكشاف :

أَعْمَلُهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَرِيجِينَ مِنَ الْأَنَارِ» (البقرة: ١٦٧).  
يقول: «وَمَا هُم بِخَارِجِينَ» هم بمنزلته في قوله (١).

هم يُفرشون اللبد كل طمرة

في دلالته على قوّة أمرهم فيما أُسند إليهم لا على الاختصاص (٢).

قوله : «في دلالته على قوّة أمرهم »، يريده التوكيد، وتقوية الحكم ، وهو المعنى الذي جعله التقى السبكي مدلول "الاختصاص" عنده، فجعل الزمخشري هذا عديلاً لقوله "لا على الاختصاص" قاطعاً بأن "الاختصاص" هو الحصر، وليس التوكيد وتقوية الحكم .

كلّ هذا يبيّن بياناً جليّاً قوياً لا يُتوقف فيه أنَّ الزمخشري يقول التقديم في مواضع بمدلول الحصر.

ثالثاً : تقديم المفعول به على الفعل :

وممَّا جاء تأويلاً للتقديم فيه على إفاده الاختصاص(الحصر) عند الزمخشري . وهو الذي عني التقى السبكي برد ما يأتي :

١- قول الله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (الفاتحة: ٥).

يقول الزمخشري : "...وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى : «قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ أَيْمًا آجْتَهْلُونَ» (الزمر: ٦٤). «قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَبِغُ رِزْقًا» (الأنعام: ١٦٤) والمعنى "نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعاونة" (٣).

(١) البيت تمامه (أَوْ جَرَدَ سَبَاحَ يَدُ الْمُغَالِي) . وهو للمعدل بن عبد الله الليبي (من شعراء الحماسة)؛ وقبله . حجزي الله فتيان العتيق وإن نأت بي الدار عنهم خير ما كان جازيا هم خلطوني بالنفوس وأكرموا الصحابة لما حمّم ما كنت لأقيا

والزمخشري في فهمه دالة التقديم في البيت جاز على مذهب عبد القاهر فيه، يقول عبد القاهر: "لم يرد أن يدعى لهم هذه الصفة دعوى من يفردتهم بها، وينص عليهم فيها حتى كأنه يعرض بقوم آخرين، فيبني أن يكونوا أصحابها، هذا محال، وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمهدون صهوات الخيل، وأنهم يقتدون الجنادل منها، وأن ذلك دأبهم من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم، إلا أنه بدأ بذلك ليبنيه السامع لهم، وبعلم بدياقصده إليهم بما في نفسه من الصفة، ليمعنده بذلك من الشك، ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم، أو أن يكون قد أراد غيرهم، فغلط إليهم"

(دلائل الإعجاز: ١٢٩-١٣٠)

(٢) الكشاف: ١٠٦-١٠٧

(٣) الكشاف: ٢٨

ويقول في سياق تأويل الالتفات في سورة الفاتحة :

” قيل: إِيَّاكَ يَا مِنْ هَذِهِ صَفَاتِهِ نَخْصُ بِالْعِبَادَةِ وَالْاسْتِعَانَةِ، لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينُكَ .“  
ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التمييز الذي لا تتحقق العبادة إلا به ”<sup>(١)</sup>.  
فانظر قوله : ” لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينُكَ لِيَكُونَ الْحَطَابُ أَدْلُ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ لِذَلِكَ التَّمِيزَ الَّذِي لَا تَتَحْقِقُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهِ ”<sup>(٢)</sup>.

أليس هذا منادياً أن التقديم عنده دال على الحصر؟

ـ ٢ـ ومن إفاده تقديم المفعول الحصر عنده ما في قول الله ﷺ :  
» قُلْ أَرْءَيْتُكُمْ إِنْ أَتَنَّكُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَنَّكُمُ السَّاعَةَ أَغْيَرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ بَلْ إِنَّهُ تَدْعُونَ فَيَكْتُفِي بِمَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْوَنَ مَا تُنْهَرُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٠-٤١) .  
يقول الزمخشري : ” ثم بكتئهم بقوله: « أَغَيَرَ اللَّهِ تَدْعُونَ » بمعنى: أتخضون  
الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أمر تدعون الله دونها « بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْتُفِي بِمَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ » أي ما تدعونه إلى  
كشفه « إِنْ شَاءَ » إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة ... ”<sup>(٣)</sup> .

فانظر قوله : ” بل تخضونه بالدعاء دون الآلهة ) فهذا قاطع في أن تقديم المفعول  
مفید الحصر . فالمسكوت عنه ، وهو (الآلهة) ثابت له عنده ضد ما ثبت للمذكور ، وهو  
الله سبحانه وتعالى . وهذا هو مدلول الحصر عند البلاغيين .  
وقد علق ابن المنير على هذا بقوله: ” وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص  
والحصر ”<sup>(٤)</sup> .

ـ ٣ـ وعمما هو جلي في أن التقديم عند الزمخشري قد يفيد الاختصاص الذي هو الحصر  
ما جاء في تأويله قول الله ﷺ : ” سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَدَّبُوا بِعَايَتِنَا وَأَنفَسَهُمْ كَانُوا  
يَظْلِمُونَ ” (الأعراف: ١٧٧) .  
يقول الزمخشري : ” وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب . وتقديم المفعول به  
للاختصاص كأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها ”<sup>(٥)</sup> .

(١) السابق : ٢٩.

(٢) السابق : ٣٢٧.

(٣) الانتصار لابن المنير ١٨/٢:٣٢٧ - هامش الكتاب (م.س).

(٤) الكشاف : ٣٩٦.

فهذا ظاهر الدلالة على أن التقديم مفيد للاختصاص ، وأن معنى "الاختصاص" هنا هو معنى "الحصر" بدلالة قوله : لم يتعدها إلى غيرها .

٤- وما يجري على تقديم المفعول على عامله يجري على تقديم المتعلقات على العامل. ومن هذا تأويل الزمخشري قول الله تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِنَّا هُمْ أَقْتَدِهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَلَّمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠) يقول الزمخشري : "فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم. وهذا معنى تقديم المفعول ...)" (١) هذا ظاهر الدلالة على أن تقديم المتعلق "الجار والمجرور" "فبهداهم" على متعلقه "اقتده".

وكذلك تأويله قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢).

يقول : "وعلى ربهم يتوكلون" ولا يفوضون أمرورهم إلى غير ربهم، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه. جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكيل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة" (٢).

٥ - وجاء في تأويله قول الله تعالى :

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الْأَصْدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَإِذَا لَكُ فَلَيْفِرُحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨-٥٧). قوله : « قد جاءكم موعظة » أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد « و » هو « شفاء » أي دواء، « لما في » صدوركم من العقائد الفاسدة. ودعاء إلى الحق « ورحمة » لمن آمن به منكم.

وأصل الكلام : بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ، فبذلك فليفرحوا ، والتكرير للتأكيد والتقرير، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا ، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه ، والفاء داخلة لمعنى الشرط ، كأنه قيل : إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح ، فإنه لا مفروض به أحقر منهما (٣).

(١) السابق: ٣٢٦.

(٢) السابق: ٤٠٣.

(٣) السابق: ٤٦٦.

أيمكن أن يقول قائلٌ إنْ قول الرَّمْخْشِرِيِّ: "إيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا" لا يريد منه مدلول مصطلح "الحصر"؟ إنْ كان، فإنما هو خارجٌ في فهمه عن معهود العرب في خطابها فهمًا وإفهامًا.

٦ - وفي تأويله قوله الله ﷺ :

**﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَا وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾** (الإسراء: ١٠٥).

يقول : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله، وما نزل إلا متبساً بالحق والحكمة، لاشتماله على الهدایة إلى كلّ الخير. أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة ، وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليل الشياطين ». (١).

قوله هذا صريح كالشمس في أن مدلول التقديم في الآية الحصر.

٧ - ومن هذا تأويله قوله الله ﷺ :

**﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوا الْحَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (الرُّوم: ٢٧).

وهو يناظره بقول الله ﷺ :

**﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلْمَمٌ وَكَانَتْ آمَرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكَبِيرِ عَتِيًا ﴾** قالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَلِكُ شَيْئًا ) امريم: ٨-٩( .

يقول : « وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ » فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم ، لأنَّ من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، وتعذرُون للصانع إذا خَطِئَ في بعض ما ينشئه بقولكم : أول الغزو أخرق ، وتسمون الماهر في صناعته معاوداً ، تعنون أنه عاودها كرّة بعد أخرى ، حتى مرن عليها وهانت عليه .

فإن قلت : لم ذكر الضمير في قوله : « وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ » والمراد به الإعادة ؟  
 قلت : معناه : وأن يعيده أهون عليه . فإن قلت : لم أخرت الصلة في قوله : « وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ » وقدّمت في قوله : « هُوَ عَلَيَّ هَيْنَ » (مريم: ٩) ؟

. (١) السابق: ٦١٠

قلت : هناك [أي في آية سورة مريم] قصد الاختصاص وهو محزه . فقيل : هو على هين . وإن كان متعمصاً عندكم أن يولد بين هرم وعاقر . وأما هاهنا فلا معنى للاختصاص . كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء ، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى ”<sup>(١)</sup> .

لو كان الاختصاص في فهم الزمخشرى كما يذهب التقى السبكي هو مجرد التوكيد اهتماماً واعتناء ، فما الذي يمنع التوكيد هنا والاهتمام والاعتناء . ذلك لا يكون إلا إذا كان مدلول الاختصاص عند الزمخشرى هنا هو ”الحصر“ .

وقد كان ناصر الدين ابن المنير المالكى (ت ٦٨٣هـ) أوّعى لمقال الزمخشرى وأفقهه . ولذا قال في كتابه ”الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال“ . معلقاً على مقالة الزمخشرى هنا : ”كلامٌ نفيسٌ يستحقُ أن يكتبَ بذوبِ التبرِ، لا بالحبرِ، وإنما يلقى الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخذَ، قد علمت مذهبه في مثل ذلك“ <sup>(٢)</sup> .

٨ - وفي قول الله تعالى : «إِلَى رَبِّنَا نَاظِرٌ» (القيامة: ٢٢) يقول : ”إِلَى ربها ناظرة“ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول لأنّه إلى قوله : «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرُ» (القيامة: ١٢) «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» (القيامة: ٣٠) «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصْرِيرُ الْأُمُورُ» (الشورى: ٥٣) «وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» (آل عمران: ٢٨) «عَلَيْهِ تَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (هود: ٨٨) كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص... ثم يقول : ”والمعنى : أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه“ <sup>(٣)</sup> .

أيحتاج من له أدنى إلمام بالعربية أن يبين له أن الزمخشرى قاطع بأن تقديم المفعول وما في حكمه كما في الآيات التي ذكرها دال على الاختصاص الحصري الذي هو في معن (ما) وإلا : الجامع بين النفي والإثبات؟ .

والزمخشرى في هذه الآية على الرغم من أنّه لم يجعل النظر على ظاهره . وأوله بمعنى التوقع، فإنه قائل بإفاده التقديم الاختصاص الذي هو الحصر عنده هنا بناء على

(١) السابق : ٨٢٨ .

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال : ٨٧٩ (على هامش الكشاف) .

(٣) الكشاف : ١١٦ .

تصريحه بقوله : ” والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إيه ”<sup>(١)</sup>.

وهو الذي يهمنا هنا . وقد أكد ابن المنير صحة اجتماع إفادة التقديم هنا الحصر، وبقاء معنى ”النظر“ على حقيقته دون تأويل<sup>(٢)</sup>.

وقول الزمخشري هذا: ”تنظر إلى ربهما خاصة لا تنظر إلى غيره. وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرُ﴾ (القيامة: ١٢)“ نص قاطع منادٍ بأن تقديم المفعول عند الزمخشري يفيد فيما يفيد معنى الحصر . وأنه في إفادته هذه كدلالة الاستثناء المفرغ عليه .

ولن يكون بملك ” التقى السبكي“ أن ينزع في أن الزمخشري ممن يقرّ أن تقديم المفعول قد يفيد الحصر: (القصر) وأن الاختصاص عنده حينئذٍ متافق مع الحصر والقصر في المسمى الاصطلاحي .

وإذا ما كان التقى السبكي قد اصطفى الزمخشري مستندًا لمذهبـه ، وتبين أنه لا يصلاح مستندًا لهذا المذهب . فإن جمهرة من المفسرين من قبل الزمخشري . ومن بعده يذهبون في بعض الموارد من تفسيرـهم إلى أن التقديم في بعض الصور وبعض السياقات يتضمن معنى الحصر: (النفي والإثبات ) ولذا يؤولون المعنى على الاستثناء المفرغ، أو إثبات شيءٍ ونفيه عن غيره .

يقول الطبرـي في تأويل قول الله عزوجلـه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

قال أبو جعفر: وتـأويل قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ : لك اللـهم نخـشع ونـذل ونـستكـين . إقراراً لك يا ربـنا بالربـوبـية لا لـغيرـك .

ومعنى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : وإياك ربـنا نـستـعين على عـبـادـتنا إـيـاك وـطـاعـتنا لك وفي أمـورـنا كلـها - لا أحدـاً سـواـكـ . إذـ كانـ منـ يـكـفـرـ بـكـ يـسـتعـينـ فيـ أمـورـه

(١) ليس مناط الرد على الزمخشري أنه أول قوله ﴿ناظرة﴾ بمعنى متـظـرة . فـذـلك قالـ به بعضـ أهلـ السنـةـ والـجـمـاعـةـ . قالـ مجـاهـدـ: ”تنـظـرـ ثـوابـ رـبـهاـ“ كما روـاهـ الطـبـرـيـ فيـ تـفـسـيرـهـ طـشاـكرـ (٧٢/٤٤)ـ وإنـماـ الرـدـ أنهـ اختـارـ هـذـاـ التـأـوـيلـ لـمـعـنـيـ القـوـلـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ الـرـبـ عـزـوجـلـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ . فـلـوـ آنـهـ يـوـظـفـ هـذـاـ التـأـوـيلـ لـمـعـقـدـهـ غـيرـ القـوـيمـ لـمـاـ كـانـ باـعـثـ قـوـيـاـ إـلـىـ رـدـهـ .

(٢) يـنـظـرـ تعـقـيـبـ ابنـ المنـيرـ فـيـ الـانتـصـافـ عـلـىـ هـامـشـ الكـشـافـ صـ ١١٦٢ـ .

معبوده الذي يعبدُه من الأوثان دونك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة<sup>(١)</sup>.

ألا ترى أن قوله "إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك." و"نستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها -لا أحداً سواك." دالٌ دلالة بينة على أن التقديم متضمن معنى الإثبات، والنفي، فقوله: "لا أحداً سواك" ناطقٌ بذلك، لا يُتغافلُ عنه .

وفي قول الله ﷺ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ هَذِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ» (يوسوس: ٤٣) يقول: أفتنت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلك وحجتك، فلا يوفدون للتصديق بك أبصاراً لو كانوا عميماً يهتدون بها ويصررون؟ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك، ولا يقدر عليه أحد سواي، فكذلك لا تقدر على أن تبصّرهم سبيلاً للرشاد أنت، ولا أحد غيري، لأن ذلك بيدي وإليه<sup>(٢)</sup>.

وفي تأويليه قول الله ﷺ: «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَمَحَّ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِرْتَهَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (النحل: ٧٧) يقول: "ولله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض دون آهاتكم التي تدعون من دونه، دون كلٍّ ما سواه، لا يملك ذلك أحد سواه..."<sup>(٣)</sup>.

وفي مثل هذا الباب يقول الطبراني في قول الله ﷺ:

«وَمَا أَنْتَ بِهِدِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِغَايَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (الروم: ٥٣) يقول: "يقول تعالى ذكره": وما أنت يا محمد بمسند من أعمام الله عن الاستقامة ومحجة الحق، فلم يوفقه لإصابة الرشد، فصار فيه عن ضلاله التي هو عليها، وركوبه الجائر من الطرق إلى سبيل الرشد، يقول ليس ذلك بيدي ولا إليك، ولا يقدر على ذلك أحد غيري، لأنني القادر على كل شيء<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير أبو جعفر الطبراني، تج: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ م. ج ١ ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) السابق: ٩٦/١٥.

(٣) السابق: ٢٦٤/١٧.

(٤) السابق: ١١٦/٢٠.

ومن هذا الباب الذي يفيد فيه تقديم المسند على المسند إليه الحصر ما جاء عن الطبرى في تفسير قول الله ﷺ :

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٨٨).

يقول "الطبرى": "... وقوله: (له الحكم) يقول: له الحكم بين خلقه دون غيره ، ليس لأحد معه فيه حكم ..."

فقول الطبرى : (دون غيره ) تصريح بما فهم تلوينا من الإثبات في ( له الحكم ) وهذا عن صراحته (الإثبات والنفي في جملة واحدة)، وهو النهج الذي يتخذه الزمخشري من بعده أحياناً .

ومن هذا قول الطبرى في قول الله ﷺ :

﴿ بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الْشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر: ١٦):

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعباته، بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد.....ونصب اسم الله بقوله (فاعبد) وهو بعده ، لأنه رد كلام..." (١).

كلُّ هذا جليٌ ظاهرٌ في أن تقديم المفعول مفيد للحصر.

وعبد القاهر ، وهو شيخ البلاغيين، يقرر أن التقديم قد يكون للحصر ، وقد يكون لغيره .

يقول: "... إذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل ، فقدّمت ذكره ، ثمّ بنىـت الفعلـ عليه فقلت "زيد قد فعل" ، و "أنا فعلت" و "أنت فعلت" اقتضـ ذلك أن يكون القصدـ إلى الفاعـلـ ، إلاـ أنـ المعنىـ فيـ هـذـاـ القـصـدـ يـنـقـسـمـ قـسـمـيـنـ : أحـدـهـماـ جـلـيـ لاـ يـشـكـلـ وـهـوـ أـنـ يـكـوـنـ الفـعـلـ فـعـلاـ قـدـ أـرـدـتـ أـنـ تـنـصـ فـيـهـ عـلـىـ وـاحـدـ . فـتـجـعـلـهـ لـهـ ، وـتـزـعـمـ أـنـهـ فـاعـلـهـ دـوـنـ وـاحـدـ آخـرـ ، أـوـ دـوـنـ كـلـ أـحـدـ .

والقسم الثاني: أن لا يكون القصدـ إلى الفاعـلـ عـلـىـ هـذـاـ المعـنـ ، ولـكـ عـلـىـ أـنـكـ أـرـدـتـ أـنـ تـحـقـقـ عـلـىـ السـامـعـ أـنـهـ قـدـ فـعـلـ وـتـمـنـعـهـ مـنـ الشـكـ ، فـأـنـتـ لـذـكـ تـبـدـأـ بـذـكـرـهـ .

(١) السابق: ٢٢٢ / ٢١.

وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد<sup>(١)</sup>.

أليس قوله: "أحدهما جلي لا يشكل وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تتصفح فيه على واحدٍ، فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كلٍّ أحدٍ". هذا قاطعاً في أنَّ التقديم عند البلاغيين - وفي صدارتهم عبد القاهر الذي كانت عناته تتبيّن معاني التقديم جدًّا عظيمة - لا يقول أحدٌ منهم إنَّ التقديم محصورة معانيه في الاختصاص (الحصر)؟!!

وتأمل كيف أنَّ عبد القاهر جعل إفادة التقديم الحصر جلي لا يشكل، وكأنَّ هذا هو الذي لا يستقيم المنازعة فيه، فإنه جلي لا يشكل، بخلاف الآخر (إفادته التقرير والتوكيد) لم يقل فيه "جلي لا يشكل". وكأن حاجة القول به إلى السياق أقوى من حاجة الأول، ولكن التقى السبكي يقلب القضية بغير برهان.

ومن قبل عبد القاهر ذهب ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) إلى أنَّ تقديم الفاعل المعنوي، وهو نكرة على فعله يأتي ليفيد حصر الفعل في هذا الفاعل المعنوي المقدم، تجد هذا جلياً في تأويل ابن جنّي قول العرب: "شرٌ أهرَّ ذا نابٍ". يقول:

"وأماماً قولهم: "شرٌ أهرَّ ذا نابٍ" فإنما جاز الابتداء بالنكرة من حيث كان الكلام عائداً إلى معنى النفي، أي: ما أهرَّ ذا نابٍ إلا شرٌ، وإنما كان المعنى هذا لأنَّ الخبرية عليه أقوى. ألا ترى أنك لو قلت: أهرَّ ذا نابٍ شرٌ لكنت على طرف من الإخبار غير مؤكد، فإذا قلت: "ما أهرَّ ذا نابٍ إلا شرٌ" كان ذلك أوكلد.

ألا ترى أنَّ قوله: ما قام إلا زيد، أوكلد من قوله: "قام زيد".

وإنما احتاج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمراً عانياً مهماً، وذلك أنَّ قائل هذا القول سمع هرير كلبٍ، فأضاف منه وأشافق لاستيعابه أن يكون لطارق شرٌ. فقال: "شرٌ أهرَّ ذا نابٍ" أي "ما أهرَّ ذا نابٍ إلا شرٌ" تعظيمًا عند نفسه أو عند مستمعه، وليس هذا في نفسه كان يطرق بابه ضيف أو يلم به مُسْتَرِشدٌ، فلما عناه وأهمه وكلد الإخبار عنه، وأخرج القول مخرج الإغلاطٍ به، والتاهيب لما دعاه إليه<sup>(٢)</sup>.

(١) دليل الإعجاز - تج: شاكر ص ١٢٨

(٢) الخطائض، لابن جنّي . تج: محمد علي النجار ، ط: سلسلة الذخائر، رقم (١٤٦) وزارة الثقافة المصرية

ما قاله ابن جني صريحٌ في أن تقديم الفاعل المعنوي على فعله أفاد حصر الفعل فيه، ولذلك أوله بالنفي والاستثناء . وبينَ ما فيه من التوكيد ، بل وبينَ مقتضى هذا التوكيد والحصر، وكان بيانه لا يفتقر أحدٌ إلى مزيد عليه . وهذا الذي قاله ”ابن جني“ هو أصل ما قاله من بعده ”عبد القاهر“ وهو من الشهرة عند طلاب علم العربية بمكان<sup>(١)</sup> .

وننظر في مقالة عصريٌّ لعبد القاهر هو إمامٌ فيما كان التقى فيه إمام عصره، إنه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الشافعي<sup>(٢) - ٤٧٨ هـ</sup> لنرى تصريحه بإفاده التقديم الحصر.

ترى ذلك جلياً سافراً في تأويله التقديم في ما رواه أبو داود في كتاب الطهارة من سننه بسنته عن ابن عَقِيلٍ عَنْ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ عَلَىٰ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”مَفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ.“  
قال الألباني: حسن صحيح<sup>(٣)</sup> .

يقول الجويني: ”قوله ﴿تَكْبِيرٌ﴾ : وتحريمها التكبير“ فمقتضاه الحصر لا محالة [كذا] وليس هذا من فن المفهوم المتلقى من تخصيص الشيء بالذكر ... وهذا يقرر من وجهين :

أحدهما النقل والاحتکام إلى ذوي العجا والإحكام في كل لسان ولغة، فإذا قال القائل: ”زيد صديقي“ لم يتضمن هذا نفي الصداقة عن غيره والقول بالمفهوم لا يتضمن في سياق هذا الكلام حصر للصداقة ولا قصر لها على زيد المذكور صدراً ومبتداً . ولو قال القائل ”صديقي زيد“ اقتضى هذا أنه لا صديق له غيره، وهذا مما لا يبعد ادعاء إجماع أهل اللسان فيه، ومن أبدى في ذلك مراءً كان مباهتنا محكوماً عليه بالعناد، فهذا وجه، والوجه الآخر أن ترتيب الكلام أن تقول: ”زيد صديقي“ فإن وضع المبتداً ذكر معرف تبادره الأفهام حتى إذا فهم أنسن إليه خبر لا يستقل معلوماً في نفسه.

. ٢٠٠٦ ج ٢١٩ .

(١) دليل الإعجاز، قراءة محمود شاكر: ١٤٢-١٤٤ .

(٢) الحديث رواه أيضًا الترمذى في كتاب الصلاة من جامعه . وابن ماجه في كتاب الطهارة من سننه . وأحمد في مسنده عليٌّ والدارمي من كتاب (الطهارة) من سننه .

فيتنتظم من ارتباط الخبر به في إفادة السامع ما يقدر المتكلم أنه ليس عالما به، فإذا قلب الكلام وقال: ”صديقي زيد“ لم يصلاح قوله: ”صديقي“ صدرا مبدوعا به ، فإنه يتربّع بعد البداية به خبره، فحملت العرب تقديمها وصرف الاهتمام بها على حصر معناه في زيد المذكور بعده، ولولا ذلك لما انتظم الكلام، وهذا معنى لا يفضي إلى القطع بنفسه والمعتمد القاطع النقل كما ذكرناه <sup>(١)</sup>.

كلام الجويني في دلالة التقديم على الحصر، وتصرحه بمصطلح الحصر والقصر ، لا يتوقف فيه سامع <sup>٢</sup> ، والاحتجاج بأن <sup>٣</sup> كلامه في تقديم الخبر على المبتدأ ، لا في تقديم المفعول على فعله، تعنت لا يلتفت إليه، وإلا وجب إبداء فرق موضوعي <sup>٤</sup> أسلوبيا منسولاً من معهود العرب في خطابها فهما وإنهما يفرق بين التقديمين .

ويقول ابن العربي المالكي:

”قال رسول الله ﷺ : “تحريم الصلاة التكبير” وتحليلها التسليم”. فقال علماؤنا: لا يجوز التعظيم ولا التسبيح بدلا من التكبير. وقال أبو حنيفة رحمه الله يجوز افتتاح الصلاة بكل ذكر لأن ذكر التكبير لا يقتضي أن غيره بخلافه، وحمل علماؤنا هذا الحديث على طريقين: أما أحدهما فقلوا إنه دليل الخطاب وردوا المسألة إليه .

الثاني أنهم قالوا هذه عبادة وقد عينت للتکبير وعین لها، فاللحاک غيره به من باب القياس ولا مدخل له في العبادات . والمختار عندي أنه من باب الحصر” <sup>(٥)</sup>.

وأختم القول ب موقف ولده البهاء السبكي من دلالة التقديم على الحصر:

”الباءُ السبكيُ عَلِيمٌ بمذهب أبيه التقى في هذه المسألة، ونقل رسالته ”الاقتناص“ في خاتمة القول في تقديم المفعول على فعله، والباء قائمٌ على أن هذا التقديم يكون لأمور منها: التخصيص الذي هو الحصر عنده، وقد ختم الفصل بقوله :

”تنبيه، وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة، وهي قوله تعالى:

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿بَلْ إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيُكَثِّفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٤٠-٤١).

(١) البرهان في أصول الفقه، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، تحقيق: عبد العظيم الدبي卜، ط(٤) دار الوفاء، المنصورة : ج ١ ص ٣٧.

(٢) الممحض في أصول الفقه لأبي بكر بن العربي المعافري المالكي . تج: حسين علي البدرى . ط: دار البيارق – الأردن . ٢٠١٤هـ . ص ٦٠-٦١ .

فإنَّ التقدِيمَ الأوَّلَ قطعاً لِيسَ لِلاختِصاصِ ، وَفِي ﴿إِيَاهُ﴾ قطعاً لِلاختِصاصِ ، كَمَا يَظْهُرُ بِالتَّأْمِلِ<sup>(١)</sup> .

فهذا دَلَكٌ عَلَى أَنَّ التقدِيمَ فِي ﴿إِيَاهُ تَدْعُونَ﴾ قطعاً لِلاختِصاصِ الَّذِي هُوَ الحَصْرُ ، لِأَنَّ الاختِصاصَ بِمَفْهُومِهِ عَنْ أَبِيهِ قَائِمٍ فِي ﴿أَغْيَرُ اللَّهَ تَدْعُونَ﴾ وَهُوَ قَدْ أَبَاهُ ، وَلَوْ أَنَّهُ بِمَعْنَى الحَصْرِ عِنْهُ مَا أَبَاهُ .

وَهُوَ يَعْلُقُ عَلَى مَا جَاءَ عَنِ الزَّمْخَشْرِيِّ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَتَبَرُّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرُّوا مِنَنَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٧) مِنْ عَدَمِ القَوْلِ بِالاختِصاصِ (الحَصْرِ) فِي التقدِيمِ : ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ قَائِلًا :

”وَهِيَ دِسِيْسَةٌ اعْتَزَالٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ جَعَلَهَا هُنَّا لِلاختِصاصِ ، لَزَمَهُ تَخْصِيصٌ ، عَدَمُ خَرْجَةِ الْكُفَّارِ ، فَيَلْزَمُ خَرْجَةُ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كِمْذَهْبٌ أَهْلِ السَّنَةِ . وَالْزَّمْخَشْرِيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ أَخْذًا بِالاختِصاصِ [يُرِيدُ الْحَصْرَ لَا مَحَالَةَ ، لَا التَّوْكِيدَ وَتَقْوِيَةَ الْحُكْمِ] فِي مَثَلِ هَذَا وَغَيْرِهِ مِنْ قَوَاعِدِ الْبَيَانِيَّنِ ، فَإِذَا عَارَضَهُ الْاعْتَزَالُ فَزَعَ مِنْ قَوَاعِدِهِمْ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> .

وَفَوْقُ هَذَا هُوَ لَمْ يَنْازِعْ فِي كِتَابِهِ الْعَرْوَسُ فِي بَابِ "الْقَصْرِ" عَدَّ التقدِيمَ مَمَّا يَفِيدُ الْقَصْرَ أَحْيَانًا . هَلْ بَقَى عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ التَّقِيِّ السَّبْكِيِّ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْيِدَهُ فِي مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ التقدِيمَ يَفِيدُ الاختِصاصَ [الْاَهْتَمَامُ تَوْكِيدًا وَتَقْوِيَةً لِلْحُكْمِ] ، وَلَا يَفِيدُ الْحَصْرَ ؟ مِنْ هَذَا الَّذِي قَلْتُهُ يَجُبُ عَلَى طَلَابِ الْعِلْمِ أَلَا يَسْلِمُوا عَقُولَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ لِغَيْرِ بَيَانِ الْوَحْيِ كِتَابًا وَسَنَةً ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا كُلَّ بَيَانٍ مِنْ دُونِ بَيَانِ الْوَحْيِ قُرآنًا وَسَنَةً مَنَاطِ مَفَاتِشَةً وَمَنَاقِدَةً وَمَبَاحَثَةً تَسْتَقْرِئُ وَتَسْتَبِطُ وَفَقَاءً لِأَصْوَلِ وَضَوَابِطِ الْاسْتِقْرَاءِ وَالْاسْتِبَاطِ وَالْاسْتِنْتَاجِ ، وَبِهَذَا نَحْقِقُ طَاعَةَ الرَّسُولَ ﷺ فِيمَا نَهَانَا عَنْهُ قَائِلًا : "لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنَا . وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا . وَلَكِنْ وَطَنَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تَحْسِنُوا . وَإِنْ أَسْأَعُوا فَلَا تَظْلِمُوا" رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(١) عَرْوَسُ الْأَفْرَاجِ: ١٥٤ / ٢ .

(٢) عَرْوَسُ الْأَفْرَاجِ: ٤٢٤ / ١ .

فانظر قوله ﷺ : "إِنَّ أَسَاوِوا فَلَا تُظْلِمُوا" كيف أَنْ جعل متابعة المُسِيء ظلماً.  
وانظر قوله ﷺ : "وَطَنُوا أَنفُسَكُمْ" فإن فيه هدايةً بالغةً إلى أن الفريضة ترويض  
النفس وتدربيها على أن تسكن إلى الإحسان وتصر على إتقانه فـ "إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ  
قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ".

إن علينا أن ننظر في كل ما جاء عن غير الله ﷺ ورسوله ﷺ بعقل موضوعي ناقدٍ  
يُحق الحق . ويدفع غيره بحججه وبرهانه موضوعي لا بالهوى والعصبية .  
وصلّى الله وسلام على عبده ونبيه ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله  
وصاحبه وأمته في كل لمحه ونفسٍ، عدد ما في علم الله العظيم، صلاة دائمة بدوام الله  
العظيم .

والحمد لله رب العالمين

\* \* \*

## فهرس المصادر والمراجع:

- أسرار البلاغة. عبد القاهر، قراءة وتعليق محمود شاكر . ط: الخانجي. القاهرة.
- الأشباء والنظائر في النحو للجلال السيوطي. مراجعة فايز ترحيبي . دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١٤١٤ هـ.
- الأم. للشافعي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط (٢).
- البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي . ط : وزارة الأوقاف . الكويت . ١٤٠٩ هـ.
- البرهان في أصول الفقه. لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني . تج: عبد العظيم الديب . ط (٤) دار الوفاء، المنصورة.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن حرير أبو جعفر الطبرى. تج: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ مـ.
- حاشيته قطب الدين التحتاني على الكشاف (مخطوطة) رقم ٣٥٢ تفسير تيمور - دار الكتب المصرية .
- الخصائص. لابن جنى ، تحقيق: محمد علي النجار ، ط: سلسلة الذخائر. رقم (١٤٦) وزارة الثقافة المصرية سنة ٢٠٠٦.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر. قراءة وتعليق محمود شاكر-ط: الخانجي .
- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين : دراسة منهجية تحليلية ط (٢) : مكتبة وهبة . القاهرة سنة ١٤٣٠ هـ.
- سبل الاستنباط من الكتاب والسنة: دراسة بيانية ناقدة . ط: الأمانة – القاهرة . ١٤٠٢ هـ.
- طبقات الشافعية " تحقيق : عبد الفتاح الحلو . ومحمد الطناхи- طبعة الحلبي بالقاهرة.
- عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص)- ط: عيسى الحلبي – القاهرة .
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. لشرف الدين الطيبى. تحقيق: صالح عبد الرحمن الفايز - رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن. إشراف : د. حكمت

- بشير ياسين، كلية القرآن، قسم التفسير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- الكتاب لسيبوه، تج: عبد السلام هارون، ط: دار الجيل، بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل. للزمخشري، تج: خليل مأمون شيخا، ط دار المعرفة  
بيروت سنة ١٤٢٤هـ.
- المحصول في أصول الفقه، لأبي بكر بن العربي المعافري المالكي. تج: حسين علي  
البدري، ط: دار البيارق - الأردن، ١٤٢٠هـ.
- المطول شرح التلخيص في علوم البلاغة. للسعدي التفتازاني، ط: تركيا، سنة ١٣٢٠.

\* \* \*

# **أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام**

د. علي بن محمد الحمود  
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## **أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام**

**د. علي بن محمد الحمود**

**قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي**

**كلية اللغة العربية**

**جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**

### **ملخص البحث:**

يعد أبو تمام في طليعة شعراء العربية، فهو شاعر موهوب يجمع بين الطبيع والمصنعة، ولا شك في ذلك، لكنه في الوقت ذاته شاعر صنعة، يبحث عن التجديد في الصور والمعانٍ . وهذا البحث وقف عند خطابه الشعري المفتتح على القرآن الكريم ، والمعبر عن مكونات شخصيته وثقافته المتنوعة التي كان القرآن الكريم في مقدمة مصادرها، ومن هنا اتجه هذا البحث إلى دراسة أثر القرآن الكريم في تشكيل تجربته الشعرية المتميزة. ووقف البحث عند ثلاث صور من صور ذلك الأمر. هي : التلميح والاقتباس والعقد . وأظهر أن نماذج التلميح في شعر أبي تمام كانت الأكثر حضوراً ، تلتها نماذج الاقتباس، أما العقد فكان أقل ظلّ الصور. وبين البحث أن أبو تمام كان غالباً ما يحافظ على قداسة القرآن الكريم ومكانته، لكن هناك نماذج لم يوفق فيها، وقد أشار إليها البحث ، وفيها أورد أبو تمام بعض أساليب القرآن الكريم ومعانيه في سياقات لا تليق بقداسته . وأخيراً ، فإن حضور القرآن الكريم في شعر أبي تمام كان عاملًا مهمًا من العوامل التي أسهمت في إغناء تجربته الشعرية ، وتزويدها بطاقات فنية وموضوعية ، ومنحها بعداً دينياً ، وهي تجربة فريدة في تاريخ الشعر العربي : قدি�ماً وحديثاً، ما زالت تحتاج إلى دراسات أخرى ، تكشف عن جوانب غائبة في إبداعات أبي تمام الشعرية .



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فيعد القرآن الكريم من أهم المصادر التي أفاد منها الشعراء العرب : قديماً وحديثاً في إغناء تجربتهم الشعرية ، لأنهم يرون فيه الأنموذج الفريد المعجز للبلاغة والفصاحة . ومن هذه الرؤية نجد أنه قد تأثر كثير من الشعراء العرب بأساليب القرآن الكريم ومعانيه وقصصه ، فانتهلا من معينه الذي لا ينضب ، محققين غایات شعرهم ، من إدهاش وإبهار وتأثير .

ومن خلال اهتمامي بشعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٤٢١ هـ) <sup>(١)</sup> تبين لي أنه من أكثر الشعراء العرب تأثراً بأساليب القرآن الكريم ومعانيه ، إذ بدا شعره متلمساً بالقرآن الكريم : أسلوباً وفكراً ، وممتنعاً به في نماذج كثيرة .

لقد جاء خطاب أبي تمام الشعري المنفتح على القرآن الكريم معبراً عن مكونات شخصيته وثقافته المتنوعة التي كان القرآن الكريم في مقدمة مصادرها . ومن المصادر الأخرى المتعددة التي أسهمت في تشكيل تجربته الشعرية المتميزة : السنة النبوية ، وتاريخ العرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ، وكلام العرب : شعره ونثره ، والفلسفة ، وعلوم اللغة والعقائد ، وغيرها من المصادر <sup>(٢)</sup> التي لن يجد المتألق كغيره عناه في التعرف إليها . ويعد أبو تمام في طليعة شعراء العربية . فهو شاعر يجمع بين الطبع والصنعة . فهو شاعر موهوب ، ولا شك في ذلك . لكنه في الوقت ذاته شاعر صنعة . يبحث عن التجديد في الصور والمعاني . ومنهجه الشعري يتمثل في أنه " لا يرتجل القول ارتجالاً . ولا يرسله

(١) ولد أبو تمام في قرية جاسم في بلاد الشام ، واختلف حول تاريخ مولده . فقيل : (١٩٠ هـ) . وفي رواية أخرى قيل : (١٨٨ هـ) . وأiben خلكان ذكر أنه ولد عام ١٧٢ هـ . أما وفاته فكانت عام (٤٢١ هـ) . وال المجال هنا لا يتسع للحديث عن حياته وأدبها ، فالمصادر التاريخية والأدبية والدراسات الحديثة ألغت هذا الجانب . وأحيل القارئ إلى كتاب : أبو تمام الطائي (حياته وحياة شعره) لنجيب البهيمي . فقد غطى في هذا الكتاب كثيراً من الجوانب المتعلقة بحياة أبي تمام ونسبه وقبيلته وشخصيته وشعره . وسيجد القارئ حالات إلى المصادر التي ترجمت لأبي تمام .

(٢) ينظر : الفن والصنعة في شعر أبي تمام : د. محمود الرباداوي : ١٤٢ - ١٦٤ .

إرسالاً، وإنما يقوّمه ويتحققه، ويتحيز المستجاد منه، ليذيعه بعد ذلك على الناس”<sup>(١)</sup>. وكان في بحثه عن الجديد يوفق، ف يأتي بما لم يستطعه الأوائل، ويتحقق، فإذاً يأتي بالشعر الرديء، ومن هنا كان التفاوت سمة بارزة في شعره، إنه مثل الغواص الذي يبحث عن اللؤلؤ، فيحصل أحياناً على مبتغاه، وأحياناً أخرى لا يحصل على شيء ذي بال، فمن شعره ما يرقى به إلى قمة الشعر العربي، ومنه ما كان صيداً سهلاً لقاده، ومن الأقوال التي تجسد هذا المعنى قول البحتري عندما سُئل عن ”أيما أشعار، أنت أو أبو تمام؟“ فقال: جيدٌ خير من جيدي، وردئٌ خير من ردئه. قال أبو بكر: وقد صدق البحتري في هذا، جيدٌ أبي تمام لا يتعلّق به أحد في زمانه، وربما اختلف لفظه قليلاً لا معناه. والبحتري لا يختلف<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات النقدية التي قدمت: قدّيماؤاً وحديثاً عن شعر أبي تمام، إلا أنني لم أقف على دراسة مستقلة درست هذا الجانب في شعره، مع الإقرار بوجود إشارات كثيرة جاءت ضمن بعض الدراسات النقدية والبلاغية التي اهتمت بشعره، وقد استعنت بكثير منها في هذه الدراسة، واستفدت منهافائدة واضحة. وذكرتها في ثبات المصادر والمراجع.

والدراسة التي أقدمها اتجهت إلى الوقوف عند ظاهرة حضور تراكيب القرآن الكريم ومعانيه في شعر أبي تمام، بهدف إبراز أثر ذلك الحضور في تشكيل تجربته الشعرية المتميزة، وقد رأيت أن يكون عنوان هذه الدراسة (أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام)، لأن هذا العنوان يحقق أهداف الدراسة، فأنا أرغب في دراسة أثر تراكيب القرآن الكريم ومعانيه في شعر أبي تمام، وفي التراث العربي: البلاغي والنقدi بعض المصطلحات التي تحقق هذا المفهوم، مثل: الاقتباس والعقد والتلميح. فهذه المصطلحات من المصطلحات التي تحدثت عن عملية تداخل النصوص لكن الحديث عنها جاء ضمن الحديث عن مصطلح السرقات الأدبية<sup>(٣)</sup>. وهذا الأمر -أعن ارتباط تلك المصطلحات بمصطلح السرقات الأدبية - أدى إلى ضعف الاهتمام بها. يضاف إلى ذلك أنني لم أجده

(١) على هامش الأدب والنقد: علي أدهم: ١١٤.

(٢) أخبار أبي تمام: لأبي بكر بن يحيى الصولي: ٦٧.

(٣) ينظر: التفاعل النصي (التناضية: النظرية والمنهج): نهلة فيصل الأحمد: ٢٤٨ - ٢٥٨.

إطاراً واحداً يجمع بينها.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

تحدث في المبحث الأول عن التلميح ، من خلال صور ثلاث ، هي : الإشارة إلى آيات القرآن الكريم. واستدعاء قصص القرآن الكريم، واستدعاء الشخصيات الواردة في القرآن الكريم .

وفي المبحث الثاني تحدث عن الاقتباس .

وفي المبحث الثالث تحدث عن العقد<sup>(١)</sup>.

وقد ختمت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة .  
وذيلت الدراسة بثبت للمصادر والمراجع التي استعنت بها في دراستي .  
وقد استعان الباحث في دراسته بالمنهج الفني، لأنه الأنسب لطبيعة الموضوع . إذ قام الباحث بقراءة ديوان أبي تمام متبوعاً الشواهد التي تأثر فيها أبو تمام بمعاني القرآن الكريم وتراثيه. ومن ثم قام بدراسة تلك النماذج وتحليلها . وإبراز السياقات التي وردت فيها .

وأخيراً . فإن ما قدّمه في هذه الدراسة لا يعدو أن يكون مجرد محاولة لتسلیط الضوء على ظاهرة من الظواهر الشعرية البارزة في شعر شاعر من كبار شعراء العربية هو أبو تمام . وأسائل الله تعالى التوفيق والسداد .

\* \* \*

---

(١) ترتيب المباحث خاضع لكترة الشواهد .

## المبحث الأول : التلميح :

في هذا المبحث سنتمر دراسة التلميح الذي يعُدّ صورة من أهم صور تأثير أبي تمام بالقرآن الكريم ، وفيه يعتمد الكاتب إلى صياغة نصه صياغة جديدة تشير إلى النص السابق بصورة غير مباشرة، وذلك من خلال نقل مفردة أو عدة مفردات تشير إلى نص سابق أو قصة أو شخصية أو مثل أو موقفٍ ، أو قيام المعنى اللاحق باستحضار معنى سابق . وفي هذا إقرار بأهمية النص السابق، وبوقوع الكاتب تحت سلطوته .

والللميح في اللغة بمعنى "احتلاس النظر كالمجح ، والبرق والنجم لمحًا ولمحانًا وتلماحًا، وهو لامح ولمحوا، وألمحه جعله يلمح ، والمرأة من وجهها أمكنت من أن يلمح، تفعل ذلك الحسناء تُري محاسنها ثم تخفيها ... " (١) .

وأخذ "أرباب الصناعة التلميح بمعنى النسبة إلى اللامح بأحد المعاني ، لأن الكلام الملمح محل اختلاس النظر إلى المعنى المشار إليه، ومحل لمع المعنى المشار إليه كلمع البرق الخاطف ، ومحل دلالة المعنى المشار إليه " (٢) .

والللميح اصطلاحاً هو "أن يُشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر، أو قصة مشهورة ، من غير أن يُذكر " (٣) . أي من غير أن يذكر أنه إشارة إلى القصة أو المثل أو الشعر . وقد يسمى التلميح (٤) . ولا يخفى أنّ منه الإشارة إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة (٥) .

وفي شعر أبي تمام كان الللميح إلى القرآن الكريم حاضرًا بقوة ، ومعبراً تعبيراً صادقاً عن تأثيره بالقرآن الكريم الذي يعُدّ رافداً من الروافد المهمة التي أسهمت في إغناء تجربته الشعرية وتشكيلها . ومن هنا فإن المتابع لشعره لن يجد كبير عناء في الوصول إلى أنه انطلق في إبداعاته من ثقافة دينية تشربت القرآن الكريم لفظاً ومعنى ، فجاء شعره ممزوجاً بذلك الأسلوب الفريد المعجز في عباراته ومعانيه ، وكان لهذا الامتزاج

(١) القاموس المحيط : مادة (المح) .

(٢) الأطول : إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي ٥١٩ / ٢ .

(٣) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز : فخر الدين الرازي ٢٨٨ .

(٤) ينظر : عروس الأفراح : بهاء الدين السبكي ٤٢٦ / ٢ .

(٥) ينظر : الأطول ٥١٩ / ٢ .

أثره في منح شعره مزيداً من التوهج والجاذبية . فبما القرآن الكريم عنصراً من عناصر تجربته الشعرية التي كانت وما زالت من التجارب الشعرية التي شغلت النقاد العرب : قدِيماً وحديثاً.

وقد أشار أحد النقاد إلى ظاهرة حضور المعاني القرآنية في شعر أبي تمام قائلاً : ”فالمعنى القرآنية ماثلة في ذهنه دائمًا ، فحيثما وجد مقتضى الحال يتطلب ذلك لجأ إلى تلك المعاني يستمد منها ما يريد ، وينتزع منها ما يشاء ... ”<sup>(١)</sup>.

ومن خلال تتبع شعر أبي تمام بدا أن التلميح بصورة المختلفة كان أكثر حضوراً من الاقتباس والعقد ، لأن التلميح يمنع الشاعر حرية أكبر في استثمار معانٍ القرآن الكريم ، أما في الاقتباس والعقد فيكون الشاعر أقل حرية؛ فهناك قيد الالتزام بالمفردة القرآنية ، وحركة إعرابها ، ناهيك عن قيد الوزن والقافية .

وقد اتخذ هذا الحضور صوراً عدة ، من أبرزها : الإشارة إلى الآيات القرآنية ، واستدعاء قصص القرآن الكريم ، واستدعاء الشخصيات الواردة في القرآن الكريم .

أولاً : الإشارة إلى الآيات القرآنية الكريمة :

وتعُد هذه الصورة من أكثر صور التلميح وروداً في شعر أبي تمام ، إذ كان كثيراً ما يشير إلى آيات القرآن الكريم ، مستحضرًا معانيها ، ومستثمراً ما تنطوي عليه من بيان معجز في التعبير عن رؤاه وأفكاره ، مما أسهم في إغناء تجربته الشعرية التي كان لها حضور بارز عبر تاريخ الأدب العربي حتى يومنا هذا .

وقد تمثل استثمار أبي تمام الآيات القرآنية الكريمة في سياق الاستدلال بها على موضوعات شتى في شعره ، وإصابة المعنى المراد ، كقوله :

لَيْسَ يَدْرِي إِلَّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ      أَيْ شَيْءٌ تُطْوِي عَلَيْهِ الصُّدُورُ !<sup>(٢)</sup>

أشار أبو تمام في بيته السابق إلى آيات قرآنية عدة ، منها قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلَمُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْأَصْدُورِ ﴾<sup>(٣)</sup> (التغابن : ٤) . استثمر أبو تمام معنى الآية القرآنية السابقة في إصابة المعنى المراد ، فجاء بيته في مطلع مقطوعة شعرية مكونة من ستة أبيات عاتب فيه رجلاً كان يلقاه بوجه كئيب ،

(١) الفن والصنعة في مذهب أبي تمام : د. محمود الريداوي : ١٤٤ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : الخطيب التبريزى : ٢ / ٢٨٣ . مطلع مقطوعة يعاتب فيها عياشاً الحضرمي .

على الرغم من أن الناس كانوا يمدحونه بسبب دفاعه عن أصدقائه في غيابهم ، فدعاه أبو تمام في مقطوعته إلى إظهار البشّر في أثناء لقاءه . فالناس تعلم الظاهر ، أما ما تكتنه الصور فهو مما اختص الله تعالى به .

وفق أبو تمام في استحضار معنى الآية القرآنية الكريمة السابقة في مطلع المقطوعة السابقة . فكان بمثابة البداية القوية التي مكنته من إصابة المعنى المراد وتأكيده .

وقوله :

رم بِكَ اللَّهُ بُرْ جِيْهَا فَهَدْمَهَا      ولو رَمَ بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصْبِبِ<sup>(١)</sup>

استوحى أبو تمام معنى بيته السابق الذي مدح فيه المعتصم من قوله تعالى : « فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَيْكُنَّ اللَّهُ قَاتِلُهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَيْكُنَّ اللَّهُ رَأَى وَلَيْلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بِلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » ( الأنفال : ١٧ ) .

أرجع أبو تمام تحقيق مدوحه النصر على أعدائه في موقعة عمورية إلى توفيق الله تعالى له ، فكان النصر على الأعداء ، بسبب إخلاصه في نصرة الدين ، فالله تعالى رمى به الأعداء ، فأصابهم في مقتل .

والملحوظ أنَّ أبي تمام في بعض أبيات قصيده التي أوردتُ منها البيت السابق عمل على الرابط بين تحقيق النصر في الموقعة وصلاح المدوح وتدينه ، فنجد أنه يقدّمه في قصيده بصورة المجاهد في سبيل الله تعالى<sup>(٢)</sup> .

وكان حضور الآية الكريمة بمثابة الدليل على ما أراد أبو تمام أن يؤكده في قصيده ، وهو صلاح مدوحه وتقواه .

واستحضر أبو تمام في بيته من الشعر قوله تعالى : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ① إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ② » ( الشرح : ٥ - ٦ ) .

البيت الأول قوله :

حَتَّى انْتَنِي الْعُسْرُ إِلَى يَسِرٍه      وَانْحَتَّ عَنْ خَدِيهِ ذَاكَ الْعَبُوسِ<sup>(٣)</sup>

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٤٢ / ١ . من قصيدة يمدح بها المعتصم . ومطلعها :

السيف أصدق أبناء من الكتب      في حديّ الحد بين الجد واللعب

(٢) ينظر على سبيل المثال : الأبيات ( ١٤ . ١٢ . ٢٥ . ٢٤ . ١٩ . ١٤ ) . وغيرها .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٣٧٨ / ١ . من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء ، ويطلب منه فرساً . ومطلعها :  
والوصل والهجر نعيم وبؤس  
جرت له أسماء حجل الشموس

والآخر قوله :

وَمَا مِنْ شَدَّةٍ إِلَّا سَيَّأْتِي  
لَهَا مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا رَخَاءُ<sup>(١)</sup>

استوحى أبو تمام البيتين السابقين من معنى الآيتين الكريمتين السابقتين استيحة على سبيل الاستدلال على المعنى المراد ، ففي البيت الأول كان حضور الآيتين في سياق تجسيد صورة الممدوح الذي عاد إليه اليسر وفارقه العبوس بعد زوال همه وحزنه على فراق حصانه .

وفي البيت الثاني أورد معنى الآيتين الكريمتين في سياق الاستدلال على المعنى المراد . إذ أراد أبو تمام أن يُعزِّي نفسه بعدما تعرض له بعض بنى حُمَيْدٍ بإسماعه ما يكره بعد مقتل محمد بن حميد . فجاء بهذا البيت ضمن مقطوعة شعرية مكونة من تسعه أبيات . ومن النماذج الأخرى التي أشار فيها أبو تمام إلى آيات من القرآن الكريم . قوله :

مَسْتِيقَنَا أَنْ سَوْفَ يَمْحُو قَتْلَه  
مَا كَانَ مِنْ سَهْوٍ وَمَنْ إِغْفَالٌ  
مِثْلُ الصَّلَاةِ إِذَا أُقِيمَتْ أَصْلَحَتْ  
مَا قَبْلَهَا مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ<sup>(٢)</sup>

عد أبو تمام في البيتين السابقين قتل المعتصم بابك من الأعمال الجليلة التي تحسب له . وشبّهه بالصلوة التي تکفر صغائر الذنوب<sup>(٣)</sup> . مستدعاً قول الله تعالى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَ الْهَبَارِ وَرُلَفًا مِنَ الْأَلْيَلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِكْرِ بَرَكَتْ » ( هود : ١١٤ ) .

استثمر أبو تمام الآية الكريمة السابقة في الاستدلال على فكرته . إذ جعل في قتل المعتصم عدوه (بابك) إكمالاً لما يقع لأعماله من سهو وإغفال . وفي ذلك دلالة واضحة على استيعابه المعاني القرآنية الكريمة . ومن ثم حضورها في شعره وامتزاجها به ، مما أكسب شعره مزيداً من القوة والجمال .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢١١ / ٢ . من مقطوعة يُعرِّض بها بعض بنى حُمَيْدٍ . ومطلعها :  
إِذَا جَارِتِ فِي خَلْقِ دِينِنَا

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢٦٣ / ٢ . من قصيدة يمدح بها المعتصم . ومطلعها :

أَلْتُ أَمْوَارَ الشَّرِكِ شَرِّمَالٍ

وَأَقْرَبَ بَعْدَ تَحْمِطٍ وَصِيَالٍ

(٣) ينظر : الكشاف : الزمخشري : ٢ / ٤٨ - ٤٩ .  
وتفسير أبي السعود : (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: للإمام أبي السعود : ٢ / ٢٤٦

ومن نماذج ذلك - أيضًا - قوله :

لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ أَسْوَةٍ  
وَأَجْلَاهَا فِي سَنَةٍ وَكِتَابٍ  
أَعْطَى الْمُؤْلَفَةَ الْقُلُوبَ رِضَاهُمْ  
كَرَمًا، وَرَدَّ أَخَادِيدَ الْأَحْزَابِ<sup>(١)</sup>

في البيت الثاني دعا أبو تمام ممدوحه إلى التأسي بالرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي أعطى المؤلفة قلوبهم من أشراف العرب من الصدقات ، استمالة لهم لисلموا ، وأعطى (صلى الله عليه وسلم) - أيضًا - بعض حديثي العهد بالإسلام من الذين دخلوا الإسلام ، ليؤلف قلوبهم ، وهم الذي ذُكروا في آية الصدقة <sup>(٢)</sup>. وتمثلت دعوته له في طلبه منه العفو عنهم ، تأسياً بالرسول (صلى الله عليه وسلم) .

استوحى أبو تمام بيته السابق من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفَرِيقُ الرِّبَابِ وَالغَرِيمَنَ وَفَرِيقُ سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فِرِصَةً مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٦٠) .

والملحوظ أن أبو تمام في البيتين السابقين استثمر القرآن الكريم ، وفي البيت الأول اقتبس ، وفي الثاني ألمح ، وذلك بهدف الاستدلال على فكرته ، وتحقيق مراده المتمثل في دفع الممدوح إلى العفو عن الذين أساعوا إليه . فوجد في القرآن الكريم باباً واسعاً يمكن اللوج منه إلى تحقيق المراد .

وقوله :

لَهُ دُرْبُنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ فَكُمْ أَرْدُوا عَزِيزَ عِدَّيْ فِي خَدِّهِ صَعْرًا<sup>(٣)</sup>

استدعي أبو تمام في بيته السابق قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ في الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (القمان : ١٨) .

والآلية الكريمة تدعو إلى التواضع والإقبال على الناس <sup>(٤)</sup> ، وأبو تمام استثمر المعنى

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٥٥ . من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي ، ومطلعها :

لَوْأَنْ دَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابٍ أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولَ عَتَابٍ

(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ٧٦ / ٢ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ١٢٢ . من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الطاني ، ومطلعها :

يَا هَذِهِ أَقْصَرِي مَا هَذِهِ بَشَرٌ وَلَا حَرَانَدٌ مَنْ أَنْتَرَاهَا الْأَخْرُ

(٤) ينظر : الكشاف : ٤٨٢ / ٣ .

القرآن في الاستدلال على مراده ، إذ جعل ممدوحه وقومه من القوة بمكان ، فعدوهم الذي قتلوه متكبر عزيز في قومه . وفي هذا مزيد من إسباغ صفات القوة على الممدوح وقومه .

وقوله :

أُمَّا رَأَتْ بُرْدِيَّ مِنْ نَسْجِ الْبَصَبِيِّ وَرَأَتْ خِطَابَ اللَّهِ، وَهُوَ خِطَابٌ؟<sup>(١)</sup>  
أَخْذَ أَبُو تَمَامَ الْبَيْتَ السَّابِقَ<sup>(٢)</sup> مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « صِبَغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صِبَغَةً وَخَنَّ لَهُ عَنِيدُونَ<sup>(٣)</sup> » (البقرة : ١٢٨).

ومعنى الآية الكريمة أن الله تعالى يُظهر النقوس بالإيمان من أوطار الكفر<sup>(٤)</sup> ، فصبغة الله تعالى بمثابة الخلية التي تزيّن المؤمنين ، كما شأن الثوب الذي تزيّنه الصبغة<sup>(٥)</sup> .

أما أبو تمام في بيته فاستدل بالمعنى القرآني على فكرته ، فهو في مقبل العمر ، وشعره لم يخضبه ، فالسوداد الذي فيه هو خطاب الله تعالى . ونجد التشابه بين الآية الكريمة وبين أبي تمام مائلاً في أن الصبغة في الآية الكريمة تعبّر عن الإيمان الذي يكمل صاحبه . أما الخطاب في بيت أبي تمام فيعبر عن اكتمال الشباب والقوة .

استثمر أبو تمام المعنى الذي اشتغلت عليه الآية السابقة في تحقيق المعنى المراد ، وتوضيحه بصورة جلية ، فالخطاب في الآية الكريمة وفي بيت أبي تمام السابقة يعبر عن الكمال ، ومن هنا برزت موهبة أبي تمام الشعرية القادرة على استيعاب معاني القرآن الكريم المعجزة الفريدة ، ومزجها في شعره ، للاستدلال بها على فكرته .

وقوله :

شِعْرِيَّ، أَنِّي هَرَبْتَ فِي الطَّلَبِ<sup>(٦)</sup> وَلَوْ صَدِعْتَ السَّمَاءَ فِي سَبِّ<sup>(٧)</sup>  
يُخاطب أبو تمام شعره في البيت السابق ، معاتبه على تأخر حضوره ، ومتوعداً

(١) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٥١ . من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغليبي . ومطلعها :

لَوْ أَنْ دَهْرًا رَدَ رَجْعَ جَوابِ<sup>(٨)</sup> أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولَ عِتابِ<sup>(٩)</sup>

(٢) ينظر : شرح مشكلات ديوان أبي تمام : المرزوقي : ١٤٩ .

(٣) ينظر : الكشاف : ١ / ١٩٤ .

(٤) ينظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٦٨ .

(٥) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٣١٥ . مطلع قصيدة يرد فيها على عتبة الذي كان قد هجابني عبد الكريم من الطائين .

خصمه بأنّ شعره سيطاله . وقد استحضر فيه قوله تعالى : « مَنْ كَانَ يُظْنَى أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلَمْ يَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تَيَقْطَعَ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيَطُ » (٤) . (الحج : ١٥) .

تحدثت الآية الكريمة عن أنه " كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعدهم الله رسوله ، وأخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ألا يتثبت الأمر ، فنزلت . وقد فسر النصر : بالرزق . وقيل : معناه إن الأرزاق بيد الله لا تُنال إلا بمشيئته ، ولا بد للعبد من الرضا بقسمته ، فمن ظن أن الله رازقه ، وليس به صبر واستسلام . فليبلغ غاية الجزع ، وهو الاختناق ، فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزقاً " (١) .

استدل أبو تمام بمعنى الآية الكريمة السابقة على تحقيق المعنى المراد وتقويته . فالمهجولن ينجو من شعره مهما تأخر الشعر في انقياده له .

وقوله :

بِرِّي فِي كُلِّ وَادٍ أَنْتَ فِيهِ بِلُؤْمِكَ سَايِراً أَبْدًا يَهِيمُ<sup>(٢)</sup>

أشار أبو تمام في بيته السابق إلى قوله تعالى : « وَالشُّعَرَاءُ يَتَّعَهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٨﴾ » (الشعراء : ٦ - ٢٤) . (٢٢٦)

تحدثت الآيات السابقة عن هيام بعض الشعراء في أودية القيل والقال . وسلوكهم في شعاب الوهم والخيال . ومسالك الغي والضلal . فهم " يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين من السبيل . بل يتجرون في فيافي الغواية والسفاهة ، ويتيهون في تيه المجنون والواقحة ... " (٣) .

أما أبو تمام فاستحضر المعنى السابق واستثمره في تقبیح المهجو والتثنیع به . فجعل شعره يتبع لؤم المهجو الذي كان سبب إثارة القوافي لهجائه .

(١) الكشاف : ٣ / ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) شرح دیوان أبي تمام : ٢ / ٣٧٠ . من قصيدة يهجو بها أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود . ومطلعها : أندري أي بارقة نشيم ومهلكة إليها تستنيم ؟

(٣) تفسير أبي السعود : ٦ / ٢٧٠ .

وقوله

إِلَّا تَكُن أَرْوَاحُهَا كَسُخْرَةٍ فَالْعَزْمُ طَوْعٌ يَدِيكَ وَالْإِجْذَامُ<sup>(١)</sup>

أشار أبو تمام في بيته السابق إلى قوله تعالى : « وَلِسْلِيمَانَ أَتَىٰ رِيحٌ عَاصِفٌ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَسَّكَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْمِينَ » (الأنبياء: ٨١). والمعنى أنَّ الله تعالى قد سخر الريح لسليمان (عليه الصلاة والسلام) تنقاد لأمره انتقاماً كلياً، فتأمر بأمره وتنتهي بنهاية<sup>(٢)</sup>.

ذهب أبو تمام إلى أن مددوحه لم تُسخِّر له الريح كما سخرها الله تعالى لنبيه سليمان (عليه الصلاة والسلام). لكنه يملِك عزماً مكِّنه من بلوغ غاياته بسرعة. قال شارح الديوان : "إِنْ لَمْ تَكُنْ كَسْلِيمَانَ الَّذِي سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ، فَقَدْ جُعِلَ الْعَزْمُ وَالْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ مَسْخِرِينَ لَكَ تَبْلُغُ بِهِمَا مَا أَرِدْتَ، وَالْإِجْذَامُ الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ".<sup>(٣)</sup>

استثمر أبو تمام المعنى القرآني الوارد في الآية السابقة في منح مددوحه مزيداً من العزة والقوة. من خلال استحضار الموقفين . فالريح سخرها الله تعالى لسليمان (عليه السلام). أما أنت فهمتك دفعتك إلى تحقيق ما تصبو إليه.

وقوله :

حَمَتْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ خُطُوبُ شَبَّيْتُ رَأْسَ الْوَلِيدِ<sup>(٤)</sup>

استوحى أبو تمام بيته السابق من قوله تعالى : « فَكَيْفَ تَتَقْوَنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ آلَوَلَدَنَ شَبِيبًا » (المزمول: ١٧).

تحديث الآية القرآنية الكريمة عن أهواه يوم القيمة الذي فيه تشبيب نواصي الأطفال ، من شدة الأهواه<sup>(٥)</sup>. أما أبو تمام فاستدعاي معنى الآية واستثمره في سياق التهويل والتعظيم لمعنى مختلف . إذ جعل مرد امتناع طيف أم الوليد عن إتيانه في منامه إلى

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٧٤. من قصيدة يمدح بها المأمون. ومطلعها :

دَمْنُ أُمِّهَا فَقَالَ سلامٌ كَمْ حَلَّ عَقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلَامُ؟

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود : ٦ / ٨٠.

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٧٤.

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٢٥٠. من قصيدة يمدح بها أبو سعيد. ومطلعها :

أَطْنَأْ دَمْوَعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وهي سِلْكَاهُ منْ نَحْرٍ وَجَيْدٍ

(٥) ينظر: الكشاف : ٤ / ٦٢٨.

الخطوب المدلهمة التي يتوقع أن يلقاه في الحرب .

استدل أبو تمام بالمعنى القرآني الكريم الذي جسد أهواه يوم القيمة على صعوبة ما هم مقدمون عليه في لقاء عدوهم ، وشنان بين الأمرين .

ونجد أبو تمام يشير إلى بعض آيات القرآن الكريم في سياق إبراز بعض صفات

ممدوحية ، كقوله :

لَهُ خَلْقٌ نَهِيَ الْقُرْآنُ عَنْهُ  
وَذَاكِ عَطاؤُهُ السَّرَفُ الْبِدَارُ

تمادت فِي سُجْيَتِهَا الْبَحَارُ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَكُنْ مِنْكُ إِضْرَارٌ وَلَكِنْ

أراد أبو تمام بالخلق المنهي عنه بالقرآن التبذير والإسراف ، قال المرزوقى (ت ٤٢١هـ) : "يعنى بالخلق المنهى عنه : إسرافه في العطايا وتجاوزه في بسط اليد كل حدد" <sup>(٢)</sup> . فهو أراد أن يبالغ في منح ممدوحه صفة الكرم ، فعطاؤه "لا يشوهه مطل" ، ولا يلحقه تسوف ، ولكن ينادر إلى فعله ، ويسارع في إنجازه وإغضائه" <sup>(٣)</sup> .

وفي البيت الثاني احترس أبو تمام من أن يكون في عطائه إضرار ، فهو كالبحر الذي يوصف عطاوه بأنه سجية فيه .

وقيل بأن أبو تمام أخذ معنى بيته من قوله تعالى : « وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا الْيَكَاحَ فَإِنَّمَا نَسْنُمُ مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أُمُّهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِرْأَافًا وَيَدِارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلَيَسْتَعِفْ فَوْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمُ إِلَيْهِمْ أُمُّهُمْ فَأَسْهِدُوْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا <sup>(٤)</sup> » ( النساء : ٦ ) .

وقيل بل أخذه من قوله تعالى : « وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمُسِكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَذِيرًا <sup>(٥)</sup> إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَنِ وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِرَبِّهِ كُفُورًا <sup>(٦)</sup> » ( الإسراء : ٢٧ - ٢٦ ) .

ويبدو لي أن أبو تمام أخذ المعنى من سورة الإسراء ، لأن الآية الأولى الواردۃ في سورة النساء تحدثت عن أوصياء الأيتام ، بينما الآیتان الواردتان في سورة النساء فتحدثتا عن

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٣٢ / ١ .

(٢) شرح مشكلات ديوان أبي تمام : ١٠٣ .

(٣) شرح مشكلات ديوان أبي تمام : ١٠٤ .

التبذير بصورة عامة<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر يشير أبو تمام إلى صفات أمر القرآن الكريم بالالتزام بها، كقوله:

**مَلِكٌ غَدَا جَارًا لِخَلْفَةِ الْجَارِ** (١٢) **وَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِحَفْظِ الْجَارِ**

فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ الْمُحَاجِلِ أَبُو تَمَارَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ \* وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَإِلَيْتَمَى وَالْمَسِكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا . ﴾ (النساء : ٢٦)

والملك في بيت أبي تمام المعتصم ، وقد وصفه أبو تمام بأنه جار للخلافة ، وحفظ الجار / الخلافة مما أوصى به الله تعالى . وبهذا المعنى يكون أبو تمام قد استثمر المعنى القرآني استثماراً بدرياً وطريفاً، متوجهًا في المعنى الذي قدمه إلى منح ممدوده بعدًا دينياً، وهذا الأمر من الخصائص المعنوية لقصيدة المدح عنده .

ومن النماذج البديعة التي أشار فيها أبو تمام إلى آيات القرآن الكريم، قوله :  
 لا تنكروا ضربِي له من دونِه مثلاً شروداً في الندى والباس  
 فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس (١٢)

<sup>١٤</sup> ينظر: شرح مشكلات ديوان أبي تمام: ١٠٣. وشرح ديوان أبي تمام: ٣١٢ / ١.

(٢) شرح دیوان أبي تمام: ١ / ٣٣٥ . من قصيدة يمدح بها المعتصم، ومطلعها:

الحق أبلج والسيوفُ عوار فحذار من أسد العرين حذار

(٢) شرح دیوان أبي تمام : ١ / ٣٦٢ . من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم . ومطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس نقضي نظام الأربع الأدراسي

<sup>٤</sup> (٤) شرح دیوان أبي تمام: ١ / ٣٦٢.

(٥) ينظر: أخبار أبي تمام: لأبي بكر بن يحيى الصولي: ٢٣١ - ٢٣٢.

في البيتين السابقين استدعي أبو تمام قوله تعالى : ﴿ \* أَنَّ اللَّهَ نُورٌ أَلْسَمَوْتِ وَالْأَرْضِ  
مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاحَةِ الْزُّجَاجَةِ كَاهْنًا كَوْكِبٍ دُرْزِيٍّ يُوقَدُ مِنْ  
شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرِيكَةَ وَلَا غَرِيقَةَ يَكَادُ زَيْنَهَا يُضَعِّفُ وَلَوْلَمْ تَمَسَّسَهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ  
يَهْدِي أَلَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ( النور : ٢٥ ).

تُبرّز القصة السابقة مقدرة أبي تمام الشعرية وموهبته الفذة ، وفي الوقت ذاته تبين عمّق تأثيره بمعاني القرآن الكريم . فكان حضور معنى الآية القرآنية السابقة في ذهنه في ذلك الوقت الحرج سبباً في حسن تخلصه من المأزق الذي وضعه فيها بعض حساده ، فكان تمثيله معنى الآية الكريمة مفعماً لهم ، ومخرجاً له من المأزق الذي وضعوه فيه . وأبو منصور الثعالبي ( ت ٤٢٩ هـ ) عدّ البيتين السابقين من الاقتباس . وذلك في قوله تعليقاً عليهما : " اقتبس الطائي الآية أحسن اقتباس ، وأوقعه موقعه " (١) .

ويلاحظ أن الثعالبي يتسع في مفهوم الاقتباس . فيدخل فيه ما ليس منه . كالتلמיד (٢) .

#### - ثانياً - استدعاء قصص القرآن الكريم :

تعُدّ القصة القرآنية وسيلة من الوسائل المهمة التي اعتمدها القرآن الكريم في تحقيق غایاته العقدية والتربوية . وهي تمثل ركيزة قوية من ركائز الدعوة إلى الإسلام . والدعوة إلى التأمل والتبصر بما حلّ بالأمم السابقة .

والمتأمل في شعر أبي تمام سيلحظ تأثيره بقصص القرآن الكريم . وذلك من خلال استدعائه قصص الأنبياء ( عليهم السلام ) . وقصص الأمم السابقة الواردة في القرآن الكريم ، مما أسهم في منح شعره بعداً قصصياً . ويمكن إرجاع ذلك إلى ما تحويه تلك القصص من معانٍ جليلة . وعبر ظاهرة . فاستثمرها في التعبير عن الواقع المعاصر . فكانت قصص القرآن الكريم بما تحويه من أخبار الأمم السابقة . وما حلّ بها من هلاك - عاملًا معيناً على فهم الحياة الواقعية .

#### - أول استدعاء قصص الأنبياء :

نجد في شعر أبي تمام إشارات عدّة إلى قصص الأنبياء ( عليهم السلام ) . فقد

(١) الاقتباس من القرآن : أبو منصور الثعالبي : ٢ / ١٥٤ .

(٢) ينظر : الاقتباس من القرآن : ١ / ٢٣٤ .

تكررت في شعره الإشارة إلى مشاهد متعددة من قصة موسى (عليه الصلاة والسلام). ومن ذلك قوله :

فَكَانُوهُمْ بِالْعِجْلِ ضَلَّوْا حِقْبَةً  
وَكَانَ مُوسَى إِذَا تَاهُمْ مُوسَى<sup>(١)</sup>

في البيت السابق استحضر أبو تمام مشهدًا من مشاهد قصة موسى (عليه الصلاة والسلام)، واستثمر كون اسم مدوحه هو اسم النبي الله موسى . قال تعالى: ﴿ وَأَخْنَدَ قَوْمًا مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلَيْهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ أَلْمَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخْنَدُوهُ وَكَانُوا طَلَمِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٨) .

وموسى الأول هو المدوح . أما الآخر فهو النبي الله (عليه الصلاة والسلام) . وقد شبه أبو تمام ضلال قوم المدوح بضلال قوم موسى باتخاذهم العجل . فأنقذهم المدوح مما هم فيه من ضلال . كما كان النبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام) سبباً في إنقاذ قومه من الضلال .

وفي موضع آخر استثمر أبو تمام - أيضًا - كون اسم مدوحه موسى . فاستحضر مشهدًا آخر من مشاهد قصة النبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام) . وذلك في قوله :

عَذْنَا بِمُوسَى مِنْ زَمَانِ أَنْشَرْتُ سَطْوَانَهُ فَرَعُونَ ذَا الْأَوْتَادِ<sup>(٢)</sup>

أشار أبو تمام في بيته السابق إلى قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مع فرعون الذي لم يقو على مواجهة ما أحبل به من مصائب ، كان الغرق آخرها<sup>(٣)</sup> .

وابو تمام في بيته السابق يشير إلى أنه " لجأ إلى مدوحه هرباً من مصائب الدهر التي لم يقو عليها فرعون مصر " <sup>(٤)</sup> .

استثمر أبو تمام في النموذجين السابقين كون اسم مدوحه هو اسم النبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام) نفسه ، فاستحضر مشهدتين من مشاهد قصته ، لإسقاط

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٣٧٢ / ١ . من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم ، ومطلعها : أقْشَيْبَ رَبِيعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيسَا وَقَرَى طَبِيفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢٩٧ / ١ . من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم ، ومطلعها : لَطَمَحَتَ فِي الْإِلْبَرَاقِ وَالْإِرْعَادِ وَغَدَا عَلَيْ بَسِيلَ لَوْمَكَ عَادِ

(٣) اينظر : سورة البقرة : آية ٥٠ ، و : سورة الأنفال : آية ٥٤ . وغيرهما من الآيات التي تحدثت عن مصير فرعون .

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ٢٩٧ / ١ .

الماضي على الحاضر المعاش ، وذلك من خلال تقديم دروس إلى العصاة والطغاة ، فعاقبتهם ستكون مثل عاقبة سابقיהם، ومن هنا كان حضور تلك القصص عاملًا مساعدًا في تعميق الفكرة ، ومنحها بعداً دينياً .

وفي موضع آخر من ديوانه يستدعي أبي تمام مشهدًا آخر من قصة موسى ( عليه الصلاة والسلام )، وذلك في قوله :

كأني قد رأيت زلفاته  
عن دِيَمِ بُقْرِبَه أَنْسِ  
تُبَشِّنَ الْمُعَالِي فِي ظَلِّهِ وَلَهِ  
فِيْنَ مُوسَى وَصَلَى عَلَى رُوحِه الرَّبُّ مِنْ  
صَلَاهَ كَثِيرَةَ الْقُدُسِ  
صَارَنِيَّاً وَعَظِيمَ بُغَيَّتِهِ  
فِي جَذْوَهِ لِلصَّلَاهِ أَوْ قَبْسِ (١)

فممدوح أبي تمام في الأبيات السابقة كان يريد الوفادة لأمر هين، فتأول له أبو تمام بأن يحظى بأكثر مما جاء من أجله ، فاستدعي أبو تمام قصة موسى (عليه الصلاة والسلام ) الذي طلب جذوة من النار ، فأتاهم الله تعالى النبوة (٢)، قال تعالى : « وَهَلْ أَتَنَكَ حَدِيثُ مُوسَى (٣) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكَثُوا إِنِّي أَدَسْتُ نَارًا لَعَلَّيْ اتَّبِعُرُّ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى الْنَّارِ هُدًى (٤) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِنَمْوَسَى (٥) إِنِّي أَنْرَيْكَ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَّى (٦) وَأَنَا أَخْتَرُكَ فَأَسْعَمُهُ لِمَا يُوحَى (٧) » ( طه : ٩ - ١٣ ).

كان موسى (عليه الصلاة والسلام ) في تلك الليلة يأمل الحصول على جذوة من النار ، أو يجد من يهديه إلى الطريق ، لكنه ظفر ، في تلك الليلة ، بالرسالة ، إذا ناداه الله تعالى ، وأخبره بأنه اصطفاه بالرسالة (٨).

وفي موضع آخر يشير أبو تمام إلى مشهد آخر من قصة موسى (عليه الصلاة والسلام ) ،

تمثل في قوله :

لَوْلَمْ يَكِدْ لِلسامريِّ قَبِيلُه  
مَا خَارَ عَجْلَهُمْ بِغَيْرِ خُوارِ (٩)

(١) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٥٧ . من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق، ويطلب فرساً، ومطلعها :

قالتْ وَعِيْ النِّسَاءِ كَالخَرَسِيِّ      وقد يصبن الفصوص في الخُلُسِ

(٢) ينظر : شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٥٧ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١ - ٥٢ .

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٤٠ . من قصيدة يمدح بها المعتصم، ومطلعها :  
فَحَذَارٌ مِنْ أَسْدِ الْعَرَينِ حَذَارٌ

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيْفُ عَوْارٌ

في البيت السابق استحضر أبو تمام مشهداً آخر من قصة موسى ( عليه الصلاة والسلام )، يتمثل في قيام السامری باتخاذ عجل من ذهب في أثناء غياب موسى ( عليه الصلاة والسلام ) . قال تعالى: ﴿ وَأَخْنَدَ قَوْمًا مُّوسَىٰ مِّنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ حُلَّتِهِمْ عِجَالًا جَسَدًا لَّهُمْ خُوَارٌ أَلَّمْ يَرَوُا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلًا أَخْنَدُوهُ وَكَانُوا ظَلِيمِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٨) .

وجاء استحضار أبي تمام ذلك المشهد من قصة موسى ( عليه الصلاة والسلام ) في سياق تحريض المعتصم على قتل من بقي من أعدائه بعد أن قتل رئيسهم الأفشين؛ لأنهم هم الذين أعادوه على فعله، وكذلك كان الأمر مع السامری . فلولا مساعدة قومه إياه لما تمكن من القيام بما قام به<sup>(١)</sup> .

وحضرت في شعر أبي تمام قصص أخرى لأنبياء الله تعالى ( عليهم السلام ) ، منها الإشارة إلى قصة يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) ، وذلك في قوله :

هَنَّ عَوَادِي يُوسُفٌ وَصَوَاحِبُهُ فَعِزْمًا فَقِدْمًا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ<sup>(٢)</sup>

في البيت السابق يبحث أبو تمام ممدوحه على الماضي على ما عزم عليه ، ويطالبه بترك الاستماع إلى رأي النساء ، فأبوا تمام في بيته " ينسبهن إلى ضعف الرأي وقلة العقل ، وأنهن لا يصلحن لقبول المشورة منهن . فقال : هُنَّ اللواتي أردن صرف يُوسُف النبي ( عليه السلام ) عن طريق الرشاد ، وصواحبه بما كان منهن ، فلا تلتفت إليهن ولا تُعُول في الأخذ والترك عليهن وعلى رأيهم . واعزم على السير عزماً . فقد يُوصي بما أدرك طالب الثار وتره ، أي سافر فإن وترك عند الأيام ، وثارك لديها ستدركه ، ويجوز أن يُضرب بهذا مثل ، والمعنى قد يمان طلب شيئاً ناله " <sup>(٣)</sup> .

اتخذ أبو تمام من قصة النبي الله يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) درساً في البحث على البعد عن الاستماع إلى نصائح النساء ، والماضي قدماً في الأمور ، فهنّ اللواتي كدن لي يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) . لذا فإنه حث ممدوحه على الإقدام على ما عزم عليه . وأبوا تمام شاعر يبحث عن المعاني الجديدة ، فيعصر ذهنه ، ويكتب خاطره ، ويحفر في

(١) ينظر : شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٤٠.

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ١١٩ . مطلع قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر.

(٣) شرح مشكلات ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٠٢ .

الصخر ، ليظفر بمعنى غير مسبوق ، وهو شاعر يجمع بين الفن والصنعة ، وقد علق أحد النقاد على كثافة المعانى في البيت السابق قائلاً : ”كأني بالشاعر يحمل المعنى ، ويحمل معه شيئاً من مشقة المعاناة . فكان فكره متبرمٌ به كتبرم الحامل أثناء مخاضها ، فإذا أودع معانيه المتزاحمة في بيت شعره . فكأنما حطَّ عن كاهله عناء ما كان يحمله . وقد تشعر بكثافة المعانى في البيت الواحد . وازدحام شطريه بها عندما تحاول أن تفسر هذا البيت أو تشرحه . فتجدك مضطراً إلى شرح البيت الواحد بعدة أسطر ”<sup>(١)</sup> .

#### ب - استدعاء قصص الأمم السابقة الواردة في القرآن الكريم :

حضرت بعض قصص الأمم السابقة الواردة في القرآن الكريم في شعر أبي تمام ، وتمثل ذلك في استدعائه بعضها ، مسقطاً إياها على الواقع المعاصر ، داعياً إلى الاعتبار

والعظة بمصير تلك الأمم . ومن نماذج ذلك قوله :

وَمَا تَبْرُحُ الْأَيَامُ تَحْذِفُ مَذْتِي  
بَعْدَ حَسَابٍ لَا كَعْدَ حَسَابِيَا  
لَتَمْحُوَّا ثَارِي وَتُخْلِقُ جِدْتِي  
كَمَا فَعَلَتْ قَبْلِي بِطَسْمٍ وَجَرْهُمْ  
وَالْأَلِّ ثَمُودٍ بَعْدَ عَادِ بْنَ عَادِيَا<sup>(٢)</sup>

استدعاي أبو تمام في بيته الأخير مصير بعض الأمم السابقة . فما حلّ بها من فناء واندثار سيحل به . والقصيدة كاملة جاءت في الزهد . وعبرت أجمل تعبير عن نظرية إيمانية صادقة سيطرت على مشاعره في تلك المرحلة .

وفي الأبيات التي تلت الأبيات السابقة استدعاي أبو تمام - أيضاً - قصصاً أخرى لأمم سابقة جاء ذكرها في القرآن الكريم ، حيث قال :

كَمَا أَسْكَنْتُ سَامِّا وَحَامِّا وَيَافِتَأِا  
وَنَوْحًا وَمَنْ أَضْحَى بِمَكَّةَ نَاوِيَا<sup>(٣)</sup>  
أَسْهَمْ حَضُورَ قصصِ ما حلَّ بالأممِ السابقةِ فيِ القصيدةِ - فِي مَنْحَهَا بَعْدًا إِيمَانِيَا ، إذ  
نَقَلَ الشَّاعِرُ الْقَارِئَ إِلَى تَلَكَ الْأَجْوَاءِ الْمَفْعُومَةِ بِالْعِبْرَةِ وَالْعَظَةِ ، وَدُعَاهُ إِلَى مَرَاجِعِ النَّفْسِ  
وَمَحَاسِبِهَا .

وكقوله :

(١) الفن والصنعة في مذهب أبي تمام : ١٧٩.

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٤٦٢ / ٢ . من قصيدة في الزهد ، ومطالعها :

أَلَمْ يَأْنَ تَرْكِي لَا عَلَيْ وَلَا لِي  
وَعَزَمِي عَلَى مَا فِيهِ إِصْلَاحٌ حَالِي؟

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٤٦٢ / ٢ .

كأنهم معاشرُ أهلِ كانوا منْ  
بقيا قومٍ عادٍ أو ثمودٍ<sup>(١)</sup>

تحدث أبو تمام في بيته السابق عن المصير الذي آل إليه خصومه . مشبهاً مآلهم بما لقى قوم عاد وثمود . قال تعالى : « كَذَبَتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارَعَةِ ① فَأَمَا ثَمُودٌ فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ ② وَأَمَا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيعِ صَرْبِ غَارِيَةِ ③ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ كَيْمَةِ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْغًا كَانُوكُمْ أَعْجَازٌ تَخْلُ خَاوِيَةٍ ④ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةِ ⑤ ( الحاقة : ٤ - ٨ ) .

استدعي أبو تمام في بيته السابق قصة قوم عاد وثمود الواردتين في القرآن الكريم في مواضع كثيرة<sup>(٢)</sup> . وفي ذلك تعظيم لقوة ممدوحه الذي الحق الهزيمة النكراء بخصومه .

وكل قوله :

وَثَمُودٌ لَوْلَمْ يَدْهِنُوا فِي رِيَّهُمْ لَمْ تَدْرِمَ نَاقَّتُهُ بِسِيفٍ قُدَّارٍ<sup>(٣)</sup>

استدعي أبو تمام مشهداً من قصة قوم ثمود تمثل في عقرهم الناقة . قال تعالى : « وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَهَا ① كَذَبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَتِهَا ② إِذْ أَنْبَثَ أَشْقَانَهَا ③ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقِيَّهَا ④ فَكَذَبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِدَنِيهِمْ فَسَوَّنَهَا ⑤ وَلَا يَخَافُ عُقَبَّهَا ⑥ ( الشمس : ١٥ - ١٦ ) .

استدل أبو تمام في بيته السابق بقصة قوم ثمود . فمن قتل الناقة ما كان ليفعل فعلته لولا أنه وجد مساندة من قومه . كذلك الأفшиين الذي لم يكن ليفعل ما فعله لو لم يسانده قومه . فعندما وجد أبو تمام أن المعتصم قد توقف عن قتل القوم . حرضه على قتلهم . مستدلاً بقصة قتل الناقة . فالقاتل لم يكن ليفعل لو لم يجد العون . فجاء استدعاء تلك القصة في سياق التحرير على قتل الخصوم .

(١) شرح ديوان أبي تمام ١: ٢٥٢ . من قصيدة يمدح بها أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي . ومطلعها : أطْنَ دِمْعَهَا سَنَنَ الْفَرِيد وهي سلakah من نحر و جيد

(٢) ينظر : التوبة : ٧٠ . وإبراهيم : ٩ . والحج : ٤٢ . والعنكبوت : ٢٨ . والنجم : ٥١ . وغيرها من المواضع .

(٣) شرح ديوان أبي تمام ١: ٣٤٠ . من قصيدة يمدح بها المعتصم . ومطلعها : الحَقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيُوفُ عَوْارٌ فخذار من أسد العرين حذار

وَكَوْلَهُ :

أَيَامُهُ أَكَلَتْ بِاَكْوَرَةِ الْأَمْمِ

بَأْنَجَمِ الدَّهْرِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرْمٍ<sup>(١)</sup>

نَظَرَتُ فِي السِّيرِ الْأُولَى خَلَتْ فَإِذَا

أَفْنَى جَدِيسًا وَطَسْمًا كَلَّهَا وَسَطَا

استحضر أبو تمام في البيتين السابقين قصص الأمم السابقة ، للعظة والاعتبار من المصير الذي آوا إليه. قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رُبُوكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ؟ أَلَّا لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ » ( الفجر : ٦ - ٨ ).

يشير أبو تمام إلى أنه نظر في أخبار الأمم السابقة فوجد أن أيام البغي والظلم قد أهلكتهم وافتدهم ، فينبغي أن يأخذ الناس العظة والعبرة من ذلك المخبر .

في استدعاء أبي تمام بعض قصص الأمم السابقة الواردة في القرآن الكريم دعوة إلى الاعتبار والاتزان بما حل بهم ، والزهد بما في هذه الحياة ، مما حدث لتلك الأمم يمكن أن يتكرر. وحضور هذه القصص أضف على شعر أبي تمام أجواء إيمانية تعبّر عن نزعة دينية متصلة في تجربته الشعرية .

والملاحظ على أسلوب أبي تمام في استدعاء تلك القصص اكتفاءه باللحمة العابرة الخامطة الموحية التي تذكر المتلقي بمصائر تلك الأمم ، وتدعوه إلى الاعتبار والعظة بما حل بها . ومن جانب آخر أحدث حضور تلك القصص في شعره تعانقاً وامتزاجاً مع القرآن الكريم - أسهم في منع شعره مزيداً من الجاذبية والإثارة والتوجه ، مشكلاً إضافة فنية وموضوعية عليه .

لقد وجد أبو تمام في موضوعات تلك القصص معانٍ جليلة استثمرها في التعبير عن رؤاه ، وإصابة المعنى المراد ، فعن طريقها أكد أفكارها ، فجاءت تلك القصص بمثابة الأدلة على ما يقدمه في شعره . وفي الوقت ذاته عبرت عن ثقافة دينية عميقـة ، أكسبـت تجربـته الشـعرـية قـوـة وجـمالـاً ، وعـملـتـ عـلـىـ تـحـريـكـ فـكـ القـارـئـ وـوـجـدـانـهـ ، من خـالـلـ وـلـوـجـهـ إـلـىـ تـلـكـ الـأـجوـاءـ الـدـينـيـةـ الـمـؤـثـرـةـ .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٩٤. من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التعليبي، ومطلعها : سِلْمٌ عَلَى الرَّبِيعِ مِنْ سِلْمٍ بْنِي سَلَمٍ عليه وسمّ من الأيام والقدم

### - ثالثاً: استدعاء الشخصيات الواردة في القرآن الكريم :

استدعاء الشخصيات الواردة في القرآن الكريم تعدّ صورة من صور تأثر الشعراء التي نطالعها في الشعر العربي عبر عصوره المتلاحقة<sup>(١)</sup>.

وفي شعر أبي تمام - أيضاً - نجد هذه الظاهرة ، إذ تنوعت صور حضور تلك الشخصيات في شعره ، فتطالعنا شخصيات ذكرها في القرآن الكريم ، كالأنبياء (عليهم السلام) والصالحين والمنبودين .

لقد استحضر أبو تمام في شعره بعض تلك الشخصيات ، مستثمراً تجاربها الغنية والمواصفات التي مرت بها في إغناء تجربته الشعرية ، فكان ذلك الاستدعاء بمثابة التجربة الحية النابضة بالصدق والواقعية ، مما أسهم في منح شعره بُعداً دينياً ، نقل القارئ معه إلى تلك العوالم المشبعة بالعبرة والعظة . ومن جانب آخر كان تعبيراً صادقاً عن تأثر أبي تمام بالقرآن الكريم .

وكانت شخصيات الأنبياء (عليهم السلام) الأكثر حضوراً في شعره : ولا غرو في ذلك ، فالأنبياء (عليهم السلام) هم أفضل مخلوقات الله تعالى . وتجاربهم الأكثر عمقاً، وحضورهم - بطبيعة الحال - سيكون تأثيره أقوى من الشخصيات الأخرى ، فهم القدوة والمثال ، وهم صفة خلق الله تعالى ، لذا نجدتهم الأكثر حضوراً في شعره . والملحوظ أن أبي تمام اعتمد في استدعائه بعض الأنبياء (عليهم السلام) الاقتصار على استدعاء صفة من صفاتهم التي عرّفوا بها واشتهروا بها ، ومن ذلك اقتران الشكر بشخصية نوح (عليه الصلاة والسلام) ، قال أبو تمام :

لَمْ يُلِّسِ اللَّهُ نُوحًا فَضْلَ نَعْمَتِهِ      إِلَّا لِمَا بَثَّهُ مِنْ شَكْرَهُ نُوحُ<sup>(٢)</sup>

استدعي أبو تمام صفة ارتبطت ببني الله نوح (عليه الصلاة والسلام) ، وهي الشكر . قال تعالى : « ذُرْيَةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا » (الإسراء : ٣) .

(١) ينظر على سبيل المثال :

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د. علي عشري زايد .
- استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث : د. محمد منور .
- استيحاء التراث في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين ٤٠٠ - ٥٥٩ هـ) : د. إبراهيم الياسين .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ١٨٣ / ١. من قصيدة يمدح بها أبي سعيد . وقيل نوح بن عمرو . ومطلعها :

قُلْ لِلْأَمِيرِ لَقَدْ قَلَدْنِي نِعْمَأُ      فُتَّ الثَّنَاءِ بِهَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ

قيل عن نوح ( عليه الصلاة والسلام ) : إنه " كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني . وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ، ولو شاء أطمأنني . وإذا اكتسى قال : الحمد لله الذي كسانني ، ولو شاء أغترني ... " <sup>(١)</sup> .

كان نوح ( عليه الصلاة والسلام ) عبداً شكوراً في جميع أموره . ودعا الله تعالى عباده - الذين هم من ذرية نوح - إلى أن يتخذوه قدوة لهم وأسوة في شكر الله في جميع الأحوال .

تمثل استدعاء أبي تمام شخصية النبي الله تعالى نوح ( عليه الصلاة والسلام ) في استدعاء صفة الشكر التي اتسم بها ، مستدلاً بها على أهمية شكر الله تعالى على نعمه التي لا تحصى . فبالشكر تدوم النعم .

وفي موضع آخر استدعي شخصية أبي الأنبياء إبراهيم ( عليه الصلاة والسلام ) من خلال صفة الكرم التي اشتهر بها . فهو " أول من أضاف الضيف " <sup>(٢)</sup> . وذلك في قوله :  
وَبِيَانِ ذَلِكَ أَنَّ أَوْلَ مَنْ حَبَّا وَقَرَى خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ

في البيت السابق استدعي أبو تمام شخصية النبي الله تعالى إبراهيم ( عليه الصلاة والسلام )

لقد كان ممدوح أبي تمام كريماً جواداً ، ولم يكتف أبو تمام ب مدحه بالكرم ، بل ربط بين هذه الصفة وأبي الأنبياء إبراهيم ( عليه الصلاة والسلام ) .

يلحظ أن أبي تمام في التمودجين السابقين عمل على الربط بين اتسام ممدوحه بصفتي الشكر والجود والتدين . من خلال الربط بين الصفتين ورسولين من أولى العزم من الرسل ( عليهم الصلاة والسلام ) . وهذا الملجم أجدده ظاهرة في شعر أبي تمام تستحق الدراسة . فالمعانوي الدينية حاضرة بقوة في شعره . وبخاصة في المدح . إذ كان حريراً على جعل ممدوحه يتمثّلون قيم الإسلام ومعانيه . وذلك من خلال التقاطه بعض صفات أنبياء الله تعالى ( عليهم السلام ) ، ومنحها ممدوحه لتأكيد تدينهم .

(١) الكشاف : ٢ / ٦٢٣ .

(٢) قصص الأنبياء : ابن كثير : ١٩٧ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٤٧ . من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم . ومطلعها :

أَسْقَى طَلَوْلَهُمْ أَجَشْ هَرَيْمُ

وَغَذَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ وَنَعِيمُ

وفي موضع عدة استحضر أبو تمام شخصية نبي الله يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) متکئاً على صفة الحسن التي اتصف بها، فقد أعطى شطر الحسن ، وكان في غاية الحسن البشري <sup>(١)</sup>. ومن ذلك قوله:

وَكَادَ بِأَنْ يُفْضِي إِلَى الشَّتْمِ وَاللَّعْنِ  
إِذَا غَاطَ وَصَفَ النَّاسَ بِالْحَسْنِ أَهْلَهُ  
فَلَمْ لَمْ يُخْرِقْ ثَوَبَةَ يُوسُفَ الْحَسْنُ؟ <sup>(٢)</sup>

وذکر يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) في البيتين السابقين جاء في سياق استحضار صفة الحسن التي اتصف بها. وكان أبو تمام قد وصف امرأة بالحسن، فغضبت، فاستدل بحسن نبي الله تعالى يوسف ( عليه الصلاة والسلام ). فالحسن صفة لا تغضب صاحبها. والاستدلال هنا غير مقبول؛ لأن وصف أبي تمام امرأة بالحسن في مقطوعته جاء في غير موضعه، لذا لم تقبله تلك المرأة.

وقوله :

ما اسْتَجْمَعَتْ فِرَقُ الْحُسْنِ الَّتِي افْتَرَقَتْ عن يُوسُفَ الْحُسْنِ حَتَّى اسْتَجْمَعَتْ فِيهِ <sup>(٣)</sup>  
وقوله :

قَرِينُ الصِّبَافِي وَجِنْتَيْهِ مَلَاهٌ ذَكَرْتُ بِهَا أَيَامَ يُوسُفَ فِي الْحُسْنِ <sup>(٤)</sup>  
في الأبيات الثلاثة السابقة استدعاي أبو تمام نبي الله تعالى يوسف ( عليه الصلاة والسلام )، من خلال صفة الحسن التي اشتهر بها. فجعل من يتغزل به شبيههاً بيوسف في الحسن والجمال. وفي الأبيات السابقة – أيضًا – نجد أن كلمة الحسن اقترنت بيوسف ( عليه الصلاة والسلام ). وأشار هنا إلى أنَّ أبي تمام كثيراً ما كان يعمد إلى تكرار المعاني في شعره، فهو عندما يمسك بتلابيب المعنى. يكرره في سياقات عديدة متشابهة، وهذا التكرار أعدّه مأخذًا عليه.

وفي موضع آخر يستدعي شخصية رسول الله محمد ( صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) من

(١) ينظر: قصص الأنبياء : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٣٠٠ . من مقطوعة غزلية، ومطلعها:

وَمُحْتَكِمُ فِي الْحُمْصِ طُورًا وَفِي الْبَدْنِ فَقَدْ دَقَّ عَنْ حَقْفٍ وَقَدْ جَلَّ عَنْ غَصْنٍ

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٣٠٦ . من مقطوعة غزلية، ومطلعها:

نَشَرْتُ فِيكَ رَسِيسًا كُنْتُ أَطْوِهِ وَأَظْهَرْتُ لَوْعَتِي مَا كُنْتُ أَخْفِيَهِ

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٤٢٩ . من قصيدة يصف فيها مجلس للحسن بن وهب، ومطلعها:

أَفِيكُمْ فَتَنِي حَيْ فَيُخَبِّرُنِي عَنِ بما شربتُ مشربَةً الراحَ من ذهنِهِ

خلال وصفه بأنه عبد الله . قال أبو تمام :

يا سميَّ النبي في سورة الجن  
ويا ثاني العزيز بمصر<sup>(١)</sup>

أبو تمام يعني عبد الله الكاتب ، ”يعني بقوله ( يا سمي النبي في سورة الجن ) ، قوله تعالى « وأنه لما قام عبد الله يدعوه »<sup>(٢)</sup> . عبد الله في هذا الموضع وصف وليس باسم علم ... ”<sup>(٣)</sup> . والمراد الرسول محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ، فالمراد هنا صفة الرسول عبد الله ) ، وليس اسمه . أما ثاني العزيز - كما ذهب شارح الديوان - فهو عبد الله بن أبي سرح الذي ولد مصر بعد عمرو بن العاص ( رضي الله عنهما )<sup>(٤)</sup> .

وأرى أنَّ أبي تمام لم يوفق في هذا البيت ، لأن فيه تكالفاً ظاهراً ، فالذى لا يعرف اسم المدح لا يصل إلى المراد . وفي الشطر الثاني - أيضاً - تكاليف ظاهر ، فهو سمي للوالى الثاني الذى ولد مصر بعد عمرو بن العاص ( رضي الله عنه ) ، بينما الأقرب أن يكون المراد بثاني العزيز يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) .

وفي نماذج أخرى استدعي أبو تمام أكثر من النبي في الوقت ذاته ، وبخاصة محمد ويوسف ( عليهما الصلاة والسلام ) ، كقوله في مطلع مقطوعة شعرية مكونة من أربعة أبيات :

يا سميَّ الذي تبهلَ يدعو ربه مُخلصاً له في ”قل أوحى“  
وشبيه الذي استقلتْ به العي رُعن الجبِّ خاضعاً كالطَّلَبِ<sup>(٥)</sup>

ففي البيت الأول يشير إلى أن اسم ممدوحه هو اسم الرسول محمد ﷺ ، قال تعالى :  
﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجِيبًا ﴾ ( الجن : ١١ ) .  
وفي البيت الثاني استدعي شخصية يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) من خلال صفة الحسن التي اشتهر بها . ويشير إلى أن ممدوحه شبيه بنبي الله يوسف ( عليه الصلاة والسلام ) .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٦٧ . مطلع مقطوعة مكونة من أربعة أبيات يمدح بها عبد الله الكاتب .

(٢) سورة الجن : من الآية ١٩ ، وتمامها ... كانوا يكونون عليه لبدأ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٦٧ .

(٤) ينظر : شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٦٧ .

(٥) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٥٩ .

وتكرر ذلك الأمر، حيث قال :

يوسفياً محمدياً حفيماً

بذليل الثرى رؤوفاً رحيمًا<sup>(١)</sup>

استدعي أبو تمام شخصيتي : يوسف ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) مشبهاً ممدوحه بهما، وبخاصة في صفة الرحمة والرأفة. في النماذج السابقة تمثل استدعاء أنبياء الله تعالى من خلال استدعاء صفة من الصفات التي اشتهروا بها، ف جاء الاستدعاء جزئياً مقتضاً على صفة من صفاتهم (عليهم السلام)، ولم يكن له أثر فني مهم في بناء القصيدة .

ونطالع في شعر أبي تمام استدعاء للملائكة ، كقوله :

وكلُّ حسِنٍ فَمِنْ عَيْنِكَ أَوْلَهُ مُذْ خَطَّ هَارُوتُ فِي عَيْنِكَ عَسْكَرَهُ<sup>(٢)</sup>

في البيت السابق استدعي أبو تمام شخصية (هاروت) وهو أحد الملائكة اللذين جاء ذكرهما في قوله تعالى : « وَأَتَبْعَوْا مَا تَتَلَوَّ أَشَيْطِينٌ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسُ أَلْسِنَهُ وَمَا أُنْزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَنْرُوتَ وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا كُنْ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُرُ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَالَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا مَنِ آشَرَهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَلْقٍ وَلِثْنٍ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْكَاهُوا يَعْلَمُونَ ». (١٠٢ : البقرة)<sup>(٣)</sup>

وهاروت وماروت ملكان أنزل الله تعالى عليهما "علم السحر ابتلاء من الله للناس . من تعلم منه وعمل به كان كافراً . ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به . ولكن ليتوكاه . ولئلا يغترّ به . كان مؤمناً ... ".<sup>(٤)</sup>

وجاء استدعاء أبي تمام هاروت من خلال العلم الذي اشتهر به وهو السحر ، للمبالغة في وصف جمال من يحب ، فبداية الحسن من عيونه التي خطها عسکر هاروت .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١١١ . من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف . ومطلعها : إن عهداً لو تعلمان ذميماً

أن تناما عن ليلتي أو نتنينا

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٧٠ . من مقطوعة من أربعة أبيات يتغزل بها . ومطلعها : قد صفت الحسن في خديك جوهره

وفيه قد خلف التفاح أحمره

(٣) الكشاف : ١ / ١٧٢ .

وفي شعر أبي تمام استدعاء لشخصيات الصالحين الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، كالعبد الصالح (الحضر)، ولقمان الحكيم، وملكة سباً (بلقيس). ومن ذلك استدعاوه شخصية العبد الصالح الذي أشارت بعض كتب التفسير إلى أنه الحضر<sup>(١)</sup>، وذلك في قوله :

يا حضر قد كنتَ ذا استثارٍ في الحب حتى هتك سترِي<sup>(٢)</sup>

استدعا أبو تمام شخصية الحضر من خلال صفة من الصفات التي اشتهر بها، وهي : الغموض والاستثار، فالقصة القرآنية لم تذكر من أين جاء ؟ وإلى أين ذهب ، بعد انقطاع رحلته مع موسى ( عليه الصلوة والسلام ) ؟ وهذا هو منهج القصة القرآنية ، إذ تكتفي بذكر الأحداث والأوصاف والمعلومات المهمة في تحقيق أغراضها الدينية والدينوية، أما التفصيات غير المهمة فلا تتفق عندها، وهذا يتافق مع طبيعتها وغاياتها . أما لقمان الحكيم فجاء استدعاوه في مواضع عدة من ديوان أبي تمام، من خلال صفة الحكمة التي اتسم بها، ومن ذلك قوله :

لقمان صمنا وحِكْمَةً فإذا قال لفطنا المرجانَ من خُطْبِه<sup>(٣)</sup>

شبيه أبو تمام ممدوحه بلقمان الحكيم ، ووجه الشبيه بينهما صفة الحكمة التي وصفه القرآن الكريم بها. قال تعالى : « وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لِقَمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ آشْكُرَ اللَّهَ وَمَنْ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » (لقمان : ١٢) .

جعل أبو تمام ممدوحه حكيمًا في صفتة، أما حينما يتحدث فكلامه يشبه المرجان. وهكذا نجد أبا تمام يتكئ على الشخصية المستدعاة في التعبير عن رؤاه وإصابة المعنى المراد، فاقتصرت صفة الحكمة من شخصية لقمان الحكيم، ومنحها ممدوحه، وقد تكرر ذلك في شعره، كقوله :

رأيتَ نظيرَ لقمانَ الحكيمَ<sup>(٤)</sup> فإن شهدَ المقامَةَ يومَ فصلِ

(١) ينظر : الكشاف : ٧٠٣ / ٢.

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٦٨. من مقطوعة شعرية غزلية مكونة من خمسة أبيات .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ١٤٩. من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك . ومطلعها :

إنْ بَكَاءً فِي الدَّارِ مِنْ أَرَىْ فَشَابِعًا مُغْرِمًا عَلَى طَرِيْهِ

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٧٩. من قصيدة يمدح بهابني عبد الحكيم الطائبين ، ومطلعها :

أَرَامَةَ كُنْتَ مَلْفَ كُلَّ رِيمِ لَوْ اسْتَمْتَعْتَ بِالْأَنْسِ الْقَدِيمِ

في البيت السابق – أيضاً – استحضر أبو تمام شخصية لقمان الحكيم من خلال صفة الحكمة، إذ جعل من ممدوده نظيراً لقمان في الحكمة.

وفي موضع آخر استدعي أبو تمام شخصية لقمان الحكيم للتأكيد أن الحرب قائمة لا محالة، فهي واقع لا يمكن رده، حتى إن لقمان الحكيم لو حضر ذلك الموقف، فلن يجد بدأً من التخلّي عن حكمته، وخوض غمار المعركة، وذلك في قوله:

فِي سَاعَةٍ لَوْ أَنْ لَقَمَانًا بَهَا  
وَهُوَ الْحَكِيمُ لِصَارَ غَيْرَ حَكِيمٍ<sup>(١)</sup>

يرى أبو تمام أن الحكمة تغيب في بعض المواقف، وذلك عندما تطلّ الحرب برأسها، فتحتاج من صاحب الحرب أن يتّهور ويقدم وينسى العواقب.

واستدعي أبو تمام أيضاً شخصية ملكة سباً، وذلك في قوله:

لَوْلَا حَدَّأْتُهَا وَأَنِي لَا أَرِي  
عَرْشًا لَهَا لَظَنَتُهَا بِلْقَيْسًا<sup>(٢)</sup>

استحضر أبو تمام شخصية ملكة سباً، مانحاً محبوبته صفاتها، فملكة سباً جمعت محسن شتى، منها: الحسن والملك والهيبة، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ آمَرَةً تَمَلِكُهُمْ وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل: ٢٢).

إن المرأة التي أشار إليها أبو تمام في بيته تشبه ملكة سباً في كثير من الجوانب، وتختلف عنها في جانبيين: الأول: أن ملكة سباً متقدمة العهد، والآخر: أنها لا تملك عرشاً كملكة سباً.

وأشير في هذا المقام إلى أن القرآن الكريم لم يذكر أن اسم ملكة سباً بلقيس، لكن كتب التفسير صرّحت بذلك<sup>(٣)</sup>.

وفي مقابل شخصيات الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين نجد أبو تمام يستدعي في شعره بعض شخصيات المنبذين الواردة في القرآن الكريم، كفرعون وهامان وقارون<sup>(٤)</sup>،

(١) شرح ديوان أبي تمام: ٢ / ١٣٥. من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم، ومطلعها: باربعُ لوريغا على ابن همومٍ مُسْتَسْلِمٌ لجوى الفراقي سقيمٍ

(٢) شرح ديوان أبي تمام: ١ / ٣٦٩. من قصيدة يمدح بها أبو المغيث موسى بن إبراهيم، ومطلعها: أقْشَيْبَ رِيعَهِمْ أَرَاكَ درِيسَا وَقَرِي ضَيْفُوكَ لَوْعَةً وَرسِيسَا

(٣) ينظر: الكشاف: ٢ / ٣٤٩.

(٤) فرعون نموذج للحاكم المتسلط، وهامان نموذج للوزير المفسد المعين على الشر، وقارون نموذج لمن آتاه الله تعالى المال فجحد فضله، ينظر: خصائص القصة الإسلامية: د. مأمون فريز جرار: ٧٧ . و: نظرات في أحسن القصص: د. محمد السيد الوكيل: ٢ / ١٢٧.

ففي بيٰت واحد جمع بينهم، وذلك في قوله:  
هيئات لم يعلمُ بأنكَ لوثى  
مانال ماقد نال فرعونُ ولا

تحدث أبو تمام في بيته عن بابك الذي نال في حياته أكثر مما ناله فرعون وهامان وقارون، لكن الأفشين تمكّن منه وقضى عليه، وعاقبته كانت كسابقيه من الطغاة . والشخصيات الثلاث من الطغاة الذين يضرب بهم المثل في كثرة المال والتجبر، وقد جمعهم أبو تمام في بيت واحد ، فالمهجو فاق في الغنى والملك كل أولئك الطغاة ، لكن عاقبته كانت وخيمة ، إذ تمكّن الأفشين من القطاء عليه . ومهارة أبي تمام بربت في الجمع بين الطغاة الثلاثة في بيت واحد، وفي شخص واحد، فشكل حضورهم مجتمعين تكثيفاً في المعنى، وتعزيزاً للفكرة المقدمة .

وقوله :

أنت الذي يملك أضعاف ما  
حواه قارون من البُغض<sup>(٢)</sup>  
استدعى أبو تمام شخصية قارون الذي اشتهر بكثرة المال، ووظفها في  
الهجاء، فجعل المهجو يملك أضعاف ما كان يملكه قارون من البغض.  
ومن الشخصيات المبنوذة التي استدعاها أبو تمام في شعره شخصية إبليس، وقد  
استدعاه في قوله:

في البيت يدعو أبو تمام إلى الجمع بين العفاف والتقوى والندى، فابليس "كان يتبعه الملائكة إلا أنه لم يتقى" ، فحصارت عاقبة أمره إلى ما كان ، ( وأسباب العفاف ) هو الكف عن أكل الحرام وأخذ أموال الناس وغيرهم مما لا يتعاطاه ، وهي حاصلة فيه، غير أنه لم يكن معها التقوى ولا الندى فلم ينتفع بها . فكذلك عفتكم التي لزمتكم إذا لم يكن معها

(١) شرح دیوان آیت تهارم: ۲ / ۱۶۳. من قصيدة يمدح بها الأفشين، ومطالعها:

**يَدُ الْجَلَادِ الْبَذَّ فَهُوَ دَفِينٌ** ما إِنْ يَهُ إِلَّا الْوَحْشَ قَطْنٌ

(٢) شرح ديهان أبي تمام : ٢ / ٣٤٨ . من مقطوعة شعرية في هجاء ابن الأعمش . ومطلعها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢) شرح ديوان أبي تمام: ٣٧٢ / ١. من قصيدة ب مدح بها أبي المغثت موسى بن إبراهيم . ومطلعها:

أقشيب ريعهم أراك دريسا وقرى ضيوفك لوعةً ورسينا

تقى ولا ندى لم ينتفع بها المرء ”<sup>(١)</sup>.

جاء استدعاء إبليس من خلال افتقاده صفة التقوى، أما ما يتصف به إبليس من كفه عن أكل الحرام وأخذ أموال الناس، فحاصل دون فضل منه. استثمر أبو تمام هذا المعنى في الدعوة إلى الجمع بين التقوى والعنف . وهو معنى طريف من المعاني الكثيرة التي نطالعها في شعر أبي تمام .

مما سبق يتضح تنوع صور التلميح في شعر أبي تمام ، وأبرزها : الإشارة إلى بعض آيات القرآن الكريم ، واستدعاء بعض قصص القرآن الكريم والشخصيات الواردة فيه، وبذلك كان للقرآن الكريم أثره الواضح في تشكيل عالمه الشعري ، مما أكسب شعره مزيداً من القوة والجمال ، ومنحه جاذبية وجلاً وهيبة ، وكان بحق معبراً عن الحياة في ذلك العصر : مكاناً وزماناً .

لقد كان القرآن الكريم رافداً من أهم روافد أبي تمام الشعرية ، وقد استثمر براعة القرآن الكريم في التعبير عن المواقف المختلفة ، فجاء شعره ممتزجاً بذلك الأسلوب الفريد المعجز . وقد وصف أحد النقاد براعة أبي تمام في استثمار معانى القرآن الكريم بأنها تأتي : ” على شكل تعبير عن مقتضى الحال ، منساقة انسياقاً طبيعياً ، متلاحمة مع السياق العام للنظم ، مستثمرة استثماراً فيه من الرشاقة والإبداع ما يتاسب وجلال القرآن ”<sup>(٢)</sup> .

وإنما يمكن القول : إنَّ أبا تمام حافظ في كثير من النماذج التي ألمح فيها إلى القرآن الكريم على قداسته ومكانته الرفيعة ، لكن هناك نماذج قليلة أخفق فيها ، إذ أشار في بعض أبياته الشعرية إلى آيات قرآنية كريمة وقصطاً قرآنية وشخصيات في سياقات لا تتفق مع تلك القداسة . منها قوله :

أهْبَطْنَا جمِعاً إِلَى الْأَرْضِ كُونْكَ فِي صُلْبِ أَبِينَا آدِمِ

في البيت السابق استدعي أبو تمام قصة هبوط آدم ( عليه السلام ) إلى الأرض ، قال

(١) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٧٣ .

(٢) الفن والصنعة في مذهب أبي تمام : ١٤٤ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام / ٢ / ٢٤٨ ... من مقطوعة شعرية في هجاء ابن الأعمش . ومطالعها :

—————  
والله يا ابن الأعمش المبتلى

تعالى : « فَأَزَّهُمَا الشَّيْطَنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ » ( البقرة : ٢٦ ) .

جعل أبو تمام في البيت السابق سبب هبوط آدم ( عليه السلام ) وذريته من السماء إلى الأرض كون المهجو من صلبه ومن سلالته . وفي هذا تجاوز غير مقبول لقضاء الله تعالى وقدره .

وقوله :

فاجأتنا كَدْرَاءٌ لَمْ تُسْبَّ مِنْ تَسْ

وَكَأَنَّ الْأَنَامَ لَعْنَ صُرْتُهَا  
إِحْتَسَابًا بِذَلَّتَهَا أَمْ تَصْدَقَ  
بعْدَ كُدُّ مِنْ مَاءٍ وَجْهَ الْبَخِيلِ

(١) احتساباً بذلتها أم تصدق على ابن السبيل؟!

وأشار أبو تمام في البيت الأول إلى قوله تعالى : « عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلَسِيلًا » ( الإنسان : ١٨ ) . فالآلية الكريمة تحدثت عن عين في الجنة شرابها لذذ (٢) . أما أبو تمام في بيته فتحدثت عن خمر الدنيا ، وفضلها على الشراب الذي تحدثت عنه الآية الكريمة ، وفي هذا تجاوز غير مقبول .

المبحث الثاني : الاقتباس :

إذا كان التلميح يقوم بنقل مفردة أو عدة مفردات تشير إلى نص سابق أو قصة أو شخصية أو مثل أو موقف ، أو يقوم المعنى اللاحق باستحضار معنى سابق ، فإن الاقتباس يقوم بنقل التراكيب دون تغيير أو مع تغيير يسير .

ويعد الاقتباس صورة من صور تأثر أبي تمام بالقرآن الكريم . وفيه تحضر آية قرآنية أو جزء من آية قرآنية في شعره ، دون تحويل أو تغيير ، أو مع تغيير طفيف . مع التأكيد أنه لا بد من مراعاة قدسيّة القرآن الكريم ومكانته .

ومصطلح الاقتباس يندرج في الدراسات النقدية الحديثة تحت مصطلح التناص ، بوصفه

(١) ينظر : البقرة : ٣٨ . و : الأعراف : ٢٤ . و : طه : ١٢٢ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٤٠١ / ٢ . من قصيدة يعاتب فيها أبو علي موسى القمي في نبيذ أهداه إليه . ومطاعها :

قد عرفنا دلائل المぬع أوما يشبه المぬع باحتباس الرسول

(٣) ينظر : الحامع لأحكام القرآن الكريم : القرطبي : ١٤٢ / ١٩ .

شكلًا من أشكال التداخل بين النصوص والتفاعل معها وامتصاصها واستلهامها واستدعايتها . وصورة من صور تفاعل الأدباء مع القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بوصفهما المثال الأعلى والأنموذج الفريد للبلاغة<sup>(١)</sup> .

والاقتباس في اللغة بمعنى الأخذ والاستفادة . فالقبس هو الشعلة من النار ، واقتبسها الأخذ منها ، والقبس الجذوة . ويقال قبست منه ناراً . أي أعطاني منه قبساً ، واقتbast منه علمًا – أيضًا – أي استفادته<sup>(٢)</sup> .

أما الاقتباس في الاصطلاح فهو "أن يضمّ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث . لا على أنه منه"<sup>(٣)</sup> . أما إذا قال المتكلّم في كلامه : قال الله تعالى أو قال الرسول ﷺ ونحوه فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً<sup>(٤)</sup> . والاقتباس يكون في الشعر والنشر .

وأشار أحد الباحثين إلى أن واعظ مصطلح الاقتباس فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، حيث قال : "الاقتباس عند البلاغيين أحد الفنون البدعية ، وأول من وضع هذا المصطلح فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) . وكان معروفاً قبل الرازي باسم التضمين "<sup>(٥)</sup> . وقد عرف الرازي الاقتباس بقوله : "هو أن تدرج كلمة من القرآن . أو آية منه ، في الكلام : تزيينا لظاممه . وتفخيمًا لشأنه"<sup>(٦)</sup> .

ومن خلال تتبعي للمصنفات البلاغية وجدت أن أبا منصور الثعالبي صنع مؤلفاً في الاقتباس سماه (الاقتباس من القرآن) . قال في مقدمته : "هذا النبي ﷺ هو أفعى العرب لهجة . وأعذبهم عذبة<sup>(٧)</sup> . وأحسنهم إفصاحاً وبياناً . وأرجحهم في الحكمة البالغة ميزاناً ، وقد اقتبس من معاني القرآن وألفاظه في الكثير من كلامه ، والجمل من مقاله . وكذلك السلف الأفضل من الصحابة والتلابعين (رضي الله عنهم أجمعين) . ومن بعدهم

(١) ينظر : التناص في شعر الرواد : د. أحمد ناهم : ١٠٤ .

واستيحاء التراث في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) : ٤٠٠ – ٤٣٩ هـ : ١٩ .

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (قبس) .

(٣) التلخيص : ٤٢٢ .

(٤) ينظر : الإنقاذ في علوم القرآن : الإمام جلال الدين السيوطي : ٣١ / ١ .

(٥) الاقتباس (أنواعه وأحكامه: دراسة شرعية بلاغية في الاقتباس من القرآن والحديث) : د. عبد المحسن العسكري : ١٣ .

(٦) نهاية الإيجاز في درية الإعجاز : ٢٨٨ .

(٧) العذبة : طرف اللسان الدقيق . ينظر : لسان العرب : مادة (عذب) .

إلى يومنا من كل طبقة ، فما أكثر ماعولوا على الاقتباس من القرآن فرّصعوا كلامهم ترصيعاً . وتعاطوا فنونه جمِيعاً ”<sup>(١)</sup> .

والتعالبي في كتابه لم يعرف الاقتباس تعريفاً صريحاً ، لكن من خلال تتبع كلامه والشاهد التي ساقها يتضح أنه يتسع في مفهومه ، فيدخل فنوناً أخرى كالتمثيل فالاقتباس عنده يتسع ليشملأخذ الألفاظ والمعاني ، ومن ذلك عده من الاقتباس قول أبي تمام :

أشُكُّ نعمَ مِنْكَ مشكورةً وَكَافِرُ النَّعْمَاءِ كَالكافر<sup>(٢)</sup>

أشار التعالبي إلى أن أبو تمام اقتبس البيت السابق من قوله تعالى : « قَالَ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا بِإِيمَانِكَ يَهُوَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقْرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتَلَوَّنِي إِشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّيْ غَنِيٌّ كِرْمٌ » <sup>(٣)</sup> (النمل : ٤٠) .

وبالنظر إلى الآية الكريمة وبيت أبي تمام نجد أنه لم يقتبس الآية السابقة، بل أشار إليها . فهو من باب التلميح لا الاقتباس .

ومن ذلك - أيضاً - عده من الاقتباس قول أبي تمام :

لَيْسَ الْغَبَيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمَهُ الْمُتَخَابِ<sup>(٤)</sup>

ذكر التعالبي أنَّ البيت السابق أخذَه أبو تمام من قوله تعالى : « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ سُخْنُوْضُونَ فِي ءَايَتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ سُخْنُوْضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْذِكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّاهِرِينَ <sup>(٥)</sup> » ( الأنعام : ٦٨) .

ومن خلال التأمل في الآية الكريمة وقول أبي تمام نجد أنه لا يوجد اقتباس ، حتى لو قلنا بأن هناك تلميحاً في البيت الشعري إلى الآية الكريمة لوجودنا اختلافاً كبيراً ظاهراً

(١) الاقتباس من القرآن : ١ / ٣٩.

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣١٥ . من قصيدة يمدح بها أبو سعيد . ومطالعها :

قل للأمير الأريحي الذي كفأه للبادي وللحاضر

(٣) ينظر : الاقتباس من القرآن : ١ / ٢٣٤ .

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٥٦ . من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغليبي . ومطالعها :

لوأنْ دهراً ردَّ رجَ جوابِ أو كفَّ من شاوية طُولُ عتابِ

(٥) ينظر : الاقتباس من القرآن : ١ / ٢٣٤ .

بين معنى الآية الكريمة ومرادها والبيت الشعري ، فالآلية الكريمة تتحدث عن الإعراض الذي كان نتيجة أمر صريح من الله تعالى لرسوله ﷺ بترك مجالستهم ، حتى يخوضوا في حديث غيره <sup>(١)</sup> . أما بيت أبي تمام فيشير إلى التغابي ، ويدعو سادة القوم إلى التغاضي عما يصدر عن أقوامهم من مواقف ، ويؤكد أن سادة القوم يتقوّن بأقوامهم ، لذا عليهم التجاوز عن بعض الزلات بالتجاهلي عندها . فالسياق مختلف تماماً . والصلة بعيدة بين الآية الكريمة والبيت الشعري ، ومن هنا أرى أنه لا يوجد في البيت السابق اقتباس أو تلميح .

ولم يغفل المصنفون في فنون الكتابة والأدب وصناعة الإنشاء ” عن بيان قيمة الاقتباس من القرآن والحديث ، بل جعلوهما – أي القرآن والحديث – في مقدم ما يحتاج إليه المنشئ والبلigh والشاعر من آلات بها قوام صنته ” <sup>(٢)</sup> .

والآفاظ المقتبسة من القرآن الكريم أو من الحديث النبوى الشريف ” تزيد الكلام قوة وبلغة ، كما تضفي عليه حسناً وجمالاً ، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع والنور المشرق . والمتكلم عندما يقتبس يبني كلامه على الالئام والتلاحم ، وبهذا يبدو كلامه قوياً بلغاً ” <sup>(٣)</sup> .

أما عن حكم الاقتباس من القرآن الكريم فنجد حوله كلاماً مفصلاً للعلماء المتقدمين ، مفاده الجواز ، وقد استدل العلماء على ذلك باقتباس الرسول ﷺ ، وكبار الصحابة ( رضي الله عنهم أجمعين ) <sup>(٤)</sup> . ” فمجيء الاقتباس القرآني في السنة دليل على إياحته ، ومما يستدل به على الجواز – أيضاً – ثبوت الاقتباس بالأسباب الصحيحه عن كبار الصحابة : كأبي بكر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهم . وثبوته كذلك عن التابعين ، ومن بعدهم الأئمة الأعلام ومشاهير الإسلام ... ” <sup>(٥)</sup> .

والاقتباس من حيث الحكم الشرعي ثلاثة أنواع :

– الأول : مقبول ، وهو ما كان في الخطاب والمواعظ والعقود .

(١) ينظر : الكشاف ٢ / ٣٣ .

(٢) الاقتباس : ٤٥ .

(٣) علم البديع ( دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ) : د. بسيوني فيود : ٢٦٨ .

(٤) ينظر : الاقتباس من القرآن ١ / ٢٨٨ .

(٥) الاقتباس : ٦٢ – ٦١ .

- الثاني : مباح ، وهو ما كان في القول والرسائل والقصص .
  - الثالث : مردود ، وهو على ضربين : أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه - ونعود بالله من يقله إلى نفسه - . والآخر اقتباس آية في معنى هزل ، ونعود بالله من ذلك <sup>(١)</sup> .
- اما من حيث النوع فنوعان :
- أحدهما : وهو ما لم يُنقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى غيره .
  - والآخر : وهو ما نقل عن معناه قبل الاقتباس ، لأن ينقل المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر <sup>(٢)</sup> .

واختلف البلاغيون حول قضية التغيير اليسير للوزن وغيره . فالخطيب الفزويني (ت ٧٢٩ هـ) رأى أنه لا بأس في ذلك ، ووافقه إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي (ت ٧٤٣ هـ) الذي أشار إلى أن الكلام المقتبس ليس من القرآن الكريم . ولو أورده على أنه منه لما صحّ التغيير ، وابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) يحيى تغيير لفظ المقتبس بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير ، أو وضع الظاهر مكان المضمر ونحو ذلك ، لأن المنقول ليس بقرآن ، بل كلام يماثله . وخالفهم بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) الذي أشار إلى أن في تسمية ما أصابه بعض التغيير اقتباساً نظراً . ودعا إلى اجتنابه . وتنتهي كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ منه <sup>(٣)</sup> .

وصور التغيير اليسير متنوعة . منها : حذف التنوين في الشعر لأجل الوزن والقافية ، وحذف حرف وحذف ضمير وحذف كلمة . وتغيير حركة ، ووضع الظاهر موضع المضمر ، أو تبديل اللفظ بلفظ يساوي مفهومه . أو وضع ضمير راجع إلى ما يساوي مفهومه مفهوم لفظ في المقتبس موضعه . وقد تجتمع أكثر من صورة من الصور السابقة . أما التغيير الكثير فيخرجه عن كونه اقتباساً <sup>(٤)</sup> . وأرى أنه لا بأس من التغيير اليسير ، لأن المقتبس ليس قرآنًا حقيقة .

أبو تمام - وهو موضوع هذه الدراسة - يعدّ من أكثر الشعراء العرب الذين تأثروا

(١) ينظر : الاتقان في علوم القرآن ١: ٢٢٢ .

(٢) ينظر : الإيضاح : الخطيب الفزويني : ٥٧٨ .

(٣) ينظر : التلخيص : ٤٢٢ - ٤٢٤ . والأطول : ٢ / ٥١٢ - ٥١٠ . وأنوار الريبع في أنواع البديع : ٢ / ٢١٩ - ٢٢٠ . وعروس الأفراح : ٤ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٤) ينظر :الأطول : ٢ / ٥١١ .

بالقرآن الكريم . وعبر أحد دارسيه عن عمق ذلك الأثر بقوله : " لا أعرف شاعراً من شعراء العربية تأثر بالقرآن تأثر أبي تمام به ، فإن القارئ لا يكاد يمضي في الديوان ، حتى يعثر بين خطوة وأخرى بشاعر كأنما يضع نصب عينيه النقل من الكتاب الكريم " <sup>(١)</sup> . استثمر أبو تمام الفاظ القرآن الكريم وتراكيمه ومعانيه في إبداعه الشعري . فكان القرآن الكريم حاضراً في شعره : مما أكسب تجربته الشعرية مزيداً من التوهج الفني والموضوعي . فمعانيه اكتسبت مزيداً من الوضوح . وعباراته بدت أكثر قوة وجمالاً ، وهكذا كان القرآن الكريم رافداً من روافد شعره التي أسهمت في تشكيل شخصيته الأدبية المتميزة .

وفي هذا المبحث سنتم دراسة حضور التراكيب القرآنية عبر الاقتباس في شعر أبي تمام من خلال الوقوف عند صور الاقتباس الواردة في شعره المتمثلة في الاقتباس دون تغيير . والاقتباس مع التغيير :

#### ١- الاقتباس دون تغيير:

وفي هذه الصورة تُنقل الآية القرآنية الكريمة أو جزء منها دون تغيير في ألفاظها وحركاتها . دون حذف أو زيادة . ومن خلال تتبعي لشعر أبي تمام لم أعثر سوى على بيت شعري واحد يمثل هذه الصورة ، وهو قوله :

فَاضَ اللَّثَامُ وَغَاضَتِ الْحَسَابُ  
وَاحْجَنَّتِ الْعَلَيَاءُ وَالْأَدَابُ  
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ فَلَا  
فَكَانَ يَوْمَ الْبَعْثِ فَاجْأَهُمْ فَلَا  
<sup>(٢)</sup>

اقتباس أبو تمام قوله ( فلا أنساب بينهم ) من قوله تعالى : ﴿فَإِذَا تُفْخَنَ فِي الْأَصْوَرِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِنِي وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ( المؤمنون : ١٠١ ) .

أخذ أبو تمام جزءاً من الآية الكريمة السابقة دون أي تغيير ، ولم ينقل معنى البيت عن المعنى الأصلي للآية الكريمة التي تحدثت عن يوم القيمة ، إذ شبه أبو تمام في بيته حال ظهور اللامر واندثار العلiae والأداب . بحال يوم البعث الذي تبطل فيه الأنساب ، فلا يعتد بها ، " لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب ، إذ يفتر المرء من أخيه وأمه وأبيه

(١) أبو تمام الطائي ( حياته وحياة أبيه ) : نجيب محمد البهبيتي : ٦٧ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٣٨ . مطلع قصيدة يهجو بها موسى بن إبراهيم الرافقي .

وطاحبته وبنيه ”<sup>(١)</sup>.

استثمر أبو تمام معنى الآية الكريمة في توضيح فكرته وتأكيدها، فجاء تشبيهه لحال اندثار العلياء والكرام وكثرة اللثام وعدم الاعتداد بأهل الفضل بحال يوم القيمة الذي تغيب فيه الأنساب ، ففي ذلك الموقف يبحث كل إنسان عن خلاصه من الموقف العصيّب . وأضف حضور جزء الآية القرآنية الكريمة دون أي تغير على بيت أبي تمام جلاؤ وهيبة في المعنى ، وقوّة وتوهجاً في العبارة ، وبخاصة أنه جاء في مطلع القصيدة ، وفي مقام الهجاء ، فكان الحديث عن يوم البعث والحساب مناسباً لإظهار حنق الشاعر من انتشار اللؤم وكثرة اللثام ، ومنهم المهجو.

وكان حضور جزء الآية الكريمة السابقة في بيت أبي تمام دون أي تغيير - معتبراً عن تأثيره العميق بالقرآن الكريم . ومبرهناً - في الوقت ذاته - على موهبة فذة يمتلكها الشاعر مكنته من إحداث التمازج التام بين جزء الآية المقتبس والبيت الشعري ، وكان التشبيه وسيطه في ذلك التمازج ، فحافظ على قداسة القرآن الكريم . من خلال استثمار الآية القرآنية الكريمة في السياق نفسه الذي وردت فيه في القرآن الكريم ، والمقداد التي سيقت من أجلها .

## ٢- الاقتباس مع التغيير :

وفي هذه الصورة تُنقل الآية الكريمة أو جزء منها مع تغيير فيها ، وطالعنا في شعر أبي تمام صورٌ متنوعة لهذا النوع من الاقتباس ، هي :

أ- تغيير يسير مراعاة للوزن والقافية ، كحذف التنوين من كلمة مقتبسة في نهاية البيت الشعري ، مراعاة للوزن والقافية . ومنه قول أبي تمام :

هم صَرِّوا تلَكَ الْبُرُوقَ صَواعِقاً      فيهم وذاكَ الْعَفْوَ سَوْطَ عَذَابٍ<sup>(٢)</sup>

أي هم الذين تعرضوا لغضب الممدوح الذي حلّ عليهم كالصواعق ، وعفا عنهم بعد أن شفع فيهم أبو تمام ، فكان عفوه عنهم بمثابة سوط عذاب . وقد اقتبس أبو تمام قوله ( سوط عذاب ) من قوله تعالى : « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَئِكَ سَوْطَ عَذَابٍ » ( الفجر : ١٣ ) .

(١) الكشاف : ٣ / ١٩٨.

(٢) شرح ديوان أبي تمام ١: ٥٣ . من قصيده يمدح فيها مالك بن طوق التغلبي . ومطلعها :  
لوأن دهرأ ردد رجع جواب أو كف من شاؤيه طول عتاب

نقل أبو تمام المقتبس عن معناه الأصلي ، ففي الآية الكريمة كان العذاب من الله تعالى ، والمراد ”أنَّ مَا أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدَّ لهم في الآخرة ، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذب به“<sup>(١)</sup> . أما في بيت أبي تمام فعفو الممدوح كان بمثابة سوط العذاب ، وحذف التنوين من كلمة ( عذاب ) في آخر البيت ، مراعاة للوزن والقافية .

وقوله :

شَهَدْتَ لَقَدْ أَوَى إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ مِنْهُ      غَدَاتِئِي إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ<sup>(٢)</sup>  
أَخْذَ أَبُو تَمَامَ قَوْلَهُ (إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قَالَ لَوْأَنِ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ أَوَى إِلَى  
رَكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup> (اهود : ٨٠) .

نقل أبو تمام الجزء المقتبس من الآية الكريمة عن معناه الأصلي ، فالآية الكريمة تحدثت عن موقف لوط ( عليه الصلاة والسلام ) من قومه لما رأى استمراهم في غيهم وضعفَ عنهم ، ولم يقدر على دفعهم ، تمنى أن يكون له ركنٌ يأوي إليه ، ليمنعه منهم<sup>(٤)</sup> . أما أبو تمام في بيته فجعل ممدوحه الركن الشديد الذي يأوي إليه الإسلام . وحذف التنوين من كلمة ( شديد ) في آخر البيت ، مراعاة للوزن والقافية .

وقوله :

تَرَدِي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمَرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدَسٍ خَضِرٍ<sup>(٥)</sup>  
أَخْذَ أَبُو تَمَامَ قَوْلَهُ ( سُنْدَسٍ خَضِرٍ ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدَسٌ خَضِرٌ  
وَإِسْتَبَرَقٌ وَحَلُوٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾<sup>(٦)</sup> (الإنسان : ٢١) .  
تصف الآية الكريمة السابقة النعيم الذي يعيش فيه أهل الجنة ، ومنه وصف ثيابهم .  
وأبو تمام أخذ المعنى جاعلاً ثياب الموت التي ارتداها مرثيه في الليل بعد مقتله ، من سندس وإستبرق ، وهي ثياب أهل الجنة كما ورد في الآية الكريمة . ولم ينقل أبو تمام

(١) الكشاف : ٧٣٦ / ٤ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢٥٢ / ١ . من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي ، ومطلعها :  
أَطْلُنْ دَمْوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ      وهي سلakah من نحر وجيد

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٧٨ / ٥ .

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ٢٩ / ٢ . من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطائي ، ومطلعها :  
كَذَا فَلِيَجِلَّ الْحَطْبُ وَلَيَفْدَحَ الْأَمْرُ      فليس لعين لم يَقْضِ ماؤها عَذْرٌ

معنى الآية المقتبسة عن معناها الأصلي ، إذ تحدث الآية الكريمة عن ثياب أهل الجنة . وبيت أبي تمام تحدث عن ثياب مرثيه في الليل بعد مقتله . إذ أصبحت مثل ثياب أهل الجنة باعتبار المصير الذي سيؤول إليه مرثيه المجاهد في سبيل الله تعالى . في الأبيات الثلاثة السابقة اقتبس أبو تمام من القرآن الكريم . مع تغيير يسير تمثل في حذف التنوين من كلمات ( عذاب ، شديد ، خضر ) ، مراعاة للوزن والقافية ، والملاحظ أن الكلمات الثلاث جاءت في نهاية الأبيات الشعرية ، لذا حذف منها التنوين مراعاة للوزن والقافية .

وأشير هنا إلى أن ختم الأبيات الثلاثة بجزء مقتبس من الآيات القرآنية أكسبها مزيداً من القوة والجمال في التعبير . فكانت التراكيب القرآنية الكريمة هي آخر ما يطالعه المتلقي في تلك الأبيات .

ومن جانب آخر كان حضور الآيات القرآنية الكريمة : لفظاً ومعنى معبراً بجلاء عن عمق تشبع ثقافة أبي تمام بالقرآن الكريم . ومقدرته التي مكنته من مزج التراكيب القرآنية مع شعره ، مع مجرد تغيير يسير يتمثل في حذف التنوين من آخر الأبيات . على الرغم من خصوصية الشعر الإيقاعية .

وفق أبو تمام في الجمع بين أسلوبين مختلفين بصورة فنية متميزة مع محافظته على قداسة القرآن الكريم ومكانته .

**بـ "تغيير حركة مراعاة للموقع الإعرابي ، ومنه قول أبي تمام :**

جاءتك من نظم اللسان قلادة سِمطانٌ فيها اللُّؤلُؤُ الْمَكْنُونُ<sup>(١)</sup>  
 اقتبس أبو تمام قوله (اللُّؤلُؤُ الْمَكْنُونُ ) من قوله تعالى : ﴿ كَمَثْلِ اللُّؤلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ( الواقعه : ٢٣ ) .

في الآية الكريمة تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون ، "أي الذي لم تمسه الأيدي . ولم يقع عليه الغبار فهو أشد ما يكون صفاء وتلألوا" <sup>(٢)</sup> . أما بيت أبي تمام فشبه الشعر باللؤلؤ

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٦٧ . من قصيدة يمدح بها الواقع بالله . ومطلعها : وأبي المنازل إنها لشجون وعل العجمة إنها تلين

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٥ .

المكونون، ناقلاً معن المقتبس من معناه الأصلي إلى معنى آخر.

وقد أجاد أبو تمام في استثمار التركيب القرآني، إذ جعل شعره في المدح صافياً متلائماً كاللؤلؤ المكون الذي لم تمسه الأيدي. وقد غير أبو تمام في حركة المقتبس: مراعاة للموقع الإعرابي. فكلمتا اللؤلؤ والمكونون في الآية الكريمة جاءتا مجرورتين، أما في بيت أبي تمام فجاءتا مرفوعتين.

وقوله :

إِنْ شَئْتَ أَتَبْعَثُ إِحْسَانًا بِإِحْسَانٍ فَكَانَ جُودُكَ مِنْ رَوْحٍ وَرِيحَانٍ  
اقتبس أبو تمام قوله (روح وريحان) من قوله تعالى : « فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ » (الواقعة : ٨٩) . وغير في حركة المقتبس مراعاة للموضع الإعرابي، وفي الآية الكريمة كانت كلمتا روح وريحان مرفوعتين، أما في بيت أبي تمام فجاءتا مجرورتين بالكسرة. والروح بمعنى الرحمة، والريحان بمعنى الرزق .

والروح والريحان في الآية الكريمة عطاء الله تعالى للمقربين من السابقين الذين جاء ذكرهم في بداية سورة الواقعة (١) . أما في بيت أبي تمام فكان عطاء المدح وسخاؤه من روح وريحان. وهكذا نقل أبو تمام في بيته معن الآية الكريمة إلى معنى آخر، لكنه معنى مقبول ، لأنه لم ينسب إلى نفسه ما نسبه الله تعالى إلى نفسه. ولم يورد الكلام المقتبس في معن فيه هزل .

وقوله :

كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ لَغِيَادَاءَ أَصْبَحَتْ وَلِيْسَ لَهَا فِي الْحَسْنِ شَكْلٌ وَلَا تَرْبَ (٤)  
اقتبس أبو تمام (كوابع أتراب) من قوله تعالى : « وَكَوَاعِبُ أَتْرَابًا » (النبا : ٢٣) . وكوابع جمع كاعب. وهي الناهد . والأتراب هم الأقران في السن . ومفردها ترب (٥) .

(١) شرح ديوان أبي تمام: ٢ / ١٧٠ . مطلع مقطوعة يسأل فيها الحسن بن وهب أن يكلم أخيه سليمان في حاجة .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ٢٢٢ - ٢٣٣ .

(٣) ينظر: سورة الواقعة: ١٠ - ١١ . وينظر: الكشاف: ٤ / ٤٤٦ .

(٤) شرح ديوان أبي تمام: ١ / ١٠٣ . من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني . ومطلعها: قد أخذت من دار ماوية الحقبَ أَنْجَلَ الْمَغَانِي لِلْبَلِي هِي أَمْ نَهْبُ؟!

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ١٨٣ .

والمراد بـ ( كواكب أثراً ) في الآية الكريمة الحور العين ، أما في بيت أبي تمام فهن صاحبات محبوبته . وهكذا نقل أبو تمام معنى الكلام المقتبس في بيته الشعري إلى معنى مخالف لما هو عليه في الآية الكريمة .

وأشير هنا إلى أنه على الرغم من أنّ آبا تمام أورد التركيب القرآني في سياق الغزل ، إلا أنه غزل تقليدي جاء في مطلع القصيدة على عادة الشعراء ، وقد خلا من الفحش ، واقتصر على وصف ديار من يحب ، وسرعان ما انتقل إلى الغرض الرئيس لقصيده ، وهو المدح .

#### ج - تغيير في الضمير، كقول أبي تمام :

لَا شَمْسَهْ جُمِرَهْ تُشْوِي الْوِجُوهَ بِهَا  
يُومًا وَلَا ظَلَّهُ عَنَّا يَمْنُتَقِلِ<sup>(١)</sup>  
اقتبس قوله ( تشوي الوجوه ) من قوله تعالى : « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ  
وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ إِنَّا أَعْنَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا يُغَاثُوا بِمَا  
كَالَّمْهُلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا<sup>(٢)</sup> » ( الكهف : ٢٩ ) .

غير أبو تمام تغييراً يسيراً في جزء الآية المقتبس ، فبين الفعل للمجهول ، ووضع القاء موضع ( الياء ) في الفعل ( يشوي ) ، لأن الفاعل في بيت أبي تمام قبل البناء للمجهول ضمير مستتر يعود على مؤنث مجازي التأنيث ( جمرة ) . وحكم تأييث الفعل هنا واجب التأنيث . ونقل المقتبس من معناه الأصلي في الآية الكريمة إلى معنى آخر ، فالآية الكريمة قدّمت صورة عن حال أهل النار ، والعياذ بالله تعالى ، ومن ذلك الحديث عن شرابهم وهو ما أذيب من جواهر الأرض ، فإذا قدّم ليشرب انشوى الوجه من حرارته<sup>(٣)</sup> . بينما وصف أبو تمام في بيته حال ممدوحه الذي " لا يأتيك أذاه فيبلغ إليك إن كنت وليه ، ولا ينطوي عنك نفعه وخيره "<sup>(٤)</sup> .

#### د - تغيير لفظ بلفظ مساو له في المعنى ، كقوله :

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٤٥ / ٢ . من قصيدة يمدح بها آبا سعيد محمد بن يوسف ، ومطلعها :  
ما يبعاده الأيام من قبل لم يثن كبد النوى كيدي ولا حيلي

(٢) ينظر : الكشاف : ٢ / ٦٩١ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٤٥ / ٢ .

كِيَوْسَفَ لَمَّا أَنْ رَأَى أُمْرِرِيهِ وَقَدْ هَمَّ أَنْ يَعْرُوِيَ الذَّنْبَ أَحْجَمَا<sup>(١)</sup>  
 أَخْذَ أَبُو تَمَامَ (أَنْ رَأَى أُمْرِرِيهِ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَ تَعَالَى : « وَلَقَدْ هَمَّ بِهِ وَهُمْ بِهِ  
 لَوْلَا أَنْ رَءَاءَ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِتَنْصِرَفَ عَنْهُ الْسُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا<sup>(٢)</sup> الْمُحَلَّصِينَ ». (يوسف : ٢٤).

تحدث أبو تمام في البيت السابق عن هيبة مدوحه في نفوس أصحابه، وساق موقفاً أحدهم من الشجعان الذي كاد يتراجع عن القتال في الميدان من شدة ما واجهه من الأعداء، لكن هيبة المدوح منعته من ذلك. وشبه أبو تمام حال هذا الشجاع بموقف يوسف (عليه الصلاة والسلام) حينما راودته امرأة العزيز عن نفسه، فانصرف عنها بعد أن رأى برهان ربه. وأسهمه استحضار التركيب القرآني المعبر عن موقف يوسف (عليه الصلاة والسلام) في توضيح المعنى المراد التعبير عنه، وأسهمه - أيضاً - في إكساب التعبير مزيداً من القوة والجمال والهيبة.

وغير أبو تمام لفظاً بلفظ يساوي مفهومه، فقوله : أُمْرِرِيهِ قریب من برهان ربه . ولم ينقل معنى المقتبس من الآية الكريمة عن المعنى الأصلي ، لأنَّه ساق الجزء المقتبس من الآية الكريمة على سبيل التشبيه ، أي أنه استحضره ، لمجرد أن يشبه به حال مدوحه مع أتباعه وأصحابه .

وفي هذا المقام لا بد من الإشارة إلى اختلاف الموقفين ، في يوسف (عليه الصلاة والسلام) انصرف عن ارتكاب المعصية بعد أن رأى برهان ربه ، وكتب التفسير ذكرت آراء عدة للمقصود بالبرهان<sup>(٣)</sup> ، أما في بيت أبي تمام فانصرف الشجاع عن التقىقر كان بسبب تذكر هيبة المدوح واستحياء منه ، وشتان بين الحياة من الله تعالى والحياة من البشر !

وقوله :

مَكْرُأً بْنِ رَكْنِيَّهِ، إِلَّا أَنَّه  
 وَطَدَ الْأَسَاسَ عَلَى شَفِيرِهِار<sup>(٤)</sup>

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٢٠ . من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف . ومطلعها : عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعِلَّمَا وَأَنْ تُعْتَبَ الْأَيَّامُ فِيهِمْ فَرِيمَا

(٢) ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٢٣٦ . من قصيدة يمدح بها المعتصم . ومطلعها :

اقتبس أبو تمام (على شفير هار) من قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَتْهُ عَلَى تَقْوَىٰ  
مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَضُوا نِحْيَرُّا مَنْ أَسَسَ بُنْيَتْهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارِ فَهَارَ بِهِ فِي تَارِجَهْمُ وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِيْنَ﴾ (التوبه : ١٠٩).

آلية الكريمة تحدثت عن الرجال المذكورين من أهل مسجد الضار . ووازنت بينهم وبين الرجال الذين أسسوا مسجد قباء . والجرف ” ما جرف السيل . أي استأصله واحترق ما تحته . فبقي واهياً يريد الانهدام . والهار : الهائر المتتصدع المشرف على السقوط من هار يهور أو هار يهير ... ”<sup>(١)</sup>.

أخذ أبو تمام التركيب القرآني ( جرف هار ) ووصف به مكر ( الأفشين ) للخليفة العباسي المعتصم بأنه مكر بني على غير أصل<sup>(٢)</sup> . وغير أبو تمام لفظاً بل فقط مساو له بالمفهوم . فقوله ( شفير هار ) قريب من جُرْف هار في المعنى<sup>(٣)</sup> . ونقل أبو تمام معنى المقتبس من القرآن الكريم . إذ وصفت الآية القرآنية الكريمة مسجد الضار بضعف البنيان . أما بيت أبي تمام فوصف مكر الأفشين بالضعف .

عمق الاقتباس من الآية السابقة الفكرة التي قدمها الشاعر في بيته وأغنى تجربته الشعرية من خلال امتزاجها بالأسلوب القرآني الفريد المعجز .

هـ - تغيير في بناء الكلمة المقتبسة ، كقوله :

من القِلاصِ الخور والجلاد والمقربات الصُّفْنِ الجياد<sup>(٤)</sup>

اقتبس أبو تمام قوله ( الصُّفْنِ الجياد ) من قوله تعالى : ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ  
الصَّبَقَتْ أَجْيَادَ﴾ (ص : ٢١) . وغير في بناء الكلمة المقتبسة . فجاء بكلمة الصفن بدلاً من الصافنات الواردة في الآية الكريمة ، مراعاة للوزن .

والصافنات جمع صافن . والمراد ” الخيال جمع جواد للفرس إذا كان شديد الحُضُر ،

### الحقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيُوفُ عَوَارٌ

فحذار من أسدِ العرين حذار

(١) تفسير أبي السعود : ٢ / ١٣.

(٢) ينظر : شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٢٢٥ - ٢٣٦.

(٣) ينظر : أبو تمام الطائي ( حياته وحياة شعره ) : ٦٧.

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٧ . من قصيدة يصف فيها المطر . ومطلعها :

حَمَادٌ مِّنْ نَوْعِهِ حَمَادٌ  
فِي نَاجِرَاتِ الشَّهْرِ لَا الدَّادِ

كما يقال للإنسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها<sup>(١)</sup>.

والآية الكريمة وصفت جياد نبي الله سليمان ( عليه الصلاة والسلام ) بالصفون والجودة ، فجمعـت " بين الوصفين المحمودين : واقفة وجارية . يعني : إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها ، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها "<sup>(٢)</sup> .

أبو تمام في بيته لم ينقل الكلام المقتبس من معناه الأصلي ، إذ أورده في بيته لوصف الجياد الأصيلة المحمودة ، وهو المعنى نفسه الوارد في القرآن الكريم .

و- تغيير تقديم أو بتأخير . كقوله :

ثانية في كيد السماء ولم يكن لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار<sup>(٣)</sup>

اقتبس أبو تمام ( لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار ) من قوله تعالى : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِيهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الظَّالِمِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلَيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »<sup>(٤)</sup> ( التوبـة : ٤٠ ) . وقدـم أبو تمام اثنين على ثانٍ مراعاة للوزن .

تحـدث أبو تمام في قصيـته عن الأفـشـين الذي قـتـلهـ المـعـتـصـمـ ، أما ثـانـيـهـ فـشـخـصـ يـدـعـيـ (ماـزيـارـ) قـتـلـ - أـيـضاـ - ، وـالـمعـنـىـ أـنـ هـذـاـ الرـجـلـ ثـانـ لـلـآـخـرـ ، وـهـمـاـ مـذـمـومـانـ ، وـالـلـذـانـ كـانـاـ فيـ الغـارـ مـحـمـودـانـ<sup>(٥)</sup> .

وـالـمـلـاحـظـ أـنـ أـبـاـ تـامـامـ أـورـدـ جـزـءـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـفـارـقـةـ بـيـنـ حـالـيـنـ ، فـالـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ تـحـدـثـ عـنـ اـثـنـيـنـ مـحـمـودـيـنـ ، هـمـاـ الرـسـوـلـ ( صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ) وـأـبـوـ بـكـرـ الصـدـيقـ ( رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ) . أـمـاـ بـيـتـ أـبـيـ تـامـامـ فـأـشـارـ إـلـىـ اـثـنـيـنـ مـذـمـومـيـنـ ، كـانـ مـصـيرـهـماـ القـتـلـ .

وـقـدـ أـسـهـمـ حـضـورـ التـرـكـيبـ الـقـرـآنـيـ فـيـ إـغـنـاءـ الـمـوـقـفـ الشـعـرـيـ ، وـتـعمـيقـ الـفـكـرةـ

(١) الجامـعـ لأـحـكـامـ الـقـرـآنـ : ١٥ / ١٩٢ .

(٢) الكـشـافـ : ٤ / ٨٩ .

(٣) شـرـحـ دـيوـانـ أـبـيـ تـامـامـ ١ / ٣٤٠ . مـنـ قـصـيـهـ يـمـدـحـ بـهـ الـمـعـتـصـمـ . وـمـطـلـعـهـاـ رـقـتـ حـوـاشـيـ الدـهـرـ فـهـيـ تـمـرـمـ زـ وـغـداـ الثـرـىـ فـيـ حـلـيـهـ يـتـكـسـرـ

(٤) شـرـحـ دـيوـانـ أـبـيـ تـامـامـ ١ / ٣٤٠ .

المطروحة وتوضيحيها ، وإكساب الأسلوب قوة وجمالاً وهيبة من خلال امتزاجه مع التركيب القرآني المعجز الفريد .

والبيت السابق من الشواهد التي استشهد بها أبو منصور الثعلبي على الاقتباس . وقد علق على الآية الكريمة بقوله : ” وقال في مصاحبته رسول ﷺ في الغار : ( ثانٍ اثنين إذ هما في الغار ) ، حتى صارت هذه الكلمة مثلاً لكل متاخبين متصفين يقتربان ، ولا يكادان يفترقان ”<sup>(١)</sup> .

ز - الاقتباس مع التغيير باجتماع أكثر من صورة :  
ومن صور التغيير في المقتبس اجتماع أكثر من صورة ، ومن ذلك حذف حرف وتغيير في الحركة ، كقوله :

طوى أمرهم عنوهٌ في يديه طي السجِلٍ وطي الرداء<sup>(٢)</sup>

اقتبس أبو تمام قوله ( طي السجل ) من قوله تعالى : « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَمَّيْ  
السِّجْلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْقٍ تَعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كَعَلِيهِنَّ »<sup>(٣)</sup> ( الأنبياء : ١٠٤ ) . وغير بحذف كاف التشبيه من المقتبس ، وتباعاً لذلك غير حركة إعراب كلمة ( طي ) ، ففي الآية الكريمة كانت مجرورة ، لأنها سبقت بالكاف ، أما في بيت أبي تمام فجاءت منصوبة على المفعولية .

والسجل : ” الصحفة ، أي : كما يطوي الطومار للكتابة ، ليكتب فيه ... وقيل : السجل ملک يطوي كتببني آدم إذا رفعت إليه ”<sup>(٤)</sup> .

ولم ينقل أبو تمام المعنى المقتبس إلى معنى آخر ، لكنه عمد إلى استثمار الصورة القرآنية في معنى آخر ، فالآلية القرآنية شبهت طي السماء يوم الفزع الأكبر بطي الصحفة على ما فيها ، بينما شبه أبو تمام في بيته قضاء مرثيه على أعدائه الأقوباء وإذلالهم ومنعهم من الظهور والبروز بطي السجل وطي الرداء .

استثمر أبو تمام جزء الآية الكريمة المقتبس في توضيح فكرته وتعمييقها ، فالمرثي

(١) الاقتباس من القرآن : ١ / ١٠٨ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٩٣ . من قصيدة يرثى بها خالد بن يزيد الشيباني ، ومطلعها :  
نَعَاءٌ إِلَى كُلِّ حَيٍ نَعَاءٌ  
فتى العرب احتلَّ رَبَعَ الْفَنَاءِ

(٣) الكشاف : ٢ / ١٣٤ .

الذي قضى على أعدائه الأقواء جدير بالأوصاف التي وصفه بها الشاعر في قصيده، ومن جانب آخر كان لحضور الصورة القرآنية في نهاية البيت أكبر الأمر في منح أسلوبه قوة وهيبة، وعبرت عن تشرب الشاعر أسلوب القرآن الكريم، وامتزاجه بشعره بصورة جميلة مؤثرة.

ومنه اجتماع حذف الضمير والتنوين، كقوله:

هي بيعة الرضوان يُشرعُ وسُطّها      بابُ السلامِ فادخلوا بسلامٍ<sup>(١)</sup>

اقتبس أبو تمام قوله (فادخلوا بسلام) من قوله تعالى : «أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ إِمَّا مِنْ<sup>٤٦</sup> الحجر : ) . وحذف الضمير ( الهاء ) من الكلام المقتبس، وحذف التنوين من كلمة (سلام)، مراعاة للوزن والقافية.

والآلية القرآنية تحدثت عن الجنة، أما أبو تمام في بيته فأراد البيعة لل الخليفة العباسي الوايق، وجعلها باب السلام للأمة، ومركب النجاة.

وهكذا نقل أبو تمام الكلام المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، لكنه معنى مقبول، لأنه لم يبعث فيه بأيات الله تعالى.

ومنه وضع الظاهر موضع المضرور، وحذف التنوين، كقوله:

ذَاكَ الَّذِي إِنْ كَانَ خَلِيلًا لَمْ تَقْلُ      يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَخْذُهُ خَلِيلًا<sup>(٢)</sup>

اقتبس أبو تمام قوله (يا ليتني لم أتخذه خليلاً) من قوله تعالى : «يَوْئِلَّتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَخْذُ فُلَانًا خَلِيلًا<sup>٢٨</sup> ) ( الفرقان : ٢٨ ) . ووضع الضمير ( الهاء ) موضع الاسم الظاهر (فلاناً)، وحذف التنوين من الكلمة ( خليلاً )، مراعاة للوزن والقافية.

والحديث في الآية الكريمة كان عن عقبة بن أبي معيط، أما فلان فأمية بن خلف، " وكني عنه ولم يصرح باسمه، لئلا يكون هذا الوعد مخصوصاً به ولا مقصراً، بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما" <sup>(٣)</sup>.

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٠٢. من قصيدة يمدح بها الوايق، وبهنته بالخلافة، ومطلعها :

مَالَدَمْوَعَ تَرُومَ كُلَّ مَرَامِ      وَالجَفْنُ ثَاكِلُ هَجْعَةٌ وَمَنَمٌ

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٣٥. من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السكري، ومطلعها :

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خَلَقْتَ طَوِيلًا      لَمْ تُقْلِي جَلَدًا وَلَا مَعْقُولا

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ٢٦.

وقد نقل أبو تمام معن الآية المقتبسة إلى معنى آخر ، لكنه أجاد في استثماره ، إذ جاءت في ختام قصيده . فبعد أن أسبغ على ممدوحه من المدح أجوده ، جاء البيت الأخير مؤكداً كل تلك الصفات الحميدة التي ذكرها في قصيده ، ومشيراً إلى غيرها من الصفات التي لم يصرح بها في القصيدة . فيكفي أنَّ من يتخذ هذا الممدوح خلاً وصاحبًا لن يندر على ذلك .

وأشير هنا إلى أنَّ حضور التركيب القرآني في نهاية القصيدة كان موفقاً من قبل أبي تمام ، حيث أسهم في توضيح المعنى وتعديقه وتوكيداته ، ومنح الأسلوب مزيداً من القوة والجمال .

ومنه زيادة الألف للإشباع ووضع الظاهر موضع المضمر ، كقول أبي تمام :

كان الذي خِفتُ أَنْ يَكُونُوا  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ<sup>(١)</sup>

أخذ أبو تمام قوله (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ) من قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَبْتُهُمْ مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة : ١٥٦) . فقوله : إنَّا إلى الله راجعون اقتباس ، لكنه زاد الألف في راجعون على جهة الإشباع ، وأدى بالظاهر مكان المضمر في قوله : إنَّا لله وإنَّا إليه ، ومراده آية الاسترجاع ، وهي إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون<sup>(٢)</sup> .

ولم ينقل أبو تمام معن المقتبس عن معناه الأصلي ، فالآلية الكريمة تحدثت عن موقف المؤمنين عند وقوع المصيبة ، وببيت أبي تمام جاء في المعنى نفسه ، إذ وضع المقتبس من الآية القرآنية الكريمة في السياق نفسه الذي وردت فيه ، والمقصد الذي سيقت من أجله ، فال المصيبة التي حللت به تمثلت في موت أحد أبنائه الذي كان يتوسّم فيه الخير والصلاح ، وجاء بيت أبي تمام في مطلع مقطوعة مكونة من خمسة أبيات في رثاء ذلك الابن . واستثمار جزء الآية في مطلع المقطوعة جاء مؤكداً إيمانه بقضاء الله وقدره ، ومعبراً عن صبره .

والملحوظ أن المقتبس جاء في الشطر الثاني كله ، وامتزج مع شعر أبي تمام الذي اكتسب جلاً وهيبة وقوة في المعنى والعبارة ، وبخاصة أنه استثمر الكلام المقتبس في غرض شعرى هو من أكثر أغراض الشعر صدقأً ، وهو الرثاء ، وأي رثاء ، إنه رثاء الابن .

(١) شرح ديوان أبي تمام ٢ / ٥٠٢ . مطلع مقطوعة يرثي بها ابنَ الله .

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع ٢ / ٢٢٠ .

وكل قوله :

فأشدد بهارونَ الخلافة إِنْ سُكُنٌ لِوَحْشَتِهَا وَدَارُ قَرَارٍ<sup>(١)</sup>  
اقتبس أبو تمام بيته السابق من قوله تعالى : « هَرُونَ أَجْخَى ۖ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ۚ » ( طه : ٣٠ - ٣١ ) . ووضع الظاهر ( هارون ) موضع المضمر ( الهاء ) ، وزاد الفاء . ونقل المعنى إلى معنى آخر ، فالآلية الكريمة تحدثت عن طلب موسى ( عليه الصلاة والسلام ) من الله تعالى أن يشرك أخاه هارون ( عليه الصلاة والسلام ) في أمره . أما بيت أبي تمام فكان بمثابة الدعوة منه إلى أن يجعل الخليفة المعتصم ابنه الملقب بالواشق ولیاً للعهد . ومنه التغيير في بنية الكلمة من الكلام المقتبس والتقديم والتأخير ، كقوله :

هَدِيَةٌ مِنْ صَمْدٍ جَوَادٌ لَيْسَ بِمُولُودٍ وَلَا وَلَادٌ<sup>(٢)</sup>  
أخذ أبو تمام قوله ( ليس بمولود ولا ولاد ) من قوله تعالى : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۖ اللَّهُ الصَّمَدُ ۖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ ۖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ۚ » ( الإخلاص : ٤-١ ) .  
وأجتمع في البيت السابق التغيير في بنية الكلام المقتبس ، والتقديم والتأخير ، إذ وضع ولاد موضع يلد ، ومولود موضع يولد ، وقدّم بمولود على ولاد ، وغيره في بنية المقتبس ، وذلك كله مراعاة للوزن والقافية .

ولم ينقل أبو تمام معن المقتبس عن معناه الأصلي في الآية الكريمة التي وصفت الله تعالى بأنه لم يلد ولم يولد ، وبيت أبي تمام - أيضاً - جاء في وصف الله تعالى والثناء على عطائه الذي من به على عباده . وقد أضفى حضور التركيب القرآني في الشطر الثاني على البيت الشعري مزيداً من التأنيق في التعبير والقوة والعمق في المعنى ، يضاف إلى ذلك أن ورود كلمة ( صمد ) في الشطر الأول - وهي - أيضاً - وردت في الآية السابقة لآلية المقتبسة من السورة نفسها - منح البيت الشعري مزيداً من القوة والجمال ، من خلال امتزاج التراكيب القرآنية في شعر أبي تمام بصورة جلية واضحة ، تعبّر عن تأثير عميق بالأسلوب القرآني الفريد المعجز .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٤١ . من قصيدة يمدح بها المعتصم ، ومطلعها :

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسَّيْفُ عَوَارٌ فَحَذَارٌ مِنْ أَسْدِ الْعَرَبِ حَذَارٌ

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٤١٧ . من قصيدة يصف فيها المطر ، ومطلعها :

حَمَادٌ مِنْ نَوْءِ لَهُ حَمَادٌ فِي نَاحِرَاتِ الشَّهْرِ لَا الدَّادِ

ومنه التغيير في بنية أكثر من كلمة وحذف التنوين، كقوله:

ثُمَّ بِرْعِدٍ صَحِبُ الْرِّعَادِ  
يَسْلُقُهَا بِالْسِّنِ حَدَادٌ<sup>(١)</sup>

اقتبس أبو تمام ( يسلقها بالسن حداد ) من قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ  
الْحَوْفُ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ  
سَلَقُوكُمْ بِالْسِّنِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْحَتَّىٰ أَوْتَلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَمْمَنَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ  
عَلَى اللَّهِ سَيِّراً ﴾ (الأحزاب : ١٩).

وغير في بناء الكلمة المقتبسة، فجاء بكلمة ( يسلقها ) بدلاً من كلمة ( سلقوكما ).  
وجاء بكلمة ( السن ) بدلاً من كلمة ( السنة )، وحذف التنوين من كلمة ( حداد )، وذلك  
مراجعة لاختلاف الخطاب، ومراجعة للوزن والقافية.

ونقل معنى المقتبس إلى معنى آخر، فالآلية الكريمة تحدثت عن حال المنافقين<sup>(٢)</sup> ،  
بينما وصف بيت أبي تمام قوة الرعد في قصيده التي يصف فيها المطر. وقد أجاد أبو تمام  
في استثمار الصورة القرآنية الكريمة التي عبرت عن حال المنافقين بعد تحقق النصر في  
المعركة . فتحول الخوف إلى جرأة ، وكانت مطالبتهم للغنية بأستهتم قوية قوة  
الحديد ، ونقل أبو تمام هذه الصورة الرائعة إلى شعره ، مجسداً قوة الرعد .

ومنه زيادة حرف وكلمة وحذف التنوين، كقوله:

صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَبْسَتَهُ  
مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتِبَرَقٍ<sup>(٣)</sup>

أخذ قوله ( من سندس برد ومن إستبرق ) من قوله تعالى : ﴿ أَوْتَلِكَ لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنِ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَرُ سَكُونٌ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ قِ  
وَإِسْتَبَرَقٍ مُتَكَبِّنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَارِ إِلَكَ يَنْعَمُ الْلَّوَابُ وَحَسِنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف : ٣١).

اجتمع في البيت السابق زيادة حرف الجر ( من )، وزيادة كلمة ( برد )، مع وجود كلمة  
مساوية لها في المفهوم في الآية المقتبسة ، وهي كلمة ( ثياب )، وحذف التنوين من

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٤١٧ / ٢ . من قصيدة يصف فيها المطر . ومطلعها :

حَمَادٌ مِنْ نَوْءِ لَهُ حَمَادٌ  
فِي نَاحِرَاتِ الشَّهْرِ لَا الدَّارِ

(٢) ينظر : الكشاف : ٢ / ٥١٤ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٤٤٥ / ١ . من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب . ومطلعها :

يَا بَرْقَ طَالِعٍ مِنْزَلًا يَأْلِبْرَقٍ  
وَاحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءُ الْأَيْنُقِ

كلمة (إستبرق)، مراعاة للوزن والقافية.

ولم ينقل أبو تمام المعنى المقتبس من معناه الأصلي في الآية الكريمة ، لأنه أورده على سبيل التشبيه . فالآية الكريمة وصفت ثياب أهل الجنة . بينما شبه أبو تمام لون فرسه بتلك الثياب . وكان لحضور التركيب القرآني مع بعض التغيير فيه أكبر الأثر في توضيح المعنى وتقريره من خلال تشبيهه لون الفرس بلون ثياب أهل الجنة .  
- ومنه وضع ضمير موضع ضمير آخر، وزيادة كلمة ، وتغيير في حركة كلمة من الآية المقتبسة ، كقوله :

لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ أَسْوَةٍ      وَأَجْلُهَا فِي سَنَةٍ وَكِتَابٍ<sup>(١)</sup>  
اقتبس أبو تمام قوله ( لك في رسول الله أعظم أسوة ) من قوله تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا »  
(الأحزاب : ٢١) .

في الاقتباس السابق اجتمعت تغييرات عدة ، إذ وضع أبو تمام ( لك ) موضع لكم ، وزاد كلمة (أعظم) ، وغير حركة كلمة (أسوة) من الرفع إلى الجر ، تبعاً لاختلاف الموقع الإعرابي والمخاطب .

ولم ينقل أبو تمام معنى المقتبس من معناه الأصلي في الآية الكريمة . ففي الآية الكريمة توجيه من الله تعالى باتخاذ الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) أسوة حسنة ، وفي بيت أبي تمام دعوة الممدوح - أيضاً - إلى اتخاذ الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) أسوة حسنة . ومجيء الكلام المقتبس في صدر البيت السابق كان موفقاً من قبل الشاعر ، فبعد أن دعا الممدوح - في الأبيات السابقة - إلى العفو عن قومه ، بين له أن التحلّي بصفة العفو فيه اتباع لسنة المصطفى ( صلى الله عليه وسلم ) .

وقوله :

طَلَلُ الْجَمِيعِ، لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا      وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدًا<sup>(٢)</sup>  
جاء هذا البيت في مطلع القصيدة ، وهو من أنساب المواقع لعرض الشكوى وبتها ، وأشار فيه الشاعر إلى تأثره بفرق أهل الديار ، بل جعل الديار تتأثر بفرق ساكنيها .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٥٥ . من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي ، ومطلعها :  
لوأن دهرأ در رجع جواب أو كف من شاؤيه طول عتاب

(٢) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٢١٧ . مطلع قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

اقتبس أبو تمام قوله ( وكفى على رزئي بذلك شهيدا ) من قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ( النساء : ٧٩ ) .

وغير أبو تمام في الآية الكريمة بإضافة ( على رزئي ) ، ووضع ( بذلك ) موضع لفظ الجملة ( الله ) ، وحذف التنوين من كلمة ( شهيدا ) مراعاة للوزن والقافية ، ولاختلاف سياق الكلام المقتبس عن السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة ، إذ نقل الكلام المقتبس من معناه الأصلي في جزء الآية إلى معنى آخر ، فالله تعالى هو الشاهد على الناس في الآية الكريمة ، أما في بيت أبي تمام فكان الشاهد على ما أطاب الشاعر من حزن بعد فراق أهل الديار هو تأثر الديار بفارق أهلها ، فإذا كان الجمام الذي لا يحسن ولا يشعر قد تأثر بفارق ساكنيه ، فكيف يكون حال الشاعر !

وقوله :

فَصَلَنْ مِنْهُ كُلُّ مَجْمَعٍ مَفْصِلٍ وَفَعَلَنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارٍ<sup>(١)</sup>

أخذ أبو تمام ( وفعلن فاقرة ) من قوله تعالى : ﴿ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ هَا فَاقِرَةً ﴾ ( القيامة : ٢٥ ) ، أي " تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته ( فاقرة ) داهية تقصم فقار الظهر " <sup>(٢)</sup> .

ونقل أبو تمام معنى جزء الآية المقتبس من معناه الأصلي ، إذ تحدث الآية الكريمة عمّا يتوقع الكفار أن يفعل بهم في الآخرة . أما أبو تمام في بيته فوصف النار التي أحرق بها الأفشين ( خيذر بن كاووس ) ، إذ فصلت النار أعضاءه ، فتفرق عن بعضها <sup>(٣)</sup> . وقد جاء الاقتباس في سياق تحقيق التهويل والتعظيم لما حل بالآفشين ، فكان العذاب الذي يتوقعه العصاة يوم القيمة وسيلة الشاعر لتحقيق المعنى الذي يرنسوا إليه وتأكيده .

وغير أبو تمام في بناء الفعل ( فعلن - يُفعل ) ، وفي حركة إعراب كلمة ( فاقرة ) . قال أبو بكر الصولي ( ت ٣٢٥ هـ ) : " إنما قال : وفعلن ، فخص هذه اللفظة لقول الله جل وعز

(١) شرح ديوان أبي تمام ١ / ٣٢٨ . من قصيدة يمدح بها المعتصم . ومطلعها :

الحقُّ أَبْلَجَ وَالسَّيْوَفَ عَوَارٌ فَحَذَارٌ مِنْ أَسْدِ الْعَرَبِينِ حَذَارٌ

(٢) الكشاف : ٤ / ٦٥٠ .

(٣) ينظر : شرح ديوان أبي تمام ١ / ٣٢٥ - ٣٢٨ .

: «تَطْئُنُ أَنْ يُفْعَلَ هَا فَاقِرَةً»<sup>(١)</sup> ، ولقول الناس : فعل به الفواقر، أي الدواهي<sup>(٢)</sup>.

- وبالنظر إلى النماذج السابقة باعتبار نقل معنى المقتبس من معناه الأصلي الوارد في القرآن الكريم إلى معنى آخر يمكن وضعها في صور أربع، هي :

١ - مجيء معنى المقتبس في السياق نفسه الذي ورد فيه في كتاب الله تعالى، وهذه الصورة هي الأكثر حضوراً في شعر أبي تمام.

٢ - إيراد الكلام المقتبس على سبيل التشبيه ، وذلك من خلال تشبيه شيء أو موقف أو حالة بآية قرآنية أو جزء من ، وذلك لتوضيح المعنى وتقويته وتأكيده .

٣ - نقل معنى المقتبس إلى معنى آخر مختلف عن المعنى الذي ورد فيه في القرآن الكريم ، مع المحافظة على قداسة القرآن الكريم . من خلال تجنب العبث بآياته ، وقلب مفاهيمه ، وإيراده في مقام الهزل والفحش ، والعياذ بالله .

والصور الثلاث السابقة هي الأكثر حضوراً في شعر أبي تمام ، وهي مقبولة شرعاً.

أما الصورة الرابعة فتمثلت في نقل الكلام المقتبس إلى معنى لا يتناسب مع قداسة القرآن الكريم . وتعد هذه الصورة من الاقتباس المرفوض والمردود الذي جعله العلماء الذين تحدثوا عن حكم الاقتباس من القرآن الكريم ضربين : الأول : نقل ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ، والآخر : اقتباس آية في معنى هزل<sup>(٣)</sup> .

وقد وردت نماذج قليلة في شعر أبي تمام تمثل هذه الصورة ، ك قوله متغزاً :

فاعذلوا فيه كيف شئتم وقولوا قد كف الله المؤمنين القتالا<sup>(٤)</sup>

أخذ أبو تمام قوله ( كفى الله المؤمنين القتال ) من قوله تعالى : « وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَارَ اللَّهُ قَوْيًا عَزِيزًا »<sup>(٥)</sup> (الأحزاب : ٢٥) . وزاد حرف الألف على كلمة ( القتال ) ، لإشباع القافية أو إطلاقها .

وبالنظر إلى السياق الذي جاءت فيه الآية الكريمة وبيت أبي تمام أرى أنه لم يوفق في

(١) القيامة : ٢٥ .

(٢) أخبار أبي تمام : ٩٥ .

(٣) ينظر : الإنقاذ في علوم القرآن : ١ / ٣١٢ .

(٤) شرح ديوان أبي تمام : ٢٩١ / ٢ . من مقطوعة يتغزل بها . ومطلعها :

فَوَقُوا أَسْهَمًا لَنَا وَبِالـ

الاقتباس من هذه الآية الكريمة ، لأنه نقل الجزء المقتبس من الآية الكريمة من معناه الأصلي إلى معنى فيه غزل . والأولى تنزيه كلام الله تعالى عن الخوض في مثل هذه المعاني .

وقوله متغزاً - أيضاً - :

هاكَ فاقتَصَ مِنْ هواكَ فَإِنْ (م) السِّنُّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحُ قِصَاصٌ<sup>(١)</sup>  
اقتبس أبو تمام قوله (السن بالسن والجروح قصاص) من قوله تعالى : « وَكَتَبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ الْنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَدْرَبَ بِالْأَدْرَبِنَ وَالسِّنَنَ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (المائدة : ٤٥).

غير أبو تمام حركة إعراب كلمة (الجروح) التي جاءت في الآية الكريمة منصوبة بالفتحة ، بينما جاءت في بيت أبي تمام مرفوعة بالضمة ، وكان يستطيع أن يقيها كما جاءت في الآية ، فتكون الواو حرف عطف ، والجروح معطوفة على اسم (إن) السن . ونقل أبو تمام المقتبس من معناه الأصلي الذي جاء في الآية الكريمة ، إلى معنى آخر في سياق الغزل ، إذ بينت الآية الكريمة المنهج الرباني القويم في تنظيم العلاقة بين المتنازعين في صور شتى ، بينما جاء بيت أبي تمام في سياق الغزل ، والأولى تنزيه كلام الله تعالى عن إفحامه في معانٍ لا تتفق مع منزلته .

والنموذجان السابقان يعدان من النماذج النادرة التي جاءت في شعر أبي تمام لاقتباس آية أو جزء من آية في معنى غير مناسب لمنزلة القرآن الكريم ومكانته . وأشار في هذا المقام إلى أن التعليلي عقد فصلاً في كتابه (الاقتباس من القرآن) للاقتباس المكرروه . سماه الخروج عن حد الاقتباس<sup>(٢)</sup> ، ومن الأمثلة التي قدّمها قول أبي

تمام :

أَيُّهُذَا الْعَزِيزُ قَدْ مسَنَا الْضُّرُّ مَ جَمِيعاً وَاهْلَنَا أَشْتَاتُ  
وَلَنَا فِي الرِّجَالِ شِيخٌ كَبِيرٌ وَلَدِينَا بِضَاعَةٌ مُّزْجَاهُ

(١) شرح ديوان أبي تمام ٢ / ٢٧٩ . من مقطوعة يتغزل بها . ومطلعها :  
لي - لا كان - من هواك خلاص  
ويجسمي ولا بك الإنفاص

(٢) ينظر : الاقتباس من القرآن : ٢ / ٥٧ .

## قلَّ طَلَابُهَا فَاضْحَتْ خَسَارًا فَتَجَارَاتُنَا بِهَا تَرْهَاتُ<sup>(١)</sup>

اقتبس أبو تمام الأبيات السابقة من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَأْتِيْهَا الْعَزِيزُ إِنَّ اللَّهَ أَبْأَبُ شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَنَكَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ ﴾ (يوسف : ٧٨) . ومن قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَأْتِيْهَا الْعَزِيزُ مَسْئًا وَاهْنَا الصُّرُوْجُ فَجَعَنَا بِرِّضَيْنَةٍ مُّزَجَّنَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ بَحْرِيْزِ الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (يوسف : ٨٨) .

والممدوح في الأبيات السابقة علق عليها قائلاً : ”قولوا لأبي تمام لا تعاود مثل هذا الشعر، فإن القرآن أجل من أن يستعار شيء من الفاظه للشعر“<sup>(٢)</sup>. والتعاليبي عدّ اقتباس أبي تمام السابق مكرروهاً، وذهب إلى أن أبي تمام قد أساء فيه، لأنّه أفرط في استثمار الفاظ القرآن في سياقات لا تليق به<sup>(٣)</sup>.

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن للقرآن الكريم مكانة وقداسة لا يمكن المساس بهما. وعلى الأديب الذي يتوجه إلى مزج كلامه بكلام الله تعالى أن يراعي السياقات التي يورده فيه، فلا يورد كلام الله تعالى في سياقات فيها هزل وفحش، أو أن ينسب الأديب إلى نفسه أو إلى ممدوحه أو مرتّيه صفة من الصفات التي اختص الله تعالى بها.

وإجمالاً يمكن القول : إنّ الاقتباس من القرآن الكريم بصورة المتعددة يعدّ صورة من صور تأثر أبي تمام بألفاظ القرآن الكريم وتراثه، ويمكن إرجاع ذلك إلى طبيعة الاقتباس، ففيه يمكن للشاعر أن يتصرف بصور متنوعة ، مما يمكنه من مراعاة طبيعة الشعر الإيقاعية .

ومن جانب آخر فإن الكلام المقتبس لا يعدّ قرأتنا ، فالتحريف اليسير فيه مقبول ، ونقل المعنى إلى معنى آخر، مع مراعاة قداسة القرآن الكريم – يعدّ أمراً مقبولاً – أيضاً .

وبعد ، فإن أبي تمام قد وفق في الأخذ عن القرآن الكريم بصورة مباشرة عن طريق الاقتباس . إلا في مواضع قليلة أشرت إليها في دراستي . وقد وصف أحد النقاد اقتباسات أبي تمام من القرآن الكريم بأنها تعدّ ”مثلاً خلابة لحسن الاستفادة ، وسلامة الذوق ،

(١) أخبار أبي تمام : ٢١١ . أبيات قالها أبو تمام في عبد الله بن طاهر . ولم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي تمام .

(٢) أخبار أبي تمام : ٢١١ .

(٣) ينظر : الاقتباس من القرآن : ٢ / ٥٧ . و : وجه الشعر (قراءة في مأخذ النقاد على معانٍ أبي تمام) : د. عبد الله الوشمي : ١٠٣ - ١٠٤ .

وحلوة العبارة ”<sup>(١)</sup> .

ووفق في الجمع بين أسلوبين مختلفين بصورة فنية ، مع التأكيد أن الجمع بين أسلوبين مختلفين يحتاج إلى مهارة فنية ، وقدرة على المزج بينهما ، وبخاصة إذا كان القرآن الكريم هو الأسلوب الذي عمل الشاعر على مزج شعره به ، لكن أبو تمام بما عرف عنه من مواهب فنية وثقافة متنوعة ، وفق في ذلك ، فمنح الأسلوب القرآني الكريم شعر أبي تمام جمالاً في العبارات ، واتساعاً في المعاني ، وهكذا بدت كثيرة من النماذج الشعرية المتأثرة بالقرآن الكريم أكثر تأثيراً وجمالاً ووضوحاً .

لقد وجد أبو تمام في أفاطر القرآن الكريم وترابييه معيناً خصباً ، فامتاح منه ، فجاء شعره في كثير من نماذجه مبهراً ومدهشاً ومؤثراً ، نقل القارئ إلى الأجراء القرآنية الروحية ، وإلى ذلك البيان المعجز الفريد ، لذا كانت وما زالت تجربة أبي تمام الشعرية تجربة غنية فريدة ، ومحطة مهمة من محطات الشعر العربي عبر عصوره المتلاحقة .

### - المبحث الثالث - العقد :

العقد لغة : ”نقيض الحال ، عقد يعقد عقداً وتعاقداً ”<sup>(٢)</sup> .

أما اصطلاحاً فهو ”أن يؤخذ الكلام النثر ، فينظم ، لا على طريق الاقتباس ، أي لا كما يفعل في الاقتباس . سمي عقداً ، لأنه كان نثراً محلولاً فصار نظماً معقوداً بالوزن ”<sup>(٣)</sup> . والفرق بين الاقتباس والعقد يتمثل في ”أن العَقْد يَكُون فيِه التصريح بالقول لما يراد تضمينه ، فإنه – أي العقد – نظم كلام منتشر من القرآن أو السنة أو غيرهما على الحكاية ، فيقال : قال الله كذا ، أو قال الرسول ﷺ كذا ، خلافاً للاقتباس ، فلا تصريح فيه بالقول ”<sup>(٤)</sup> .

ويعد العقد بمفهومه في التراث البلاغي والنقدi عند العرب صورة من صور التناص المباشر في الدراسات النقدية الحديثة<sup>(٥)</sup> ، لأن حضور النص السابق في النص اللاحق

(١) أبو تمام الطائي (حياته وحياة شعره) : ٦٩ .

(٢) لسان العرب : مادة (عقد) .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٢ / ٤٢٤ .

(٤) الاقتباس : ٢١ .

(٥) ينظر : القصة بين التراث والمعاصرة : ٢٠ .

والتناص في شعر الرواد : ١٠٦ - ١٠٨ .

يكون بصورة مباشرة .

وأمثلة العقد في ديوان أبي تمام نادرة ، إذ لم أعثر سوى على شاهدين ، هما : -

- الأول ، قوله :

قد كان وعدكَ لي بحراً فصَرِّبني يوم الزِّمَاع إلى الضَّحْضاج والوشلِ

وبَيْنَ اللَّهِ هَذَا مِنْ بِرِّيَّتِهِ فِي قُولِهِ "خَلَقَ إِنْسَانًا مِنْ عَجَلٍ" (١) ॥

عقد أبو تمام جزءاً من قوله تعالى : « خَلَقَ إِلَّا إِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيْكُمْ إِيَّتِيَ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ » (الأنبياء : ٣٧) .

في الآية الكريمة السابقة نهى الله تعالى الإنسان عن الاستعجال ، وبين أنه مطبوع عليه ، ” كأنه قال : ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم ” (٢) .

بين أبو تمام في بيته السابقين أن حرماته من نيل العطاء الجزيل يرجع إلى الاستعجال الذي يعد سجية وطبعاً جُبلاً عليه الإنسان .

- والآخر ، قوله :

جعل الخلافة فيه رَبٌّ قوله سُبْحَانَهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فِيْكُونَ ” (٣)

عقد أبو تمام جزءاً من قوله تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فِيْكُونُ

» (يس : ٨٢) . أي لا يحتاج إلى جهد أو تعب ، ولا يمتنع عليه شيء من المكونات (٤) .

قال تعالى : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فِيْكُونُ

» (النحل : ٤٠) . واستدل بقوله تعالى على أن وصول الخلافة إلى مدوحه وانقيادها له أمر مقدر من الله تعالى ، وبهذا يكون أبو تمام قد رفع منزلة مدوحه ، وأصبح عليه مزيداً من الشرعية .

ويلاحظ أن أبو تمام في النموذجين السابقين عقد الآيتين السابقتين في سياق الاستدلال على وجهة النظر التي قدمها ، ففي النموذج الأول استدل بالآية الكريمة على

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٤٤ . من قصيدة يمدح بها أبو سعيد محمد بن يوسف حين خرج من عمرورية إلى مكة . ومطلعها : مالي بعادية الأيام من قِبَلِ لَمْ يَثِنْ كيد النوى كيدي ولا وجلي .

(٢) الكشاف : ٢ / ١١٤ .

(٣) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ١٦٥ . من قصيدة يمدح بها الواثق بالله . ومطلعها : وأبي المنازل إنها الشُّجُونُ وعلى العِجْوَمَة إنها تُبَيِّنُ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٤ / ٣٠ . و : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٦٠ .

حرمانه من نيل العطاء ، فالاستعجال صفة طُبِعَ عليها الإنسان ، أما في النموذج الثاني فاستدل بالآية الكريمة على أن وصول الخلافة إلى مدوحه هي من تدبير الله عز وجل ، وفي هذا إصباح صفة الشرعية على وصوله إلى الخلافة .

والملاحظ ندرة نماذج العقد الواردة في شعر أبي تمام، ويمكن إرجاع ذلك إلى صعوبة تصرف الشاعر في التراكيب؛ لأن الكلام المعقوف يعُدْ قرآنًا كريماً، وفيه يتم التتصريح بأن هذا القول لله تعالى ، بخلاف الكلام المقتبس الذي لا يعُدْ قرآنًا<sup>(١)</sup>. ومن جانب آخر نجد أن طبيعة الشعر تصعب الأمر على الشاعر ، بسبب طبيعة الشعر الإيقاعية المتمثلة في الوزن والقافية .

\* \* \*

---

(١) ينظر : الاقتباس : ٢١ .

## الخاتمة:

وبعد ، فإن هذه الدراسة قد اتجهت إلى دراسة أثر القرآن الكريم في شعر أبي تمام ، من خلال تسلیط الضوء على ذلك الأثر الكبير في تشكيل تجربته الشعرية المتميزة . وقد وقفت عند ثلث صور من صور ذلك الأثر. هي : التلميح والاقتباس والعقد . وأظهرت الدراسة أن نماذج التلميح في شعر أبي تمام كانت الأكبر ، لأنه في هذه الصورة يكون الشاعر أكثر حرية في استثمار معاني القرآن الكريم . وتلتها نماذج الاقتباس ، لأن الكلام المقتبس لا يعدّ قرآنًا ، مما يمنح الشاعر فرصة التصرف في المعانى . أما في العقد فيعد الكلام المعقود قرآنًا ، فلا يستطيع الشاعر التصرف في المعانى . وقد بيّنت الدراسة أن أبي تمام كان غالباً ما يحافظ على قداسة القرآن الكريم ومكانته ، لكن هناك نماذج لم يوفق فيها ، وقد أشارت إليها ، إذ أورد أبو تمام في تلك النماذج بعض أساليب القرآن الكريم ومعانيه في سياقات لا تليق بقداسة القرآن الكريم . وأخيراً ، فإن حضور القرآن الكريم في شعر أبي تمام عاملًا مهمًا من العوامل التي أسهمت في إغناء تجربته الشعرية ، وتزويدها بطاقة فنية وموضوعية ، ومنحها بُعداً دينياً ، وهي تجربة فريدة في تاريخ الشعر العربي : قدি�ماً وحديثاً . ما زالت تحتاج إلى دراسات أخرى ، تكشف عن جوانب غائبة في إبداعات أبي تمام الشعرية .

\* \* \*

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم :

ثانياً - الكتب :

- ١- أبو تمام الطائي ( حياته وحياة شعره ) : نجيب البهبيتي ، دار الثقافة - الدار البيضاء ، (٢٠١٤هـ / ١٩٨٢).
- ٢- الإتقان في علوم القرآن : الإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق حامد البسيوني ، دار الفجر للتراث - القاهرة ، ط (٢٠٠٦هـ / ١٤٢٧).
- ٣- أخبار أبي تمام : لأبي بكر بن يحيى الصولي ، تحقيق محمد عبده عزّام وأخرين ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط (٢٠٠٩هـ / ١٤٤٠).
- ٤- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د. علي عشري زايد ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا ، ط (١٩٧٨).
- ٥- استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث : د. محمد منور ، النادي الأدبي بالرياض ، ط (٢٠٠٧هـ / ١٤٢٨).
- ٦- استيحاء التراث في الشعر الأندلسي ( عصر الطوائف والمرابطين : ٤٠٠ - ٥٥٣٩هـ ) : د. إبراهيم منصور الياسين ، عالم الكتب الحديث - الأردن ، ط (٢٠٠٦).
- ٧- الأطول : إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط (٢٠١٤هـ / ٢٠٠١).
- ٨- الاقتباس ( أنواعه وأحكامه : دراسة شرعية بلاغية في الاقتباس من القرآن والحديث ) : د. عبد المحسن العسكري ، مكتبة دار المنهاج - الرياض ، ط (٢٠١٤هـ / ٤٢٥).
- ٩- الاقتباس من القرآن : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق د. إبتسام الصفار ، ود. مجاهد مصطفى بهجت ، دار الوفاء - مصر ، ط (٢٠١٤هـ / ١٢٤).
- ١٠- أنوار الريبع في أنواع البديع : ابن معصوم المدني . تحقيق . شاكر هادي شاكر . ط ١ (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨).
- ١١- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني . شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني - لبنان ، ط (٢٠٠٥هـ / ١٩٨٥).
- ١٢- تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي . تحقيق . إبراهيم الترمذى . دار إحياء التراث

- العربي – لبنان . (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ مـ) .
- ١٢- التفاعل النصي (التناصية : النظرية والمنهج ) : نهلة فيصل الأحمد . كتاب الرياض (العدد ٤٠٠٢ مـ) ، مؤسسة اليمامة الصحفية ٤٢٣ هـ .
- ١٤- تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : للإمام أبي السعود . دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- ١٥- التلخيص في علوم البلاغة : الخطيب القزويني : ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي . دار الكتاب العربي – لبنان
- ١٦- التناسق في شعر الرواد : د. أحمد ناهم . دار الآفاق العربية – القاهرة ، ط ١ (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ مـ) .
- ١٧- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي . اعتنى به وصححه الشيخ هشام البخاري . دار عالم الكتب – الرياض . (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٣ مـ) .
- ١٨- خصائص القصة الإسلامية : د. مأمون فريز جرار . دار المنارة – جدة . (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ مـ) .
- ١٩- شرح ديوان أبي تمام : الخطيب التبريزى ، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر . دار الكتاب العربي – لبنان . (٥١٤٢٥ مـ / ٢٠٠٥ مـ) .
- ٢٠- شرح مشكلات ديوان أبي تمام : المرزوقي ، تحقيق د. عبد الله بن سليمان الجربوع . مكتبة التراث – مكة المكرمة . ط ١ (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ مـ) .
- ٢١- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي . تحقيق د. خليل إبراهيم . خليل ، دار الكتب العلمية – بيروت . ط ١ (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ مـ) .
- ٢٢- على هامش الأدب والنقد : علي أدهم . دار المعارف – مصر . ١٩٧٩ مـ .
- ٢٣- علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) : د. بسيونى فيود . مؤسسة المختار – القاهرة . ط ٣ (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ مـ) .
- ٢٤- الفن والصنعة في شعر أبي تمام : د. محمود الربادوى . المكتب الإسلامي ، الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت . (١٣٩١ هـ / ١٩٧١ مـ) .
- ٢٥- القاموس المحيط : الفيروز أبادي . دار الكتاب العربي – لبنان .
- ٢٦- القصة بين التراث والمعاصرة: د. طه عمران وادي ، نادي القصيم الأدبي . ط ١ (١٤٢١ هـ) .
- ٢٧- قصص الأنبياء : ابن كثير . تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي . دار المعرفة – لبنان . ط ٦

١٤٢١هـ / ٢٠٠٣م).

- ٢٨ - الكشاف : الزمخشرى ، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط٤ (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
- ٢٩ - لسان العرب : ابن منظور ، دار بيروت - لبنان ، (١٢٨٨هـ / ١٩٦٨م).
- ٣٠ - مجمل اللغة : أحمد بن فارس ، تحقيق . زهير عبد المحسن ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- ٣١ - معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، تحقيق . عبد السلام هارون ، دار الجليل - لبنان.
- ٣٢ - نظرات في أحسن القصص : د. محمد السيد الوكيل ، الدار الشامية - بيروت ، ودار القلم - دمشق ، ط١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- ٣٣ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي ، تحقيق د. بكر شيخ أمين ، دار العلم للملائين - بيروت ، ط١ (١٩٨٥م).
- ٣٤ - وجه الشعر (قراءة في مأخذ النقاد على معاني أبي تمام) : د. عبد الله الوشمي ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط١ (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

\* \* \*

# **صورة الحجاج في شعر معاصرية**

د. ليلى بنت محمد بن عبدالرحمن الدخيل  
قسم اللغة العربية - كلية الآداب  
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن



**صورة الحجاج في شعر معاصرية**  
**د. ليلى بنت محمد بن عبدالرحمن الدخيل**  
**قسم اللغة العربية**  
**كلية الآداب**  
**جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن**

**ملخص البحث:**

شخصية الحجاج بن يوسف النخعي شخصية شغلت المؤرخين كثيراً فسودوا عنها صفحات وصفحات، راوين ومحاللين ومقومين، ولفت نظرني أن هذه الشخصية شغلت المؤرخين وشغلت الشعراء معاً، فصيغ حولها كثير من الشعر قريب من ألف بيت – فيما اطلعت عليه من مصادر – شارك في صياغته كبار شعراء العصر الأموي وفي مقدمتهم قطباً الشعر الأموي جرير والفرزدق إلى جانب شعراء العصر الكبار كالأخطل وليل الأخيلية وأعشى همدان، ومثل هذا الكم الكبير من الشعر يستحق أن يأخذ حقه من الدرس والتحليل والتقدّم. كان افتتاح البحث يتمهيد مختصر عن سيرة الحجاج، لأن حياة الحجاج وأفعاله هي التي ألهمت الشعراء أبياتهم ودفعتهم لسبك شعرهم، ثم جرى الحديث عن المتن الشعري حول الحجاج من حيث السعة والضيق وطول نصوصها وقصرها وتوزعها على شعراء عصره، ولتسهيل دراسة الشعر قسمتين: القسم الأول الصورة الإيجابية، والقسم الثاني الصورة السلبية، وبدى بدراسة الصورة الإيجابية لأنها أكبر، ثم عرضت الصورتين الإيجابية والسلبية على كتب التاريخ لتلمس أوجه التشابه والاختلاف بينهما، فكانت النتيجة النهائية التي وصل إليها البحث هي أن الكفة الإيجابية رجحت كثيراً في ميزان الشعراء بينما رجحت كفة الصورة السلبية في ميزان المؤرخين.



## تمهيد عن حياة الحجاج:

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتَّب<sup>(١)</sup> بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف<sup>(٢)</sup>. وأمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود التقي<sup>(٣)</sup>. وعروة بن مسعود هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف/٣١)، لذلك كان الحجاج يلقب بابن عظيم القرتيين<sup>(٤)</sup>. ولد في منازل قبيلته ثقيف في الطائف<sup>(٥)</sup>. واحتل في تاريخ ميلاده فقيل سنة تسع وثلاثين وقيل سنة أربعين وقيل سنة إحدى وأربعين<sup>(٦)</sup>، والراجح عند المؤرخين أنه ولد سنة إحدى وأربعين<sup>(٧)</sup>. وكان والده معلماً للصبيان في الطائف، فنشأ كوالده معلماً في أول حياته<sup>(٨)</sup>.

ولم تكن نفس الحجاج الطموح لترضى بالعيش في تلك البلاد بعيدة عن صخب الحياة السياسية، فانتقل إلى دمشق حيث انضم إلى عسکر روح بن زباع (ت ٩٨٤ هـ)، ثم سار مع عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) حينما توجه لقتال مصعب بن الزبير (ت

(١) ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن (بيروت، عالم الكتب، ومكتبة النهضة، ط١، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م) ص ٢٨٨.

(٢) انظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب ص ٢٨٦.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: أنساب الأشراف، تحقيق: محمد الفردوس العظم (دمشق، دار اليقظة العربية، ٢٠٠٠ م) ١٢/٢.

(٤) انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل، تحقيق: زكي مبارك (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٤٣٥ هـ، ١٩٣٧ م) ٢/٤٤٨.

(٥) انظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استجمم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٣ م) ٣/٨٨٦.

(٦) انظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي: البداية والنهاية (بيروت، مكتبة المعرفة) ٩/١١٩.

(٧) انظر: أبي حنيفة، أحمد بن داود الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيباني (بيروت، دار المسيرة) ص ٢٨٢. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي (بيروت، دار بيروت، ٢٠٠٠ م) ٢/٢٩. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي: مروج الذهب تحقيق: محبي الدين عبد الحميد (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م) ٢/١٥٣. حيث أجمعوا أنه توفي سنة ٩٥ هـ وله من العمر ٥٤ سنة فيكون مولده سنة ٤١ هـ.

(٨) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون (بيروت، دار الفكر، ط٤، ١٤٢١ هـ) ١/٢٥١.

(١) في العراق هـ ٧٢

وبدأ ظهور الحجاج تاريخياً منذ وجهه عبد الملك بن مروان من العراق إلى أهل مكة لقتال عبد الله بن الزبير (ت ٧٣ هـ) سنة اثنين وسبعين هجرية فأتم المهمة كما أرادها عبد الملك بن مروان، وقضى على ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين هجرة<sup>(٢)</sup>. ومنذ ذلك التاريخ والحجاج يزداد مكانة عند الخليفة الأموية إذ كافأه عبد الملك بن مروان بتوليته مكة واليمامة سنة ثلاث وسبعين هجرية ثم ضم إليه المدينة سنة أربع وسبعين هجرية<sup>(٣)</sup>.

ولم تكن الحجاز وتوابعها على أهميتها الدينية لترضي غرور الحجاج فقد كان يطمح بنظره إلى أجزاء أهم من الدولة الإسلامية تسمح له بإظهار قدراته السياسية ويرهن من خلالها على إخلاصه التام للخلافة الأموية، وتم له ما تمنى فجمع له عبد الملك بن مروان العراقيين (البصرة والكوفة) سنة خمس وسبعين هجرة<sup>(٤)</sup>.

وبمجرد أن تولى الحجاج العراق أخذ على عاتقه نشر الطاعة التامة للخلافة في بؤرة التمرد على الحكم الأموي (العراق)، فكانت قصة دخوله للكوفة وخطبته الشهيرة في مسجدها الجامع<sup>(٥)</sup> وما تمثل فيها من الشعر مضرب المثل في العنف والشدة. ثم بدأ من فوره بردع أهل العراق الفارين عن جيش المهلب بن أبي صفرة (ت ٨٢ هـ) فأخذ في التوعيد والإذار حتى بث الرعب في قلوبهم فطاروا إلى المهلب سراعاً حتى شهد له المهلب دون أن يعرفه حينذاك فقال: "قدم العراق اليوم رجل ذكر، اليوم قوتل العدو"<sup>(٦)</sup>.

ولقد ظل الخوارج هم شغل الحجاج الشاغل في بداية ولايته حتى تمكّن من القضاء

(١) انظر: أبي العرب: محمد بن أحمد التميمي؛ كتاب المحن، تحقيق: يحيى الجبوري (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ٢١٤٠ هـ / ١٩٨٣ م) ص ١٨٢.

(٢) انظر: خليفة بن خياط؛ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بيروت، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط ٢١٣٩٧ هـ / ١٩٧٢ م) ٢٦٨ - ٢١٩.

(٣) انظر: الطبرى: أبي جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والمملوك (بيروت، دار القاموس الحديث) ٧ / ٦٢٠.

(٤) انظر: الطبرى: تاريخ الطبرى ٨ / ٢١٢.

(٥) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين ٢ / ٣٧ و ٣٨، والمبرد: الكامل ١ / ٢٦٩.

(٦) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوك ٧ / ٢٢١ - ٢١٣.

عليهم سنة ثمان وسبعين للهجرة، فأجزل له عبد الملك بن مروان (ت ٦٨٦ هـ) المكافأة، إذ ضم له خراسان وسجستان<sup>(١)</sup>. فأصبح الحجاج يلي شطر الدولة الأموية الشرقي، الشطر الأكثر خطورة وتمرداً.

ولم تك الأمور تهدأ عند الحجاج قليلاً حتى قامت أكبر ثورة في تاريخ العراق، الثورة التي كادت أن تقضي الحجاج عن إمارته، ثورة ابن الأشعث (ت ٦٨٣ هـ) سنة إحدى وثمانين للهجرة، تلك الثورة التي انضم إليها معظم أهل العراق من العرب والموالي. ومما زاد خطورتها انضماء القراء والفقهاء إلى صفوفها مما شق على الحجاج كثيراً. وكان بين الحجاج وابن الأشعث وقائع كثيرة انتهت بهزيمة ابن الأشعث وفراره إلى رتيل ثم وفاته عام ثلاثة وثمانين هجرية<sup>(٢)</sup>.

وبقضاء الحجاج على ثورة ابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين هجرية ومن قبلها على حركات الخوارج هدأت الأمور كثيراً في المشرق الإسلامي. فجعل الحجاج همه توسيع رقعة الدولة الإسلامية. فانصرف إلى الفتوحات الخارجية على أيدي قواده المشاهير من أمثال قتيبة بن مسلم (ت ٦٩٦ هـ)، محمد بن القاسم (ت نحو ٧٤٨ هـ) ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة (ت ٧٤٢ هـ)<sup>(٣)</sup>. ووصلت الفتوحات في عهده إلى ما وراء نهر السند<sup>(٤)</sup>.

ورغم صخب الحرب وقلائل السياسة لم يهمل الحجاج الإصلاحات الداخلية في ولايته، فهو من الأمراء القلائل الذين عرف عنهم تفقد أحوال رعيتهم بأنفسهم<sup>(٥)</sup>، وبنى مدينة "واسط" أول مدينة في الإسلام بعد عهد الصحابة<sup>(٦)</sup>. وأحل اللغة العربية محل اللغات الأخرى في أمور الدولة فنقل الدواوين إلى اللغة العربية<sup>(٧)</sup>، وضرب الدرهم والدنار

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والممالك ٢٨٠ / ٧

(٢) انظر: خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ٢٨٩ . ٢٨٠ / ٢ . اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ٢٧٩ . ٢٧٧ / ٢ . الطبرى: تاريخ الأمم والممالك ٤٠ . ٨ / ٨

(٣) انظر: خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ٣٠٤ . ٣٠٥ . ٣٠٤ / ٢

(٤) انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى . ص ٢٨٩

(٥) انظر: التعلبي. محمد بن الحارث: الناج في أخلاق الملوك، المنسوب خطأ للجاحظ (بصري، دار الفكر، ودار البحار، ١٢٧٥ هـ . ١٩٥٥ م) ص ٢٧٩

(٦) انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان (بيروت، دار صادر) ٢٥٠ / ٥ مادة (واسط).

(٧) انظر: الحشيشياري: أبي عبد الله محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١١٢٥٧ هـ . ١٩٢٨ م) ص ٣٨

بها<sup>(١)</sup>. وطالت إصلاحاته وسائل النقل فكان أول من عمل المحاصل وأول من أجرى السفن المقيرة المسمرة<sup>(٢)</sup>.

وقد حصل الحجاج على رضا الخلافة الأموية ومبركتها كل ما يفعل حتى إن عبد الملك بن مروان سمي أحد أبنائه "الحجاج"<sup>(٣)</sup> وزوج ابنه يزيد (ت ١٠٥ هـ) بابنة محمد بن يوسف أخي الحجاج<sup>(٤)</sup>، وظل راضياً عنه حتى ساعة وفاته، فقال في وصاته لأبنائه: "أكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قحم تلك القنطر<sup>(٥)</sup>، وقال لولي عهده: الوليد (ت ٩٦ هـ) "وأما الحجاج فأنت أحوج إليه منه إليك"<sup>(٦)</sup>، وفعلاً أكرمه الوليد حتى قال عنه بعد توليته الخلافة: "إن أمير المؤمنين يعني عبد الملك". كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عيني، لا وإنه جلدة وجهي كله"<sup>(٧)</sup>.

وكما برزت سمات الحجاج السياسية منذ توليه العراق ببرز له حينذاك صفة أخرى أزعّم أنها لا تقل عن قدرته السياسية، وهي قدرته البلاغية العالية التي مكنته منذ أول خطبة ألقاها في الكوفة من نشر الرعب في قلوب الناس وإرغامهم على الانصياع له، وما زالت الأبيات التي استشهد بها في خطبته تدور على ألسنة الناس عامتهم وخاصتهم إلى يومنا هذا. ومنذ تلك الخطبة وفصاحة الحجاج تصقل وتتجلى في أبيه صورها من خطب ورسائل وردود، والحجاج يحسن استغلالها في إشعال الحماسة في نفوس أعوانه ونشر الرعب في قلوب أعدائه والاحتجاج على خصومه وتبريءة ساحة أنصاره، وقد دعم بلاغته تلك بمفوظات كبيرة من الشعر والأمثال العربية، فكان استشهاداته أشبه بسياط من نار في خطب كالحمر.

(١) انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢٨١/٢.

(٢) انظر: الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ٨١/١، والجاحظ: البيان والتبيين ٢٠٢/٢.

(٣) انظر: ابن سعد: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى (بيروت، دار بيروت، ودار صادر، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م)، ٥٢٤/٢.

(٤) انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، ١٢٨.

(٥) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد: التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي (دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م)، ص ٢٢.

(٦) الجاحظ: البيان والتبيين ٢٢٥/٣.

(٧) الجاحظ: البيان والتبيين ٢٠٧/٢.

هذا بالإضافة إلى نقاقة الحجاج الدينية، فقد كان حافظاً للقرآن<sup>(١)</sup>، وعده ابن حبيب (ت ٤٢٥هـ) من أشراف المعلمين وفقهائهم<sup>(٢)</sup>، وهو أحد رواة الحديث<sup>(٣)</sup>، روى الحديث عن سمرة بن جندب (ت ٦٠هـ)، وعبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، وأنس بن مالك (ت ٩٦هـ)، وغيرهم، وروى عنه أنس بن مالك (ت ٩٣هـ)، وقتيبة بن مسلم (ت ٩٦هـ)، ومالك بن دينار (ت ١٣٢هـ)، وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

توفي الحجاج بواسطة سنة خمس وتسعين باتفاق معظم المؤرخين قوله من العمر أربع وخمسون سنة على الأرجح، وكانت إمرته على العراق عشرين سنة<sup>(٥)</sup>.  
المتن الشعري حول الحجاج:

الشعر ديوان العرب، والسبيل الأيسر للتعبير عن مشاعرهم، وفي بيئه اجتمعت فيها مقومات الشعر حيث العرب الأصحاب في العراق، ومحبة للشعر لا توصف أثمرت سوق المريد الشعري، ووجود شعراء أفالذ أمثال الفرزدق (ت ١١٠هـ)، وجرير (ت ١١١هـ) ونقدة للشعر ومتذوقين أمثال عبد الله بن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٤هـ) وقبل هذا كله وجود عامل حافز لصوغ الشعر ومحرك للقرائح ألا وهو "الحجاج بن يوسف الثقي" فتفجرت الألسن بصوغ الشعر إما عن رضا ومحبة، أو كراهية، أو غضب، أو عن تملق وتودد، وتفجرت معها مواقف الطرف الآخر "الحجاج" الراضية أو الغاصبة أو المتسامحة مما زاد من سرعة دوران الرحي وزاد ما تنتجه من قصائد وأبيات عبرة عن تلك المواقف

وفي محاولة لوصف المنظومة الشعرية حول الحجاج، فإنه يتقدمها قطباً العصر الأموي وشاعراً النقائض المشهوران الفرزدق وجرير اللذان أفرداً للحجاج كثيراً من القصائد

(١) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١١٩.

(٢) انظر: ابن حبيب، أبي جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي؛ المحبوب، تحقيق: إيلازه ليختن شتيتر (بيروت، دار الآفاق الجديدة) ص ٤٧٥.

(٣) انظر: البخاري؛ محمد بن إسماعيل: التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة: عبد المعين خان (المكتبة الإسلامية، تركيا) قسم ٢ ج ١ ص ٢٧٢.

(٤) انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١١٧.

(٥) انظر: أبي حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٢٩، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٢٩٠، المسعودي: مروج الذهب ٢/١٥٣.

والمقطعات، وتحدثا عنه في قصائد ومقطوعات أخرى.

وديوان الفرزدق يحتوي على قصائد ومقطوعات أكثر من ديوان جرير سواء من حيث عدد القصائد أو من حيث عدد الأبيات مجموعة أمر من حيث تنوع موضوعات القصائد. ففي باب المديح أفرد الفرزدق للحجاج عشر قصائد ومقطوعات بلغ عدد أبياتها مائة وتسعة وستين بيتاً<sup>(١)</sup>. علاوة على مقطوعة افتتحها الشاعر بيت في مدح الحجاج<sup>(٢)</sup>.

أما موضوع الرثاء فقد نظم الفرزدق في عزاء الحجاج عن المحمدرين أخيه وابنه (ت ٩١ هـ) قصيدة ومقطوعتين بلغ عدد أبياتها واحداً وأربعين بيتاً<sup>(٣)</sup>. وللفرزدق في رثاء الحجاج بن يوسف نفسه قصيدة واحدة ومقطوعة بلغ عدد أبياته خمسة وعشرين بيتاً<sup>(٤)</sup>.

أما موضوع الهجاء فقد جاء كل هجاء للحجاج في معرض مدح الفرزدق لسليمان ابن عبد الملك (ت ٩٩ هـ) الذي حاول الحجاج سلبه الخلافة<sup>(٥)</sup>. وله في هجائه بيت واحد في معرض قصيدة طويلة في مدح سليمان بن عبد الملك في حياة الحجاج<sup>(٦)</sup>. أما بعد وفاة الحجاج فقد هجاه الفرزدق في معرض قصيدين في مدح سليمان بن عبد الملك بلغ عدد أبيات الهجاء فيما ثلاثة وعشرين بيتاً<sup>(٧)</sup>.

أما جرير الذي عرفه عبد الملك بن مروان حين قدم إليه بـ "مادح الحجاج وشاعره"<sup>(٨)</sup>. فإن له قدحاً معلى وقصباً سابقاً في مدح الحجاج جعل عبد الملك بن مروان يطلب منه

(١) انظر: الفرزدق، همام بن غالب: شرح ديوان الفرزدق. تحقيق: عبد الله الصاوي (القاهرة، مطبعة الصاوي) ٨٩/١، ١٣٧، ٤٣٥/٢٢٩٤، ٥١٥، ٤٢٥/٢٢٩٤، ٥٧٠، ٦٧٢، ٥٩٣، ٥٧٠. انظر: الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أخبار أبي تمام. تحقيق: محمد عبده عزام، خليل محمود عساكر، نظير الإسلام الهندي (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط. ٣، ١٤٠٠ هـ، ١٩٩٨ م) ص. ٢٠.

(٢) انظر: شرح ديوان الفرزدق ١٩٨٧/١.

(٣) انظر: شرح ديوان الفرزدق ١١٠/١، ٤٩٤/٢، ١٩٤. وانظر: المبرد: الكامل ٤٤٩/٢، التعازي والمراثي ص ٢٠٣.

(٤) انظر: شرح ديوان الفرزدق ١٣٦٥/١، ٥٢٩/٢.

(٥) انظر: أبي عبيدة، معمر بن المثنى: نقائض جرير والفرزدق (اليدن، بريل، ٨٠٩ م، ١٩٠٩ م) ص. ٣٥٣/١.

(٦) انظر: شرح ديوان الفرزدق ١٩١/١.

(٧) انظر: شرح ديوان الفرزدق ٦١٨/٢، ٨٥١.

(٨) انظر: الثعلبي: القاج أخلاق الملوك ص ٢٣٢.

أن ينشده مدائحه في الحجاج قبل أن يأذن له في إنشاده مدحه فيه<sup>(١)</sup>. فجرير قد أفرد خمس قصائد لمدح الحجاج بلغ مجموع أبياتها مائة وثلاثين بيتاً<sup>(٢)</sup>، بالإضافة إلى قصيدين تطرق فيما لمدح الحجاج وإن لم يكن الحجاج موضوعهما الرئيس وهما من شعر النقائض بلغ مجموع أبيات مدح الحجاج فيهما سبعة أبيات<sup>(٣)</sup>.

فهذا الشاعران استوليا على القطاع الأكبر من مساحة الشعر الذي قيل في الحجاج. ثم يأتي حضم الشعر دفاقاً من كثير من الشعراء وفي مختلف الموضوعات. وقد يكون على رأس هؤلاء الشعراء من ناحية الشهرة القطب الثالث في مثلث الشعر الأموي الأخطل (ت ٩٠ هـ) الذي لم يمنعه بعده عن الحجاج واستحواده على إعجاب الخليفة الأموي من مواطنة الحجاج ومدحه بقصيدة بعث بها مع ابنه إلى العراق<sup>(٤)</sup>، وهي مكونة من خمسة عشر بيتاً<sup>(٥)</sup>.

وكان للرجز أيضا دوره فيما قيل حول الحجاج من شعر فهذا أبو الرجز العجاج (ت ٩٠ هـ) يطيل المدح للحجاج بأرجوزتين بلغ عدد أبياتها مائة وواحداً وخمسين بيتاً<sup>(٦)</sup>، ولأبي النجم العجلي (ت ١٣٠ هـ) أرجوزة في مدح الحجاج بقي منها ثلاثة أبيات رجزية<sup>(٧)</sup>. ولأعشى همدان (ت ٨٣ هـ) ثلاث قصائد في الحجاج، اثنان منها في هجاء الحجاج تتكونان من تسعه وعشرين بيتاً بالإضافة إلى افتتاحه قصيدة ببنتين في هجاء

(١) انظر: التعليبي: التاج في أخلاق الملوك ص ٢٤٤.

(٢) انظر: جرير بن عطية بن الخطف: ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (القاهرة. دار المعارف. ط ٢٠١٢) / ١٣٦٢، ٢٤٣٢، ٣٧٢، ٣٩٩، ٢٣٧٢.

(٣) انظر: ديوان جرير ٢/ ٨٥٢، ٨٨٠.

(٤) انظر: أبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين: الأغانى، تحقيق: لجنة من الأدباء (بيروت. دار الثقافة. ١٩٨٢) / ٨.

(٥) انظر: الأخطل، أبا مالك غيث بن غوث التغلبي: شعر الأخطل، صنعة: السكري رواية عن ابن حبيب، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت. دار الآفاق الجديدة. ط ٢، ١٣٩٩ هـ). ١/ ٢٩٩.

(٦) العجاج، عبد الله بن رؤبة: ديوان العجاج، رواية الأصممي وشرحه، تحقيق: عزة حسن (بيروت. حلب. دار الشرق العربي. ١٤٩٥ هـ). ١/ ١٤١٦.

(٧) انظر: أبي النجم العجلي، الفضل بن قدامة، ديوان أبي النجم العجلي، تحقيق: علاء الدين آغا (الرياض. النادي الأدبي. ١٤٠١ هـ). ١/ ٨١.

٩٣ ص (١٩٨١) / ١٤٠١ هـ.

الحجاج<sup>(١)</sup>، وله قصيدة واحدة في مدح الحجاج بلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين بيتاً<sup>(٢)</sup>. ومن الشعراء الذين تحدثوا عن الحجاج في دواوينهم، وإن كانوا أقل من السابقين الشاعرة المشهورة ليل الأخيالية (ت ٨٠ هـ) التي قدمت على الحجاج ومدحته بثلاث مقطوعات بلغ عدد أبياتها خمسة عشر بيتاً<sup>(٣)</sup>. وعبد الله بن الزبير الأسدي (ت نحو ٧٥ هـ) له مقطوعتان في الحجاج بلغ عدد أبياتها أحد عشر بيتاً<sup>(٤)</sup>. وأخيراً الحارث بن خالد المخزومي (ت نحو ٨٠ هـ) الذي هجا الحجاج بمقطوعة تتكون من ثلاثة أبيات<sup>(٥)</sup>. أما خارج نطاق دواوين الشعراء فقد تناولت مقطوعات كثيرة بين طويلة وقصيرة تحدثت عن الحجاج إما سلباً وإما إيجابياً، وقد بلغ عدد أبياتها . فيما اطلعت عليه من مصادر. ثلاثة وعشرين بيتاً توزعها تسعة وسبعون مقطوعة لثلاثة وستين شاعراً. فإذا أضفنا عدد هذه الأبيات الدواوين التي تحدثت عن الحجاج يكون مجموع الشعر الذي دار حول الحجاج تسعة مائة وتسعون وسبعين بيتاً، منها سبعين مقطوعة وسبعين بيتاً ترسم صورته الإيجابية ومئتان واثنان وثلاثون بيتاً تصور الجانب السلبي في هذه الشخصية كما يراها قاتلوها من الشعراء.

وهناك شعر أكثر دار حول الحجاج إلا أنه ضائع، تدل على ذلك إشارات وردت في كتب التراث مثل شعر علي بن ثابت بن قيس الأنباري في رثاء محمد بن الحجاج (ت ٩١ هـ). وقد علق الحجاج على الشعر بقوله: "مرثيتك في ابنك أجدود"<sup>(٦)</sup>، لكن لا يوجد لأبياتها أثر فيما اطلعت عليه من مصادر. ومما يدل على ضياع بعض الشعر الذي قيل في الحجاج ما أورده ابن أثيم (ت ٣١٤ هـ) في فتوحه في أثناء حديثه عن غضب جند المهلب

(١) انظر: أغشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث. ديوان أغشى همدان وأخباره، تحقيق: حسن أبو ياسين (الرياض، دار العلوم، ط ٢، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٣ م) ص ٧٣، ١١٢، ١٦٣.

(٢) انظر: ديوان أغشى همدان وأخباره ص ١٠١.

(٣) انظر: ليل الأخيالية. ليل بنت عبد الله بن الرحال: ديوان ليل الأخيالية، تحقيق: خليل العطية، وجليل العطية، (بغداد، دار الجمهورية، ط ٢، ١٩٧٧ م) ص ٦٣، ١١٦، ١٢٠.

(٤) انظر: عبد الله بن الزبير الأسدي: شعر عبد الله بن الزبير. جمع وتحقيق: يحيى الجبوري (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م) ص ٥٢، ٥٣.

(٥) انظر: الحارث بن خالد المخزومي: شعر الحارث بن خالد. تحقيق: يحيى الجبوري (النجم، مطبعة النعمان ط ١، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م) ص ٤٦، ٤٧.

(٦) انظر: المبرد: التعازى والمرازي ص ٢٠٢، ٢٠٣.

بن أبي صفرة من اتهامات الحجاج له، قال: ”فأنشأ المغيرة بن حبناه التميمي (ت ٩١ هـ) يقول في ذلك أبياتاً مطلعها:

ليت شعري وللأموري قرارٌ هل بلغنا مدى رضا الحجاج

إلى آخرها<sup>(١)</sup>، ولم أجد لبيتها ذكراً، فيما اطلعت عليه من مصادر.. وقد يكون هناك شعر أكثر ضاع لكن لم تبق حتى إشارات تدل عليه، وفيما بقي من الشعر كفاية للباحث لتلمس أهم سمات صورة الحجاج في شعر معاصره.

وعلى الرغم من كثرة الشعر الذي قيل في الحجاج، فإن هناك أمرين يجب الوقف عليهما حول هذا الشعر، أولهما أنه على رغم كثرة أبيات المديح في الحجاج، فإن المصادر توحى أن الحجاج ليس بالشخص الذي يجمع الشعراه حوله ويقطنه، ففي أول قدومه العراق أميراً منع الشعراه من الدخول إليه، وحجب عنهم عطاءه، حتى وجهه عبد الملك بن مروان إلى خلاف ذلك، ففتح لهم أبوابه<sup>(٢)</sup>، ولكنه لم يحرض على مدحهم أو يشتريه، فالمساور بن هند (ت نحو ٧٥ هـ)، الذي عقد الرسول صلى الله عليه وسلم لوالده على رياضة غطفان، لما قدم على الحجاج لم يسأله الحجاج مدحه، ونعني عليه قول الشعر واستنكره<sup>(٣)</sup>. ولily الأخيلية . وهي شاعرة معروفة . لما قدمت على الحجاج مادحة بقصيدتها المشهورة التي أدهشت الحجاج، كره الحجاج أن تتمادي في مدحه، فقال: ”حسبك!<sup>(٤)</sup>“، قالت: ”إنني قد قلت أكثر من هذا.“، قال: ”حسبك! ويحك حسبك!<sup>(٥)</sup>“، ثم أمر بجائزتها فوراً<sup>(٦)</sup> لأنها يمنعها من الاستمرار في المديح. وقد يكون شعر المديح اختباراً للولاء عند الحجاج كما صنع حين أراد أن يولي يزيد بن الحكم (ت نحو ٥٠ هـ) كورة فارس فقال له: ”أنشدني بعض شعرك“ علق على هذا صاحب الأغاني:

(١) انظر: ابن عثم، أبو محمد أحمد الكوفي، كتاب الفتوح (بيروت، دار الكتب العلمية، ط.١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م). ٢١٢٠ / ٧

(٢) انظر: ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد: التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، (بيروت، دار صادر، ط.١٤٩٦ هـ، ١٩٩٦ م). ١٠٩ / ٢

(٣) انظر: النهشلي: أبو محمد عبد الكري姆 بن إبراهيم: اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، تحقيق: محمود شاكر القطنان (القاهرة، دار المعارف، ط.١٤٨٢ هـ، ١٩٨٢ م) ص ٨١ - ٨٢.

(٤) انظر: أبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم: الأمالي، مراجعة: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط.١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م). ٨٧ / ١

"وإنما أراد أن ينشده مدحًا له"، فانطلق يزيد بن الحكم ينشد قصيدة في الفخر ببابه وأجداده مما أغضب الحجاج عليه. فالحجاج يعرف قيمة الشعر عند العربي، ولا يخرج عما تعارف عليه الناس خاصة في بيته يعلو فيها صوت الشعر كثيراً حتى إنه وجه أحد عماله، واسمه شجرة، فقال: يا شجرة، إذا أتاك أمرؤ ذو حسب ولسان فاشتر عرضك منه<sup>(١)</sup>. لذلك أعطى الحجاج الشعراء الذين مذبوه وإن لم يكن حريطاً على مدحهم. ومسيرة من الحجاج لطبيعة البيئة التي يعيش فيها والتي تحسب للشعر ألف حساب، كان الحجاج يرحب بهجاء أعدائه أكثر من ترحيبه بمدحه كما رحب بهجاء عبيد بن موهب للحارث بن خالد المخزومي<sup>(٢)</sup>، وكما أمر الفرزدق أن يهجو عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة فأفحش عليه<sup>(٣)</sup>، وكان يستمتع بتزويج أبيات حميد الأرقط في ابن الأشعث ويوازن بينها وبين أبيات أعشى همدان في هجائه مفضلاً الأولى على الأخرى<sup>(٤)</sup>. والأمر الآخر، أن الحجاج رجل فصيح مشهود له بالفصاحة حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: "لم أر قَرَوِينَ أفحش من الحسن (ت ١١٠هـ) والحجاج"<sup>(٥)</sup>. وكذلك قال عنه رؤبة بن العجاج (ت ١٤٥هـ). وتمحض فصاحتته عن علو شأنه في الخطابة حتى عُذَّ ثالث الخطباء في عصره، بل قُدِّم على عبد الملك بن مروان. نفسه في مجلس عبد الملك بن مروان<sup>(٦)</sup>، حتى قال مالك بن دينار (ت ١٢١هـ). وهو من المعادين للحجاج: "ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع له أهل العراق وما صنع بهم فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج"<sup>(٧)</sup>. وقد دعم هذه الفصاحة عقل ذكي وفطنة كبيرة، فعتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث وكان من ذوي الرأي والدهاء<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢٩١، ٢٩٠ / ١٢.

(٢) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٢٩، ٣٢٩ / ١١.

(٣) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب البغال، صمن رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م) ٢١٦ / ٢.

(٤) انظر الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک، ٤١ / ٨.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ١٦٣ / ٢.

(٦) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ٢١٩ / ٢.

(٧) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٤٦ / ١.

(٨) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٩٤ / ١.

(٩) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ٣١٩ / ١.

قال عن الحجاج: "ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض إلا ما كان من الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية (ت ١٢٢هـ) فإن عقولهما ترجح على عقول الناس جميعاً"<sup>(١)</sup>. وهو يجمع إلى ذلك علمًا بالشعر وحفظاً له يتضح من خلال استشهاداته المصيبة، فلا تكاد خطبة له مهما قصرت تخلو من استشهادات شعرية مناسبة، ويكتفي شاهداً على ذلك استشهاداته في خطبته الشهيرة حينما وصل الكوفة، والتي أصبحت بعض أبيات الاستشهاد فيها مضرب المثل عند العامة والخاصة. وهذا كله يقود إلى مستوى الشعر الذي قيل أمام الحجاج، فهو قد قيل أمام أمير قوي فصيح نبيه عالم بالشعر ليس بالحرirsch على المدح، لذلك فالحجاج لا ينخدع بالمديح ولا يغريه تتابع الصفات له أو على أعدائه، فحين أنسد أغشى همدان مدحته فيه وهجاءه لابن الأشعث أجمع من في مجلسه على أنه أحسن فيها. فقال الحجاج: لالله يحسن، وبين أنه أراد بها التأسف على ظهوره، أي الحجاج. وتحريض قومه عليه<sup>(٢)</sup>.

وكان الحجاج حريرًا على مستوى الشعر الذي يقال فيه، ينقده بمجرد أن يقال أمامه، فجرير عند ما أنسد الحجاج مادحًا<sup>(٣)</sup>:

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأْخِرَ سَرْجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرَكِ الْمُنْيَةِ نَاجٌ.

قال له الحجاج: "جرأت على الناس يا ابن اللخاء"، قال جرير معتذرًا: "والله ما أقيت لها بالاً يأها الأمير إلا وقتى هذا"<sup>(٤)</sup>، فالشاعر لم يتنبه إلى ما تعود عليه أبياته من معان لكن الحجاج تنبه لها مباشرة. والفرزدق لما قال<sup>(٥)</sup>:

وَمَنْ يَأْمَنِي الْحَجَاجُ وَالْطَّيْرُ تَنْقِي عَوْقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفٌ عَزَائِمُهُ

قال له الحجاج: "ما عملت شيئاً إن الطير تنفر من الصبي والخشبة"<sup>(٦)</sup>، فأبدلت بعد ذلك

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٩/١. ١٠٠/١. وانظر: ٢٧٥/١.

(٢) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ٦/٦٠.

(٣) ديوان جرير ١/١٣٧.

(٤) انظر: ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان (القاهرة، دار الفكر) ١/٧٦.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ٢/٧٦٢.

(٦) العسكري، أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، مطبعة عسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢) ص ١٠٧.

بـ "الجن" كما في الديوان، وليل الأخيالية لما أنشدته قولها<sup>(١)</sup>:

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا      غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَةَ سَقَاهَا

قال الحجاج موجهاً: "لا تقولي غلام، قولي: همام"<sup>(٢)</sup>.

وبالمقابل يبني الحجاج على الشعر الجيد الذي يقال أمامه، فلما رثى الفرزدق محمد بن يوسف، ومحمد بن الحجاج، قال له الحجاج في البداية، إذ لم يجد ما يعزيه في شعره: "لو زدتني"، فلما زاده قال الحجاج موضحاً قصوره هذا الشعر في التعبير عن مكنون نفسه قال: "ما صنعت شيئاً إنما زدت في حزني" فلما زاده ما أشفى غليله، اعترف الحجاج بتفوق هذا الشعر فقال: "الآن"<sup>(٣)</sup>، ولما قالت ليل الأخيالية<sup>(٤)</sup>:

إِذَا سَمِعَ الْحَجَاجُ رُزْكَتِيَّةً      أَعْدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا<sup>(٥)</sup>

قال الحجاج: "قاتلها الله، والله ما أصاب صfty شاعر منذ دخلت العراق غيرها... والله إني لأعد للأمر عسى لا يكون أبداً"<sup>(٦)</sup>. بل إن الحجاج لشدة حرصه على دقة الحكم على ما يقال فيه من الشعر كان يلجاً أحياناً إلى من حوله ومن يلتمس فيه معرفة بالشعر ليعينه على الحكم مباشرة أمام الشاعر<sup>(٧)</sup>.

فالحجاج من ناحية لم يكن حريراً على استجلاب مدح الشعراء، وملكته النقدية المتيقظة هي بت الشعراء فلم يجرؤ على مدحه إلا الفحول الذين يثقون بقدرتهم على الإتيان بما يتاسب وذوقه الفصيح لذلك استأثر فحول شعراء ذلك العصر برسم صورته الإيجابية من أمثال ليل الأخيالية والهجاج والأخطل والفرزدق، وجرير.

#### الصورة الإيجابية:

إذا تأمل الدارس موروث الشعر الذي دار حول الحجاج فإنه يجده قريباً من ألف بيت، وهذا الشعر دار في محاور شتى، وحول موضوعات مختلفة إلا أنه يمكن أن يقسم إلى

(١) ديوان ليل الأخيالية ص ١٢١.

(٢) المبرد: الكامل ٢٦٢/١.

(٣) انظر: المبرد: الكامل

(٤) ديوان ليل الأخيالية ص ١٣١.

(٥) الزر: الصوت تسمعه من بعد.

(٦) أبو علي القالي: الأمالى ٨٧/١.

(٧) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٢٣/١١.

قسمين كبيرين، الصورة الإيجابية والصورة السلبية، ولأن الصورة الإيجابية للحجاج أكبر بكثير من الصورة السلبية فإنها تأخذ الأولوية في الدراسة.  
الناحية الحربية:

والصورة الإيجابية للحجاج لها وجوه مختلفة وزوايا متعددة إلا أن الافت للنظر أن التركيز فيها كان على الناحية الحربية في شخصية الحجاج، حيث توقف الشعراء عندها كثيراً مفطلين في أيام الحجاج، محللين لأسبابها ونتائجها، مادحين للحجاج وجنته، ذامين أعداءه وقوادهم، وقد تكون ظروف إمارة الحجاج لمنطقة حافلة بالقلائل والاضطرابات جعلته يخوض كثيراً من المعارك ويقف طويلاً في وجوه أعداء الدولة الأموية، إذ ما يكاد عدو يختفي حتى يبرز آخر، هي التي ألهمت الشعراء أبياتهم ووفرت لهم مادة شعرية قريبة لروح العصر يمتحنون منها شعراً عذباً زللاً كما يشعرون.

#### إ Ahmad الحجاج ثورة ابن الأشعث:

وإذا أمعن الباحث النظر في الشعر الذي قيل في أيام الحجاج ومعاركه استوقفه التركيز الكبير على أيام الحجاج مع ابن الأشعث فقد أكثر الشعراء من ذكر تلك الأيام وسير معاركها ونتائجها ذامين مادحين مما يشعر الباحث بأهمية تلك الأيام وخطورتها.

فالحجاج لم يمدح الحجاج إلا بأرجوزتين أفردهما كاتباهما للحديث عن انتصار الحجاج على ابن الأشعث، أولاهما بلغ عدد أبياتها مائة وسبعة عشر بيتاً رجبياً، والأخرى بلغت أبياتها أربعة وثلاثين بيتاً رجبياً<sup>(١)</sup>، والفرزدق جعل أطول مدائنه في الحجاج للحديث عن انتصاره في هذه الحرب فصاغ فيها قصديتين، بلغ طول أولاهما ثمانين بيتاً، والأخرى بلغت تسعة وثلاثين بيتاً<sup>(٢)</sup>، وصاغ جرير حول هذا الموضوع قصيدة بلغت ثمانية عشر بيتاً<sup>(٣)</sup>، ومن الطريف أن أحد أنصار ابن الأشعث صاغ قصيدة في مدح الحجاج لانتصاره على ابن الأشعث وهو أعشى همدان بلغت أبيات قصيده تلوك ثمانية وثلاثين بيتاً<sup>(٤)</sup>، وجرى ذكر

(١) انظر: ديوان العجاج ص ٣٥٢ و ١٢٨.

(٢) انظر: شرح ديوان الفرزدق ١/٢٩٤ و ٢٩٤.

(٣) انظر: ديوان جرير ٢/٧٢٧.

(٤) انظر: ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١٠١.

هذه الحرب في مقطوعات أخرى لأمثال ليل الأخيالية<sup>(١)</sup> وحميد الأرقط<sup>(٢)</sup>. وقد فصلَ الشعراء في هذه الحرب تفصيلاً طويلاً، إلا أن اللافت للنظر في هذا الوصف التركيز الكبير على وصف جيوش ابن الأشعث والسخرية منها وذكر أصحابه والاستهزاء بهم، بينما يظهر الاختصار الواضح في وصف جيوش الحاجاج والإشادة بقادره وأصحابه. وقد يكون هذا متنمياً مع رغبة الحاجاج التي تحرص على هجاء الأعداء والتنقيص منهم لاستخدام هذا الشعر وسيلة للهجوم، أكثر من حرصه على شعر المديح الذي قد يراه لا يضيف له جديداً.

فأصحاب الحاجاج وجنده اختصر "العجاج" صفتهم فقال:<sup>(٣)</sup>

وَاللَّهُ سَمِّيَ نَصْرَهُ الْأَنْصَارًا

فهم كالأنصار، فكما أن الأنصار على حق حينما آزروا الرسول صلى الله عليه وسلم ونصروا دين الإسلام، كذلك جند الحاجاج على حق حينما آزروا الحاجاج ونصروا دين الإسلام.

وكما جعل أصحاب الحاجاج كالأنصار جعلهم الفرزدق كأصحاب بدر، وجعل الملائكة تساندهم كماساندت أهل بدر<sup>(٤)</sup>:

مَلَائِكَةً مِنْ يَجْعَلُ اللَّهُ نَصْرَهُمْ      لَهُ يَكُ أَعْلَى فِي الْقِتَالِ وَاصْبَرَا  
وَمَثْلَهُ مِنْ ذِي جَنَاحَيْنِ أَظْهَرَاهُمْ      رَأَوَا جِبْرِيلَ فِيهِمْ إِذْ لَقُ وَهُمْ

ثم عاد الفرزدق يشبههم بأهل بدر مرة أخرى فقال<sup>(٥)</sup>:

لَقِيتُمْ مَعَ الْحَجَاجَ قَوْمًا أَعِزَّهُ      غَلَاظًا عَلَى مَنْ كَانَ بِالدِّينِ أَحْوَرًا  
بِهِمْ يَوْمَ يَسْدُرُ أَيَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ      وَسَوَى مِنَ الْفَتَنِ الرَّكِيَّ الْمُغَورًا

وفي حرب الحاجاج لابن الأشعث تلك الحرب التي انحاز فيها معظم أهل العراق إلى

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک .٤٢.٤١٧/٨.

(٢) ديوان العجاج ص ٣٦٥.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٢٠٠٠/١.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٢٠١/٤.

ابن الأشعث حتى استعان الحجاج بجيوش أهل الشام مما جعل الشعراء يعمدون  
للموازنة بين أهل البلدين فقال الفرزدق<sup>(١)</sup>:

وَسِيمَاهُمْ كَانُوا نَعَاماً مُنْفَرَا  
مَصَابِحُ لَيْلٍ لَا يَأْلِينَ مِغْفَرَاً<sup>(٢)</sup>  
بِأَصْدَقَ مَنْ أَهْلُ الْعَرَاقِ وَأَضْرَابِ  
فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ النِّفَاقِ سِلاَحَهُمْ  
كَانَ صَفِيقَ الْهُنْدِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ  
بِأَيْدِي رَجَالٍ يَمْتَعُ اللَّهُ بِيَنَّهُمْ

وقال أيضًا<sup>(٣)</sup>:

بِهِمْ إِذْ دَعَارِبَ الْعِبَادِ لَيْلَ صُرَا  
شَامِيَّةٌ تَتَلَوَّ الْكِتَابَ الْمُنَشَّرَا  
جُنُودًا دَعَالَ الحِجَاجُ حِينَ أَعَانَهُ  
بِشَهْبَاءَ لَمْ تُشْرِبْ نِفَاقًا قُلْوبُهُمْ

فالشاعر يوازن بين أهل العراق وأهل الشام جاعلاً هذه الموازنة سبيلاً لفضيل أهل  
الشام وذم أهل العراق حيث وصفهم بالمنافقين صراحة في الأبيات الأولى ووصفهم  
بهذه الصفة بالتلميح في الأبيات الأخيرة، وجعل أهل الشام هم أهل التدين وقراءة  
القرآن.

وهذا الوصف السريع لجيوش الحجاج التي خرجت لحرب ابن الأشعث يقابلها  
وصف مسهب لجيوش ابن الأشعث، فما يكاد شاعر يمدح الحجاج لانتصاره على ابن  
الأشعث حتى يخرج على وصف جيش ابن الأشعث ساخراً متسفيًا، فهذه الجيوش هي  
بذرة التمرد وثمرة الاحتجاج، وهي التعبير الفعلي عن آراء قوادها وأقوالهم فالفرزدق لم  
يرحمهم من لسانه الحاد، فوصف جيشه بقوله<sup>(٤)</sup>:

رَبِيعَةَ وَالْأَحْزَابِ مِمَّنْ تَمَضَّرَا<sup>(٥)</sup>  
عَلَى سَيِّءِ مِنْ دِينِهِمْ قَدْ تَغَيَّرَا  
وَلَا رَأَيَ مِنْ ذِي حِيلَةٍ لَا وَتَفَكَّرَا  
عَجَبْتُ لِنَوْكَى مِنْ بِزَارٍ وَحَيْنِهِمْ  
وَمِنْ حَيْنِ قَحْطَانِي سَجِسْتَانَ أَصْبَحُوا  
وَهُمْ مِائَتَا آلَفٍ وَلَا عَقْلَ فِيهِمْ

(١) شرح ديوان الفرزدق ٢٠٠/١.

(٢) مغفر: نوع من الدروع يلبس على الرأس تحت البيضة.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٢٠٧/١.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٢٩٦/١.

يَسُوقُونَ حَوَّاكَ أَلِيْسَ تَحْوَى بِهِ  
عَلَى عُصْبَةٍ عُثْمَانُ مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ  
عَلَى أُولَيَاءِ اللَّهِ مِمَّنْ تَخَيَّرَ  
إِمَامٌ جَلَا عَنَّا الظَّلَامَ فَأَسْفَرَ

فهم مجموعة من الحمقى ممن لم يوفقا للصلاح من قبائل نزار وريعة ومضر وقططاني سجستان، أساءوا إلى دينهم بخروجهم على طاعة الإمام، وكان عددهم مائتي ألف إلا أنه ليس فيهم رجل ذو عقل وتدبر يرد عليهم عما هم بصدده، وكان قادتهم حواكاً فهو لا يحسن قيادة الجنود، وخرجوا للحرب أولياء الله الذين منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت ١٣٥ هـ) ومنهم خليفة المسلمين. وهذه المقطوعة في وصف جيش ابن الأشعث متميزة لأنها مع السخرية اللاذعة أعطت معلومات عن جيش ابن الأشعث من ناحية عناصر الجيش وعده وقادته والهدف من خروجه.

ولم يرحم ما دعوا الحجاج المنهزمين من أعداء الحجاج، إذ سخر الفرزدق من فلول الجيش المنهزمة من أصحاب ابن الأشعث سخرية لاذعة، فهم أعداء الأمير لذا من حقه الاستهتار بهم ما شاء، قال<sup>(١)</sup>:

سَيَمْنَعُنَّ مِنْهُمْ كُلَّ وُدٍ وَنَائِلٍ إِلَيْكُنَّ وَاسْتَبْدَلَنَّ عَقْدَ الْمَحَامِلِ <sup>(٢)</sup> عَلَى ذَقَنِ الْأَحْنَاكِ مِثْلُ الْفَلَائِلِ <sup>(٣)</sup> أَسَابِيُّ مُجْرِيِ الْقِتَالِ وَنَازِلٍ <sup>(٤)</sup> وَيَضْرُبُ رُؤْسَ الْمُسْتَمِيتِ الْمُنَازِلِ	أَطْنَنُ بُنَاتِ الْقَوْمِ كُلَّ خَيْيَةٍ قَبَدَلُهُمْ مَا فِي الْعِيَابِ إِذَا انتَهَوا سُيُوفَ نَعَامَ غَيْرَ آنَ لِحَاهُمْ عَسَى أَنْ يَذْدُنَ النَّاسَ عَنْكُمْ إِذَا التَّقَتُ وَمَا الْقَوْمُ إِلَّا مَنْ يُطَاعُنُ فِي الْوَغَا
--	--

فزووجاتهم سيمتنعن عليهم إذا عادوا، لأنهم ليسوا بالرجال، وسيلبسونهم ملابسهن لأنهم أشبه بالنساء، وإمعانًا في إذلالهم يجعل نساءهم هم الرجال الذين يحملون السيوف، تلك السيوف التي ما كانت إلا مع نعام شارد، عسى أن تفي في يد

(١) شرح ديوان الفرزدق ١٩٦ / ٢.

(٢) العياب: حقائب الثياب.

(٣) الفلائل: الشعر المجتمع.

(٤) أسبابي: الطرق من الدم.

نسائهم فيذنون عنهم، فهم ليسوا رجالاً لأن علامة الرجل هي الضرب بالسيوف، وتلك ليست فيهم. ويعن الفرزدق في السخرية، ولا يكتفي بجعلهم نساء وزوجاتهم الرجال حين قال مخاطباً الحجاج<sup>(١)</sup>:

وَحَرَمْ عَلَيْهِمْ صَالِحَاتِ الْحَالِيلِ  
إِذَا دَخَلُوا الْأَسْوَاقَ وَسُطَّ الْمَحَافِلِ  
تَطْنَهُمْ أَمْتَالَ تُرْكٍ وَكَابِلِ  
وَبَاعُوا سُرَيْجِيَاتِهِمْ بِالْمَغَازِلِ

فِدَى لَكَ أُمِّي أَجْعَلْ عَلَيْهِمْ عَلَامَةً  
نُرَيْلُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَهُمْ  
فَلَا قَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ  
وَلَيْتَ لِحَاهُمْ كُنْ تَحْتَ ——————

فهو يريد منه أن يسمهم بوسمل العبيد حتى لا يتزوجوا العرائش، وحتى لا يخالطوا الأحرار في الأسواق، فهم أشبه بالترك وأهل كابل من الأعاجم إلا أنهم أكثر منهم شرًا، ثم يعود ليسخر منهم ومن لحاهم التي لا تدل على رجولة فما كان أحرى بهم أن يبيعوا سيوفهم لأنهم لا يستخدمونها ليشتروا بها المغازل فقد تكون أفعى لهم.

والفرزدق يمعن أكثر في السخرية من جنود ابن الأشعث حتى وصف الصرعي والقتل منهم داخل ميدان المعركة بعد انتهاءها بنصر الحجاج بن يوسف، ومما زاد المنظر

تشفياً أن جاء على صورة امرأة تبحث عن زوجها بين القتل والجرح<sup>(٢)</sup>:

حَسَانَدَأْوَأَعْجَازَنَخْلَلِ تَقَعَّرَا  
وَتُكْرِهُ عَيْنَهَا عَلَى مَاتَنَكَرَا  
عَلَيْهَا تُرَابٌ فِي دَمٍ قَدْ تَعَفَّرَا  
بَعِيدَيْنَ طَرْفَا بِالْخِيَانَةِ أَحْرَرَا  
وَأَمَّا زَبَرِيَّ مِنَ الذِّئْبِ أَغْدَرَا

كَأَنَّ عَلَى دَيْرِ الْجَمَاجِمِ مِنْهُمْ  
تَعَرَّفُ هَمْدَانِيَّةٌ سَبَبَيَّةٌ  
رَأَتُهُ مَعَ الْقَتَالِيِّ وَغَيْرَ بَعْلَهَا  
أَرَاحُوهُ مِنْ رَأْسٍ وَعَيْنَيْنِ كَانَتَا  
مِنَ النَّاكِنِينَ الْعَهْدَ مِنْ سَبَبَيَّةٍ

فقد أعطى أولاً وصفاً عاماً لميدان المعركة بعد الهزيمة فالاعداء على أرض دير الجمامجم لأنهم جذوع نخل مقطعة وقد فارقوا الحياة، وظهرت في الميدان امرأة من

(١) شرح ديوان الفرزدق ٦٩٦/٢ - ٦٩٧.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٢٠٠/١.

(٣) أحزر: تنظر نظراً شديداً إلى الخيانة.

همدان تبحث عن بعلها، فتراه مقتولاً تنكره عينها لما تغير من وقع التراب والدم عليه، وقد قطع رأسه، وجميل من الشاعر هنا قوله "أراحوه" فجيش الحجاج كانما أسدى إليه معروفاً بقتله. وهذا الهمدان لا يخرج عن كونه من السبئية الذين تسبيوا بمقتل عثمان -رضي الله عنه- أو من الزبيدية الذين حاربوا عبد الملك بن مروان (ت ١٤٨ هـ) وكلاهما أعداء للدولة، والشاعر بهذا البيت يقدم العذر للحجاج في قتلهم.

ولم يكتف الشعراء بهذا الوصف العام للجيوش من الفريقين بل تعمقوا أكثر فعمدوا إلى الحديث عن القواد والأبطال من الفريقين وأولى الناس بالإشادة في نظر الشعراء المادحين هو الحجاج القائد الأعلى لهذه الحرب فالفرزدق (ت ١١٠ هـ) في لفتة ذكية منه دمج بين مدح الحجاج والتذكير بأصل جيش ابن الأشعث (ت ٨٣ هـ) ليسقط حجج الثاني، ويقدم العذر للأول<sup>(١)</sup>:

<p>تَعَدَّى طِعَانًا بِالْأَسِنَةِ أَحْمَرًا أَسِنَتُهَا بِالْمَوْتِ حَتَّى يُخِيرَ<sup>(٢)</sup> وَآنَ ابْنَ سَيِّخْتَ اعْتَدَى وَتَجَرَّا إِذَا لَمْ يَقْمِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ نَكَرَا هُوَ الظَّفَرُ الْأَعْلَى إِذَا الْبَأْسُ أَصْحَرَا</p>	<p>رَدَدْتُمْ عَلَيْنَا الْغَيْلَ وَالْتُّرْكُ عِنْدَكُمْ إِلَى مَحِكِّي فِي الْحَرْبِ يَأْبَى إِذَا التَّقَتْ وَلَمَّا رَأَى اللَّهُ الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ رَمَاكُمْ بِمَيْمَونِ النَّقِيَّةِ حَازِمٌ أَخَا غَمَرَاتٍ يَجْعَلُ اللَّهُ كَعْبَهُ</p>
--	--

فهذا الجيش الذي يحارب الحجاج إنما هو جيش بعث لحرب الكفار من الترك ولسوء تدبير قادته ترك الكفار إلى قتال المسلمين، ففيض الله لهؤلاء العصاة محك في الحرب لا يقهرون، ميمون النقية، يغضب الله، إلى آخره من صفات القائد العسكري الناجح التي أضافها الشاعر على الحجاج، والملاحظ على هذا المديح أنه يركز على مدح الحجاج وحدها مظهراً قدراته الفردية في مواجهة جيش ابن الأشعث كله، وكذلك صنع العجاج

(ت ٩٥ هـ) فقال<sup>(٣)</sup>:

(١) شرح ديوان الفرزدق ٢٩٥/١.

(٢) المحك: المتعادي في اللجاجة عند المساومة والغضب.

(٣) ديوان العجاج ص ١٣١.

**بِلْجَابٍ عَرْضًا**  
**لَا فَانِيَّاً وَلَا دِيَثَا غَطَّا**  
**شَتَّا إِذَا كَانَ الْمَقَامَ دَحْخَنا**

فَوَجَدُوا الْحِجَاجَ يَأْبَى الْهَضَا  
وَمَنْ صَرِيحَ الْأَكْرَمِينَ مُحْضًا  
وَلِلْجُنُونِ وَشَقَّ نَاهِمَ مُهَظًا<sup>(٢)</sup>

فجيش ابن الأشعث كله وجد الحاج قوياً متوسط العمر صريح الأصل ثابت الجنان في المعارك، لأنما الذي يباشر القتال هو الحاج وحده.

أما أصحاب الحجاج، فكما اختصر الشعراء في وصف جيوشه اختصر الشعراء في وصف أصحابه وقواده، فلم ينص الشعراء إلا على اسمي قاديين من قواده فقط: أحدهما سفيان بن الأبرد الكلبي<sup>(١)</sup> مدحه أعشى همدان (ت ٨٣ هـ) فقال:

<sup>(٢)</sup> "سفيان بن الأبرد الكلبي" مدحه أعشى همدان (ت ٨٣ هـ) فقال

يُفْرَسَ إِنَّهَا وَالسَّمْهَرِيَّةَ حَصَّا  
مَسَا عِيرَ أَبْطَالَ إِذَا التَّكُّسُ عَرَداً  
فَانْهَلَ خَرْصَانَ الرَّمَاحَ وَأَوْرَداً

وَكَرَتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَةً  
كَهْوَلَ وَمَرْدَ مَنْ قُطَّاعَةَ حَوْلَه  
إِذَا قَالَ شَدُّوا شَدَّةَ حَمْلُوا مَعَأً

فهو يمدحه بحسن قيادته للخيالة ممن يحملون أفضل السلاح ويتحلون بالقوة والشباب، ومع ذلك لا يخرجون عن طوع سفيان إذ يتلقى جنده أوامرها بدقة فيحملون حملة واحدة تسقي رماحهم دماء الأعداء. ومدح "سفيان" أيضاً الفرزدق<sup>(١)</sup> كما مدح قائده آخر من أصحاب الحاجاج هو الحكم بن أبيو الثقفي (ت نحو ٦٩٧هـ) صهر الحاجاج، فقال فيه الفرزدق: <sup>(٢)</sup>

رَأَيْتُ أَبْنَ آيُوبَ قَدْ اسْتَرَعَفْتُ بِهِ  
عَلَى صَاعِدٍ أَوْ مُثْلِهِ مِنْ رِبَاطِهِ

١) اللجب: الجيش الكبير الأصوات. العرض: الجبل. بياري: يعارض. الهض: الكسر.

(٢) الدحض: أي كثیر الزلق لا يثبت عليه. مهضا: كاسراً منتصراً.

(٣) دیوان اعشی همدان و آخبار ۵ ص ۱۰۳.

(٤) النكس: الضعيف. عزد: هرب من ميدان المعركة.

(٥) انظر: شرح ديوان الفرزدق، ٢٠١١.

(٦) شرح دیوان الفرزدق ٢٩٩/١

(٧) استر عفت: تقدمت.

فهو قد هجم على رأس خمسين ألفاً أو أكثر من الفرسان يتسابقون للوصول للعدو والقضاء عليه.

ومن الملاحظ أن تعداد أصحاب الحجاج وقادته ووصف جيوشهم المقاتلة في المعارك كان قليلاً جداً إذا ما قورن بـتعداد أعدائه وتسميتهم أو وصف جيوشهم، حقيقة أن الحجاج هو الذي يتولى إعداد الجيوش إذ يقترح عددها وعدتها، ويقوم بالإنفاق عليها بما يناسب الحال ثم يختار القادة بنفسه ويعطي لهم الأوامر، وهو بصيته وقوته يجعل الجندي في طاعة قائد المعركة إذ لا تسامح منه يعرف مع العاصين والفارين، إلا أن إغفال ذكر القادة بهذه الطريقة قد يعود إلى حرص المادحين أن يتقربوا للحجاج بإرجاع سبب النصر له وحده بعد الله سبحانه وتعالى كما قال الفرزدق<sup>(١)</sup>:

فَمَنْ يَمْنُّ عَلَيْكَ النَّصْرَ يَكْذِبُ سَرَوَ اللَّهِ الَّذِي رَفَعَ السَّحَابَا

وكما قال أعشى همدان<sup>(٢)</sup>:

وَمَا زَاحَفَ الْحَجَاجُ إِلَرَأَيَتَهُ مُعَانًا مُلْقَى لِلْفُتوحِ مُوعِدًا

فالشعراء المادحون معجبون بالحجاج وانتصاراته العظيمة التي يرى المادحون أنه لولا الحجاج لما تمت هذه الانتصارات. فله وحده يعود الشر، وإليه فقط تساق القصائد حافلة بالإعجاب والتقدير.

ولم يكتف الشعراء كذلك بذكر أعداء الحجاج بوجه عام وإن أطلقوا بهم كل صفة قبيحة، بل ذكروا أسماء بعض قادة الأعداء وأطلقوا بهم ما شاءوا من النقائص وقد يكون على رأس القائمة ابن الأشعث نفسه، وابن الأشعث ليس بالشخص الغفل؛ فجذبه أم أبيه أخت أبي بكر الصديق رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> وله ولعائلته مكانة كبيرة في العراق بل عند الحجاج بن يوسف نفسه، إذ قاد ابن الأشعث الجيوش للحجاج ومع أنه سبق له الفرار مراراً<sup>(٤)</sup> إلا أن الحجاج آمنة وكتب له عهداً على سجستان<sup>(٥)</sup> وأمدده بأفضل

(١) شرح ديوان الفرزدق ٩١/١.

(٢) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١٠٣.

(٣) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٦٥/٢.

(٤) انظر: ابن حبيب: المحيى ص ٤٥. والطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٣٨/٧.

(٥) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٤٢/٧.

جيش حين أرسله لحرب الترك حتى سمي ذلك الجيش جيش الطواويس لفخامته واكتمال عتاده<sup>(١)</sup>. ولشرف أسرته زوج الحاجاج ابنه محمد (ت ٩١ هـ) بأخت ابن الأشعث<sup>(٢)</sup>. ومع ذلك وقف له الشعراة بالمرصاد وأولهم الفرزدق، فالفرزدق لشدة نقمته على أعداء الحاجاج يخرج ابن الأشعث من حظيرة الإسلام إذ قال<sup>(٣)</sup>:

وَلَوْاَنَهُمْ إِذْ نَاقَوْا كَانَ مِنْهُمْ يَهُودِيُّهُمْ كَانُوا بِذَلِكَ آعْذَرَا

فهو يهودي وجماعته وجنده منافقون، وفي قتله شفاء للمؤمنين<sup>(٤)</sup>:

يُسَارِدُكَ الْخَيْلَ الَّتِي مِنْ أَمَامِهِ  
لِيَشْفِيَ مِنْكَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُثَأْرِ  
وَمَعْصِيَّةً كَانَتْ مِنَ الْقَتْلِ أَكْبَرًا  
مَحَارِمَ لِلإِسْلَامِ كُنْتَ اَنْتَ هَذَا

فما فعله من الخروج عن الطاعة هو معصية أعظم من القتل في نظر الشاعر يريد بذلك أن الحاجاج محق في حربه، وبالإضافة لمعصيته الكبرى في الخروج على الجماعة هو يرتكب كبائر أخرى<sup>(٥)</sup>:

خَلَيْعٌ إِذَا مَا -- لَمْ يَقُمْ لَهُ

جَرَى الْخَمْرُ فِي أَعْفَاجِهِ ثُمَّ قَرُقْرَا

فهو خليع شارب للخمر، ولم يكتف الشاعر بإخراجه من حظيرة الإسلام إذ أخرجه من أصله العربي الذي ينتهي إليه، فجعله مول إذ لقبه بسيخت وابن سيخت فقال<sup>(٦)</sup>:

وَلَمَّا رَأَى اللَّهُ الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ  
وَقَارَعْتُمْ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَهْلَهُ

وَأَنَّ ابْنَ سَيْبُختَ اعْتَدَى وَتَجَبَّرَا<sup>(٧)</sup>  
بِيَاطِلِ سَيْبُختُ الظَّالِلِ وَذَكْرَا

ثم أخرجه من علية القوم إذ جعله عاملًا حرفيا، واختار له الحياكة لأن قبائل اليمن

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٨/٥.

(٢) انظر: ابن قتيبة: أبا محمد عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء (القاهرة، مصطفى البابى الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٧٩م) ٢٦٢.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ١/٢٠١.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ١/٢٠٠.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ١/٢٠٢.

(٦) شرح ديوان الفرزدق ١/٢٩٥.

كانت توصم بهذا الأمر، فقال يعير جيشه بسوء اختيارهم قائلهم<sup>(١)</sup>:  
يَسْوَقُونَ حَوَّاًكَأَلِيسْفَتْحُوا بِهِ  
عَلَى أُولَيَاءِ اللَّهِ فِيمَنْ تَخِيرًا

فهم يأملون النصر بهذا الحواك على من اختاره الله من أوليائه، وكأنما الشاعر يقول:

“بعد ذلك عليهم”， ثم عاد مرة أخرى ليغيره بالحياة ويفصل فيها فقال<sup>(٢)</sup>:  
وَكَنَّمَا اقْتَادُوا بِحَوَّا كَقَرَيَةٍ  
لَئِمِّ كَهَامٍ أَنْفُهُ قَدْ تَقْشَرَّا  
مُحَرَّقَةٌ لِلْغَزْلِ أَظْفَارُ كَفَّهُ  
لِتَدْقِيقِهِ ذَا الطَّرَرِتِينَ الْمُجَبَّرَا

فقد تحرقت أظفاره من الحياة لامن مقارعة الأبطال واستخدام عدة القتال.  
فالفرزدق يسم ابن الأشعث بأقبح الصفات، ويفصل في ذلك، فكأنما هو بذلك يشفى  
غليل الحاجاج من عدو تربص به حتى كاد ينحيه عن إمارته.  
وكذلك هجا ابن الأشعث رجل من أقرب المقربين إليه . وهو أعشى همدان فقال  
ضاجأ من ابن الأشعث<sup>(٣)</sup>:

لَقَدْ شَأْمَ الْمَصْرِينَ فَرْخُ مُحَمَّدٍ  
بِحَقِّ وَمَا لَاقَيْ مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَ  
كَمَا شَأْمَ اللَّهُ النَّجَّارَ وَاهَأَهُ

المصران يقصد بهما الكوفة والبصرة، ومصدر شؤمهمما الآن ليس الحاجاج وإنما ابن  
الأشعث الذي ثار بهما، ولم يقل ابن محمد بل عمد إلى تحقيره ليرضي الحاجاج فجعله  
”فرخ محمد“، ثم نبه إلى أنه وعائلته كلهم مشتؤمون من أيام حادثة النجير<sup>(٤)</sup> التي كان  
بطلها جده الأشعث بن قيس.

وقد سخر الشعراء أيضاً من رؤوس أصحاب ابن الأشعث ممن قتل في تلك المعارك  
فقال الفرزدق<sup>(٥)</sup>:

(١) شرح ديوان الفرزدق ٢٩٦/١.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٢٠٢/١.

(٣) ديوان أعشى همدان وأخباره. ص ١٠٤.

(٤) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک. ٢٧٥. ٢٧٤/٣.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ٢٩٧/١.

عَلَيْهَا وَارُوا الزَّاعِبِيُّ الْمُؤْمَنَ رَا  
وَمَحْرُوشَ هُمْ مَأْمُونَةً فَتَقَطَّ رَا

سَقَى قَائِدَاهَا السَّمَّ حَتَّى تَخَالَلَا  
سَقَى ابْنَ رَزَامٍ طَعْنَةً فَوَرَّتْ بِهِ

فابن رزام يقصد به الشاعر هنا عبد الله بن رزام (ت ٨٢ هـ) كان على مجنبة ابن الأشعث في دير الجمامج ومحروشم يريد ابن حريش بن هلال (ت ٨٢ هـ)<sup>(١)</sup>. وإنما في السخرية لم يكتف بالإخبار عن موتهمما بل وصف طريقة موتهمما فالأخير مات مطعوناً والثاني مشجوباً.

وقد سخر الشعراء أيضًا من رؤوس أصحاب ابن الأشعث الذين فروا من ميدان المعركة، فالفرزدق في رايته التي مدح فيها الحاج لانتصاره على ابن الأشعث عدد تسعة من فرمان رؤوس أصحاب ابن الأشعث وألحق بكل واحد منهم ما يستحقه من

صفات، منهم على سبيل المثال<sup>(٢)</sup>:

لَهُ الْخَيْلُ مِنْ أَحْرَاجِ زُوْجِيِّهِ مَعْشَرًا  
عَطِيلَةُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَمْهَرًا  
خَفِيفًا إِذَا لَاقَيَ الْأَوَادِيَّ أَبْتَرًا<sup>(٣)</sup>

وَأَفْلَتَ رَوَاضُ الْبِغَالِ وَلَمْ تَدْعَ  
وَأَفْلَتَ دَجَالُ النِّفَاقِ وَمَانَجَا  
مِنَ الضِّفَدَعِ الْجَارِيِّ عَلَى كُلِّ لِجَّةٍ

فهو يذكر جماعة من قواد ابن الأشعث ممن هرب من المعركة من أمثال عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة وهو من لقب في الشعر بـ ”رواض البغال“، وعبد الرحمن بن سمرة وهو من أشار إليه الشاعر بـ ”دجال النفاق“، وعطيية بن عمرو العنبرى الذي نعته الشاعر بأنه أمهراً من الضفادع في السباحة سخريه منه واحتقاراً للشأنه<sup>(٤)</sup>، فالأخير كان على خيل ابن الأشعث والأخير كان على مقدمته<sup>(٥)</sup>. ومن الواضح أن الحاج قد نقم على جيش ابن الأشعث ولم يكتف فيهم بالحرب الفعلية بل سلط عليهم الحرب النفسية

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ١٧.١٣.١٢/٨.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٢٩٧/١.

(٣) الأودي: جمع آodi وهو موج البحر.

(٤) انظر: شرح ديوان الفرزدق ٢٩٧/١.

(٥) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ١٧/٨.

حيث طلب من الفرزدق المعروف بحدة لسانه هجاء عبد الرحمن بن عباس فأفحش عليه<sup>(١)</sup>، وطلب من حميد الأرقط أن يكرر أبياته في ابن سمرة يتلذذ بذلك<sup>(٢)</sup> لأنما لم يكتف بهجاء شاعر واحد فيه فقط. وسار مع رغبة الحجاج تلك في هجاء عبد الرحمن بن عباس والانتقاد منه شاعر من أصحاب ابن الأشعث وهو أعشى همدان<sup>(٣)</sup>.

في خضم المعارك القوية التي خاضها الحجاج مع ابن الأشعث لم يغب عن الشعرا وصف مسيرة المعركة، وهو الامتحان الحقيقي لقوة الجيش وحسن تحطيط القادة وشجاعة الفرسان، وللتمثيل على وصف المعارك يضرب المثال بقصيدتين أولاهما لشاعر لم يخض المعركة، وهو من أنصار الحجاج وهو العجاج إذ قال<sup>(٤)</sup>:

فَمَا قَضَى أَمْرًا وَلَا حَارَأَ  
مَازَالَ يَدُونُ مِنْهُمْ أَشْبَارًا  
وَلَا عَتَّ زَامَ رَأَيَ — هِيَ أَزْرَارًا  
حَتَّى إِذَا صَفَوا لَهُ جِدَارًا  
حِيثُ تُودِي الْقُرْعَةُ الْقِمَارًا  
صَوَاعِقًا يَدْمَعُونَ وَأَنْتَهُ — أَرَارًا

فِي الْحَرَبِ إِلَارَبَهُ اسْتَخَارَأَ  
حَتَّى رَأَوَ الْلَوْنَ — هِيَ أَنْهَارًا  
لَا مُضْمَحَلَاتٍ وَلَا قِطَارًا  
وَكَانَ مَائِيَّ نَهْمُطَ — وَأَرَارًا  
وَأَبْصَرُوا مِنْ رُعْيِهِ إِبْطَارًا  
مِنْ ذِي حِفَاظٍ يَمْنَعُ الْذِمَارًا

### أُورَدَ حَدَّاً تَسْبِقُ الْأَبْصَارَا

فالحجاج في البداية يستخير الله، ثم يلبس هو وجنوده جلود النمور كي يخفوا عن الأبصار أو يموهوا عليها، ثم يسير بجرأة إلى جيش العدو حتى يروا نقط جلد النمر التي يلبسونها لقربهم منهم، ويشعرون بأنه عازم على مقاتلتهم عزماً ثابتاً. ثم يصف أمام جيش ابن الأشعث بكل جرأة مقابل له تماماً كالطوار، ثم يقتربون على من غالب فله النصر، حينذاك ظهر من غضب الحجاج ما أربعهم وأذهب عقولهم، وبدأت المعركة بإرسال السهام العطاش.

(١) انظر: الجاحظ: كتاب البغال (ضمن رسائل الجاحظ) ٢٦٦/٢.

(٢) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ١٧/٨.

(٣) انظر: ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١٠٢.

(٤) ديوان العجاج ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

والشاعر الثاني أعشى همدان وصف المعركة وقد حضرها فعلاً وكان أحد العوامل الفعالة فيها، وكانت عواطفه مع ابن الأشعث إلا أن يأسه من النصر دفعه لمدح الحجاج، فقال واصفاً سير المعركة التي سبق أن خاضها وهو في صفوف ابن الأشعث<sup>(١)</sup>:

وَابْرَقَ مِنَا الْعَارَضَانِ وَأَرَءَانِ  
قَطَعْنَا وَفَضَيْنَا إِلَى الْمَوْتِ مُرْصِدًا  
كِفَاحًا وَلَمْ يُضْرِبْ لِذِلِكَ مَوْعِدًا  
إِذَا مَا تَجَلَّى بِيَضْهُ وَتَوَقَّدَا  
جِبَالُ شَرَوْرَى لَوْتَعَانُ فَتَنَهَانِ  
عَلَيْنَا فَوْلَ جَمَعْنَا وَتَبَرَّدَا  
نُشِبَّهُهَا قِطْعَامِنَ الْلَّيلِ أَسْوَادًا  
أَلْرِيمَا لَا لَاقَ الْجَبَانُ فَجَرَّدَا  
بِفُرْسَاتِهَا وَالسَّمْهَرِيُّ مُقَصَّدًا

۱- وَلَمَّا زَحَفْنَا لِابْنِ يُوسُفَ غَدْوَةَ  
۲- قَطَعْنَا إِلَيْهِ الْخَنْدَقَيْنَ وَانْمَاءَ  
۳- فَكَافَحْنَا الْحَجَاجَ دُونَ صُفُوفِنَا  
۴- بِصَفَّ كَانَ الْبَرْقَ فِي حَجَرَاتِهِ  
۵- دَفَنْنَا إِلَيْهِ فِي صُفُوفِ كَانَهَا  
۶- فَمَا لَيَثَ الْحَجَاجُ أَنْ سَلَ سَيْفَهُ  
۷- وَلَآنَ ابْنَ عَبَاسِ لَفِي مُرْجَحَنَةِ  
۸- فَمَا شَرَعَوْرُمْحَا وَلَا جَرَدُوا يَدَا  
۹- وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلَ سُفِيَانَ كَرَّةً

فهو يركز على ضخامة جيش ابن الأشعث الذي يعرفه جيداً لأنه أحد جنود ذلك الجيش، وهو يشبهه في ضخامته مرة بالسحاب الكثيف، ومرة بجبال شروري، ويبين مدى غضبهم من الحجاج وحرصهم وإقدامهم على قتاله قبل أن يلقوه ولكن بمجرد أن لقوه ومعه صفوفه المتراسة المكتملة العدة تبدد جمعهم، وخارت قواهم، ولم ينفعهم قواهم من أمثال "ابن عباس" بينما كان في فرسان الحجاج من أمثال "سفيان" الغناء كل الغناء، وجميل هنا إتيانه بـ"ابن عباس"، وـ"سفيان" متقابلين إذ الأول على خيل ابن الأشعث والثاني على خيل الحجاج، وجميل أيضاً البيتان الرابع والخامس حيث في البيت الخامس بينَ ضخامة جيش ابن الأشعث مما يوحى بالمدح، ثم عاد ليقلب هذا المدح إلى هجاء شديد حين صور هذه الجموع تفرهارية بمجرد أن سل الحجاج سيفه، وهذه مبالغة تدل على حرص الشاعر على مدح الحجاج وإظهار قوته.

أما ما يفعله بأعدائه من جنود ابن الأشعث داخل ميدان المعركة فقد صوره "العجاج"

(١) ديوان أعشى همدان وأخباره ١٠٢-١٠٣.

برجزه القوي<sup>(١)</sup>:

يَالْمَشْرَفِيَاتِ وَطَعْنَا وَخُضَا<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى اشْفَرُوا خَرَزًا مُرْفَظَا<sup>(٣)</sup>  
يَجْزِيهُمْ بِكُلِّ قَرْضٍ قَرْضاً<sup>(٤)</sup>  
حَتَّى تَقَضَّ الْقَدْرُ الْمُقْضَى  
صَفْعًا إِذَا صَابَ الرُّؤُوسَ رَضَا<sup>(٥)</sup>

غَدَاءَ يَسْقِيهِمْ صَبُوحًا مِظًا  
يَقْضِي إِلَى عَاصِي الْعُرُوقِ النَّحْضَا<sup>(٦)</sup>  
مُلْحَبًا أَوْ سَابِقِينَ جَرْضاً  
وَتَارَةً يَسْلَفُونَ فَرْضاً  
ضَرْبًا هَذَا ذِيَكَ وَطَعْنَا وَخُضَا

### أعلى الطِّرَاقِينَ وَطَعْنَا مِظًا

فالحجاج في نظر الشاعر قوي الحيلة قادر على الانتقام من خصمه في خضم المعركة وكلا الفريقين معه كامل عدته وسلاحه، فالحجاج يتصرف في خصميه ظاهر عليه، يطعن فيه كييفما يشاء طعنات واسعة غير نافذة وطعنات نافذة إلى العروق وبهذه فيهم هذا مع رجم الرؤوس وحرارة جراحات السيف، وللمبالغة في السخرية من ابن الأشعث سوغ الشاعر لهذا الضرب في جيش ابن الأشعث، إذ هو قضاء لدين سابق وهو سوء أعمال ابن الأشعث وجيشه، والحجاج لكرمه وقوته زاد على القرض بعد تسديده هبة من الضرائب.

والمبالغة في السخرية من جنود ابن الأشعث عرج الشعرا للحديث عن أسباب خروجهم على الحجاج، وجاءوا بهذه الأساليب بأساليب تبعث على السخرية من أعداء الحجاج، فالحقد قد يكون هو السبب كما قال العجاج<sup>(٧)</sup>:

وَقَدْ عِلِّمْنَا مَعْشَرًا أَغْمَارًا فَقَمَّا أَكْبَادَهُمُ الْمَرَارًا

أما جرير فجاء بسبب يعد مدحًا للحجاج إذ قال<sup>(٨)</sup>:

وَقَالُوا لَنْ يُجَامِعُنَا أَمِيرٌ أَقَامَ الْحَدَّ وَاتَّبَعَ الْكِتَابَ

(١) ديوان العجاج ص ١٣٢ - ١٣١.

(٢) المص: الحاد. وخص: يجوف ولا ينفذ.

(٣) عاصي العروق: أي الذي لا يرقأ: النحض: اللحم. اشفتروا: تفرقوا. مرفضا: متفرق.

(٤) ملحب: مضروب بالسيف. الجرض: ابتلاء الريق من الكلب.

(٥) هذاديك: قطعاً بعد قطع.

(٦) ديوان العجاج ص ٣٦٦.

(٧) ديوان جرير ٢٤٤ / ١.

فلا عيب في الحجاج عند أعدائه إلا تقواه، أما أغنى همدان فقال<sup>(١)</sup> :

نَرَوا يَشْتُكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبُغَاةِ وَأَعْدَادُهُمْ يَرْمُونَ أَمْرَاءَهُمْ بِعَلْتَهُمْ - وهي "البغى" - والأمراء منها براء، والطريف هنا وصف أغنى همدان لجند ابن الأشعث بالبغى والعناد وهو معدود واحداً منهم.

إن أشهر شعراء العصر الأموي تحدثوا عن حرب الحجاج مع ابن الأشعث وأطلقوا الحديث عنها، ولم لا وهي أيام كثيرة متواتلة. كان للحجاج مع ابن الأشعث في أحدها وهو "دير الجمامج" ثمانين وقعة كلها لابن الأشعث إلا آخرها كانت للحجاج<sup>(٢)</sup>. وقس على ذلك بقية الأيام وعظمتها. بل بلغت قوته ابن الأشعث أن وصل الكوفة واستول على بيت المال<sup>(٣)</sup>. لذلك كانت هذه الحرب أخطر أيام الحجاج وأشدتها وقعها في نفسه. بل لقد أهمت هذه الحرب عبد الملك بن مروان نفسه وهو في دمشق فجفاه النوم<sup>(٤)</sup>. كما إنه عرض على الثوار خلع الحجاج عن ولايته على العراق مقابل إنهاء الحرب<sup>(٥)</sup> مما ضاعف من هم الحجاج وأثار حنقه على هؤلاء الثوار؛ لذلك استحق وقفة طويلة من الشعراء وتهنئة عظيمة لانتصاره وشماتة واسعة بأعدائه.

### تصدي الحجاج للخوارج:

ومن الأيام التي ذكرها الشعراء أيام الحجاج مع الخوارج الذين أثقلوا كاهل الدولة الأموية طويلاً، وشغلوها عن الفتوح والإصلاحات الداخلية. وكان خروجهم في نطاق سلطان الحجاج بن يوسف مما جعله المسؤول عن حربهم أمام الخلافة الأموية التي حرص الحجاج على كسب رضاها.

لقد شمر الحجاج لحرب الخوارج منذ أول يوم تولى فيه إمارة العراقيين، إذ أخذ على عاتقه إعادة الجنود الفارين من جيش المهلب، وقد عانى هؤلاء الجنود الأمراء من قتال الخوارج، لذا علم الحجاج أنهם لن يعودوا إلى مواقعهم بالحسنى، فمضى يتهدد ويتوعد

(١) ديوان أغنى همدان وأخباره ص ١٠٣.

(٢) انظر: خليفة بن خياط. تاريخ خليفة بن خياط ٢٨٠ / ٢.

(٣) انظر: ابن أثيم: الفتوح ٩٩ / ٧.

(٤) انظر: ابن أثيم: الفتوح ٩٤ / ٧.

(٥) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ١٥ / ٨.

بل قدم دليلاً عملياً بين يدي توعده بقتله في الكوفة عمير بن ضابيء (ت ٧٥ هـ) لتخافه عن الخروج، ثم قتله في البصرة رجلاً منبني يشكر وكلاهما كان له عذر في عدم الخروج<sup>(١)</sup> مما جعل الناس يتراحمون في الخروج لحرب الخوارج. وقد وصف عبد الله بن الزبير الأسي (ت نحو ٧٥ هـ) حالة الرعب التي أصابت الناس وجعلتهم يسابقون للخروج ويتمثلون للطاعة<sup>(٢)</sup>:

أَرَى الْأَمْرَاءِ مُسَسَّاً مُنْصِبَاً مُتَشَعِّبَا سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهِبَاً يَدَ الظَّهْرِ حَتَّى يَتَرُكَ الطِّفْلَ أُشْيَى	أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا قَيْتُهُ تَجَهَّزُ وَأَسْرَعُ وَالْحَقَّ الْجَيْشَ لَا أَرَى فَمَا إِنْ أَرَى الْحِجَاجَ يَغْمِدُ سَيْفَهُ
--	--

فهو يصور سياسة الحجاج الحازمة في التعامل مع المتخاذلين، وموقف الناس منه. فقد أمرت تلك السياسة طاعة تامة للحجاج، بل يأمر بعضهم بعضاً بالإسراع للخروج. وطريف قول الشاعر في البيت الثاني حيث جعل الجيش الذي هو عادة مصدر للهلاك جعله مصدراً للنجاة من الحجاج.

وقد مدح الحجاج بالقضاء على رؤوس الخوارج في وقته، وأولهم شبيب بن يزيد (ت ٧٧ هـ) الذي خرج على الحجاج في أصل إمارته في العراق، ووجه له الحجاج الجيش تلو الجيش، فهزمه شبيب حتى أن العجاج خرج بنفسه لقتاله<sup>(٣)</sup>. بل وصلت خطورة شبيب إلى اقتحامه الكوفة ليلاً وحصاره قصر الحجاج، والحجاج بداخلة<sup>(٤)</sup> مما جعل الأخطل (ت ٩٠ هـ) في مدحه اليتيمة للحجاج يمدحه بقضائه على شبيب<sup>(٥)</sup>:

إِشَبِيبَ غَائِلَةَ النُّفُوسِ غَدُورُ فُرُطُ الْمِنَى يَحْصُبُ وَحْجُورُ وَلَهُ لِوَقْعَةٌ آخَرَينَ زَئِرُ	طَالِبَ الْأَزَارِقَ بِالْكَتَابِ إِذْهَوْتُ يَرْجُو الْبَقِيَّةَ بَعْدَ مَا حَدَّقْتُ بِهِ فَآبَادَ جَمْعَهُ مُحَمِّداً وَانْثَنَى
---	---

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٤/٧.

(٢) شعر عبد الله بن الزبير ص ٤٥٥.

(٣) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٥١/٧.

(٤) انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ٢٧٤/٢.

(٥) شعر الأخطل ص ٤٠٨.

(٦) يحصب وحجور: من قبائل اليمن.

ولطيف هنا قوله "حميداً، فهو قد أباد جموعهم محموداً في تلك الإبادة لا متجنبًا فيها ولا حاقداً.

وكلذك مدح الحجاج بالقضاء على الأزارقة وقادتهم قطري بن الفجاءة (ت ٧٨ هـ)

فقال العديل بن الفرج (ت نحو ١٠٠ هـ):<sup>(١)</sup>

مَنَاكِبُهَا لِلْوَطَءِ وَهُنَى ذَلَّولُ  
بِمَنْزِلِ مَوْهُونِ الْجَنَاحِ ثَكُّولُ  
كَتَابُ مِنْ رَجَالَةِ وَخِيولُ  
وَمِنْ قَطَرِيِّ بَلْتَ ذَاكَ وَحَوْلَهُ

فهو قد قضى على الخوارج "مراك العراق"، وقتل منهم رؤوسهم أمثال: ابني عباد وزعيمهم "قطري" ولم تنفعه الكتاib من حوله أمام قوة جيوش الحجاج.

والباحث يتوقع أن يجد شعراً أكثر حول حرب الحجاج مع الخوارج وخاصة شيئاً وصبه، ولكن الشعراe لم يتحدثوا عن حربه مع الخوارج مثلما تحدثوا عن حربه مع ابن الأشعث، ربما لأن حربه مع ابن الأشعث كانت حرباً مصرية هددت في إحدى مراحلها بالإطاحة بالحجاج والخلافة الأموية من ورائه، أما حروب الخوارج فهي . وإن ضايفت الأمويين. لم تصل إلى هذا الحد. ومن ناحية أخرى كان تمرد ابن الأشعث تمرداً شعرياً شارك فيه جماهير غفيرة من العراقيين، في حين ظل الخوارج محصورين في طوائف محدودة يمقت الناس مذهبهم بينما شارك في ثورة ابن الأشعث الصالحون من القراء والفقهاء.

القضاء على ابن الزبير:

ومن الأيام الخطيرة التي خاضها الحجاج بن يوسف حصاره مكة والقضاء على عبد الله ابن الزبير (ت ٧٢ هـ). وهذه الحرب يحوطها ما يحوطها من خرق لقدسية مكة المكرمة، وحرب في الحرم الشريف وقتل ابن حواري رسول الله ابن ذات النطاقين ومع ذلك ففي نظر ماحيي الحجاج من الشعراe أن الحجاج مصيبة في حربه لابن الزبير، فالفرزدق يعد تلك الحرب جهاداً<sup>(٢)</sup>:

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٣٦٣/٢٢

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٢٥/١

عَلَى قَفَّا مُحْرِمٍ فِي السُّوقِ مَصْطُوبٍ  
جِهَادُهُمْ بِضِرَابٍ غَيْرَ تَذَبِيبٍ

لَا يَغْمِدُ السَّيفَ إِلَّا مَا يُجَرِّدُهُ  
مُجَاهِ دِلْعَدَةِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ سَبِّ

وهو يحاول أن يجد العذر الشرعي لتلك الحرب حين قال<sup>(١)</sup>:

وَصَاحِبُ اللَّهِ فِيهَا غَيْرُ مَغْلُوبٍ  
كَذَابُ مَكَّةَ مِنْ مَكْرٍ وَتَخْرِيبٍ  
مِنْهَا صُورٌ وَفَازُوا بِالْعَرَاقِيبِ

فَالْأَرْضُ لِلَّهِ وَلَا هَا خَلِيفَةٌ  
بَعْدَ الْفَسَادِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَامَ بِهِ  
رَأَمُوا الْخِلَافَةَ عَنْ غَدْرِ فَأَخْطَاهُمْ

فالله قدر الخليفة لعبد الملك فلم يعارض ابن الزبير؟ ونعت ابن الزبير بـكذاب مكة  
فادعاهاته بأحقية الخليفة كلها كاذبة، ولذلك فازوا بالعراقيب فحسب.  
ومدح عبد الله بن الزبير الأستاذ الحاج اقاضي على ابن الزبير فقال<sup>(٢)</sup>:

وَفِيهِ سِنَانٌ رَاعِبٌ مُحَارِبٌ<sup>(٣)</sup>  
يُهِوَّمَنْ آسَاهُ عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ  
طَوَيْلٌ مِنَ الْأَجْذَاعِ عَارِمُ شَذَّبٍ  
قُرَيْشٌ وَذُو الْمَجْدِ التَّلِيدُ مُعَتَبٌ

كَأَنِّي بِعَبْدِ اللَّهِ يَرْكِبُ رَدْعَةً  
وَقَدْ فَرَّ عَنْهُ الْمُلْحِدُونَ وَحَاقَتْ  
تَوْلَى فَخَلَّوْهُ فَشَالَ بِشَلُوهٍ  
بِكَفَّيْ غُلَامٍ مِنْ ثَقِيفٍ نَمَتْ بِهِ

فجعل أصحابه ملحدين لحقت بهم المصائب أما ابن الزبير فكانت نهايته الصلب بيد  
غلام من ثقيف علت به قريش، يقصد الحاجاج.  
حروب أخرى:

ومن أيام الحاجاج التي ذكرت في الشعر "يوم عمان"<sup>(٤)</sup> وحربه مع داهر ملك الدليل<sup>(٥)</sup>  
ووراءهما أيام كثيرة خاضها الحاجاج وخرج منها منتصراً لم ترد في الشعر، أو وردت دون

(١) شرح ديوان الفرزدق ٢٥/١.

(٢) شعر عبد الله بن الزبير ص ٥٢.

(٣) يركب ردعه: أي قتل. محرب: محدد.

(٤) انظر: ديوان جرير ٤٠٤-٤٠٥.

(٥) انظر: ديوان جرير ٤٠٧-٤٠٨.

أن يُنَص لها على اسم، فهناك وصف لمعارك خاضها الحجاج دون أن تحمل أي إشارة تدل على اسم المعركة أو تاريخها أو من هو الخصم فيها مثل قول الفرزدق<sup>(١)</sup>:

تَرَى طَيْرَهُ قَبْلَ الْوَقِيعَةِ وَقَعَا  
وَكُلُّ حُسَامٍ غَمْدُهُ قَدْ تَسْعَ سَعَا<sup>(٢)</sup>  
جُمُوعًا إِلَى الْقَتْالِ مَعَافًا وَمَشْبِعًا<sup>(٣)</sup>  
مَكَانَ الصَّدَى مِنْ رَأْسٍ عَاصِي تَجْعُجَعًا<sup>(٤)</sup>  
جَمَاجِمَ مَنْ عَادَى الْإِمَامَ وَشَيْعَاهُ  
إِلَى الغَيِّيْرِ إِبْلِيسُ النِّفَاقِ وَأَوْضَاهَا

وَيَوْمٌ تَرَى جَوْزَاؤُهُ مِنْ طَلَامِهِ  
لِيَنْظُرُنَّ مَا تَهْضِي الْأَسِنَةُ بَيْنَهُمْ  
جَعَلَتْ لِعَافِيهَا بِكُلِّ كَرِبَهَةٍ  
إِهْنَدِيَّةٍ بِيَضِّ إِذَا مَا تَنَاوَلَتْ  
وَقَدْ كُنْتَ ضَرَابًا بِهَا يَا ابْنَ يُوسُفَ  
جَمَاجِمَ قَوْمٌ نَاكِثِينَ جَرَى بِهِمْ

وهذه المعركة وإن لم تستدل على اسمها تتمشى مع أسلوب الحجاج الذي يحرض على النصر دائمًا ويحارب أعداء الدولة الأموية بإخلاص منقطع النظير، فعدو الخليفة الأموي هو عدوه دون داع لذكر أسماء.

#### سلاح الحجاج وعتاده:

الحجاج خاص كثيراً من الحروب، اختلفت في مسمياتها وأماكنها وأزمانها وأسبابها والخصوم فيها، واتفاقت جميعها في أمور أخرى، فهي كل تلك الأيام كان الحجاج كقائد عسكري ناجح يعني بالعتاد والسلاح ويستعد للمعركة قبل أن تبدأ، كما قالت

ليلي الأخيلية<sup>(٥)</sup>:

أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النَّزْولِ قِرَاهَا  
بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلِبُونَ صَرَاهَا

إِذَا سَمِعَ الْحَجَاجُ رَزَّ كَتَبَيَّةٍ  
أَعَدَّ لَهَا مَصْفُولَةً فَارِسَيَّةً

والحجاج أعجب كثيراً بهذا الشعر وبين لأصحابه أنه يدل على صفتته فعلاً فقال: "والله

(١) شرح ديوان الفرزدق ٤٩٧/٢.

(٢) تسعين: أخلاق.

(٣) معاف: أي تشبع منه فتعافه.

(٤) تجتمع: أي أثخنه الضرب.

(٥) ديوان ليلي الأخيلية ص ١٢١.

ما أطاب صفتني شاعر مذ دخلت العراق غيرها". ثم قال: "والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبداً<sup>(١)</sup>، فهو يستعد للأمر ويحسب له ألف حساب حتى لو كان بعيد الوقوع والاحتمال. وأهم ما يستعد به العربي للحرب هو السيف، وقد جعلته ليلي الأخيلية في تصويرها اللطيف كـ"القرى" الذي يقدم للأضياف، وزادت معنى جميلاً على البيت، فالعدة الحربية لا تكتمل فائدتها بابل لا تعطي نتائجها إلا إذا أحسن استخدامها. وسيوف الحجاج هي من أجود السيف يستخدمها أفضل الرجال.

وتحدث الشعراء كثيراً عن سيف الحجاج الذي يشهره في وجوه معارضية فينشر  
الرعب في قلوبهم قال جرير<sup>(٢)</sup>:

لَقَدْ جَرَّدَ الْحَجَاجُ بِالْحَقِّ سِيفَهُ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلَنَّ مَائِلٌ

وكموله عبد الله بن الزبير الأسد<sup>(٣)</sup>:

فَمَا إِنْ أَرَى الْحَجَاجَ يَغْمِدُ سِيفَهُ بَدَ الدَّهْرِ حَتَّى يَتَرُكَ الطِّفْلَ أَشْبِيَا

وقول أعشى همدان<sup>(٤)</sup>:

فَمَا لَبِثَ الْحَجَاجُ أَنْ سَلَّ سِيفَهُ عَلَيْنَا فَوَلَى جَمْعُنَا وَتَبَدَّدَا

وغيرها كثير. وقد يكون مصدر ذلك هو الحجاج نفسه الذي تحدث كثيراً عن سيفه كقوله في أول خطبة خطبها في الكوفة أول دخوله العراق: "ألا إنني سرت البارحة فسقط مني سوطني، فاتخذت هذا. وأشار إليهم بسيفه. مكانه. والله لأجرنه فيكم جر المرأة ذيلها". وما نزل من منبره إلا والقلوب يملؤها الرعب من هول الخطبة حتى سأل وجوده أهل البصرة: "ما كانت الولاية تفعل بالعصاة". فقالوا: كانت تضرب وتحبس: فقال الحجاج: ولكن ليس لهم عندي إلا السيف، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذنا سيفكما عصيا"<sup>(٥)</sup>. وحتى قال الشعبي (ت ١٠٣هـ): "إن درة عمر

(١) انظر: أبي علي القالي: الأمالي ٨٧٧/١.

(٢) ديوان جرير ٤٢٠/١.

(٣) شعر عبد الله بن الزبير ص ٥٥.

(٤) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١٠٢.

(٥) انظر: البسوبي، أبي يوسف يعقوب بن سفيان: المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٢٠١٤هـ). ٤٨١/٢ (١٩٨١م).

أهيب من سيف الحاجاج<sup>(١)</sup>. ف مجرد جعل الموازنة بسيف الحاجاج دون سواه دليل على شهرة سيف الحاجاج وإرعايه.

ومما لفت أنظار الشعراء من عتاد الحاجاج الحربي "الخيل" فنظموا في وصفه الأبيات.

قال الأخطل في وصف خيل الحاجاج<sup>(٢)</sup>:

اللهِ مُنْتَصِبُ الْفَوَادِ، شَكُورُ  
وَالْحَرْبُ لِقِحَّةُ لَهْنَ زَجُورُ<sup>(٣)</sup>  
مِنْ طُولِ مَا جَسْمَ الْغَوَارِ، عَقِيرُ<sup>(٤)</sup>  
مِنْهَا الْبُطُونُ وَفِي الْفَحْولِ جُفُورُ<sup>(٥)</sup>  
جُرْدٌ صَلَادِمُ قُرَحٌ وَذُكُورُ<sup>(٦)</sup>

وَالْخَيْلُ يَتَعَبُهَا عَلَيْهَا  
خُوْصًا، أَضَرَّهَا ابْنُ يُوسُفَ فَانْطَوَتْ  
وَتَرَى الْمُذَكَّيْ فِي الْقِيَادِ كَانَهُ  
وَحَوْلَنَ مِنْ خَلْجِ الْأَعْنَةِ فَانْطَوَتْ  
قَطَاعَ الْغُرَازَةِ عِجَافَهُنَّ وَاصْبَحَتْ

فهو دائم الحرب، ومطيته الخيل الأصيلة التي أتعبها الحاجاج وأضر بها من كثرة ما خاض بها من المعارك، وكانت هذه المعارك هي الاختبار الحقيقي لخيال الحاجاج، فما كان ضعيفاً منها نفق، وبقي القوي يتنتظر يوماً جديداً.

وكذلك وصف جرير خيل الحاجاج<sup>(٧)</sup>، ووصف أيضاً السفن الحربية التي استخدمها

الحجاج، فقال<sup>(٨)</sup>:

وَفِي الْيَمِّ يَأْتِمُ السَّفَيْنِ الْجَوَافِلُ<sup>(٩)</sup>  
ثَمَانِينَ أَفَّالَ إِلَيْهَا الْمَنَازِلُ<sup>(١٠)</sup>  
إِذَا اهْتَزَّ جِدْعُ مِنْ سُمِيَّةَ ذَابِلُ<sup>(١١)</sup>

سَأَكْتَلَ أَهْلَلِ الْبَرَبَرَا فَنِلَّتْهُمْ  
تَرَى كُلَّ مِرْزَابٍ يُضْمَنْ بِهِوَهَا  
جَفُولٌ تَرَى الْمِسْمَارَ فِيهَا كَانَهُ

(١) المبرد: الكامل ١١٢٠ / ٢.

(٢) ديوان الأخطل: ص ٥٤٠ - ٥٤٦.

(٣) الخوص: الفائرة الأعين من التعب. زجور: الناقفة التي تعرف بعيتها وتتنكر بأنفها.

(٤) المذكي: الجواد الكامل النامر في سنته وقوته. الغوار: الغارة.

(٥) جفوري: ذهب النشاط.

(٦) قطاع: أهلك. عجافهن: مهازيلهن. الجرد: الخيول خفيفة الشعر.

(٧) انظر: ديوان جرير ٤٠٤ / ٤٠٥.

(٨) ديوان جرير ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٩) الجوافل: المسربعة.

(١٠) المرزاب: السفينة الضخمة.

(١١) المسمار: الصاري. سميحه: بئر بالمدينة.

يَأْمِرُ اسِهَا حَتَّى تَثُوبَ الْقَنَابِلُ<sup>(١)</sup>  
أَجْلَتُهَا وَالْكِيدُ مِنْهُنَّ كَامِلُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَفَرَّسُ حُوتَ الْبَحْرِ مِنْهَا الْكَلَائِلُ

إِذَا اعْتَرَكَ الْكَلَاءُ وَالْمَاءُ لَمْ تُقْدِ  
تَخَالُ جَبَالَ الثَّلَاجَ لِمَاتَرَقَعَتْ  
تَشَقُّ حَبَابَ الْمَاءِ عَنْ وَاسِقَاتِهِ

فالحجاج يستخدم كل الوسائل المناسبة، فأهل البر يستخدم لهم الخيول، وفي البحر السفن الحربية، وليس أي سفن، فهي سفن واسعة جداً تتسع لثمانين ألف من المقاتلين، سريعة السير، لا يتمكن من السيطرة عليها عدد كبير من الرجال، يحال الرأي أشرعتها جبالاً من الثلوج إلا أنها ملأى بالسلاح، وهي قوية تمشي قدمًا تشق الماء والأمواج بل تقتل الحيتان التي تعرّض طريقها دون أن تتوقف، وهذه الأوصاف المباشرة لأسطول الحجاج الحربي تدل على ما وراءه من كثرة عدد جنوده الذين يرسل من أجلهم كل هذا الأسطول، ونقل عتاده الحربي الذي تمتلىء به هذه السفن، وسرعة إ يصلها للغوث والعون من يحتاج إليه من أنصار الحجاج مما يبعث الرعب في قلوب أعدائه، يجعلهم يفكرون كثيراً قبل الخروج عليه أو على الخلافة الأممية.

ومن الآلات الحربية التي استخدمها الحجاج كثيراً "المنجنيق". وقد أسهب "العجاج" في وصف المنجنيق الذي استخدمه الحجاج في ضرب جيش ابن الأشعث وصفاً يدل على قوته هذا المنجنيق وأدائه لمهمته، ومما قاله<sup>(٣)</sup>:

تُتَنَجِّ حِينَ تَلْقَ حُانِقَارَا  
كَمَاتَرَى فِي الْهُوَّةِ الْأُورَا<sup>(٤)</sup>  
يَهُوَيْ أَصَمَّ صَقْعُهَا الصَّرَّارَا<sup>(٥)</sup>  
وَأَمْهَاتِ هَامِهِ مَدُوارَا  
وَرَعَدَ العَارِضُ وَاسْتَطَارَا<sup>(٦)</sup>

وَكُلُّ أَنْثَى حَمَلَتْ أَحْجَارَا  
تَرَى بِحَيَّثُ وَقَعَتْ غُبَارَا  
إِذَا سَمِعَتْ صَوْتَهَا الْخَرَّارَا  
كَأَنَّ فِي الْوَانِهِمْ صُفَارَا  
إِذْ حَرَجَ الْمَوْتُ بِهِ مَوْدَارَا

(١) الكلاء: مجتمع السفينية. الأمراس: الجبال. القنابل: الجماعات.

(٢) أجلتها: أشرعتها. الكيد: السلاح.

(٣) ديوان العجاج ص ٣٧٣. ٣٧٠.

(٤) الأوار: اللهب يخرج من الأرض.

(٥) الخرار: المصوتوت. الصوار : نوع من الطيور.

(٦) حرج: لزق. استطارا: اتسع الشر.

في وصف طويل جداً، فالمنجنيق كالمرأة الحامل لابد أن تضع مولودها، والمنجنيق لابد أن يضع حجراً قوياً على الأعداء، والشاعر يعطي النتائج الإيجابية لاستخدام المنجنيق، فهو يثير الغبار على جيش العدو إذا وقع، ثم تستعمل به البيران فيما حوله وتتصم آذان الأعداء بصوته القوى، ثم يعطي النتائج النفسية لاستخدامه، فهو يبيث الرعب في قلوبهم فتحضر ألوانهم، وتدور رؤوسهم لما يعنيه من قرب الموت منهم، وهو أي الموت. أكثر ما يخافون، وبالتالي لا يركزون على القتال والكر والفر وهو ما يريد الحاج. فكأنما الشاعر أراد أن يقول إن الحاج ذكي جداً في استخدامه للمنجنيق، فهو يعرف كيف يختار آلاته الحربية. وهذا الوصف المطول الدقيق لمنجنيق الحاج يبعث على التساؤل عن عدم وصف مادحيه للمجانيق التي استخدمها الحاج في ضرب الكعبة وهي أكثر وأشهر من هذا المنجنيق!! وقد يكون ذلك لما ينطوي عليه من دلالة ربما تحمل ضد الحاج، أي أن أعداءه يحملون ضربة الكعبة على استخفاف بمقامها، فتجنبوا الوقوع في هذا المأزق بعدم الإشارة إليه والضرب عنه صحفاً.

ووصف الشعراء السهام التي استخدمها الحاج قال العجاج<sup>(١)</sup>:

أُورَدَ حُدَّاً تَسْبِقُ الْأَبْصَارَ  
يَسْبُقُنَّ بِالْمَوْتِ الْقَنَّا الْحِرَارَا  
تُسْرُعُ دُونَ الْجُنَاحِنَ إِلَيْشَارَا  
وَالْمِشْرَفِيُّ وَالْقَنَّا الْخَطَّارَا

فسهامه سريعة تسقب النظر وتسبق بالموت إلى الخصم قبل الرماح العطشى، وهي سلاستها تصيب جسد الخصم حتى لو كان لابساً درعاً. فالدروع قد تقىي السيف والرمح لكن لا تقىي هذه السهام التي مع جند الحاج، وهذه لفتة لطيفة في الشعر من وصف للسهم وتغلبه على الدرع.

فالحاج في نظر مادحيه من الشعراء حريص على عدته الحربية يختارها من أفضل الأنواع سواء أوسائل النقل كالسفن والخيل أم السلاح كالمنجنيق والسهام. والحاج في حروبه تلك يوطد أركان دولةبني أمية ويخضع أعداءها ويؤمن أطراها ويتوسيع رقعتها، وبعد هذا كله يجلب الغنائم الثمينة ويرسلها إلى الخليفة الأموي، قال

(١) ديوان العجاج ص ٢٧٠.

الأخطل<sup>(١)</sup>:

مِنْهُ يَجِيءُ إِلَيْكَ بَشِيرٌ  
وَرَقُ الْعِرَاقِ سَبَائِكُ وَحَرَيرٌ  
يَأْلِونَهُنَّ وَمَالَهُنَّ مُهُورٌ

وَأَخُو الصَّفَاءِ فَمَا تَزَالُ غَيْمَةً  
وَتَرَى الرَّوَاسِمَ يَخْتَلِفُنَ وَفَوْقُهَا  
وَبَنَاتُ فَارِسَ كُلَّ يَوْمٍ تُصْطَفَى

فهو يحمل الأموال والإماء إلى الخليفة.

ارتباط الحجاج بالله في حربه:

وفي خضم المعارك وشدتها يصور الشعراe الحجاج شديد الارتباط بالله، فهو يستغیر الله قبل كل معركة، وقبل كل خطوة عسكرية، قال العجاج<sup>(٢)</sup>:

فَمَا قَضَ أَمْرًا وَلَا أَحَادِرًا  
فِي الْحَرْبِ إِلَّا رَبَّهُ اسْتَخَارَاهُ

ويكثر من الدعاء، قال جرير<sup>(٣)</sup>:

فَأَسْمَعَ ذَا الْمَعَارِجَ فَأَسْتَجَابَاهَا  
مُحَافَظَةً فَكَيْفَ تَرَى التَّوَابَاهَا  
مَعَ النَّصْرِ الْمَلَائِكَةَ الْغِطَابَاهَا

دَعَا الْحَجَاجُ مِثْلَ دُعَاءِ نُوحٍ  
صَبَرَتِ النَّفْسَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ  
وَلَوْلَمْ يَرْضَ رَبُّكَ لَمْ يُنْزَلْ

فهو يدعو مثل دعاء النبي الله نوح واستجاب له الله، وأنزل له مع النصر ملائكة غضاها على أعداء الحجاج أكدوا هذا النصر، وتكرر هذه الصورة من الدعاء والنصر والملائكة عند الفرزدق<sup>(٤)</sup>:

مَدَى النَّبْلِ فِي سَامِيِّ الْعَجَاجَةِ أَكْدَرَا  
فَأَنْزَلَ لِلْحَجَاجِ نَصْرًا مُؤْزَرًا  
لَهُ يَكُ أَعْلَى فِي الْقِتَالِ وَأَصْبَرَا

دَعَا وَدَعَا الْحَجَاجُ وَالْخَيْلُ بَيْنَهَا  
إِلَى بَاعِثِ الْمَوْتِ لِيُنْزَلَ نَصْرَهُ  
مَلَائِكَةً مَنْ يَجْعَلِ اللَّهُ نَصْرَهُمْ

(١) شعر الأخطل ص ٤٠٥.

(٢) ديوان العجاج ص ٣٦٨.

(٣) ديوان جرير ٢٤٤.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٢٠٠/١.

فجعل الشاعر الحاج يدعو الله في وقت ضنك وقد تقارب الصفان وبدأ غبار المعركة يتطاير، بل ليس الحاج وحده الذي يدعو فكلا الفريقين يدعوا اختار الله النصر للحجاج، وأنزل مع النصر ملائكة يرفعون قدر من يقاتلون معه.

وحرب الحاج عموماً في نظر الشعراء مرتبطة أساساً بالدين فهي حرب لنصر الدين، قال الأخطل<sup>(١)</sup>:

وَالْخَيْلُ يَتَعَبِّهَا عَلَى عِلَاتِهَا      اللَّهُ مُنْتَصِبُ الْفُؤَادِ شَكُورٌ

والأمر كذلك في رأي الفرزدق<sup>(٢)</sup>:

وَكَانَتْ طَبَاتُ الْمِشْرِقِيَّةِ قَدْ شَفَقَ بِهَا الدِّينَ وَالْأَطْغَانَ ذَاتَ الْخَوَالِفِ<sup>(٣)</sup>

لذلك هو أشبه ما يكون بخالد بن الوليد سيف الله المسلول (ت ٢١ هـ) في نظر العديلي بن الفرج<sup>(٤)</sup>:

فَأَنْتَ كَسَيْفُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ خَالِدٌ      تَصُولُ بِعَوْنَ اللَّهِ حِينَ تَصُولُ

لذا فقد الحاج كان فقداً لالمقاتل يرعى الدين عن طريق السيف<sup>(٥)</sup>:

وَمَاتَ الَّذِي يَرْعَى عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ      وَيَضْرُبُ بِالْهَنْدِيِّ رَأْسَ الْمُخَالِفِ

ولارتباط الحاج بالناحية الدينية جعل الشعراء حربه تلك جهاداً. فقال جرير<sup>(٦)</sup>:

وَبَسْطُ يَدِ الْحَجَاجِ بِالسَّيْفِ لَمْ يُكُنْ سَبِيلُ جِهَادٍ وَاسْتُبْحَحَ الْحَلَائِلُ

وقال الفرزدق<sup>(٧)</sup>:

فَجَرَدَ لَهُمْ سَيْفَ الْجِهَادِ فَإِنَّمَا نُصْرَتْ بِتَقْوِيَّضِ إِلَى ذِي الْفَوَاضِلِ

فالشعراء في حديثهم عن شخصية الحاج الحربية لا ينسون أن يربطوها بالدين، فالحجاج إنسان متدين لا يغيب الله عن باله في أصعب الأوقات وقد قربت الصوفوف وعلا غبار المعركة، وحربوه إنما هي نوع من الجهاد لأنها على الخارجين عن الإسلام.

(١) شعر الأخطل ص ٤٠٥.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٥٣١/٢.

(٣) الخوالف: الشرور والظاغائن.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغانى ٣٦٢/٢٢.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ٥٣٠/٢.

(٦) ديوان جرير ٤٠٢/١.

(٧) شرح ديوان الفرزدق ٦٩٦/٢.

## الشكوى إلى الحجاج:

ومن تمام الناحية الدينية والإدارية في القائد العسكري الجيد أن يفتح بابه للمظالم، وكذلك فعل الحجاج ففتح بابه للمظالم، فبرز شعر الشكوى الذي يدل على أن الجنود يجدون .لاريب .أذنا صاغية من الحجاج؛ فهذا أحد جنود المهلب يرفع شكوى في المغيرة ابن المهلب (ت ٨٢ هـ) نفسه، لم تمنعه مكانة المغيرة، ومكانة أبيه من الحجاج من أن يشكوه لاستئثاره بالحصاد وعدم توزيعه في الجندي<sup>(١)</sup>. قال<sup>(٢)</sup> :

ولَوْ عَلِمَ ابْنُ يُوسُفَ مَا تُلَاقِي  
مِنَ الْأَقْاتِ وَالْكُرَبِ الشَّدِيدَادِ  
لَفَاضَتْ عَيْنُهُ جَزَعًا عَلَيْنَا  
وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ  
أَرْحَنَاهُ مِنْ مُغِيرَةَ وَالرَّقَادَ<sup>(٣)</sup>  
فَمَا رُزِقَ الْجُنُودُ بِهَا قَفِيزَا  
وَقَدْ سَاسَتْ مَطَامِيرُ الْحَصَادِ

فالشاعر عنده يقين بأن الحجاج لو علم حقيقة أمرهم لجزع عليهم وأسرع لإصلاح الفساد، فهو في نظر الشاعر ليس بالأمير الذي لا يهتم إلا بإصلاح شؤون القادة وطلب موذتهم.

كذلك شكاً أهل خراسان أميرهم "أمية بن عبد الله" إلى الحجاج لأنه قعد عن الجهاد<sup>(٤)</sup>، إذ قالوا<sup>(٥)</sup> :

أَحْجَاجُ بْنُ يُوسُفَ أَنْتَ رَاعٍ  
وَإِنَّا مَعْشَرَ مِنْ جَذْمٍ قَيسٍ  
عَرَنَّتْ أَحْقَبَةً وَلَنَّا أَمِيرٌ  
وَرَاعَيَ الْقَوْمَ يَحْفَظُ مَا أَضَاعُوا  
لَنَا فِي النَّاسِ مَكْرُمَةً وَبَاعُ  
جَبَانَ الْقَلْبِ نُوْخَوْفِ يَرَاعُ

ثم مضوا في شكواهم.

(١) انظر: المبرد: الكامل ١٤٨/٣.

(٢) المبرد: الكامل ١٤٩. ١٤٨/٣.

(٣) الرقاد: الرجل الذي ضمه المهلب إلى ابنه المغيرة لجمع الخراج فاستأثرا به (المبرد: الكامل ١٤٨/٣).

(٤) انظر: ابن أثيم: الفتوح ١٢/٧.

(٥) ابن أثيم: الفتوح ١٢/٧.

## استعطاف الحاجاج:

ومن الأنواع الشعرية التي برزت في مجال الحرب شعر الاستعطاف، إذ حُمل إلى الحاج أحَد أصحاب شبيب، فجاءت خلفه مجموعة كبيرة من النساء ذكر أنه يقوم عليهن، وتقدمت إحداهن مستعطفة الحاجاج لفِك أسره<sup>(١)</sup> قائلة<sup>(٢)</sup>:

وَعَمَّاتِهِ يَنْدِبَتْهُ الْيَلَى جَمِيعًا	أَحْجَاجَ لَوْتَشْهَدْ مَقَامَ بَنَائِهِ
عَلَيْنَا وَأَمَّا أَنْ تُقْتَلَ سَامِعًا	أَحْجَاجَ إِمَّا أَنْ تَمُنَّ بِتَرِكِهِ
عَلَيْنَا فَمَهْ لَا تَزَدُّتَ اتَضَعْضُعًا	فَمَنْ رَجُلْ دَانِ يَقُولْ مَقَامَهِ

فتأنر الحاجاج بشعرها كثيراً، ورحم هؤلاء النساء ورد قيمهن عليهن، وزاد في عطائه لما عرف من ضخامة مسؤوليته<sup>(٣)</sup>، وهذا الخبر وإن دل على تسماح الحاجاج مع خصمه إلا أنه يدل في الوقت نفسه على تأثره بما يجري أمامه من شعر.

## شكر الحاجاج والاعتراف بجميله:

وبرز مع شعر الحرب نوع آخر من الشعر. قد يكون قليلاً في الأدب العربي، هو شعر الشكر والاعتراف بالجميل، إذ عفا الحاجاج عن أحد أصحاب أعتى أعدائه "قطري"، وقد أتي به أسيراً فمن عليه لصداقه كانت تربط بينهما، فانطلق لسان هذا الخارجي بالشكر للحجاج لما طلب منه قطري معاودة محاربة الحاجاج<sup>(٤)</sup>، فقال<sup>(٥)</sup>:

يَدِ تُقْرِبَانَهَا مَوَالُتُهُ؟	أَفَقَاتِلُ الْحَجَاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ
فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَتْ لَهُ فَعَلَتُهُ؟	مَاذَا أَفْقُولُ إِذَا وَقْفَتْ إِزَاءَهُ
لَا حَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتُهُ	أَفَقُولُ جَارَ عَلَيْهِ لَا إِنْسِي إِذَنُ

فالشاعريدين بالولاء للحجاج الذي يصوره ملك صاحب أياد بيضاء في أبيات طويلة

(١) انظر: ابن أعثم: الفتوح .٧٠/٧

(٢) ابن أعثم: الفتوح .٧١.٧٠/٧

(٣) انظر: ابن أعثم الفتوح .٧١/٧

(٤) انظر: الصولي: أخبار أبي تمام ص .٢٠٥

(٥) الصولي: أخبار أبي تمام ص .٢٠٦

تدل على تصميم هذا الخارجي على عدم معاودة قتال الحجاج وإن لم يتخلف عن مذهبـهـ. وبهذا يلاحظ أن سمات الحجاج الحربية كانت هي الطاغية على شعرـالـشـعـراءـ، وقد تتبعـواـ دقـائقـ شخصـيـتهـ الحـربـيـةـ وصـورـوهـاـ فيـ أـشـعـارـهـ، ومنـ خـلـالـ شـعـرـ الـحـربـ بـرـزـتـ أنـوـاعـ شـعـرـيـةـ أـخـرـىـ كـالـاسـطـعـافـ والـشكـوىـ والـشـكـرـ.

### هيبةـ الحـجـاجـ:

ولـلـحجـاجـ هـيـبـتـهـ خـارـجـ نـطـاقـ الـحـرـوبـ وـالـأـيـامـ، هـيـبـةـ تـلـفـتـ النـظـرـ وـتـسـتـرـعـيـ الـانتـباـهـ، فـالـشـعـراءـ يـظـهـرـونـ خـوفـاـ وـرـعـباـ شـدـيـداـ منـ الـحـجـاجـ وـيـنـمـادـونـ فيـ ذـلـكـ، وـالـشـاعـرـ رـجـلـ وـالـرـجـلـ يـأـنـفـ منـ إـظـهـارـ خـوفـهـ منـ رـجـلـ آـخـرـ بـهـذـهـ الـطـرـيـقـةـ الـصـرـيـحةـ الـمـبـالـغـ فـيـهـاـ، إـلـاـ أنـ الـحـجـاجـ عـلـىـ مـاـ يـمـدـوـ كـانـ لـهـ تـأـثـيرـ آـخـرـ فـيـ نـفـوسـ الـرـجـالـ.

وـشـخـصـيـةـ عـرـفـتـ بـالـأـنـفـةـ وـالـتـرـفـعـ مـثـلـ الـفـرـزـدـقـ الـذـيـ يـفـخـرـ دـوـمـاـ بـأـنـهـ مـعـمـ مـخـولـ لـيـأـنـفـ

منـ إـفـرـادـ مـقـطـوـعـتـينـ شـعـرـيـتـينـ فـيـ التـعـبـرـ عـنـ خـوفـهـ مـنـ الـحـجـاجـ قـالـ فـيـ إـحـادـهـماـ:

إـذـاـ مـاـبـاـدـاـ الـحـجـاجـ لـلـنـاسـ أـطـرـقـواـ  
وـأـسـكـتـ مـنـهـمـ كـلـ مـنـ كـانـ يـنـطـقـ  
فـمـاـهـوـ إـلـاـ بـأـئـلـ مـنـ مـخـافـةـ  
وـأـخـرـ مـنـهـمـ ظـلـ بـالـرـيـقـ يـشـرـقـ  
فـمـاـ النـاسـ إـلـاـ مـهـجـسـ أـوـ مـأـقـلـقـ<sup>(١)</sup>

فـجـمـيعـ النـاسـ خـائـفـينـ مـنـهـ دونـ دـوـنـ اـسـتـثـنـاءـ، وـجـمـيعـ صـورـ الـخـوـفـ تـظـهـرـ إـذـاـ ظـهـرـ الـحـجـاجـ ماـ بـيـنـ إـطـرـاقـ وـسـكـوتـ وـتـبـولـ لـاـ إـرـادـيـ وـشـرـقـ بـالـرـيـقـ وـغـيـرـهـ. كـلـ هـذـهـ هـيـبـةـ إـذـاـ بدـاـ الـحـجـاجـ لـلـنـاسـ وـلـمـ يـتـهـدـهـمـ بـعـدـ وـلـيـسـ لـهـمـ جـرـيـمةـ وـلـيـسـ غـاضـبـاـ مـنـهـمـ، فـكـيـفـ إـذـاـ ماـ كـانـ لـهـمـ جـرـيـمةـ وـالـحـجـاجـ سـاخـطـ عـلـيـهـمـ؟ـ.

أـمـاـ الـذـيـنـ أـغـضـبـوـ الـحـجـاجـ أـوـ غـضـبـ هـوـ عـلـيـهـمـ وـهـمـ كـثـرـ، فـيـصـوـرـونـ هـيـبـةـ الـحـجـاجـ وـتـأـثـيرـهـ فـيـ نـفـوسـهـمـ فـيـ صـورـ شـتـىـ تـقـفـقـ فـيـ إـظـهـارـ شـدـةـ الرـعـبـ مـنـ الـحـجـاجـ، كـقـوـلـ

محمدـ بنـ عبدـ اللهـ النـميرـيـ (تـ نـحوـ ٩٠٩ـ هــ):<sup>(٢)</sup>

أـخـافـ مـنـ الـحـجـاجـ مـاـ لـيـسـتـ خـافـاـ  
مـنـ الـأـسـدـ الـعـرـابـاضـ لـمـ يـتـنـهـ ذـعـرـ

(١) شـرـحـ دـيـوانـ الـفـرـزـدـقـ / ٥٩٣ـ / ٢ـ

(٢) مـأـقـلـقـ: يـهـذـيـ بلاـ عـقـلـ.

(٣) أبوـ الفـرجـ الـأـصـبـهـانـيـ: الأـغـانـيـ / ٦ـ / ١٨٨ـ

أَخَافُ يَدِيْهِ أَنْ تَنْالَ مَقَاتِلِي

إِلَيْيْضَ عَصْبٍ لَيْسَ مِنْ دُونِهِ سِتْرُ

وقال غوية بن سلمى<sup>(١)</sup>:

يَكَابِلَ فِي.....شَيْطَانٍ رَجِيمٍ  
مِنَ الْحِيَّاتِ فِي بَخْرٍ أَعْوَمٍ

وَدِدْتُ مَحَافَةً الْحَجَاجَ أَنِّي  
وَدِدْتُ مَحَافَةً الْحَجَاجَ أَنِّي

وهنا أقوى الشاعر، فلما سئل قال: لو كان في عقل ما أقويت<sup>(٢)</sup>، فكانه عبر قولًا وعملًا على شدة خوفه من الحجاج. وقال البراء بن قبيطة<sup>(٣)</sup>:

طَرِيداً لِلْيَثِ بِالْعِرَاقَيْنِ يَفْرَقُ  
مِنَ الْخَوْفِ فِي جَوِ السَّمَاءِ مُعْلَقٌ  
مَتَّى مَا يَعِدُ مِنْ نَفْسِي الشَّرَّ يَصْدُقُ

أَخَوْفُ بِالْحَجَاجِ طَوْرَا وَمَنْ يَكُنْ  
كَأَنْ فُؤَادِي بَيْنَ أَظْفَارِ طَائِرٍ  
حِذَارًا مَرِي قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ

فكـلـ الشـعـراءـ يـذـكـرـونـ الخـوـفـ صـراـحةـ، بلـ كـلـهـمـ يـكـرـرـونـ لـفـظـةـ الخـوـفـ فـيـ كـلـ  
بيـتـ تقـرـيـباـ. ويـصـورـ الشـاعـرـ الأولـ خـوـفـهـ بـأـنـهـ شـرـّـ مـنـ خـوـفـهـ مـنـ الأـسـدـ العـربـاـضـ، وـيـعـلـلـ  
الـشـاعـرـ الـأـخـيـرـ خـوـفـهـ بـأـنـهـ لـيـسـ مـسـتـغـرـيـاـ لـأـنـهـ خـافـفـ مـنـ لـيـثـ، وـيـزـيدـ فـيـ الـبـيـتـ الـأـخـيـرـ تـعـلـيـاـ  
آخـرـ لـخـوـفـهـ مـنـ الـحـجـاجـ، وـهـوـ عـلـمـهـ بـأـنـ الـحـجـاجـ مـتـ أـوـدـ نـذـ.

وـقـدـ تـفـنـنـ الشـعـراءـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـ خـوـفـهـ حـتـىـ رـيـطـواـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ نـوـمـهـ، فـقـالـ عـبـيدـ

بنـ أـيـوبـ<sup>(٤)</sup>:

أَذِفْتِي طَعْمَ النَّوْمِ أُوْسَلْ حَقِيقَةً عَلَّ قَلْ قَامَتْ فَفَحَصَلْ بِنَانِيَا

فعـبـيدـ يـسـتجـديـ الـحـجـاجـ النـوـمـ، لأنـهـ مـاـ دـامـ الـحـجـاجـ غـاضـبـاـ مـنـهـ فـلـنـ يـذـوقـ النـوـمـ. وجـرـيرـ

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: الوحوشيات وهو الحماسة الصغرى، تحقيق: عبد العزيز الميموني وزاد

في حواشيه: محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف، ط ٢) ص ٢٩٥

(٢) انظر: أبي تمام: الوحوشيات ص ٢٩٥

(٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤) ص ٨٣

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٠/٢

قال (١):

وَمَا ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْمِ إِلَّا مُفْرَّغًا

فحرير يذوق طعم النوم، لكنه نوم الفزع الذي قد يكون السهر أجدى منه.

وهذا نويفع بن لقيط الأسدي (ت نحو ٩٠ هـ) يشبه نومه بنوم السليم أبي اللديع، قال (٢):

أَسَهَّدُ مِنْ نَوْمِ الْعِشَاءِ كَانَنِي سَلِيمٌ يَغْرِي الظِّرْوَ بِالنَّبَوَانِ (٣)

فالسليم يمنع من النوم لثلا يسري السم في عروقه، ونويفع يمنعه الخوف من لدغة الحجاج من النوم. أما البراء بن قبيصية فالهم الذي يملأ صدره من خوف الحجاج أصابه بالأرق، فقال (٤):

أَرْقْتُ بِإِحْسَانِ الْعُنَابِ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ أَصْيَافِي مِنَ الْهَمِ يَأْرِقُ

والملاحظ أن عبيد بن أيوب أكثرهم قدرة على استغلال النوم في إظهار الخوف الشديد من الحجاج، إذ نفى عن نفسه القدرة على النوم تماماً، ثم جعل يستجديه من الحجاج الذي كانما سلب منه لأن خوفه من الحجاج هو السبب في ذلك. أما بقية الشعراء فهم ينامون إلا أن نومهم يتشوه الفزع أو السهاد أو الأرق، وإن كان في تشبيه نويفع بن لقيط لنومه بنوم السليم جمالاً جاء من اقتباسه من صميم البيئة والعادات السائدة فيها.

وربط الشاعراء بين الخوف وقلوبهم، إذ الخوف دائمًا محله القلب، فقال عبيد بن أيوب (٥):

خَلَعْتَ فُؤَادِي فَاسْتَطَارَ فَأَصْبَحَتْ تَرَامَى بِهِ الْبِيدُ الْقِفَارُ تَرَامِيَا

فلشدة خوفه كانما خلع قلبه من جوفه، وأخذ يطير بين القفار الواسعة فلا يلتمسه الشاعر أبداً، أما نويفع بن لقيط فقال (٦):

(١) ديوان حرير ١/٢٧٢.

(٢) ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي؛ طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة، مطبعة المدنى) ٢/٦٤٤.

(٣) يغري: يؤكل. الظرو: شجر يتداوى به، النبوان: موضع.

(٤) ابن دريد: تعليق من أمالي ابن دريد ص ٨٢.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٣٠.

(٦) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ٢/٦٤٤.

عَلَيْهِ تَمِيمَاتٌ كَانَ فُؤَادُهُ جَنَاحًا عَقَابٍ دَائِمٌ الْخَفَّانِ

فقلبه كجناحي الطائر الدائم الخفان، فلا يكاد يهدأ لشدة رعبه، والبراء بن قبيصة  
جعل قلبه معلقاً بين أظفار طائر فقال<sup>(١)</sup>:

كَانَ فُؤَادِي بَيْنَ أَظْفَارِ طَائِرٍ مِنَ الْخَوْفِ فِي جَوَ السَّمَاءِ مُعَلَّقٌ

فقلبه معلق بين السماء والأرض يتوقع أن يسقط في أية لحظة. فهؤلاء الشعراء  
فقدوا السيطرة على قلوبهم والتحكم فيها لما لبسهم من خوف الحاجاج وهبته، وهذه  
الهيبة دفعتهم للتأمل في تأثيرها في نفوسهم فوجدوها تسكن القلب وتطرد النوم من  
العين.

ويضيف الشعراء في أبياتهم عن هيبة الحاجاج تصوير قدرته وبعد حيلته، فهو ليس  
بالرجل السهل الذي يستطيع عدوه الاختباء منه، كما قال الفرزدق<sup>(٢)</sup>:

وَلَوْ أَنِّي بِصِينِ اسْتَانَ أَهْلِي وَقَدْ أَغْلَقْتُ مِنْ هَجَرَيْنَ بَابَا  
وَرَأَيْتُ مِنْ كَأْظَافَارًا وَنَابَا عَلَيْ رَأْيْتُ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ

فلو كان الفرزدق معلقاً على نفسه مساحة كبيرة من هجر إلى الصين فهو واثق بأن  
الحجاج لا بد واصل إليه بعقابه. وقال العديل بن الفرج<sup>(٣)</sup>:  
فَلَوْ كُنْتُ فِي سَلْمَ أَجَأَ وَشِعَابِهَا لَكَانَ لِحَجَاجِ عَلَيَّ دَلِيلٌ  
فالعديل لو كان في جبلي أجأ وسلامي مختبئاً في شعابها لوجد الحاجاج من يدلله عليه.  
فلا فائدة من الاختباء. وقال نوييع بن لقيط<sup>(٤)</sup>:

لَوْ كُنْتُ فِي الْعَنْقَاءِ أَوْ فِي عِمَائَةٍ طَنَنْتُ كَإِلَّا أَنْ تَصْدُّرَانِي  
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ طَوَّفْتُ كُلَّ مَكَانٍ تَضِيقُ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ لِخَوْفِهِ

فهو واثق أن الحاجاج سيجده حتى لو اختبأ في العنقاء أو عماء، واختار هذين الجبلين

(١) ابن دريد: تعليق من أمالي ابن دريد ص ٨٣.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٩٢/١.

(٣) المبرد: الكامل ٢٤٢/٢.

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٦٤٣-٦٤٤/٢.

لأنهما أكثر جبال العرب وعورة، وقد اعتاد الفارون من السلطان الاختباء فيها، واعترفوا بحمايتها لهم كما قال القتال الكلابي<sup>(١)</sup>:

جَرَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَرَاءُ بِكَفِيفٍ  
عِمَائِةً عَنَّا أَمْ كُلَّ طَرِيدٍ  
وَإِنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدٍ  
فَلَا يَزَدِهِهَا الْقَوْمُ إِنْ نَزَلُوا بِهَا

أما الفارون من الحجاج فلا تحميهم! بل تضيق عليهم الأرض بما رحب به كما ذكر نويف بن لقيط.

وفي تصوير هيبة الحجاج في نفوس الفارين منه وشعورهم الأكيد بقدرتة على الوصول إليهم يزيد جرير على معاني غيره من الشعراء زيادةً لطيفة، قال<sup>(٢)</sup>:

وَحِفْتُكَ حَتَّى اسْتَنْذَرَتِنِي مَخَافَتِي      وَقَدْ حَالَ دُونِي مِنْ عِمَائِةَ نِيقٍ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً<sup>(٤)</sup>:

وَمَا زَلْتَ حَتَّى أَسْهَلْتُ مِنْ مَخَافَةٍ      إِلَيْكَ الْلَّوَاتِي فِي الشُّعُوقِ الْعَوَاقِلِ<sup>(٥)</sup>

فالحجاج لم يبحث عن جرير أو غيره من الفارين وجرير مع تحصنه في عمایة، وما أدراك ما عمایة . وغيره من الفارين المتحصنين في شقوق الجبال العالية ينزلهم خوفهم من الحجاج من معاقلهم، ويسلمون له أنفسهم لشدة خوفهم منه وتأكدهم من قدرته على الوصول إليهم.

أما الفرزدق فجدد في مكان اختبائه، وأكد أكثر إمكانية وصول الحجاج إليه، فقال<sup>(٦)</sup>:

وَلَوْ حَمَّلْتِنِي الرِّيحُ تُمَّ طَلَّبِتِي      لَكُنْتُ كَشِيءٍ أَدْرَكَتْهُ مَقَادِرُهُ

فهو لم يختبئ في الجبال الحصينة أو البلاد بعيدة، بل حملته الرياح واختبأ بين السماء والأرض، ومع ذلك لو طلبه الحجاج فسيدركه. ف مجرد طلب الحجاج كالقدر

(١) ديوان القتال الكلابي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م) ص ٤٥.

(٢) ديوان جريرا ٤٠٣.

(٣) نيق: نيق الجبل أي أعلى.

(٤) ديوان جريرا ٤٠٢.

(٥) الشعوف: أعلى الجبال، العوائق: المترizzات.

(٦) الصولي: أخبار أبي تمام ص ٢٠، ولا يوجد هذا البيت في ديوان الفرزدق.

المحتموم لابد واقع

بل مجرد ذكر اسم الحجاج له هيبة تنطر لها قلوب الفارين منه، قال العديل بن الفرج<sup>(١)</sup>:

يُحرَّكُ عَظْمٌ فِي الْفُؤَادِ مَهِيْضٌ<sup>(٢)</sup>  
بِسَاطٌ لَأَيْدِي الْيَعْمُلَاتِ عَرِيضٌ  
مُلَاءٌ بِأَيْدِي الْغَاسِلَاتِ رَحِيْضٌ<sup>(٣)</sup>

أَخْوَفُ بِالْحَجَاجِ حَتَّى كَانَمَا  
وَدُونَ يَدِ الْحَجَاجِ مِنْ أَنْ تَتَالَّيْ  
مَهَامَةً أَشْبَاهُ كَانَ سَرَابَهَا

فحتى القلة من الشعراء الذين أحسوا بأنهم أحسنوا الاختباء من الحجاج لا يعطيهم هذا الأمان، بل تتفطر قلوبهم رعباً كلما ذكر اسم الحجاج أمامهم.

وللحجاج عقاب صارم صوره الشعراe فالفرزدق<sup>(٤)</sup>:

وَأَنْتَ أَنْثَدَ مُنْتَقِمٍ عِقَابًا  
خَشَوْيَدِيْكَ أَوْ فَرَقُوا الْجِسَابَا

فَعَفَوْكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ حَيْرُ عَفْنُو  
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ خَافُوكَ حَتَّى

فالناس قد خشوا عقاب الحجاج حتى أحسوا بأنهم سيسلقون قدرهم على يديه.  
وقال الفرزدق على لسان زوجه النوار تحذر الحجاج<sup>(٥)</sup>:

شَدِيدٌ إِذَا أَغْضَى عَلَى مَنْ يُزَاحِمُه  
عُقُوبَتَهُ إِلَاضَعِيفُ عَزَائِمُه

تَنَحَّ عَنِ الْحَجَاجِ إِنْ زَحَامَهُ  
وَمَنْ يَأْمَنِ الْحَجَاجَ وَالْجَنْ تَنَقِي

فمن يزاحم الحجاج لا يأمن عقوبته، وكيف يأمنها والجن تتقىها. وجرير أيضاً  
يستنك على من يأمن عقاب الحجاج إذ قال<sup>(٦)</sup>:

فَمُرْ وَآمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٢/١.

(٢) المهيض: العظم الذي كسر ثم جبر ثم كسر.

(٣) الرحيب: المفسول.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ١/٩٢.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ١/٧٦٣.

(٦) ديوان جرير ١/٢٧٢.

بل بلغ الخوف في الناس من الحجاج أنهم يخافون وعيده وتهديده أشد الخوف، قال الفرزدق<sup>(١)</sup>:

مَخَافِتُهُ مَا فِي بُطُونِ الْحَوَامِلِ  
إِنَّا وَعَدَ الْحَجَاجَ أَوْهَمَ أَسْقَطَتِ  
يَعِشُّ وَهُوَ مِنْهَا مُسْتَحِفٌ الْخَصَائِلِ  
لَهُ صَوْلَةٌ مَنْ يُوقَهَا أَنْ تُصِيبَهُ

فصولة الحجاج من لم تصبه يعش مرتعداً طول حياته منها. فكيف بمن أصابته، ولاتقاء هذه الصولة يعرض العديل بن الفرج الحل إذ قال<sup>(٢)</sup>:

تَرَى التِّقْلَيْنِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ أَصْبَحَا  
عَلَى طَاعَةِ الْحَجَاجِ حِينَ يَصُولُ

فحتى الجن يسيرون بأمره حين يصلون خوفاً من عقابه.

فالحجاج له هيبة كبيرة في نفوس معاصريه من الشعرااء تملأ قلوبهم بالخوف، وتطرد عن عيونهم النوم، مع نفقة لديهم بأنه لا مهرب من الحجاج ولا ملجاً في الأرض يحميهم من وصوله إليهم، والحجاج كما يصوره معاصروه من الشعرااء شديد الصولة، قاسي العقوبة.

والشعر الذي يتحدث عن هيبة الحجاج لا يرمي إلى تصوير مدى الرعب الذي ينشره في قلوب الآخرين كمصدر للشر أو الاعتداء، أو محاولة الانتقام من الحجاج برسمه منبعاً للخوف كالجن والغول كلا ولكن من الواضح أنه نوع من أنواع الاعتذار إلى الحجاج، اعتذار مبطن بصورة الخوف التي رسماها الشعرااء على نفوسهم لتبعت الرحمة والتعاطف في قلب الحجاج عليهم.

والدليل على أنهم عمدوا لهذا الأسلوب للاعتذار إلى الحجاج أن هؤلاء الشعرااء أجمعوا على التحدث إلى الحجاج بأسلوب عالي الأدب، ولا توجد في شعرهم كلمة نابية في حق الحجاج وإن أتبعوا بعضهم في حق نفسه كغوية المسلم، ثم إنهم عمدوا إلى تصوير الحجاج بصورة القوي القادر على الإمساك بخصمه دون خلل أو غدر، وهو شديد العقوبة ولكن بعدل كما قال جحدر العكلي (ت نحو: ١٠٠هـ)<sup>(٣)</sup>:

(١) شرح ديوان الفرزدق ٦٩٤/١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٦٣/٢٢.

(٣) أبو على القالي: الأمالي ٢٨٢/١.

**يُحَادِرُ صَوْلَةُ الْحَجَاجُ ظَلَامٌ لِجَانِي**

وَمَا الْحَجَاجُ ظَلَامٌ لِجَانِي  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا ضُعْفَاءَ، وَيَجِدُونَ مَنْ يَحْمِيهِمْ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا الْحَجَاجَ<sup>(١)</sup>:

**وَلَوْغَيْرُ حَجَاجٍ أَرَادَ ظَلَامَتِي**  
**حَمَتْنِي مِنَ الظَّيْمِ السَّيُوفُ الْفَوَاتِكُ**  
**إِذَا اخْتَافَتْ يَوْمَ الْلِقَاءِ النَّيَازِكُ<sup>(٢)</sup>**  
**وَفِتْيَانُ صِدْقٍ مِنْ رَيْعَةَ قُصْرَةٍ**

وهذا أدعى لاستجلاب الرحمة، وقد يعمدون إلى إشهار الطاعة والتقرب إلى الحجاج  
بمن يحب بعد إظهار الخوف الشديد منه كما فعل نويفع بن لقيط<sup>(٣)</sup>:

**وَالْآيَتُ لَا آتَيْتَكَ إِلَّا مُسَالِمًا**  
**أَعُوذُ بِقَبْرِي يُوسُفٍ وَابْنَ يُوسُفٍ**  
**مَعِي مِنْكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ أَمَانِي**  
**أَخِيكَ وَبِالْقَبْرِ الَّذِي يَعْدَانِ**  
**يَدَكَ وَمَنْ يَغْتَرُ بِالْحَدَّانِ؟**  
**سَمِيَّ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ أَنْ تَنَاهِي**

فهو يتقرب له بقبر والده يوسف وأخيه محمد وابنه محمد ليبعث الرأفة في قلبه بعد أن استغل إظهار الخوف الشديد من الحجاج.

بالإضافة إلى أن جميع هؤلاء الشعراء فعلاً كانوا ذوي ذنوب ويلتمسون العفو من الحجاج، وفعلًا كان أسلوبهم هذا ناجحاً وموفقاً إذ حصلوا جميعاً على العفو من الحجاج بل حبا بعضهم بصلات<sup>(٤)</sup>. وهذه صورة جديدة في الاعتذار اتفق عليها عدد من الشعراء وتوجهوا بها إلى شخص واحد هو الحجاج بن يوسف.

وهنا أمر يثير التساؤل، وهو لماذا أجمع هؤلاء الشعراء على هذا الأسلوب في الاعتذار بدل الاعتذار المباشر؟

إن الحجاج هنا أشبه ما يكون بقائد عسكري، لا أمير مدنى وعسكري كما أرادته الخلافة الأموية، فظروف عصر الحجاج وظروف ولايته أجبرته على التركيز على الجانب

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٧٢/١٨ والشعر لأعشى ربعة.

(٢) قصرة: دنية قريب، النيازك: الرماح القصيرة.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٦٤٤/٢.

(٤) على سبيل المثال انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ٣٦١/٢٢ . ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد: بغية الطلب في تاريخ حلب (فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٨٩، ١٤٠٩هـ).

الحربى وصفات القائد العسكري مما لمسه الشعراء فيه فعمدوا هم أيضًا للتركيز على هذه الناحية للوصول إلى العفو.

أما الاعتذار الصريح وال مباشر فموجود في مثال واحد عند مالك بن أسماء بن خارجة (ت نحو 100هـ). قال<sup>(١)</sup>:

لِكُلِّ جَوَادٍ عَنْرَةً يَسْتَقِيلُهَا  
فَهَبِنِي يَا حَجَاجُ أَخْطَأْتُ مَرَّةً  
فَهَلْ لِي إِذَا مَاتُتُ عِنْدَكَ تَوْبَةً

وَعَثْرَةً مِثْلِي لِأَقْتَالُ مَدَى الدَّهْرِ  
وَجَرْتُ عَنِ الْمُثْلَى وَغَنِيتُ بِالشِّعْرِ  
تَدَارِكُ مَا قَدْ فَاتَ فِي سَافِرِ الْعُمْرِ

فمالك بن أسماء يعتذر بطريق مباشر، فهو يقدم العذر لنفسه، ثم يوضح ذنبه وهو الغناء، وأخيراً يعلن التوبة ويطلب الغفران. فهل لمكانة مالك بن أسماء من أهل الكوفة، ثم علاقة المصاورة مع الحجاج دخل في اتباعه هذا الأسلوب وانحرافه عن الأسلوب الذي اتبعه معظم شعراء عصره؟؟

وعموماً هذا الاعتذار يدل على الهيبة التي تملأ قلوب حتى كبار شخصيات عصره منه وعدم تحرجهم من الاعتذار الصريح له، فعليه القوم تألف من الاعتذار المباشر ولكن مالك بن أسماء لا ينحرج لأنه كما يبدو أن مكانة الحجاج فوق كل مكانة عندهم ما عدا الخليفة كما قالت ليل الأخيلية<sup>(٢)</sup>:

حَجَاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفِرُ الصَّمَدُ

إصلاحات الحجاج:

ومع انشغال الحجاج بالحروب والأيام والثورات الكثيرة المتالية لم ينسَ الأوضاع الداخلية في منطقة إمارته، ومما مدح به الحجاج من إصلاحاته الداخلية قول جرير<sup>(٣)</sup>:

وَثَنَّانٌ فِي الْحَجَاجِ لَا تَرْكُ ظَالِمٍ  
وَمَنْ غَلَّ مَالَ اللَّهِ غَلَّتْ يَمِينُهُ  
سَوِيَاً وَلَا عِنْدَ الْمُرَاشَأَةِ نَائِلٌ  
إِذَا قِيلَ أَدُوا لَا يَغْلَبُنَّ عَامِلٌ  
وَمَا نَفَعَتْ أَهْلَ الْعَصَمَةِ الْجَعَالِ

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦٥/١٧.

(٢) ديوان ليل الأخيلية ص ٦٢.

(٣) ديوان جرير ٤٠٢.

قَدِيمَتْ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
فَكُنْتُ لِمَنْ لَا يُئْرِيءُ الدِّينَ قَلْبَهُ  
مُخَالِفُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَخَازِلُ  
شِفَاءَ وَخَفَّ الْمُذْهِنُ الْمُتَّاقِلُ

فهو يمدح الحجاج بأحذنه على أيدي الظالمين وعدم قبوله للرسوة وأيضاً محافظته على أموال الدولة بمنع الغلول، ثم ذكر كيف أنه قدم على العراق وهي في حالة بائسة من مخالفه دين الله وخذلانه، فكان له الفضل بعد الله في إرجاع الدين لمكانته في العراق، وهذا أسلوب بديع في إيضاح إصلاحات الحجاج الداخلية، وهو أسلوب التذكير بماضي العراق وحاضرها لتتجلى الإصلاحات في أبهى صورها، وقد عمد الفرزدق إلى أسلوب الموازنة هذا بين حالى العراق قبل الحجاج وبعده فقال<sup>(١)</sup>:

شَفَيْتَ مِنَ الدَّاءِ الْعَرَاقَ فَلَمْ تَدْعُ  
وَكَانُوا كَذِي دَاءِ أَصَابَ شِفَاءَهُ  
طَيِّبُ بِهِ تَحْتَ الشَّرَّاسِيفِ دَاهِلٌ<sup>(٢)</sup>  
يَسَالِي بِهَا مَا يَرْتَشِي كُلُّ عَامِلٍ  
أَحَقَّهُمَا بِالْحَقِّ أَهْلُ الْجَعَالِ  
وَلَا تُقْتَضِي إِلَيْمًا فِي الرَّسَائِلِ  
يَجِدُ خَيْرَ مَسْؤُولٍ عَطَاءَ لِسَائِلٍ

فالحجاج شفى العراق مما به من علل كثيرة، وكان كالطبيب الحاذق الذي شفى مريضه تماماً، ثم قال مقارناً: كنا بأرض (أي العراق) لا يخاف العمال فيها إذا ارتشوا بل إن الخصميين إذا حضرا لدى القاضي كان من المعروف أن صاحب الحق هو من يقدم الرسوة، أما في عصره، أيها الحجاج، فلا يصل المرء على ما يريد بالرسوة، بل بما يثبت بالبينة، ويلاحظ التركيز على الظلم والرسوة والغلول في أرض العراق قبل قيود الحجاج وكيف عمل الحجاج على منعها ونشر العدل وتصحيح الوضع المادي للعراق، ولم تقتصر إصلاحات الحجاج على منطقة العراقيين (الكوفة والبصرة) بل امتدت لتشمل المناطق القاصية والبعيدة مما يدخل حيز إمارته، فالحجاج أمنوا على أنفسهم

(١) شرح ديوان الفرزدق ٦٩٥/٢.

(٢) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.

قال جرير<sup>(١)</sup>:

وَلَقَدْ كَسَرْتَ سِنَانَ كُلَّ مُنَافِقٍ    وَلَقَدْ مَنَعْتَ حَقَائِقَ الْحُجَّاجِ

والرعاة البعيدون عن الناس أيضًا<sup>(٢)</sup>:

أَرَاحَتْ عَلَيْهَا مُهْمَلَاتِ التَّنَافِيفِ<sup>(٣)</sup>

وَمُهْمَلَةٌ لِمَّا أَتَاهَا نَعِيَّةٌ

فَمَذْمَاتَ رَاعِي ذُودِنَا بِالظَّرَافِ<sup>(٤)</sup>

وَقَالَتْ لِعَبْدِيَّهَا أَرْيَحَا فَعَقَّلَ

وَأَمِنَ أَيْضًا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْكَبِيرُونَ فِي السِّنِ<sup>(٥)</sup>:

إِنْ كَانَ يُرْعَى قَاصِيَاتُ الزَّعَانِيفِ<sup>(٦)</sup>

الْأَمْرُ تَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي تَدْفُوتُنَّهُ

قُوَّاهُ مِنَ الْمُسْتَرَخِيَّاتِ الْضَّعَافِ<sup>(٧)</sup>

وَلَمْ يَكُنْ دُونَ الْحُكْمِ مَالٌ وَلَمْ تَكُنْ

فطريق الحجاج على بعده، والرعاة على تصحيهم مع قطعائهم، وكبار السن من الرجال والنساء ممن يعيشون في البلاد النائية، كل أولئك استطاع الحجاج حمايتهم مع صعوبة هذا الأمر على غير الحجاج الذي لم تكن قوته مسترخية ضعيفة.

والحجاج في سيرته مع رعيته يراعي الله كثيراً، قال الفرزدق<sup>(٨)</sup>:

وَلَمْ أَرَ كَالْحِجَاجَ عَوْنَأًا عَلَى التَّنَقِ<sup>(٩)</sup>

وَلَمْ أَرَ طَالِبًا يَوْمًا طَرِيدَةَ تَابِلِ<sup>(١٠)</sup>

بِسِيرَةِ مُخْتَالٍ وَلَا مُتَّصَالٍ<sup>(١١)</sup>

وَمَا أَصْبَحَ الْحِجَاجُ يَتَلَوَّرَعِيَّةَ

فهو يراعي الله في أمور رعيته، ويسير على هديه في سياستهم، ولا يحكم فيهم إلا

(١) ديوان جرير ٤٠٢/١.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٥٣٠/٢.

(٣) مهملة: أي أهملت قطيعها ثقتها بالحجاج وقوته. التنايف: جمع تنوفة وهي القفر من الأرض.

(٤) الطرائف: أي أطراف الأرض.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ٥٣١/٢.

(٦) قاصيات: ما تقص في المراعي وتبعاد. الزعانف: الضففاء من الرجال والنساء.

(٧) شرح ديوان الفرزدق ٦٩٥/٢.

(٨) تابل: التبل العدواة.

بكتاب الله<sup>(١)</sup>:

هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ  
إِلَى اللَّهِ قَاضٍ بِالْكِتَابِ عَقُولٌ  
بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَانَمَا  
إِذَا جَارَ حُكْمُ النَّاسِ الْجَاءَ حُكْمُهُ

لذلك لم يعرف عن الحاج ظالم كما قال جحدر العكلي<sup>(٢)</sup>:

يُحَادِرُ صَوْلَةُ الْحَجَاجُ ظَلْمًا  
وَمَا الْحَجَاجُ ظَلْمًا

شخصية الحاج المدنية هذه أكسبته احترام كبار شخصيات الكوفة حينذاك،  
حتى إن الحكم بن المنذر بن الجارود سيد عبد القيس الذي يقول فيه الراجز<sup>(٣)</sup>:  
يَا حَكَمَ بْنَ الْمَنْذَرِ بْنَ الْجَارُودَ سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ

لما أتى به إلى الحاج ليسجنه قال الحكم بن المنذر<sup>(٤)</sup>:

فَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَبُورٌ  
دُعَاءَكَ إِذْ كَانَ الْأَمَانَ غَرُورٌ  
تَخَافُ وَلَا يَسْطُوعُكَ أَمِيرٌ  
مَتَّنَ مَا أَكُنْ فِي السِّجْنِ فِي حَبْسِ مَاجِدٍ  
فَلَوْ كُنْتُ حِفْتُ النَّكْثَ وَالْغَدَرَ لَمْ أُجِبْ  
لَقَدْ كُنْتُ دَهْرًا مَا أَخْرُوْفُ بِالْتِي

فهو لا يرى عيباً في كون سجانه الحاج الماجد كما نعته، بل قدم إليه بنفسه  
علمه ببعده عن الغدر والنكث، وإنما مع قبيلته في مأمن من كل أمير.  
وتلك الشخصية الرزينة التي عرفت عن الحاج جعلت المعاقبين يعلنون رضاهم  
بتعزير الحاج لهم لعلمهم بعدله، قال رجل جلده الحاج ثلاثين سوطاً<sup>(٥)</sup>:  
وَلَيْسَ بِتَعْزِيزِ الْأَمِيرِ خِزَائِيْهِ      عَلَيْ إِذَا مَا كُنْتُ غَيْرَ مُرِبِّيْهِ  
فالحاج بعد قضائه على الخوارج وابن الاشعث أثبت قدرته العسكرية ثم أثبتت

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغانى ٢٢/٢٢.

(٢) أبو علي القالي: الأمالي ١/٢٨٢.

(٣) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد: الأشراف، تحقيق: وليد قصاب (الدوحة، دار الثقافة، ط١، ١٩٩٢-١٤١٣هـ) ص ٨٩.

(٤) ابن أبي الدنيا: الأشراف، ص ٨٩.

(٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار (بيروت، دار الكتاب العربي) ١/١٠٤.

قدرته المدنية بحسن سياساته في العراق فاستقامت العراق جميعاً للحجاج<sup>(١)</sup>، فقال  
الفرزدق ذاكراً ذلک معترفاً به<sup>(٢)</sup>:

سِيَان مَعْرُوفٌ فِي النَّاسِ وَالْمَطَرُ  
وَالْمِشْرَفِيُّ الَّذِي تَعْصَى بِهِ مُضْرُ  
عَمِيَاءُ صَمَاءُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ

إِنَّ ابْنَ يَوْسَفَ مَحْمُودَ خَلَائِقَهُ  
هُوَ الشَّهَابُ الَّذِي يُرْمَى الْعَدُوِّ بِهِ  
أَحْيَا الْعِرَاقَ وَقَدْ ثَلَّتْ دَعَائِمَهُ

فهنا اعتراف بقدراته العسكرية والمدنية ثم بيان فضله على العراق من منطقة إمارته  
وكيف أنه أنقذها بعد ما كادت تنتهي بسبب الفتنة والقلائل.

فالحجاج له دور كبير في تحقيق الأمن في العراق والمناطق المحجوبة الداخلة ضمن  
حدود إمارته فمنع الظلم والرشوة والغلول وقطع دابر اللصوص وحمى الحجاج وكبار  
السن والضعفاء والمقاصين في المناطق البعيدة. فهل هذه هي إصلاحات الحجاج  
المدنية فقط؟ هذه هي الإصلاحات التي يذكرها مادحوه من الشعراء فحسب، لكن  
إصلاحاته المدنية كثيرة جداً، ومن العجيب أن هجائي الحجاج قد ذكروا إصلاحاته  
الداخلية بأسلوبهم أكثر مما ذكرها مادحوه كما سيتضح فيما بعد، ولكن الباحث  
يتساءل ما هو السبب في إغفال إصلاحاته الداخلية من قبل مادحيه؟ قد تكون الغروب  
والثورات الكثيرة المتتالية التي خاضها الحجاج ألهمت الشعراء أبياتهم، واستأثرت  
باهتمامهم أكثر من إصلاحاته المدنية.

#### علاقة الحجاج بال الخليفة الأموي:

وقد ربط الشعراء كثيراً بين الحجاج وال الخليفة الأموي، مما يشعر بأن قلوبهم مؤمنة  
بأن للحجاج مكانة رفيعة عند الخليفة فهم دائماً يربطون حروبه التي خاضها  
بال الخليفة<sup>(٣)</sup>:

هُوَ الظَّفَرُ الْأَعْلَى إِذَا الْبَأْسُ أَصْحَارًا  
لَا فَضْلَ أَحْيَاءِ الْعَشِيرَةِ مَعَشَّرًا

أَخَاهَ غَمَرَاتٍ يَجْعَلُ اللَّهُ كَعَبَهُ  
مَعَانٌ عَلَى حَقٍّ وَطَالِبٌ بَيْعَةٌ

(١) انظر: ابن أعثم: الفتوح ١٢٢/٧.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٤٢٥/٢.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٢٩٥/١.

لآل أبي العاصي تراث مشورة

لـ سلطانهم في الحق لا يغيرا

وقال جرير<sup>(١)</sup>:

رأى الحاجاج أثقبه شهابا  
إذا دلّ سوا بدينهم ارتبا

إذا سعى الخليفة نار حرب  
ترى تصر الإمام على حقا

وقال الفرزدق<sup>(٢)</sup>:

مكان الصدّى من رأس عاصي تجعجاً<sup>(٣)</sup>  
جماعِمَ من عادى الإمام وشيعاً

بهنديّة بيض إذا ماتت أوّلت  
وقد كنت ضرّاً بها يا ابن يوسف

فالحجاج يحارب لنصر الخليفة، فهو اما طالب بيعة له او محارب لمن نكث هذه البيعة.  
وقد تكون أهم ميزة للحجاج أنه كفى الخلافة الأموية أخطر منطقة في دولتهم  
(العراق) التي تعددت فيها الأحزاب السياسية المعارضة للخلافة الأموية، وكثُرت فيها  
الثورات والفتنة، فروضها الحجاج وألان قيادها للخلافة الأموية، لذا مزج الشعراء بين مدح  
الخليفة وذراعه الأيمن الحجاج رابطين ذلك بإخضاعه للعراق، قال الفرزدق<sup>(٤)</sup>:

يريد مجمع حاجات الأراكيب  
بالنصح والعلم قولاً غير مكتوب  
وعاد يعمّر منها كل تخريب  
يصارم من سُيوف الله مشبوب

يا أيها الرأيك المزجي مطيته  
إذا آتيت أمير المؤمنين فهم  
أما العراق فقد أعطتها طاعتها  
أرض رميته إليها وهي فاسدة

وقال جرير<sup>(٥)</sup>:

(١) ديوان جرير ٢٤٤/١.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٤٩٧/٢.

(٣) تجعجاً: قطع.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٢٤/١.

(٥) ديوان جرير ٤٠٢/١.

إِمَامٌ وَعَدْلٌ لِلْبُرِّيَّةِ فَاضِلٌ  
سَبِيلٌ جِهَادٍ وَاسْتِبْحَانَ الْحَالَىٰ  
شَدِيدُ الْقُوَّىٰ وَالنَّزْعُ فِي الْقَوْسِ نَابِلٌ  
يَيْأَعُ وَيَشْرِى سَبِيلٌ مَنْ لَا يُقَاتِلُ  
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمْلِئَنَّ مَائِلٌ

وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ  
وَبَسْطُ يَدِ الْحَجَاجِ بِالسَّيْفِ لَمْ يَكُنْ  
إِذَا خَافَ دَرْءًا مِنْ عَدُورَ مَقِيْبِهِ  
دَعُوا الْجَبْنَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا  
لَفَدْ جَرَدَ الْحَجَاجُ بِالْحَقِّ سَيْفِهِ

فالحجاج لم يضبط العراق إلا بالسيف والجهاد والدماء لذلك استحق من الخليفة الأموي كل تقدير.

وليس الحجاج بكلف الخليفة الأموي في أمر العراق فحسب، بل في كل أمر على الإطلاق، قال الأخطل<sup>(١)</sup>:

أَحَدًا إِذَا نَزَلْتَ عَلَيْكَ أَمْوَارُ  
أَنَّ ابْنَ يَوسُفَ حَازِمٌ مَنْصُورٌ

فَعَلَيْكَ بِالْحَجَاجِ لَا تَعْدِلْ بِهِ  
وَلَفَدْ عَلِمْتَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِاِيْهِ

وقال جرير<sup>(٢)</sup>:

أَرَى الطَّيْرَ بِالْحَجَاجِ تَجْرِي أَيَامِنَا  
لَكُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَآسْعُدَا

وقال عمران بن عاصم (ت نحو ٨٥ هـ)<sup>(٣)</sup>:

فَإِذَا طَبَخْتَ بِتَارِهِ أَنْضَجْتَهُ وَإِذَا طَبَخْتَ بِعَيْرِهِ لَمْ تُنْضِجْ

فعل الإطلاق وفي كل أمر الحجاج عنون وسعد للخليفة لا يقوم أحد مقامه.

وقد ربط العُدُيل بن الفرش بين الخليفة والحجاج برباط قوي، فقال<sup>(٤)</sup>:

لِكُلِّ إِمَامٍ صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ  
وَثَبَّتَ مَلْكًا كَادَ عَنْهُ يَرْزُولَ

خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ  
يَهِ تَصَرَّ اللَّهُ الْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ

(١) شعر الأخطل: ٤٠٤ . ٤٠٥.

(٢) ديوان جرير: ٨٥٢ / ٢.

(٣) أبو تمام: الوحشيات ص ٢٦٤.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٣٦٢ / ٢٢.

فقد جعله في البيت الثاني صاحب فضل على الخلفاء الأمويين وليسوا هم بأصحاب الفضل عليه.

وزاد عبد الملك بن مروان من شدة هذا الرباط عندما سمي أحد بنيه بـ "الحجاج" وقال<sup>(١)</sup>:

سَمِيَّتُهُ الْحَجَاجُ بِالْحَجَاجِ      النَّاصِحُ الْمُكَافِفُ الْمُدَاجِي

فهو ينص على أنه سماه الحجاج على الحجاج بن يوسف، ثم وصف شخصية الحجاج كما يراها في البيت الثاني.

ومع هذا الترابط الذي أظهره الشعر بين الحجاج وال الخليفة الأموي لم يمنع هذا عتاباً جرى بين الخليفة عبد الملك بن مروان والحجاج، سجله الخليفة الأموي شرعاً، إذ بعد حروب الحجاج مع ابن الأشعث بلغ الخليفة أن الحجاج أسرف في مكافأة مناصريه، وأسرف في عقوبة معادية، فكتب إليه عبد الملك بن مروان بلومه ويهذده<sup>(٢)</sup> قال<sup>(٣)</sup>:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرُكْ أُمُورًا كَرَهْتُهَا  
وَتَأْبَى رَضَائِي بِالذِّي أَنَا طَالِبُهُ  
فَإِنَّكَ مَجْرِيٌّ بِمَا أَنْتَ كَاسِبُهُ  
وَلَا تَعْطِ مَالًا لِلَّذِينَ لَنْ يَنْجِيْهُ  
فَلَا تَأْمَنِنِي وَالْحَوَادِيثُ جَمَّةٌ  
وَلَا تَمْنَعْنِ النَّاسَ حَقًا عَلِمْتَهُ

إلى آخر الأبيات، فال الخليفة مع محبته الشديدة للحجاج سارع في لومه على ما بلغه عنه، وكون الخليفة سجل عتبه هذا شعراً يدل على أن المعتوب عليه ليس أي عامل لل الخليفة، بل هو عامل له مكانته الخاصة في نفس الخليفة.

الإشارة بقبيلته:

ومع أن الحجاج كان يعيش في بيئه عربية صرفة للنسب فيها دور كبير، ومع أنه حكم العراق حين عادت العصبية القبلية جذعة، ومع تركيز هاجيه على نسبه في

(١) ابن أبي الحديد: أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله: شرح نهج البلاغة. تحقيق: حسن تميم (بيروت، دار مكتبة الحياة. ١٩٦٣م) ٥/٧٠٢.

(٢) انظر: ابن أثيم: الفتوح ٧/١٢٠.

(٣) ابن أثيم: الفتوح ٧/١٢٠.

الهجاء، لا يركز مادحوه على هذا الجانب كثيراً، وقد تكون بقية أرجوزة أبي النجم العجلي (ت ١٣٠هـ) هي التي فيها مدح مباشر لقبيلته، وفيها<sup>(١)</sup>:

وَيُلْ أَمْ دُورِ عِزَّةٍ وَمَجْدٍ دُورٌ ثَقِيفٌ بِسَوَاءٍ نَجْدٍ

أَهْلُ الْحُصُونِ وَالْخَيُولِ الْجُرْدِ

وأكبر الظن أن في هذه الأرجوزة مدحاً كثيراً لقبيلة الحاجاج وتنويعهاً بنسبه، لأن الحاج أعجب برجزه كما ورد في المصادر، وخирه في مكافأته تكريماً له<sup>(٢)</sup>. فهذا يدل على أن للرجز بقية تنصر الحاجاج وتعلي من شأن قبيلته إلا أنها ضاعت. وجدير عندما أراد مدح الحاجاج رفعه إلى جده الأعلى "قيس" أبي القبيلة التي يميل إليها جرير كثيراً، ويتجلى بمفاخرها كأنه فرد منها، فقال<sup>(٣)</sup>:

وَيَقْضِي بِسُلْطَانٍ عَلَيْكَ أَمِيرُهَا  
غَيْوَثُ الْحَيَا يُحْيِي الْبِلَادَ مَطِيرُهَا

الْمَرْتَرَقِيْسًا لَا يُرَامُ لَهَا حِمْرَةٌ  
مُلُوكٌ وَأَخْوَالُ الْمُلُوكِ وَفِيهِمْ

فقوله "أخوالي الملوك" يشير إلى المصاهرة المستمرة بين ثقيف وبني أمية القرشية مما يرفع من قيمة ثقيف.

وممن مدح الحاجاج واقفاً بهذا المدح عند "معتب" عبد الله بن الزبير الأسدي، فقال<sup>(٤)</sup>:

إِكْفَى غَلَامٍ مِنْ ثَقِيفٍ نَمَتْ بِهِ قُرَيشٌ وَدُوْلَةُ الْمَجَدِ التَّلِيدِ مُعْتَبٌ

وَكَذَلِكَ عُمَرَانَ بْنَ عَصَامَ<sup>(٥)</sup>:

وَبَعَثَتْ مِنْ وَلَدِ الْأَغَرِ مُعَتَبٌ صَقْرًا يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالْعَوْسَجِ

وممن مدح والد الحاجاج مبشرة الفرزدق في رثائه للمحمدية فقال<sup>(٦)</sup>:

سَمِّيَ رَسُولُ اللَّهِ سَمَّاهُمَا بِهِ أَبٌ لَمْ يُكُنْ عِنْدَ الْمُحَمِّدِيَّاتِ أَخْضَعَهَا  
أَبًا كَانَ أَبُنْسٍ لِلْمُعَالِيِّ وَأَنْفَعَهَا

أَبٌ كَانَ لِلْحَاجَاجِ لَمْ يُرَمِّثْهُ

(١) ديوان أبي النجم العجلي ص ٩٣.

(٢) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦٩/١٠.

(٣) ديوان جرير ٨٨٠/٢.

(٤) ديوان عبد الله بن الزبير ص ٥٢.

(٥) أبو تمام: الوحشيات ص ٢٦٤.

(٦) شرح ديوان الفرزدق ٤٩٦/١.

فوالده كان صابراً بانياً للمعالي قليلاً وجوده في الآباء.  
ويرد في الشعر الذي قيل في مدح الحجاج قولهم "يا ابن الأكرمين" نحو قول نويفع بن  
لقيط<sup>(١)</sup>:

وَآلِيْتُ لَا آتِيْكَ إِلَّا مُسَالِمًا  
مَعِيْ مِنْكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ أَمَانِي  
وَقُولُ الْعِجَاج<sup>(٢)</sup>:

فَوَجَدُوا الْحِجَاجَ يَأْبَى الْهَضَّا  
لَا فَائِنَا وَلَا حَدِيثًا غَطَّا  
وَمِنْ صَرِيحِ الْأَكْرَمِينَ مُحْضًا<sup>(٣)</sup>

وهذه الكلمة تقال لا تقاس بالمدح بالآباء والأجداد والقبائل مما يوجد في شعر ذلك العصر وتلك البيئة بالذات التي عاش فيها الحجاج.  
أسماوه وألقابه:

وقد درج مادحو الحجاج عند مدحهم له على أن يشيروا إليه باسمه الأول "الحجاج"،  
والأمثلة على ذلك كثيرة جداً مضى في هذا البحث نماذج كثيرة لها، وهذه الطريقة في  
تسمية الحجاج تطفى على ما سواها من الأساليب.

ثم يأتي بعدها بمراحل كثيرة تسمية الحجاج بابن يوسف كقول أعشى همدان<sup>(٤)</sup>:

وَلَمَّا زَرَحَفْنَا لَابْنَ يُوسُفَ غُدْوَةَ  
وَأَبْرَقَ مِنَ الْعَارِضَانِ وَأَرَدَّا  
وَكَقُولُ العَدِيلِ بْنِ الْفَرَخِ<sup>(٥)</sup>:

إِذَا مَا أَتَتْ بَابَ ابْنِ يُوسُفَ نَاقْتِي  
وَسُمِيَ الْحِجَاجَ قَلِيلًا بَابِنَ أَبِي عَقِيلٍ وَهُوَ جَدُّهُ، كَقُولُ الْفَرَزِدقِ<sup>(٦)</sup>:

عَلَيْ رَأْيِتَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ  
وَرَأَيْتَ مِنْكَ أَظْفَارًا وَنَابًَا  
وَكَقُولُ جَرِيرِ<sup>(٧)</sup>:

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ٦٤٤/٢.

(٢) ديوان العجاج ص ١٣١.

(٣) المحضر: الصريح.

(٤) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١٠٢.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٦٢/٢٢.

(٦) شرح ديوان الفرزدق ٩٢/١.

(٧) ديوان جرير ٢٤٤/١.

صَبَرْتَ النَّفْسَ يَا ابْنَ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافَظَةً فَكَيْفَ تَرَى التَّوَابَأْ  
أَمَا تَكْنِيَتِه بِأَبِي مُحَمَّد فَقَلِيل جَدًا جَدًا فِي الشِّعْرِ، وَلَهُ مَثَالٌ وَاحِدٌ فِيمَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ  
مَصَادِرٍ، وَهُوَ قَوْلُ حَمِيدَ الْأَرْقَاطِ<sup>(١)</sup>:

لَا نَوْمَ حَتَّى تُحْسِرِي وَتُلْهِدِي قُلْتُ لِعَنْسِي وَهِيَ عَجَلَ تَعَنِّتِي  
أَوْ تَرَدِي حَوْضَ أَبِي مُحَمَّدٍ

وَهُذَا الْأَمْرُ لَا يَتَوَافَّقُ مَعَ مَا تَعْرَفُ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ التَّكْرِيمِ بِالْمَنَادَةِ بِالْكَنِيَّةِ خَاصَّةً أَنَّ  
مُحَمَّدَ بْنَ الْحَجَاجِ لَيْسَ بِالشَّخْصِ الْغَفْلِ أَوِ الْابْنِ الْخَامِلِ بَلْ لَهُ دُورٌ سِيَاسِيٌّ وَعَسْكَرِيٌّ  
مَعَ وَالَّدِهِ<sup>(٢)</sup> حَتَّى قَالَ الْفَرَزْدِقُ فِي رِثَائِهِ<sup>(٣)</sup>:

أَخَا كَانَ أَجْرَى أَيْسَرَ الْأَرْضِ كُلُّهَا وَأَجْرَى ابْنُهُ أَمْرَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَـاً

وَقَدْ كَانَ خَلْفَاءُ بَنِي أُمِّيَّةٍ يَكْنُونُ الْحَجَاجَ كَثِيرًا عِنْدَ مَخَاطِبَتِهِمْ لَهُ<sup>(٤)</sup> تَكْرِيمًاً وَاحْتِرَامًاً  
وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَوْجَدُ لَهُ تَكْنِيَّةٌ فِي الشِّعْرِ إِلَّا فِي ذَلِكَ الرِّجْزِ - فِيمَا اطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَادِرٍ -  
أَمَا الْأَلْقَابُ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا الشَّعَرَاءُ فِي الشِّعْرِ، فَأَكْثَرُهَا (الْأَمْرِيْر) كَقُولُ رَجُلٍ مِنْ

أَصْحَابِ قَطْرِيِّ<sup>(٥)</sup>:

تَالَّهُ لَا كَدِتُ الْأَمِيرَ بِالْأَلِهِ وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَهُ

وَقَوْلُ أَحَدِ جُنُودِ الْمَهْلَبِ<sup>(٦)</sup>:

أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جُزِيَّتَ خَيَّرًا أَرِحْنَا مِنْ مُغِيرَةِ وَالرُّقَادِ

وَهُذَا هُوَ الْوَضْعُ الطَّبِيعِيُّ لِلْحَجَاجِ فَهُوَ أَمِيرٌ وَجَدِيرٌ بِالْمَخَاطَبَةِ بِالْإِمَارَةِ خَاصَّةً مِنْ  
مَادِحِيهِ.

(١) البكري، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز: سبط الآلي، تحقيق: عبد العزيز الميموني (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ٤١٣٥٤ هـ. ١٩٢٦ م).

(٢) تحسرى: تتعنى حتى تعين، تلهى: يؤلمك سباقك من عض الحمل غاربك.

(٣) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٧/٨ وابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٥، ١٧٩/٥، ٢٦٩/٢، ٢٨٠/٢.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٤/٩٧.

(٥) انظر على سبيل المثال: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٨/٢٨٤، المسعودي: مروج الذهب ص ١٤٥.

(٦) الرقام البصري: أبو الحسن محمد بن محمد: العفو والاعتذار، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٨١م).

(٧) المبرد: الكامل ٣/١٤٨.

ولقب الحجاج كثيراً بأنه "سيف" فالفرزدق في أكثر من موضع جعل الحجاج نفسه سيفاً نحو قوله<sup>(١)</sup>:

تَعْلَمُ أَنَّمَا الْحِجَاجُ سَيْفٌ      تُجَذِّبِهِ الْجَمَاجِمَ وَالرِّقَابَا  
وَكَقُولُ حَمِيدِ الْأَرْقَطِ<sup>(٢)</sup>:

شَعْوَاءَ تَرْدِي يَنْسِيْجَ وَحْدَهُ<sup>(٣)</sup>      تَحْمِلُهُ مُعْتَجِراً بِرْدَهُ  
كَالْسِيفِ إِنْ أَبْرَزَتَهُ مِنْ غَمْدِهِ  
ووصف الحجاج بأنه "أسد" كقول عمران بن عصام<sup>(٤)</sup>:

لَمْ يُثِنْهُ عَنْهَا صِيَاحُ مُهَجَّهِجَ<sup>(٥)</sup>      وَهُوَ الْهِبَرُ إِذَا أَرَادَ فَرِيسَةً

ولقب بـ"الصغر" كقول الفرزدق<sup>(٦)</sup>:

إِذَا غَمْرَةَ الظَّلَمَاءِ عَنَهُ تَجَلَّتْ  
كَأَنَّ قِطَامِيًّا عَلَى الرَّحْلِ طَاوِيًّا

وهذه الألقاب "سيف، وأسد، وصغر" ربما كانت هي النمط التشبّيحي الملائم للجو القتالي الذي أحاط بالحجاج لأن السيف عند العرب سيد الأسلحة والأسد ملك سبع البر والصغر سيد سبع الجوف كان من اللائق اختيار هذه الصور للممدوح.

كرم الحجاج وشجاعته:

ومن صفات الحجاج التي نوه بها الشعراء صفة الكرم، وحربي بالشعراء أن ينوهوا بهذه الصفة التي تغريهم بشعر المديح، فالحجاج بن حكيم (ات نحو: ٩٠ هـ). وهو من

هو لجأ للحجاج ليحمل عنه دياته، فرحل إليه في دياره<sup>(٧)</sup>، وقال<sup>(٨)</sup>:

رَحَلَتُ إِلَى الْحِجَاجِ أَطْلَبْتُ نَفْعَهُ  
عَلَى نَفَقَةِ اللَّهِ وَالرَّهْنُ قَدْ غَلَقْ  
تَحْمِلْتُهَا وَالْقَلْبُ مِنْ تُقْلِهَا فَرِيقْ

(١) شرح ديوان الفرزدق ١/٤٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢/٢٣٨.

(٣) الاعتخار: لف العمامة دون التلحين. تردى: ترجم الأرض رجماً بين العدو والمتشي الشديد.

(٤) أبو تمام: الوحشيات ص ٢٤.

(٥) مهجهج: المهجهج حكاية صوت الرجل إذا صاح بالأسد.

(٦) شرح ديوان الفرزدق ١/١٣٨.

(٧) انظر: شعر الأخطل صنعة السكري برواية ابن حبيب ص ٢٧ - ٢٨ . والبلاذري: أنساب الأشراف ٥/٢٣٢ - ٣٢٣.

(٨) شعر الأخطل ص ٢٨.

فَأَحْفَقَ سُؤَالِي ثُمَّ أَفْبَلَ ضَاحِكًا

عَلَيْهِ وَأَعْطَانِي الْأَلْوَفَ مِنَ الْوَرْقِ

فهذه الأبيات تثبت صفتين للحجاج، الأولى سرعة مده يد العون، إذ جاء إليه الجحاف "والرهن قل غلق" وحان موعد تسليمه، والثانية أنه يعطي برحابة صدر، فالحجاج "أقبل ضاحكاً" على الجحاف بن حكيم بعد أن أعطاهم الألوف من الورق.

وقد أعمل إليه المطي أيضاً حميد الأرقط فقال<sup>(١)</sup>:

لَا نَوْمَ حَتَّى تَحْسِنَسِي وَتَهَدِي  
لَيْسَ الْأَمِيرُ بِالشَّجِيقِ الْمُلْحِدِ  
قُلْتُ لِعَنْسَنِي وَهُنَيْ عَجْلُنِي تَعْتَدِي  
أَوْتَرِدِي حَوْضَ أَبِي مُحَمَّدِ

وَلَا بِوَبِرِ بِالْحِجَازِ مُقْرِدٍ

فعنسى ناقته التي حملته من الحجاز حيث عبد الله بن الزبير إلى حوض أبي محمد كما قال، وعمد إلى الموازنة بين الحجاج وعبد الله بن الزبير لتأكيد صفة الكرم في الحجاج.

وجرير لجا إليه عندما أعزوه الحاجة فقال<sup>(٢)</sup>:

بِجَاذِي الْمِرْفَقَيْنِ وَلَا نَكُودِ  
وَشُرْبَ الْمَاءِ فِي زَمَانِ الْجَلَدِ  
عَلَى دَرَّ الْمُحَالِجَةِ الرَّفُودِ  
وَقَدْ كَانَ الْمَحَاجِرُ غَيْرَ سُودِ  
وَمَا الْحِجَاجُ فَأَحْتَضَرَ وَانْدَاهُ  
أَلَانِ شُكُوكِيَ زَمَانَ مَحْلِيَ  
وَمَعْتَبَةَ الْعِيَالِ وَهَمْ سِغَابِ  
زَمَانًا يَتَرُكُ الْفَتِيَاتِ سُودَا

فالشاعر هنا يذكر المستضعفين من الأهل وهم العيال والفتيات لعلمه برحممة الحاج الضعفاء.

والفرزدق يشيد بصفة الكرم في الحجاج، إذ قال<sup>(٤)</sup>:

لَهُ بِمِنَى وَأَضْمَرَتِ الرَّكَابَا  
فَإِنِي وَالَّذِي تَحَرَّتْ قَرَيشٌ

(١) البكري: س茗ط الآلي ٦٤٩ / ٢، وأبو علي القالي: الأمالي ١٤ / ٢.

(٢) ديوان جرير ٧٢٨ / ٢.

(٣) المحالجة والرفود: الإبل التي تدور على محلبها لا ينقطع درها.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٩١ / ١، ٩٢.

لِيَسْتُلِمُوا الْأَوَاسِيَّ وَالْحِجَابَا  
كَفْضِلِ الْغِيْثِ يَنْفَعُ مِنْ أَصَابَا

إِلَيْهِ مُلْبِدِينَ وَهُنَّ حُرْوُصٌ  
أَقْدَ أَصْبَحْتُ مِنْكَ عَلَيَّ فَضْلٌ

ولطيف من الفرزدق تأكيد هذه الصفة في الحجاج بالقسم الذي ربطه بأظهر مكان  
عند المسلمين مكة المكرمة، وبركن من أركان الإسلام هو الحج.  
ومن اللافت للنظر الأبيات التي تجمع بين مدح الحجاج بالكرم ومدحه بالقوة في  
الحرب كقول الفرزدق<sup>(١)</sup>:

سِيَانٌ مَعْرُوفٌ فِي النَّاسِ وَالْمَطَرُ  
وَالْمَشْرَفُ الَّذِي تَعْصِي بِهِ مُضَرُّ  
وَالرَّأْيُ مَجْتَمِعٌ وَالْجَوْدُ مُنْتَشِرٌ

إِنَّ ابْنَ يُوسَفَ مُحَمَّدَ خَلَانِقَهُ  
هُوَ الشَّهَابُ الَّذِي يُرمَى العَدُوبَهُ  
لَا يَرْهَبُ الْمَوْتَ إِنَّ النَّفْسَ بِاسْلَهُ

فقد جعل الشاعر البيت الأول لمدح الحجاج بالكرم والثاني لمدحه بالشجاعة والثالث  
جمع فيه بين المعنيين، الشجاعة والكرم، وهاتان الصفتان هما ما يحتاج إليه أمير مدنى  
وقائد حربى كالحجاج.

تَحْتَ السَّيُوفِ غَمَالِغَمٌ وَهَرِيرٌ  
جُوفٌ لَهُنَّ بِمَاضٍ مِنْ هَدِيرٌ  
بِشَبَّيْبَ غَائِلَةُ النُّفُوسِ غَدُورٌ

وَالْقَوْمُ زَارُهُمْ وَأَعْلَى صَوْتُهُمْ  
وَإِذَا اللِّقَاحُ غَلَتْ فَإِنَّ قُدُورَهُ  
طَالَبَ الْأَزَارِقَ بِالْكَتَائِبِ إِذْ هَوَتْ

فجعل وصفه بالكرم يأتي بين بيتين في وصف شجاعته في الحرب.  
والفرزدق بعد أن أسهب في وصف حرب الحجاج مع ابن الأشعث وسخر ما شاء من  
 أصحاب ابن الأشعث قال مباشرة<sup>(٢)</sup>:

(١) شرح ديوان الفرزدق ٤٣٥/٢.

(٢) شعر الأخطل ص ٤٠٨.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٦٩٧/٢.

عُيُونُ الصَّوَارِ حُوماً بِالْمَتَاهِلِ<sup>(١)</sup>  
جَوَابِي زَرُودَ الْمُتَرَعَّاتِ الْعَدَامِلِ<sup>(٢)</sup>

تَرَى أَعْيُنَ الْهَلْكَى إِلَيْهِ كَانَهَا  
يُرَاقِبَنَ فَيَاضاً كَأَنَّ جِفَانَهُ

فهو بكرمه يشبع جوع الفقراء بقدور ضخمة جداً.  
 فهو لاء الشعراء أرادوا أن يجمعوا للحجاج أفضل ما في السلم وأفضل ما في الحرب،  
 في السلم يحتاج الناس إلى الكرم، ووقت الحرب يحتاجون لقائد شجاع، فهو يقيهم  
 المصائب في جميع الأوقات.

أما مدح الحجاج بالشجاعة وحدها، فجاء في شواهد كثيرة منها قول الفرزدق<sup>(٣)</sup>:  
 رَأَيْتُكَ حِينَ تَعْتَرَكُ الْمَنَايَا  
 إِذَا الْمَرْعُوبُ لِلْغَمَرَاتِ هَابَا  
 وَأَذْلَقَهُ النِّفَاقُ وَكَادَ مِنْهُ  
 تَهُونُ عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهُوَ دُنْيَا  
 لِنَفْسِكَ عِنْدَ خَالِقِهَا تَوَابَا<sup>(٤)</sup>

فالشاعر عبر هنا بهوان النفس على صاحبها عن الشجاعة، وقال جرير<sup>(٥)</sup>:  
 فَمَامُخْرِرُ وَرْدِ بِخَفَّانَ زَادَهُ  
 إِلَى الْقِرْنِ زَجْرُ الزَّاجِرِينَ تَوَرْدَا<sup>(٦)</sup>  
 إِذَا بَعْضُهُمْ هَابَ الْخِيَاضِ فَعَرْدا<sup>(٧)</sup>

وقال جرير أيضاً<sup>(٨)</sup>:  
 تَشَدُّ فَلَا تُكَذِّبَ يَوْمَ زَحْفٍ      إِذَا الْغَمَرَاتُ زَعَزَعَتِ الْعُقَابَا  
 فَهُوَ صادقٌ في إقدامه في ذروة المعركة حتى إن الراية لا تثبت في يد حاملها الشدة

(١) الصوار: القطيع من البقر.

(٢) جوابي: جمع جابية وهي الحوض الضخم. زرود: تبتلع الطعام لضمانتها. العدامل: جمع عدم وهي القديمة.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٩١/١.

(٤) أذلقه: أضعفه وأوهنه.

(٥) ديوان جرير: ٨٥٢/٢.

(٦) مaddr:أسد. ورد:لونه بين الحكيم والأشقر. خفان: مأسدة. تورد: تقدم

(٧) ديوان جرير ١/٢٤٤.

الموقف. فالشجاعة الحقيقية تبرز في ميدان المعركة بين قصع الرماح وضرب السيوف لذلک حرص الشعراء السابقون على وصف الحجاج بالشجاعة داخل ميدان المعركة ولیست أي معارک إنما معارک شديدة تتنزع القلوب ويفر منها الأبطال وتزعزع الراية من موقعها.

وما جاء في مدح الحجاج بالشجاعة أكثر من هذا بكثير، ففي وصف المعارک التي خاضها والأعداء الذين انتصر عليهم وغيره مما مر في الحديث عن صورة الحجاج الحرية دليل على شجاعته.

#### رصد الشعراء وقائع حياة الحجاج:

وبلغ من حرص الشعراء على مدح الحجاج إلى متابعة حركات الحجاج وتسجيل دقائقها، حتى نسجوا منها أبياتهم، فمن ذلک أن الحجاج أثناء قدومه من عند الخليفة الأموي سار من إيليا (القدس) إلى واسط في سبعة أيام فقط<sup>(١)</sup>. فانتهز الفرزدق الفرصة ليمدح همته وصدق عزيمته فقال<sup>(٢)</sup>:

لَوْأَنَّ طَيِّرًا كُلِّفَتُ مِثْلَ سَيِّرِه  
سَمَا بِالْمَهَارَى مِنْ فِلَسْطِينَ بَعْدَمَا  
فَمَا عَادَ ذَاكَ الْيَوْمُ حَتَّى أَنَّا خَاهَ  
إِلَى وَاسِطٍ مِنْ إِلْيَاءَ لَكَّلتِ  
دَنَّا الْقَيْءُ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ فَوَلَّتِ  
يَمِيْسِانَ قَدْ حَلَّتْ عَرَاهَا وَمَلَّتِ

فالطير تكل من مثل سيره وهو لا يكل، والخيل تمل من مثل سيره وهو لا يمل.  
وقال الراجز في مسيره ذاك<sup>(٣)</sup>:

كَسَيْرِهِ مِنْ إِلْيَاءَ فَاعْلَمِي  
سَبْعًا إِلَى وَاسِطٍ فِي تَجَشِّمِ

وابع الشعراء أيضًا أقواله وطبقوها في أشعارهم، فقد أكثر مادحو الحجاج من الشعراء من وصف أهل العراق الذين أجهدوا الحجاج بمعارضتهم بـ "المنافقين" ووصف أفعالهم بالنفاق، وقد تردد هذا في الشعر كثيراً وعلى سبيل المثال قال جرير<sup>(٤)</sup>:

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوك ٤٢/٨.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ١٣٧/١. ١٣٨.

(٣) البلاذرى: أنساب الأشراف ١٢/٢٥٢.

(٤) ديوان جرير ١/١٣٨.

فَإِذَا رَأَيْتَ مُنَافِقِينَ تَخْيَرُوا سُبُّ الظِّجَاجَ أَقْمَتَ كُلَّ ضِجَاجٍ<sup>(١)</sup>

وقال الفرزدق: <sup>(٢)</sup>:

إِذَا حَارَبَ الْحَجَاجَ أَيْ مُنَافِقٍ عَلَاهُ بِسَيْفٍ كُلُّمَا هَزَّ يَقْطَعُ

والالمثلة على ذلك كثيرة<sup>(٣)</sup>، وقد يكون مصدر هذه الصفة حرص الشعرا المادحين على موافقة الحجاج في رأيه في أهل العراق، إذ كثيراً ما سماهم المنافقين ففي أول أيام دخوله العراق سمع تكبيراً في السوق فخرج غاضباً وقال: "يا أهل العراق، وبما أهل الشفاق، وبما أهل النفاق وسيئ الأخلاق"، فهذا كلامه أول عهده بالعراق بل يقال ثالث أيام دخوله إياها<sup>(٤)</sup>، ثم توالي نعته إياهم بالمنافقين فمن ذلك قوله: "لما تبوأت الأمور منازلها قالت الطاعة: أنزل الشام، قال الطاغعون: وأنا معك، وقال النفاق: أنزل العراق، قالت النعمة: وأنا معك"<sup>(٥)</sup>، وما زال هذا رأيه فيهم حتى وفاته ونهاية عهده بهم إذ كتب في وصيته: "وأوصي بتسعمائة درع حديد ستمائة منها لمنافقى أهل العراق يغزون بها، وثلاثمائة للترك"<sup>(٦)</sup>.

وقد شارك الشعر الحجاج في مصاببه التي مني بها وأعظمها فقده لأخيه وابنه في جمعة واحدة، فصور الفرزدق الحجاج من خلال قصيدته في الرثاء صبوراً متماسكاً، إذ افتتحها بقوله<sup>(٧)</sup>:

تَكُونُ لَمَرْزُوعٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعاً  
عَلَى جَبَلٍ أَمْسَى حُطَاماً مُصَرَّعاً  
وَلَا ابْنٌ مِنَ الْأَقْوَامِ مِثْلَهُمَا مَعَـا

لَئِنْ صَبَرَ الْحَجَاجُ مَا مِنْ مُصِبَّةٍ  
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَيْ جَمْعَتِيهِ تَتَابَعَا  
وَمَارَاعَ مَنْعِيَالَهُ مِنْ أَخَلَهُ

(١) ضجاج: باطل

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٢٥١.

(٣) انظر على سبيل المثال شرح ديوان الفرزدق ١/٢٩٧ ت ٢٠٠٢٠١، ٤٩٧/٢، وديوان جرير ١/١٣٧، ١٣٨. .٧٢٧/٢، ٢٠١٣٩.

(٤) انظر: المبرد: الكامل ١/٢٢١.

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢٢٢.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٣٩.

(٧) شرح ديوان الفرزدق ٢/٤٩٤، ٤٩٥.

وتصور القصيدة مدى تمسك الحجاج بدينه ومحبته لل الخليفة<sup>(١)</sup>:  
 وَلَمْ يَكُنِ الْحَجَاجُ إِلَّا عَلَى الَّذِي هُوَ الدِّينُ أَوْ فَقْدُ الْإِمَامِ لِيَجْرِعَ  
 وَالْفَرِزْدَقُ يَشَاطِرُ الْحَجَاجَ الْبَكَاءَ عَلَيْهِمَا<sup>(٢)</sup>:

إِنِّي لَبَاكِيٌ عَلَى ابْنِي يُوسُفٍ جَرَعاً  
 مَاسَدَ حَيٌّ وَلَامِيتُ مَسَدَهُمَا  
 وَمِثْلُ فَةٍ دِهْمًا لِلَّدِينِ يُتَكَبِّنِي  
 إِلَى الْغَلَائِفِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ

فهمما رجلان صالحان، في حياتهما صلاح للدين، وفي فقدهما خسارة كبيرة.

#### رثاء الحجاج:

وبعد هذه الحياة الحافلة بالأعمال البطولية من الناحيتين العسكرية والمدنية، وبعد أن أمض الحجاج عشرين عاماً كاملة ولياً على أخطر مناطق الحكم الأموي (العراق)، فأحكم قيادها وأجاد سياستها. وبعد أن اشتهر بمحبة الخليفة الأموي له حتى جعله عبد الملك جلدة ما بين عينيه ثم أصبح جلدة وجه الوليد كله، مات الحجاج. ومن العجيب أن المصادر لا تذكر كثيراً من رثاء الحجاج، ولم يقم برثائه إلا الفرزدق بقصيدة ومقطوعة، وهذه القصيدة اليتيمة التي سمحت بها نفس الفرزدق علق عليها ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) بقوله: ”وقال الفرزدق يرثي الحجاج يرضي بذلك الوليد بن عبد الملك“<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه المرثية قال الفرزدق<sup>(٤)</sup>:

فَلَيْتَ الْأَكْفَافَ إِنَّا فِي أَنَّابِتِ ابْنَ يُوسُفٍ تَقْطَعْنَ إِذْ يَحْتَنَ فَوْقَ السَّقَایفِ  
 فقيل للفرزدق ما معناها، فقال: وددت والله أن أرجلهم تقطع مع أيديهم<sup>(٥)</sup>، وهذا دليل على أن الفرزدق حزين فعلاً على الحجاج، وأنه لم يقل هذه القصيدة إرضاء للوليد بن عبد الملك فحسب بل إعجاباً ووفاء للحجاج خاصة أنه رثاه بمقطوعة من أربعة أبيات تفيض بالحزن على الحجاج<sup>(٦)</sup>، وفي قصيدة الرثاء وضع الفرزدق الحجاج بعد الخلفاء

(١) شرح ديوان الفرزدق ٤٩٥/٢.

(٢) المبرد: الكامل ٤٤٩/٢. التعازى والمرانى ص ٢٠٣. ولم أجد البيتين في ديوان الفرزدق.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٨٨/٥.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٥٢٠/٢.

(٥) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٨٨/٥.

(٦) انظر: شرح ديوان الفرزدق ٣٦٥/١.

مباشرة فقال<sup>(١)</sup>:

وَمَا ذَرَقْتُ عَيْنَانِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَى مِثْلِهِ إِلَّا نُفُوسُ الْخَلَائِفِ

وفي هذه القصيدة عدد الشاعر الطوائف التي ستفتقد الحجاج فعلاً وهم أهل التغور  
من يلي العدو والأيتام، والرعاية البعيدين في المراعي والضعفاء من النساء والرجال  
الذين يعيشون في الأماكن القاصية، فالحجاج أمن روع هؤلاء وحفظ عليهم حياتهم  
وأموالهم كما حفظها لغيرهم إلا أن هؤلاء لا يستطيعون حماية أنفسهم بعد الحجاج  
أما غيرهم فيستطيع ذلك، وفي هذا تصوير لمدى الخسارة الفادحة التي منيت بها الأمة  
بموت الحجاج، ومن الطريف أن الشاعر ابتدأ الرثاء واختتمه بكاءً أهل التغور عليه إذ  
قال مفتاحاً قصيده<sup>(٢)</sup>:

لِبِيكِ عَلَى الْحَجَاجِ مَنْ كَانَ بَاكِيًّا عَلَى الدِّينِ أَوْ شَارِ عَلَى التَّغْرِيرِ وَاقِفٍ

واختتم الرثاء بقوله<sup>(٣)</sup>:

يَقُولُونَ لَمَّا أَنْ أَتَاهُمْ نَعْيَهُ  
وَهُمْ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ جَيْشُ الرَّوَادِفِ<sup>(٤)</sup>  
شَقَّيْنَا وَمَاتَتْ قُوَّةُ الْجَيْشِ وَالَّذِي  
بِهِ تُرْبِطُ الْأَحْشَاءُ عِنْدَ الْمَخَافِ

ونعم الرجل ارتبط به المرابطون في سبيل الله إلى هذا الحد.  
وكما غالب الرثاء الموضوعي على القصيدة غلت الناحية العاطفية على مقطوعة  
الرثاء فجاءت مليئة بالدموع والبكاء قال<sup>(٥)</sup>:

إِبْكِ عَلَى الْحَجَاجِ عَوْلَكَ مَادِجَأَ  
لَيْلٌ بِظُلْمٍ وَلَاحَ نَهَارٌ  
تَرَكَ الْعَيْنَ وَنَوْمِهِنَّ غِرَارٌ  
إِنَّ الرَّزِيْقَةَ مِنْ نَقِيْفِ هَالِكِ

وقد عبرت امرأة من أهل بيته الحجاج بعد وفاة الحجاج بما كان يعنيه لهم فقالت<sup>(٦)</sup>:

(١) شرح ديوان الفرزدق ٥٢٩/٢.

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٥٢٩/٢.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٥٣٢/٢.

(٤) الروادف: هم الذين وراء الجيش يلون العدو.

(٥) شرح ديوان الفرزدق ٣٦٥/١.

(٦) الجاحظ: عمرو بن بحر: فصل ما بين العداوة والحسد (ضمن رسائل الجاحظ)، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٣م). ٣٧٢/١.

الْيَوْمَ يَرْحَمَنَ مَنْ كَانَ يَحْسُدُنَا      وَالْيَوْمَ نَتَبَعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعَّا  
فالحجاج قد حمى أهل بيته حتى كانوا موضع حسد الآخرين، وكان الآخرون تابعين  
لهم، وبموجته يتظارهم ويل عظيم يرحمهم عليه الحاسدون ويتحولون من متبعين إلى  
تابعين.

### الصورة السلبية

أما الصورة السلبية للحجاج في الشعر فيبلغ عدد أبياتها نحو مائتين واثنتين وثلاثين  
بيتاً، وأدت في معظمها في مقطوعات شعرية، وأهم موضوع سيطر على شعر الصورة  
السلبية هو:

الحروب والأيام:  
وعيد أنصار ابن الأشعث للحجاج:

وأهم تلك الحروب، حروب الحجاج مع ابن الأشعث (ت ٨٣هـ) فكما شغلت مادحيه  
فقد أكثر منها هاجوه، فهم قبل بداية المعركة يهددون تهديد الواشق من النصر، قال

الطفيلي بن عامر بن واثلة (ت ٨٢هـ):<sup>(١)</sup>

هَدَّتْهَا بِأَوْلَانَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ  
مِنَ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ تَصِيبُ  
عَذَابٌ بِيَدِي الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ  
أَتَوْكَ يَقُوْدُونَ الْمَنَابِيَا وَأَنَّمَا  
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ  
إِلَّا أَبْلَغَ الْحَجَاجَ أَنْ قَدْ أَظَلَهُ

فهو يهدد تهديه الواشق، فقد قدموا يقودون المنابيا إلى أعدائهم ولم يقل الجيوش  
لقتهم بنتيجة المعركة، هذه المنابيا ستقتل أعداء لا خير في دنياهم لأنهم خسروا  
آخرتهم، ثم يهدد الحجاج مباشرة بأنه "قد أظله" العذاب المهيئ على أيدي المؤمنين  
ويقصد بهم أصحاب ابن الأشعث، ويلاحظ تعbir الشاعر بـ(قد) مع الفعل الماضي لفعل  
لم يحدث بعد، لكن لثقة الشاعر بحدوثه عبر عنه بأسلوب التأكيد.

وكذلك أعشى همدان (ت ٨٢هـ) الذي أكثر من ذكر هذه الحرب لأنه أحد أتباع ابن  
الأشعث، والشاعر الناطق بما يدور فيها، فقد قال واصفاً حربهم للحجاج<sup>(٢)</sup>:

(١) الطبراني: تاريخ الأمم والملوك .١٢/١٢

(٢) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ٧٢

مَنْ مُلِئَّ الْحَجَاجَ أَيْ  
حَرْبًا مُذَكَّرَةً عَوَا  
يَقْدَسَتْ إِلَيْهِ حَرْبًا  
نَأَتْرُكُ الشُّبَانَ شُهْبَا

فهو يصفها قبل أن تبدأ بأنها حرب شديدة تغير سخونة الشباب الأقوباء فكيف بمن دونهم !!

وقد تفنن الشعراء المعادون للحجاج في السخرية منه في هذه الحروب وتعيره، فغير بالفරار من المعركة ولولا الفرار مانجا منهم، فقال الحارث بن خالد المخزومي (ت ٨٠ هـ) :

وَكَادَ غَدَاءَ الدِّيرِ يَنْفَذُ حِضْنَهُ  
غُلَامٌ يَطْعُنُ الْقِرْنِ جِدُّ طَيْبٍ  
وَحَسَنَ حَوْفَ الْمَوْتِ كُلُّ مَعِيبٍ  
وَأَنْسَوَهُ وَصْفَ الدِّيرِ لِمَارَاهُمْ

وقد توقع أصحاب ابن الأشعث هذا المصير للحجاج فقال أبو جلدة اليشكري (ت نحو ٤٨٣ هـ) :

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ زَرَنجَ  
مَالَكَ يَا حَجَاجُ مِنَ امْنَجَ  
أُولَئِنَّ فَذَاكَ أَحْجَ

فالشاعر واثق أنه ليس أمام الحجاج سوى خيارين إما القتل أو الفرار والثاني هو المتوقع منه.

بل لحقت السخرية محمد بن الحجاج نفسه في هذه الحرب، فقال الطفيلي بن عامر (بن وائلة) :

مَتَ نَهِيَطَ الْمِصْرَيْنَ يَهُرُبُ مُحَمَّدٌ  
وَلَيْسَ يَمْنُجِي ابْنُ الْلَّعِينِ هُرُوبٌ  
فَمُحَمَّدٌ لَنْ يَصْدِلْ بَلْ سَلِيجًا لِلْهُرُوبِ، وَلَكِنَ الْهُرُوبُ لَنْ يَنْفَعُهُ لَأَنَّهُمْ  
سِيلًا حَقُونَهُ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، وَجَعَلَهُ "ابْنُ الْلَّعِينِ" لَشَدَّةِ نَقْمَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَالِدِهِ.

(١) شعر الحارث بن خالد ص ٤٧.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغانى ١١/٢٩٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٨/١٣.

وعلم بعض الشعراء إلى السخرية من الحجاج وقواده وجنته، مضاعفين حدة السخرية بربطها بمديح قوادهم أعداء الحجاج، فقال أعشى همدان<sup>(١)</sup>:

نُبْئَتْ حِجَاجَ بْنَ يَوْنَى  
سَفَرَ خَرْمَنْ رَأْقَ فَتَبَّا  
يَجْلُوْكَ الْرَّحْمَنْ كَرْبَـا  
فَانْهَضْ . فُدِيتَ . لَعَلَهُ

فسيجلو الرحمن كربة الناس من الحجاج عن طريق ابن الأشعث، وقال الضحاك اليربوعي<sup>(٢)</sup>:

إِنْ يَهْلِكِ الْحِجَاجُ فَالْمِصْرُ مُصْرَنَا  
إِنْ تُخْرِجُوا سُفِيَانَ تُخْرِجُ إِلَيْكُمْ  
إِنْ تَبْرُزُوا لِلْحَرْبِ تَبْرُزُ سَرَاتَنَا  
إِلَّا فَمَثَوَانَا بِدِيرِ الْجَمَاجِمِ  
أَبَا حَازِمٍ فِي الْخَيْلِ شُعْثُ الْمَقَادِمِ  
مَطَالِيَتَ شُوسَا بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

فهم لن يتركوا المكان إلا بامتلاك المصر أي العراق أو يموتون على أرض دير الجمامجم آخر المعارك الفاصلة في هذه الحرب، ثم يتحدى فرسان الحجاج بفرسانهم وجنته بجندتهم.

وقد علم أعشى همدان إلى الفخر بجيشه ابن الأشعث، رابطاً هذا الفخر بهجاء الحجاج فقال<sup>(٣)</sup>:

سَارَ جَمْعُ كَالَّدَى مِنْ قَحْطَانْ  
يَحْفَلِ حَمْ شَدِيدِ الإِرْنَانْ  
نَبْيَتْ لِجَمْعِ مَذْحَجِ وَهَمْدَانْ  
وَمِنْ مَعَدْ قَدْ أَتَى تَبْنَ عَدْنَانْ  
فَقُلْ لِحِجَاجِ وَلِي الشَّيْطَانْ  
وَالْحَيِّ مِنْ بَكْرٍ وَقَيْسٍ عَيْلَانْ

فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأسَ الْذِيفَانْ

فهو يفخر بضخامة ذلك الجيش، وأنه يضم عناصر من كل القبائل العربية الشمالية والجنوبية، ولا ينسى في أثناء ذلك التذكير بأن هذا الجيش ما جاء إلا لولي الشيطان

(١) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ٧٤.

(٢) الباركي: معجم ما استعجم ٥٧٤/٢ "دير الجمامجم".

(٣) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١٦٤.

(٤) الإرثان: الضوابط.

(الحجاج)، وأنهم ساقوا الحجاج السمر الناقع.

وبعد انتهاء الحرب مع ابن الأشعث سكتت الألسن الهاجية عن ذكر هذه الحرب، فقد انتصر الحجاج نصراً ساحقاً وطفق يبالغ في العقاب وفي التواب، إلا أنه بعد موته وموت الوليد بن عبد الملك (ت ١٩٦ هـ) عاد ذكر هذه الحرب في شعر الفرزدق الذي برع في الإشادة بانتصارات الحجاج على ابن الأشعث، عاد ليجد من خلالها سبيلاً إلى التقرب لسليمان بن عبد الملك (ت ١٩٩ هـ) الذي يحمل للحجاج كل كراهية وعداء، فقال مستنكراً فعل الحجاج بالفلول المستسلمة من جيوش ابن الأشعث<sup>(١)</sup>:

وَإِذْ أَنْتُمْ مَنْ لَمْ يَقُلْ أَنَا كَافِرٌ  
تَرَدَّى نَهَاراً عَثَرَةً لَا يُقَالُهَا  
سَرَيْعٌ إِبْيَنْ الْمِنْكَبَيْنِ زَيَالَهَا  
وَقَارَقَأَمَّ الرَّأْسِ مِنْهُ بِضَرَبَةٍ  
وَأَنْ كَانَ قَدْ صَلَّى ثَمَانِينَ حِجَّةً

فالفلول التي آذتها الهزيمة والمهما الخزي، إذا جاءت تباعي الحجاج مرغمه لا يبايعها الحجاج مباشرة بل يشترط عليهم أن يقرروا على أنفسهم بالكفر، فمن أقر باليه ومن لم يقر قتيله مباشرة، وحتى كبار السن ممن تعدوا الثمانين ولم يرضوا على أنفسهم بالكفر بعد هذا العمر لم يرحمهم الحجاج وقتلهم، وقد يكون الفرزدق يعني بهذا البيت "كميل بن زياد التخعي" (ت ٨٢ هـ) ورجلًا من خثعم اللذين قتلهمما الحجاج وهو ما فوق الثمانين بعد دير الجمامجم، لأنهما لم يقرا على نفسيهما بالكفر<sup>(٢)</sup>. فالحجاج في نظر الشاعر معتد جبار في تكفيره للناس قاس عديم الرحمة في قتيله كبار السن.

وعاد الفرزدق للحاضر في هجائه للحجاج، فالفلول الهاجرية من الحجاج خارج حدود الدولة الأموية ظلوا طريدين خائفين بعد انتهاء تلك الحرب حتى قدوم سليمان بن عبد الملك الذي أمنهم بعد توليه الخلافة، فرجعوا إلى بلادهم، فانتهزها الفرزدق فرصة لمدح سليمان بن عبد الملك بهذا الفعل الكريم وهجاء الحجاج، فقال<sup>(٣)</sup>:

إِلَّا كُنْتَ إِلَى مَنْ كَانَ بِالصِّينِ إِذْ رَمَتْ  
بِهِ الْهَنْدَ الْوَاحِدَ عَلَيْهَا جَلَالَهَا

(١) شرح ديوان الفرزدق ٦٢٢/٢.

(٢) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٢٥/٨.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٦٢٢/٢.

**هُلْمٌ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَدْلِ عِنْدَنَا**

**فَقَدْ مَاتَ عَنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ خَبَالُهَا**

فالحجاج هو خبال العراق أي فساده.

وهكذا صور شعر الخصوم في هذه الحرب الحجاج بالإنسان الجبان الضعيف، الذي لا يخجل من الفرار لا هو ولا ابنه، وصورة بالإنسان عديم الرحمة، قاسي العقوبة، وكان شعر هؤلاء الشعراء يفيض بالاعتداد بالنفس والثقة من النصر، لأنهم ضمنوا النتائج قبل بداية المعركة.

### **هزائم الحجاج أمام الخوارج:**

أما حربه مع الخوارج فقد أكثر شعراء الصور السلبية من ذكرها، وكان للخوارج الشبيبية صولة وجولة داخل العراق، فأكثروا من السحرية من الحجاج وجنده قال عبد الواحد الأزدي يوم سوق حكمة<sup>(١)</sup>:

فِي السُّوقِ يَوْمَ الظَّفَرِ بِالْحِجَاجِ  
وَلَقَدْ بَاغَنَ الْعُذْرَ فِي الإِدْلَاجِ  
مِثْلُ السَّعَالِ تَحْتَ لَيْلِ دَاجِ  
وَتَرَكْتُهُ مُتَقَطِّعًا لِلْأَوَادِاجِ  
فَنَجَّا إِلَى أَجْلٍ وَلَيْسَ بِنَاجٍ

يَالِيَتِنِي فِي الْخَيْلِ وَهِيَ تَدُوسُهُمْ  
يَأْخِي ثَمُودَ وَقَرْبَ مَا أَخْطَانَهُ  
أَصْبَحْنَ بِالْأَبْنَارِ يَوْمَ أَتَيْنَهُ  
فَبَطَحْنَ مَيْمُونَ الْعَذَّابِ لِوَجْهِهِ  
وَلَقَدْ تَخَطَّأْتُ الْمَنَيَا حَوْشَبَاً

وقال حبيب بن خدرة الهلالي مولاهما، يذكر ذلك اليوم أيضاً<sup>(٢)</sup>:  
**الْوَتْ بِعَتَابِ شَوَّارِدِ خَيْلَنَا**  
**ثُمَّ اتَّشَّتْ لِكَتَائِبِ الْحِجَاجِ**  
**لَسَقِينَهُ صِرْفًا بِغَيْرِ مِرَاجِ**  
**وَلَعْمَرِامِ الْعَبْدِ لَوْأَدِرَكْتَهُ**

فكلاهما يجمع على أن الحظ ولا شيء غيره كان في صف الحجاج إذ نجا من الخوارج مع ما توافر لهم من خيول سريعة وسلاح نافذ، وهو ما يجمعان أيضاً على كراهية عميقه للحجاج عبرا عنها بمثل "أخي ثمود"، و"ابن أم العبد".

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٩٥/٧

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٦٧/٨

وكذلك عيره الحارث بن خالد المخزومي بإفلاته مهزوماً من جيش شبيب (ت ٧٧هـ)، فقال<sup>(١)</sup>:

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا يَا أَبَانُ مُسْلَمًا      فَقَدْ أَفْلَتَ الْحَجَاجَ خَيْلُ شَبَّابِ

فهؤلاء الشعراء متقدون على أن الحجاج كاد يقع في أيدي الخوارج إلا أنه نجا بحياته منهذاً.

وكما سخروا في تلك الأبيات من الحجاج سخروا من قادة جيشه وجنته، فحبيب ابن خدة افتخر بقتلهم عتاب بن ورقاء الرياحي (ت ٧٧هـ)، ولا عجب في افتخاره إذ صمد لقتالهم وقد فر جنده من حوله إلا قلة قليلة، ولم يتمكن من قتلها إلا شبيب بنفسه<sup>(٢)</sup>، وبعد قتله تفرغت كتائب الخوارج لمطاردة الفارين من كتائب الحجاج. أما الافتخار بقتل ولهاقة من هم دون القادة فقد صوره عبد الواحد الأزدي في الشعر السابق، فافتخر بقتلهم ميمون (ت ٧٦هـ) الذي يسمى العذاب، وهو مولى حوشب الوارد في البيت الثالث، أما حوشب فهو حوشب ابن يزيد طاحب شرط الحجاج<sup>(٣)</sup>، وقد نجا من الموت في ذلك اليوم، لذلك لم ينس الشاعر أن يتوعده بأن نجاته إلى أجل لأنهم أي الخوارج سيهاجمونه مرة أخرى ويقطضون عليه.

ولأن الخوارج أكثر ما نقموا على الحجاج توليه قتالهم وإصراره على ذلك القتال حتى النصر، فقد حاولوا أن يسخروا من قوته فوصفوه بالجبن وعيروه بالفرار، واتهموه بالاختباء خلف الأسوار والأبواب، فمن ذلك أبيات عمران بن حطان (ت ٨٤هـ) المشهورة<sup>(٤)</sup>:

أَسَدٌ عَلَيْهِ وَفِي الْحَرُوبِ نَعَامَةٌ  
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَرَالَةٍ فِي الْوَغْرَى  
صَدَعْتَ غَرَالَةً قَلْبَهُ إِنْفَوَارِسٌ

(١) شعر الحارث بن خالد المخزومي ص ٤٦.

(٢) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوک ٢٤٧/٧.

(٣) انظر: اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ص ٢٧٤.

(٤) ابن طيفور: أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء، تحقيق: محمد طاهر الزين (الكويت، مكتبة السنديس، ١٤١٣هـ). والبيت الرابع في ابن أعثم: الفتوح ١٧٤. (١٩٩٣م).

## الْقِسْلَاحَ وَخُذْ وَشَاحَ مُعَصْرٍ

واعمَدْ بِمَنْزَلَةِ الْجَبَانِ الْكَافِرِ

فهو في الجبن كالنعمامة، لذلك تحداه أن يقف محارباً - لا لرجل - ولكن لامرأة هي غزالة الخارجية (ت ٢٧٧هـ) التي أخافتة بفرسانها، ثم أنهى مقطوعته بأن من مثله حقه أن يلقي السلاح، ويلبس ملابس النساء، ويرضى بمنزلة الجبان الكافر، وكما اختبا الحجاج من غزالة ورفض أن يبرز لمقاتلتها اختباً عن غيرها من المقاتلين مثل شبيب الخصم القوي للحجاج، فقال رجل من الخوارج يعبره<sup>(١)</sup>:

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى شَبَّابٌ وَصَاحِبُهُ عَلَى الْبَابِ لَوْاْنَ الْأَمِيرِ يُحِبِّ

ولقبه بالأمير هنا سخرية لاحتراماً، فكيف يعقل أن هناك أميراً يختبئ خلف الأبواب والجيش المعادي يناديه للمعركة وهو يرفض مواجهتهم !!، ويعبره بالاختباء خلف الأسوار حبيب بن خدرة، فقال<sup>(٢)</sup>:

حَتَّى تَرَكْنَ أَخَا الْضَّالِّ مُسْهَدًا مُتَمَنِّعًا بِحَوَائِطٍ وَرَاتِجٍ

فهو محتم متحصن ومع ذلك يحمل الهم ولا يشعر بالأمان لشدة جبنه.

استياء جيش المهلب من سياسة الحجاج:

وتولي الحجاج حرب الخوارج أثمر حركة شعرية طريفة ليس فقط عند الطرف المعادي للحجاج (أي الخوارج)، بل أدى تولييه هذه الحرب إلى حركة شعرية خصبة عند الطرف المقابل للخوارج، وهم جند الحجاج أنفسهم ممن يمارسون القتال تحت قيادة المهلب بن أبي صفرة (ت ٨٢هـ) فالحجاج حريص على إنهاء الحرب سريعاً، والمهلب الذي يقود الحرب يرى غير ذلك<sup>(٣)</sup>، مما أغضب الحجاج من المهلب، وأغضب جند المهلب من الحجاج، وهم يشعرون أن المهلب كالأب الرؤوم لهم، لذلك مظوا يتمنون خبرة الحجاج في القتال ساخرين من رسله الذين يبعثهم إلى المهلب مثل قول الصلطان العبدى (ت نحو ٨٠هـ)<sup>(٤)</sup>:

(١) ابن أعثم: الفتوح .٦٥/٧

(٢) ابن أعثم: الفتوح .٣٦٠/٧

(٣) انظر: المبرد: الكامل .١٢٢/٢

(٤) المبرد: الكامل .١٢٦/٣

وَقَبْلَ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَقَائِقِ  
نَخُوضُ الْمَنَائِيَا فِي ظِلَالِ الْخَوَافِقِ  
زِيَادًا أَطَاحَتْهُ رَمَاحُ الْأَزَارِقِ

إِلَيْا اصْبِحَانِي قَبْلَ عَوْقِ الْعَوَاقِقِ  
غَدَاهَ حَبِيبٌ فِي الْحَدِيدِ يَقُودُنَا  
فَمَنْ مُبْلِغُ الْحَجَاجَ أَنَّ أَمِينَهُ

وحبيب (ت ١٠٢هـ) هنا هو ابن المهلب بن أبي صفرة، وزياد هو ابن عبد الرحمن الذي بعثه الحاجاج إلى المهلب يستعجله على قتال الأزارقة، فضممه المهلب إلى جند ابنه حبيب ليرى قتالهم ويخبر الحاجاج حقيقته، فلم يصمد أمام قوة الخوارج فأطاحت به رماحهم حتى كادوا يقتلونه<sup>(١)</sup>.

أَمَا أَبُوكَالِدَ الْيَشْكَرِي فَمِضْ لِأَكْبَرِ مِنْ ذَلِكَ حِيثُ قَالَ<sup>(٢)</sup>:

هَلْمَ فَكُنْ فِينَامَكَانَ الْمُهَلَّبِ  
وَعَنْ ضَرْبِ هَامَاتِ الْلَّيْوَثِ الْمُجَرَّبِ  
وَقَدْ نَهَبَتْ أَبْنَاؤُهُ كُلَّ مَذْهَبِ

الْأَقْلُلُ لِمَنْ طَنَ الْمُهَلَّبَ خَانَاً  
فَإِنَّ رَجَالًا غَيْرَ وَاعِنْ طِعَانَتَا  
قَدْ أَعْطَوْكَ مِنْ أَمْرِ الْمُهَلَّبِ عُنُوهَةً

فهو يتهم الحاجاج بأنه يظن أن المهلب خائن، ثم يتحداه أن يحل محل المهلب في قتال الأزارقة لأنما يعلن للملأ عجزه عن ذلك، ثم يواصل تحدي الحاجاج بأعدائه فقال<sup>(٣)</sup>:

وَعَمِرُوا الْقَنَا أَوْ عَبْدَرَبَ وَشَوْذَبَ  
وَمِنْ صَالِحٍ أَوْ مِنْ زَيْرٍ وَمِنْ صَعْبَ  
شَجَّنَ نَاشِبٍ سَلَّيَا بْنَ يَوسُفَ تَعْجَبَ

فَلَوْنُقْتَ كَأسًا مِنْ عَيْنَةَ مُرَّةً  
وَمِنْ قَطَّارِيُّ أَوْ عَطِيَّةَ وَابْنِيِ  
لَا يَقْنُتَ أَنَّا فِي حُلُوقِ عَدُوتَا

وهو لاء المذكورون في البيتين الأول والثاني من رؤوس الخوارج وفرسانهم لأنما يقول هم أكفاءنا في القتال وأن الحاجاج خارج هذه الموازنة، ثم ختم أبياته بإظهار ثقته

(١) انظر: المبرد: الكامل ١٢٦/٢.

(٢) ابن أعثم: الفتوح ١٦/٧.

(٣) ابن أعثم: الفتوح ١٧. ١٦/٧.

بنفسه وبمن معه حين قال<sup>(١)</sup>:

فَأَرْسِلُ إِلَيْنَا مَنْ يُعَاينَ فِعْلَنَا يَقُلْ حِينَ يَخْبِرُنَا فِدِي لَكُمْ أَبِي

فهو يريد أن يقول أنك مادمت بعيداً عن ميدان المعركة فلا قدرة لك على تثمين  
الوضع، وهذا مثل قول رجل منبني عامر يسخر من أوامر الحجاج وهو بعيد عن ميدان  
المعركة<sup>(٢)</sup>:

لَيْسَتْ مُقَارَّةُ الْكُمَّةِ لَدَى الْوَغَى شُرْبِ الْمُدَامَةِ فِي إِنَاءِ زُجَاجِ  
أما كعب الاشقرى (ت ٨٠هـ) الذي أمضى حياته في ظلال آل المهلب ينعم بكرمهم  
ويتفا بحسن أخلاقهم، فقد جعل نيرة الغضب على الحجاج أعلى، إذ قال مدافعاً عن آل  
المهلب<sup>(٣)</sup>:

خَفَضَ الْمَقَامِ بِجَانِبِ الْأَمْطَارِ  
ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيْةُ الْأَقْطَارِ  
أَزْمَانَ كَانَ مُحَالِفَ الْإِقْتَارِ  
وَعَيْكَ كُلُّ خَرِيدَةٍ مِعْطَارِ

إِنَّ ابْنَ يُوسْفَ غَرَّهُ مِنْ غَرْزُوكُمْ  
لَوْشَاهَدَ الصَّفَّيْنِ حِينَ تَلَاقَيَا  
فَرَأَى مُعَاوِدَةَ الدِّبَاغِ غَيْمَةً  
فَدَعَ الْحُرُوبَ لِشَيْهَاهَا وَشَبَاهَا

فهو غضباً لآل المهلب يتحدى الحجاج الذي عرف ببطشه، ويجعل همه الحياة الناعمة  
في الأمصار المعمرة والقيام بأمر النساء الجميلات، أما الحرب فيتو لها أهلها آل  
المهلب، وقد أغضبت هذه الأبيات الحجاج أياها غضب<sup>(٤)</sup>.  
وحتى إن المغيرة بن حبناه (ت ٩١هـ) حمل تساؤل جنود المهلب كلامه في مفتاح  
إحدى قصائده، فقال<sup>(٥)</sup>:

لَيْتَ شِعْرِيَ وَلِلأَمْوَارِ قَرَارٌ هَلْ بَلَغْنَا مَدَى رِضَ الْحَجَاجِ  
فهذه آراء جنود المهلب في حرفهم مع الخوارج، أنهם يحاربون فرساناً عركوا

(١) ابن أعثم: الفتوح ١٧/٧.

(٢) المبيرد: الكامل ١١٥٩/٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٧٤/١٤.

(٤) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ٣٧٤/١٤.

(٥) ابن أعثم: الفتوح ٢١/٧.

الحروب وعركتهم، ولهם قائد أرأف بهم من الأب وهم أطوع له من الأبناء البررة، فلما تدخل الحجاج تدلاً فيه غض من مكانة المهلب، هب جنده يعبرون عن حقيقة هذه الحرب ويضعون المهلب في مكانه الصحيح من هذه الانتصارات، ويعرجون في أثناء ذلك على لوم الحجاج، واصفين خبرته في القتال بأنها أقل وأضعف من أن يتدخل في حرب ضروس مثل هذه.

وأنمرت هذه الحرب شعراً معادياً للحجاج عند طرف ثالث وهم الجنود الرافضون للانضمام للحرب لما عرقوه من بأس الخوارج واستبسالهم في حروبهم، فارتفعت أصوات الرافضين عاتبين على الحجاج إصراره على إرسالهم للموت، فسوار بن المضرب قال متحدياً<sup>(١)</sup>:

أَقَاتِلِيَ الْحَجَاجُ إِنْ لَمْ أَرْزُلَهُ  
إِلَى قَطْرِيٍّ مَا إِخَالْكَ رَأْضِيَا  
فِيْ إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيَكَ حَتَّى تَرْدُنِي

فإنه يعلن عن رفضه التام للذهاب إلى قطرى وحربه هو وأصحابه ولو كان ثمن ذهابه رضا الحجاج هذا الأمير المهاب.

وقال ابن جابر الرزامي في هذا الموضوع<sup>(٢)</sup>:

أَيُوعِدُنِي الْحَجَاجُ إِنْ لَمْ أَقْمُلَهُ  
وَإِنْ لَمْ أَرْذَاقَهُ وَعَطَاءَهُ  
بِسِيرَافَ حَوْلًا فِي قِتَالِ الْأَزَارِقِ  
وَكُنْتُ امْرًا سَيِّدًا بِأَهْلِ الْخَرَانِقِ

فهو يرفض الانقطاع عن أهله في الخرنق والتجمير سنة لقتال الأزارقة.  
ولم يسلم الحجاج حتى ممن شملهم بعفوه، إذ اندفعوا يسخرون منه، فأحد الخوارج لما سأله الحجاج عن دينه قال: دين يوسف بن الحكم، يعني والد الحجاج، فقال الحجاج: لقد توليتها! يحب الله ورسوله، فخلى سبيله، فقال الخارجي حين خرج<sup>(٣)</sup>:  
أَرَى الْحَجَاجَ يَقْتَلُ كَلَّ بَرَ

(١) المبرد: الكامل ٤٤٥/٢.

(٢) البكري: محمّم ما استجم ٤٩٤/٢ مادة (الخرنقا).

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٧٥/١٢.

**فَيَا ابْنَ الْقِلْعَمِ الْمَجْلُوبِ حَيْفَا**

**دَعْ الْحَجَاجَ وَأَنْجِّ إِلَى دَبَارٍ**

فجعل قتله للخوارج قتلاً للبررة، ولقب والد الحجاج بالحمار، ولم يتوجه بكلمة شكر للحجاج على إطلاق سراحه.

و كذلك فعل قطبة بن زياد الذي يرى أنه احتال على الحجاج حتى أطلقه فقال<sup>(١)</sup>:

**بَصِيرٌ بِاحْتِنَاءِ الْأُمُورِ الْأَوَّلِ  
نَجَابَنْ زَيَادٍ مِنْ يَدِي غَيْرِ غَافِلٍ  
حَشَاشَةَ نَفْسِي مِنْ شَتِيمٍ صُلَاصِلٍ<sup>(٢)</sup>**

**نَجَوتُ مِنَ الْحَجَاجِ أَنِي مُجَرَّبٌ  
وَقَدْ قَالَ نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَغَيْرِهِمْ  
فَقُلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالصَّبْرِ أَفَلَاتَتْ**

فأعاد لتجاربه والله وصبره أسباب إطلاق سراحه، ولم يبنل الحجاج إلا الهجاء المر من الشاعر.

وهكذا أثمرت حرب الخوارج على قوتها حركة شعرية قوية أيضاً عند أطراف عدة اختللت مذاهبهم وأدوارهم في هذه الحرب واشترکوا في صب لائمتهم وهجائهم على الحجاج.

**رمي الكعبة:**

أما حرب الحجاج مع عبد الله بن الزبير، فقد رأها المعادون للحجاج حرباً ضد الإسلام.

قال الأقييل القيني (ات نحو ٨٥ هـ)<sup>(٣)</sup>:

**وَلَمْ أَرْ جَيْشاً مِثْلَنَا كَاهْمُ خُرْسُ  
بِأَحْجَارَنَا نَهْبَ الْوَلَائِدِ لِلْعُرْسِ  
بِجَيْشِ كَصَدْرِ الْفِيلِ لِيَسَّ لَهُ رَأْسُ**

**وَلَمْ أَرْ جَيْشاً غُرْبِ الْحَجَجِ قَبَلَنَا  
دَلْفَنَالِيَّتِ اللَّهِ تَرْمِي سُتُورَهُ  
دَلْفَنَالَهُمْ يَوْمَ الْثَلَاثَاءِ مِنْ مِنَّ**

فالشاعر هنا يتهم الحجاج بالكذب في إخراج الجيوش إذ أوهمهم أنه سيخرج بهم، ثم فوجئوا بأنهم سيضربون أظهر بقعة على وجه الأرض وأحبها إلى المسلم (بيت الله)، بل سيركزون على الكعبة (ستوره). وكأنما الشاعر تملكه شعور من الأسى والندم مما

(١) الرقام البصري: العفو والاعتذار / ٢١٠ - ٢١١.

(٢) صلال: الذي يرفع الصوت في الإيriad والتهديد

(٣) الجاحظ: الحيوان / ٧ - ١٠٢

جعله يتذكر اليوم الذي هاجموا فيه مكة وهو "يوم الثلاثاء". وقليلًا ما تذكر الأيام في الشعر العربي. أما قوله "كلهم خرس" فتوحي بهيبة الحجاج التي منعهم من الكلام والاعتراف، فكلهم خضع ساكتاً إلا الشاعر الذي عبر عن رفضه بهذه القصيدة.

وهذه القصيدة قد تكون الوحيدة. فيما اطلعت عليه من مصادر. التي توجهت باللوم للحجاج على ما فعله في مكة. ومن الغريب أن في هذه الحرب مجالاً واسعاً للحجاج أكثر من حرب الخوارج ومن خرجوا من الملة إلا أنه على ما يبدو أن الظروف السياسية التي كانت في صالح الحجاج منعت الألسن من الحديث عن هذه الحرب سلباً.

#### الطعن في نسب الحجاج:

وقد يكون الأمر الثاني الذي ركز عليه الشعراء بعد الحرب في هجاء الحجاج هو عنصر الأصل والنسلة. وليس هذا بمستغرب في بيئه عربية صرفة كان للنسب فيها أهمية كبيرة، خاصة في العراق الذي عادت فيه العصبية القبلية جذعة كما كانت في الجاهلية. والحجاج من ناحية الأصل معروف أنه من قبيلة ثقيف. وقبيلة ثقيف قبيلة عربية. فهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصبة ابن قيس عيلان<sup>(١)</sup>. مع ذلك فالشعراء وجدوا منفذًا يؤذنون به الحجاج فقد رکزوا على رواية تقول بأن ثقيف من ولد أبي رغال، وأبورغال من بقایا ثمود<sup>(٢)</sup>. وجعلوها حقيقة لا تقبل الجدل. حتى إن الحجاج تبسيط مع أحد محدثيه وهو أبو العسوس الطائي. فسأله لمعرفته بالأنساب :

"أي أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيء الجبلين؟"

فقال أبو العسوس: إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزل طيء الجبلين قبلها. وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم". مما أغضب الحجاج فقال: "يا أبو العسوس! اتقني فإني سريع الخطفة للأحمق المتهوك"<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن هذه الرواية قد شاعت كثيراً أيام الحجاج واستغلها الشعراء كقول أعشى همدان<sup>(٤)</sup>:

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب ص ٣٨٨.

(٢) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف ٢٦/١.

(٣) انظر: المبرد: الكامل ٤٠٩/٢.

(٤) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ١١٢.

يَأَبِيلِهِ وَعِزْزَةُ ابْنِ مُحَمَّدٍ  
أَنْ تَأْتِسُوا بِمَمْمِينَ عَرْوَقِهِمْ

وَجُدُودُ مُلَكٍ قَبْلَ الْمُمُودِ  
فِي النَّاسِ إِنْ تُسِيِّوا عُرُوقَ عَبِيدِ

وكقول شبيب<sup>(١)</sup>:

عَبْدُ دَعِيٍّ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ لَا يُقَالُ أَبُو أَبُوهُمْ يَقْدِمُ

فلم يكتفوا بجعله من ثمود صريحاً، بل جعلوه عبداً فيها. ويبدو أن الشعراء أكثرروا على الحجاج بتعيره بهذا الأمر حتى إن الحجاج كان يقف على المنبر ويحاول أن يدفع هذه النسبة عن ثقيف<sup>(٢)</sup>. بل اضطربه شيوخها إلى إن يحسنها إن صحت<sup>(٣)</sup>.

والشعراء الهاجون ينسبون الحجاج إلى ثقيف أيضاً، بل هم يصورونه ثقيفاً كقول

أعشى همدان<sup>(٤)</sup>:

أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانٌ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ

وقال أرطاة بن سهيه<sup>(٥)</sup>:

وَلَا وَاللَّهِ مَا كَرِمْتُ ثَقِيفٌ وَلَا كَانُوا عَلَى كَلْبٍ نَصِيرا

يقوله حين حمل الحجاج سعيداً وحللة الكلبيين من مكة إلى الخليفة بدمشق ليقتاد منها<sup>(٦)</sup>. فليس الذي يحارب ابن الأشعث قبيلة ثقيف، وليس الذي قاد الرجلين إلى الخليفة قبيلة ثقيف، بل هو الحجاج فقط، ولكن الشاعرين عبرا عن الحجاج بثقيف لأنما هي قبيله وضيعة يوصم صاحبها بها، وأنهم يطعنون على الحجاج أنه استأثر القبيلة بالمناصب لما تولى الإمارة كما فعل بأخيه محمد (ت ٩١هـ). فجعله أميراً على اليمن، وجعل الحكم بن أيوب (ت نحو ٧٩هـ) ابن عممه وزوج اخته أميراً على البصرة، فكانما الحجاج إذا أراد أمراً أرادته مجموعة كبيرة من ثقيف من حوله. وقد رکز أحد أصحاب

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوک .٢٢٢/٧

(٢) انظر: المبرد: الكامل .٤٠٩/٢

(٣) انظر: البلاذرى: أنساب الأشراف .٢٥/١

(٤) ديوان أعشى همدان وأخباره ص .١٦٤

(٥) البلاذرى: أنساب الأشراف .٣١٢/٥

(٦) انظر: البلاذرى: أنساب الأشراف .٣١٢/٥

المهلب على قبيلة مبعوث الحاجاج إلى المهلب يستعجله القتال. فقال غاضباً للمهلب<sup>(١)</sup>:

وَتَغْمَدْنَا بِأَيْوَصِيَّةِ الْحَجَاجِ	مَازَلْتَ يَأْتَفِي تَحْطُبْ بَيْنَنَا
وَسَمَّا لَنَا صِرْفًا بِغَيْرِ مِرَاجِ	حَتَّى إِذَا مَا الْمَوْتُ أَقْبَلَ زَاهِرًا
تَنْسَابْ بَيْنَ أَحِزَّةِ وَفِجَاجِ	وَلَيْسَتَ يَأْتَفِي غَيْرَ مُتَاظِرِ

والثقفي هنا هو عبيد بن أبي ربيعة الثقفي<sup>(٢)</sup>, والشاعر على معرفته باسمه أصر على التذكير بقبيلته لغضبه من الحاجاج لأنما طعن عليه وعلى الحاجاج معًا.

ومما يرتبط بالمعنى الثاني قول محمد بن عبد الله التميري<sup>(٣)</sup>:

فَلَيْ عنْ ثَقِيفٍ إِنْ هَمَتْ بِنَجْوَةٍ مَهَامَةٌ تَهُوِي بَيْنَهُنَّ الْهَجَارُ<sup>(٤)</sup>

فالتميري من ثقيف أيضاً، لكن كما يبدو يريد ثقيف الغاشمة التي تحيط بالحجاج وتساعده ويساعدها.

تعيير الحاجاج بمهنته قبل الولاية:

وعلاوة على الطعن في أصله من حيث النسب طعنوا في منشأه من حيث الحسب، فالحجاج ووالده مجرد معلمين في الطائف يجري عليهما ما يجري على المعلمين من فقر وحاجة وحمق، فقال الشاعر<sup>(٥)</sup>:

وَتَعْلِيمَهُ سُورَةُ الْكَوَافِرِ	أَيْنَسَ كُلَّيْبُ رَمَانَ الْهَذَالِ
وَآخَرَكَ الْقَمَرُ الْأَرْهَارِ	رَغِيفُ لَهُ حَاقَةٌ مَائُرِ

فهو يسخر من مهنته وكيف أنها لا تقوم بأوده، ويلاحظ أن الشاعر لم يشر له باسمه الحاجاج، بل اختار أحقر ألقابه ليضيفه على تعييره بنشأته، وقال مالك بن الريب<sup>(٦)</sup>:

(١) المبرد: الكامل ١١٥٩/٣.

(٢) انظر: المبرد: الكامل ١١٥٩/٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٨٨/٦.

(٤) الهجارع: الخفيف من الكلاب السلوقية.

(٥) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم: المعارف. تحقيق: ثروت عكاشه (القاهرة، دار المعارف، ط٤) ص ٥٤٨. المبرد: الكامل ٤٤٧/٢.

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٥٤/١.

زَمَانٌ هُوَ الْعَبْدُ الْمُقْرِنُ ذِلْلَةً يُرَاوِحُ صِبَّانَ الْقُرَى وَيَعَادِي  
 فهو يذهب ويجيء على الصبيان يعلمهم لذاته وعدم طموحه.  
 ومع أن المصادر لم تذكر إلا هذه المهنة وهي مهنة التعليم للحجاج ووالده إلا أن  
 الشعراء جعلوا له مهناً أخرى حقيقة على العرب آنذاك مثل الدباغة، فقال كعب  
 الأشقر<sup>(١)</sup>:

وَرَأَى مُعاَوِدَةَ الدِّبَاغَ غَنِيمَةً أَيَامَ كَانَ مُحَالِفَ الْإِقْتَارَ  
 فهو كالبقبة يصفه بالفقير وال الحاجة، وعمران بن حطان جعل والده (حجاماً) في

مقطوعة يغلب عليها التحكم فقال<sup>(٢)</sup>:

قَاتَلَهُ اللَّهُ أَيْمَارَ جُلَّ كَمْ مِنْ كَمِيْ أَدْمَسَ وَمِنْ بَطَلَّ لَمْ يُمْسِ مِنْ ثَائِرَ عَلَى وَجَلَّ يَقْدُّمُ عَنَاقَ سَادَةِ بُطْلَ	يَا ابْنَ الَّذِي نَلَّتِ الرِّقَابُ لَهُ أَبْوَكَ أَوْهَسَ النِّجَادُ عَاتِقَهُ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ فِي كَفَّهِ مُرْهَفٍ يُقْبِلُهُ
---	---

فهو يهجو الحجاج بأسلوب ساخر، فكانه يمدح في البداية، وإذا به يهجو، وكأنما هذه  
 الصورة لوالد الحجاج اقتبسها الشاعر من حاضر الحجاج الذي يخوض الحروب  
 والمعارك. وهذه الصورة، البطل المزيف، رائعة في هجاء الحجاج لأن أعداء الحجاج أكثر  
 ما يؤذيهم من الحجاج حربه لهم. فكانما يتمنون هذه الصورة للحجاج وأن يكون  
 كوالده بطلاً مزيفاً.

فالشعراء يصررون على أن يرسموا للحجاج ماضياً حقيراً وضيئاً من ناحية الأصل  
 والمهنة والحاجة المادية، ولتكتمل الصورة جعل يزيد بن الحكم (ت نحو ٥٠هـ)  
 ميراثهم من أحقر المواريث (الغنم) فقال<sup>(٣)</sup>:

وَوَرَثَتْ جَدِّيْ مَجْدَهُ وَفَعَالَهُ وَوَرَثَتْ جَدَّكَ أَعْنَازَ بِالْطَّائِفِ

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٤١/٢٧٤.

(٢) الوزير المغربي: الحسين بن علي بن الحسين: الإنسان في علم الأنساب، أعدد للنشر: حمد الجاسوس، الرياض، النادي الأدبي، ط ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م [ص ١٧١].

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٢/٢٩٠.

فلا مجد ولا فعال يقيقه الله أجداده إنما أحقر الدواب عند العرب، لذلك تأمل أحد أهل الطائف في المكانة التي صار إليها الحجاج في العراق وما كان عليه في الطائف، فقال<sup>(١)</sup>:

كُلِيبٌ تَمَكَّنَ فِي أَرْضِكُمْ   وَقَدْ كَانَ فِينَا صَغِيرًا خَطَرًا

وليزيد من احتقاره أشار إليه باسم "كليب".

نبر الحجاج بالألقاب:

وشعراء الهجاء عادة ما يتحدثون عن الحجاج باسمه المعروف "الحجاج" ومض على ذلك أمثلة كثيرة، وهذا إما لأن اسم الحجاج هو المعترف عليه، أو لأنهم يخشون أن يذهب ذهن الإنسان لغيره إذا غيروا أو حرفوا في اسمه.

ويلي اسم "الحجاج" في التحدث عنه مخاطبته بـ"ابن يوسف" وهذا اللقب كثير في شعر الهجاء قياساً على ما ورد شعر المديح نحو قول سبرة بن الجعد<sup>(٢)</sup>:

فَأَيُّ امْرِيْعِيْ أَيُّ امْرِيْعِيْ يَا ابْنَ يَوسْفِ   ظَهَرْتَ يِهَلْمِيَّاتِ غَيْرَ الْوَلَانِجِ

وقول أبي خالد اليشكري<sup>(٣)</sup>:

لَا يُقْنَتَ أَنَا فِي حُلُوقِ عَدُونَا   شَجَنِيْ نَاشِبِ سَلِيْ يَا ابْنَ يَوسْفَ تَعْجَبِ

والخطاب باسم الأب في الهجاء يأتي لتحقير المهجو والده معًا كأنما يذكرون به بأصله الوضيع وينسبونه لمن يستحق التبرؤ منه.

أما قول أعشى همدان<sup>(٤)</sup>:

نِئَتْ حَجَاجَ بْنَ يَوسْفَ   خَرَّ مِنْ زَلْقِ فَتَّابَا

فقد حذف الألف واللام من اسم الحجاج، وجاء هذا كثيراً في شعر الهجاء كأنما يخلعون عنه بها التفحيم والتعريف، ثم أضافه لوالده إمعاناً في السخرية فكأنما يقول: إنه لا يُعرف إلا إذ قيل اسمه كاملاً، وأيضاً للتشهير به فالذي خر وتب هو الحجاج بن يوسف ولا أحد غيره. وفعلاً أغضب هذا البيت الحجاج بن يوسف كثيراً<sup>(٥)</sup>.

(١) المبرد: الكامل ٤٤٧/٢.

(٢) ابن أثيم: الفتوح ٣٧/٧.

(٣) ابن أثيم: الفتوح: ١٧/٧.

(٤) ديوان أعشى همدان وأخباره ص ٧٤.

(٥) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٤١٨.

ولقب الحجاج في شعر الهجاء "كليب" وهو اسم قال الحجاج إن أمه سمعته به وهو صغير<sup>(١)</sup>. وما جاء هذا الاسم في شعر الهجاء إلا للتحقيق نحو قول الشاعر<sup>(٢)</sup>:

أَيْنِسَى كُلِيبْ زَمَانَ الْهِرَالِ وَتَعْلِيمَهُ سُورَةُ الْكَوْثَرِ

وسماه الفرزدق "الجحاد" فقال<sup>(٣)</sup>:

عَجِّيْتُ إِلَى الْجَحَادِ أَيْ إِمَارَةٍ  
فَلَمَّا عَنَّا الْجَحَادَ حِينَ طَغَى بِهِ

كأنما هو جاحد لدين الله، وهو في الوقت نفسه على وزن اسمه. وشبيه به. أما من ناحية الألقاب. فلقب الحجاج في الهجاء بأمير كما القب في حال المديح إلا أنه هنا جاء للسخرية من إماراة لا يستحقها كقول عمران بن حطان<sup>(٤)</sup>:

وَرَاحَ ابْنُ جَعْدِ الْخَيْرِ نَحْوَ أَمِيرِهِ أَمِيرٌ يَتَقَوَّى رَبِّهِ غَيْرُ أَمِيرٍ  
وَجَعَلُوهُ فِي الْهَجَاجِ "مَلَكًا" وَلَكِنْ مَلَكًا لِتَقِيفِهِ . قَالَ الْأَقِبِيلُ الْقِينِيُّ<sup>(٥)</sup>:

فَإِلَا تُرْحَنَا مِنْ تَقِيفٍ وَمَلَكِهَا نُصَلِّ لِأَيَّامِ السَّبَابِسِ وَالنَّحْسِ

فالحجاج بضربه للكعبة سيقضي على الإسلام. ويعود الناس للجاهلية مرة أخرى.  
تخويف الآمنين وتشريدهم:

والحجاج له هيبة في النفوس. هيبة دفعت مجموعة من الشعراء إلى الهرب والاختباء خوفاً من الحجاج. وهؤلاء الشعراء لا ينتمون لأحزاب معارضة ولم يشتراكوا في حرب ضد الحجاج أو الدولة الأموية. ومع ذلك أخذ الخوف بمجامع قلوبهم وفروا من وجهه لأسباب مختلفة ذكرها بعضهم في شعره نحو قول سوار بن المضرب<sup>(٦)</sup>:

أَقَاتِلِيَ الْحَجَاجُ إِنْ لَمْ أَرْزُلْهُ  
دَرَابَ وَأَتْرُكُ عِنْدَهُنْدِ فُؤَادِيَا  
إِلَسْ قَطَرِيَّ مَا إِخَالُكَ رَاضِيَا  
فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرَدِّني

(١) انظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢٤٤.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ص ٥٤٨.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٢/٨٥٣.

(٤) ابن أعثم: الفتوح ٧/٣٦.

(٥) أبو حنيفة الديبوري: الأخبار الطوال ص ٢١٤.

(٦) المبرد: الكامل ٢/٤٤٥.

فالحجاج سبق أن أعلن بعد توليه إمارة العراقيين أن من لم يخرج إلى جيش المهلب بعد ثلاث سيقتل، وطبق ذلك عملياً في الكوفة والبصرة<sup>(١)</sup>، والشاعر لا يريد أن يعود لحرب قطري لما فيها من الصعوبة والجهد ولا يستطيع أن يواجه الحجاج بالرفض لذلك فضل الهرب.

أما الأقبيل القيني فقد اعترف أنه شتم الحجاج، لذلك الحجاج غاضب منه والشاعر خائف من شهره<sup>(٢)</sup>:

وَنَابِهُ مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ مَمْطُورٌ  
بَعْدَ الْجَهَالَةِ عِنْدِي الْيَوْمَ مَغْرُورٌ

إِنْ امْرَأً قَالَ فِي الحَجَاجِ يَشْتَمِّهُ  
ثُمَّ أَغْتَدَى عَامِدًا لِلشَّرِّ يَطَّلِبُهُ

فالذى يفكر في العودة لطلب الصفح من الحجاج بعد شتمه مغورو ومخدوع، ورغم خروج هؤلاء الشعراء عن طاعة الحجاج إلا أنهم يعترفون بأنه ليس بالشخص الهين، لذا أخذ الخوف بمجامع قلب النميري على بعد المسافة بينه وبين الحجاج<sup>(٣)</sup>:

عَقَارِبٌ تَسْرِي وَالْعُيُونُ هَوَاجِعٌ  
وَلَمْ آمِنْ الْحَجَاجَ وَالْأَمْرُ فَأَظَاعَ  
وَقَدْ أَخْطَطَتْ خَدَّيِ الدَّمْوَعِ التَّوَابِعُ

أَتَتْنِي عَنِ الْحَجَاجِ وَالْبَحْرُ يَبْنَنَا  
فَصَفِّقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَأَجْهَشْتُ خِيفَةً  
فِيَتْ أَدِيرُ الْأَمْرَ وَالرَّأْيَ لَيَنْتِنِي

فهو يعترف بأنه ذرف الدموع وأجهش بالبكاء من خوفه من الحجاج، والأقبيل القيني كذلك خاف الحجاج إلا أن أسلوبه في الخوف يختلف عن أسلوب النميري، قال<sup>(٤)</sup>:

أَنَّ انْطِلَاقِي إِلَى الْحَجَاجِ تَغْرِيرٌ  
إِنِّي لَا حَمَقٌ مَّنْ تَحْدَى بِهِ الْعِيرَ

لَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيَرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ  
لَئِنْ نَهَبْتَ إِلَى الْحَجَاجِ يَقْتَلَنِي

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢١٣، ٢١٢/٧.

(٢) الرقام البصري: العفو والاعتذار ٣٥٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى ٦/١٨٨.

(٤) الجاحظ: الحيوان ٤/٢٥٣، ٤/٢٥٤.

## مُسْتَحْقِبًا صُحْفًا تُدْمِي طَوَاعِعَهَا

وَفِي الصَّحَافَ حَيَاتٌ مَنَاكِيرٌ<sup>(١)</sup>

فالخوف من انتقام الحجاج منعه من الذهاب له ومعه كتاب أمان من الخليفة. بل الخوف صور له هذا الكتاب دامي الطوابع يحمل الموت معه إذ فيه حيات منكرة. فكان بطش الحجاج أقوى من الخليفة نفسه.

والشعراء الفارون من الحجاج اعتمدوا على بعد أماكنهم منه وتحصنهما للشعور

بالأمان. قال مالك بن الريب<sup>(٢)</sup>:

وَكُلُّ بِلَادٍ أُوْطِنَتْ كَبِيلَادِي  
إِذَا نَحْنُ جَاؤَنَا حَفِيرَ زَيَادِ  
عَتِيدٌ بِهِمْ تَرْتَعِي يَوْهَادِ<sup>(٣)</sup>

وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ  
فَقَادَهُ عَسَى الحَجَاجُ يَلْعَجُ جَهَدَهُ  
فَ..... أَبِي الْحَجَاجِ و..... عَجَزَهُ

وقال النميري<sup>(٤)</sup>:

وَلَا طَابَ لِي مِمَّا خَشِيتُ الْمَطَاعِعُ  
وَاسْبَيْلُ حِصْنٍ لَمْ تَنْلُهُ الْأَصَابِعُ  
إِذَا شِئْتُ مَنَائِي لَا أَبَالَكَ وَاسْعِ  
فَإِنَّ الَّذِي لَا يَحْفَظُ اللَّهَ ضَائِعُ

وَمَا أَمِنَتْ نَفْسِي الَّذِي خُفْتُ شَرَرَهُ  
إِلَى أَنْ بَسَدَالِسِي رَأْسَ إِسْبَيْلَ طَالِعاً  
وَفِي الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ عَنْكَ أَبْنَ يُوسْفِ  
فَإِنْ بَلَّتِنِي حَجَاجُ فَأَشْتَفِ جَاهِدًا

(١) مستحقب: استحقب الشيء: حملة في مؤخرة الرحل. الطوابع: جمع طابع وهو الخاتم الذي تختتم به الرسائل ونحوها.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢٣٦، وقد وردت هذه الأبيات في ديوان الفرزدق ١٤٠/١٩٠، وعزاهاته أبو تمام في ديوان الحماسة. تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيليان (الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م). ولكن أسلوب الأبيات الذي يعلو فيه صوت التحدى الساخر للحجاج، وموضع الأبيات الذي يدل على هروب واختباء من الحجاج أنساب لمالك بن الريب الذي عرف باللصوصية التي حاربها الحجاج كثيراً، ثم ما ورد في مقدمة الأبيات من استهثار بالخلافة المروانية مما لا يعرف عن الفرزدق. خاصة أن كثيراً من المصادر الأدبية عزتها لمالك بن الريب مثل: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٥٤، المععارف ص ٥٤٨، والمبرد: الكامل ٢/٤٤٧، ٢/٤٤٦.

(٣) عتيد: تصغير عتود وهو مدار عليه الحول من أولاد المعزى.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغانى ٦/١٨٨.

وقال سوار بن المضرب<sup>(١)</sup>:

إِذَا جَاءَتْ دَرَبَ الْمُجِيزِينَ نَاقَتِي فَ.....أَبِي الْحَجَاجِ لَمَّا ثَانَيَا

ويلاحظ على الأبيات علو نبرة التحدى للحجاج والتحدث إليه بأسلوب يفتقر إلى الأدب، فكأنما أمنوا الحجاج لأمان المكان الذي فروا إليه، ومالك بن الريب والتميري يضيغان بأن في الأرض أماكن كثيرة لاختباء عن الحجاج أو عن ذي الجور بوجه عام . والمراد به هنا الحجاج . فكأنهما يحرضان غيرهما على تحدي الحجاج مثلهما.

ورغم أن هؤلاء الشعراء صبوا جام غضبهم على الحجاج إلا أنهم يشعرون بأن الحجاج منفذ لأوامر الخليفة، لذلك يعلنون أن غضبهم أيضاً غضب علىبني مروان، قال مالك بن الريب<sup>(٢)</sup>:

فَإِنْ تُنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ نَقْرَبُ إِلَيْكُمْ وَلَا فَأْذُنُوا بِتَعَادِي  
فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَرَاحِاً وَمَرْحَلَاً  
يُعِيسِي إِلَى رِيحِ الْفَلَةِ صَوَابِي

وقال سوار بن المضرب<sup>(٣)</sup>:

أَيْرُجُونُ بْنَوْمَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَةُ وَرَائِي

فمالك بن الريب اعتمد على ناقته وقدرتها على حمله إلى أبعد الأماكن عن بنى مروان. أما سوار بن المضرب فاعتمد على قومه تميم والفلوات التي تحميهم من بنى مروان.

فقد تحدى هؤلاء الشعراء الحجاج، وصوروه بالإنسان الناقد العادر الذي لا يؤمن شره، يزرع الرعب في القلوب على بعد المسافات، وتوجهوا له وهو الأمير بأقبع الأنفاس التي يتعفف عنها المسلم، بل وصلوا هذا التحدى ببني مروان الذين يدين لهم الحجاج بالولاء، ويسعى لثبيت ملكهم، ولكن هؤلاء الشعراء لم يجرؤوا على قول ذلك إلا بعد أن ابتعدوا مسافة كبيرة عن الحجاج.

الرغبة عن إنكاح الحجاج:

وقد تتبع الشعراء الحجاج بن يوسف في حياته الشخصية، فكان هناك آراء في

(١) المبرد: الكامل ٤٤٥/٢.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢٢٦/١.

(٣) المبرد: الكامل ٤٤٥/٢.

زواجه سجلها الشعراء، ولعل أقصاها أبيات جعفر بن الزبير التي يستنكر فيها زواجه  
بابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت ٨٠ هـ) (١):

وَجَدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ يُوسُفَ  
وَبَيْتَ أَنْ قَدْ قَالَ لِمَا نَكَحْتَهَا  
سَتَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَنْفَتُ لِمَا جَرَى  
حَمِيًّا مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي جِئْتَ تَنْكُفُ  
وَجَاءَتْ بِهِ رُسْلُ تُخْبُ وَتُوْجِفُ  
وَمِثْلَكَ مِنْهُ عَمْرَكَ اللَّهِ يُقْنَفُ

فهو فرح جداً بموقف الخليفة من هذه الزيفة، ومنعه إتمامها باسلوب شديد اللهجة  
يدل عليه البيت الثالث، والشاعر يخاطب الحاج بابن يوسف لأنما يحرق بذلك من  
 شأنه ويذكره بأصله، فهو لا يعود أن يكون ابن يوسف، ثم يعلل السبب الذي كاد يساعد  
 على إتمام هذه الزيفة فقال (٢):

وَلَوْلَا اتَّكَاسَ الدَّهْرِ مَا نَالَ مِثْلَهَا  
أَيْنُتَ الْمُحَصَّفُ ذِي الْجَنَاحَيْنِ تَبَغِي  
رَجَاؤُكَ إِذَلَمْ يَرْجُ ذَلِكَ يُوسُفُ  
لَقَدْ رُمْتَ خَطْبًا قَدْرَهُ لَيْسَ يُوصَفُ

فظروف الدهر هي التي جعلته يحلم بالزواج بها، مع أن والده يوسف لم يكن ليفكر  
في ذلك مجرد تفكير لبعده عن الواقع وهو بهذا يعود ليحرق من أصل الشاعر مرة أخرى  
 بتذكيره بوالده وأنه مجرد ابن لأب وضيع.  
 وتستمر سلسلة الندم على تزوج الحاج من أهالي زوجاته، فحميدة بنت النعمان (ت  
 نحو ٨٥ هـ) تأسف على زواجه بابنته، قالت (٣):

إِذَا تَذَكَّرْتُ نَكَحَ الْحَجَاجَ  
فَاضَتْ لَهُ الْعَيْنُ بِدَمْعِ ظَجَاجَ  
لَوْكَانَ تَعْمَانَ قَتَّيلَ الْأَعْلَاجَ  
مِنَ النَّهَارِ أَوْ مِنَ الْأَيْلَلِ الدَّاجَ  
وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ بِوْجَدٍ وَهَاجَ  
مُسْتَوِي الشَّخْصِ صَحِيحَ الْأَوْدَاجَ  
أَنْ تَنْكِحِيهِ مَلِكًا ذَاتَ اسْجَ

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١١، ١٠/١٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١١/١٥.

(٣) ابن طيفور: بلاغات النساء ص ١٣٨.

وقد يكون زواج الحاج بهند بنت أسماء بن خارجة (ت نحو ١٠٠هـ) هو أكثر موضوع انتلقت حوله الآراء، ففي البداية كان الرضا عن الحاج زوجاً، رغم عدم توقع ذلك، قال أسماء بن خارجة مخاطباً محمد بن عمير (ت ٨٥هـ) الذي أوصى الحاج بخطبة هند<sup>(١)</sup> متعمداً الإساءة لوالدتها بذلك<sup>(٢)</sup>:

فَزَوْجَتُهَا الْحَاجُ لَا مُتَكَارِهَا  
أَرَدْتُ ضِرَارِي فَاعْتَمَدْتُ مَسْرَتِي

وَلَا رَاغِبًا عَنْهُ وَنَعْمَ أَخْوَ الصِّفْرِ  
وَقَدْ يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

ولكن هذا الرضا مالبث أن تغير مع مرور الأيام، وإذا الندم يدفعه لتمني أمنية شديدة على الأب، قال أسماء<sup>(٣)</sup>:

يَا لَيْتَ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مَرْمُوْسَةً أَوْ لَيْتَهَا جَلَسَتْ عَنِ الْأَزْوَاجِ

فهو يتمنى أن ابنته جنة هامدة أو ظلت عانساً ولم تتزوج الحاج.

ولا تختلف مشاعر هند عن مشاعر والدها الأخيرة هذه حين قالت شامتة بالحجاج<sup>(٤)</sup>:

أَلَا يَا أَيُّهَا الْجَاسِدُ الْمُسَاجِيُّ  
وَكُنْتَ قَرِينَ شَيْطَانِ رَجِيمٍ

لَقَدْ قَرَّتْ بِمَصْرَعِكَ الْعُيُونُ  
فَلَمَّا مِاتَ سَلَّمَكَ الْقَرِينُ

فهي تشممت به في أكثر لحظة تنتطلق فيها مشاعر الرحمة، وتخف فيها حدة الحقد، وتنسى الإساءة ساعة الموت.

والحجاج بن يوسف من قبيلة عربية معروفة هي قبيلة ثقيف، وثقيف منذ العصر الجاهلي من مناكح قريش سيدة العرب، ثم إن الحاج أمير له وزنه على شطر الدولة الإسلامية، بل هو ذراع الخليفة الأيمن الذي يعلن الخليفة دائمًا رضاه عنه ومحبته له بل حاجته إليه، ومع ذلك كله الناس زواجه منهم، والسبب ذكره أسماء بن خارجة

(١) انظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٣٤/٢٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢٣٤/٢٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦٠/١٧.

(٤) المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن علي: التنبية والإشراف (بيروت، مكتبة خياط) ص ٣٨.

في قوله<sup>(١)</sup>:

أَبْنِي فِرَّارَةً لَا تَعْنُوا شَيْخَكُمْ  
لَا تَطْلُبُوا حَاجَةً إِلَيْهِ فَإِنَّهُ  
مَالِي وَمَالِزِيَارَةِ الحَجَاجِ  
بُؤْسَ الْمُؤْمَلِ فِي طِلَابِ الْحَاجِ

فالحجاج لا يخضع لعنصر القرابة، فلا يمكن أن ينفع أحداً علاقة قرابة أو مصاهرة،  
لذلك لا فائدة من تزويجه.

#### السخرية من إصلاحات الحجاج:

وللحجاج إصلاحات مادية ملموسة غفل عنها مادحوه وذكرها هاجوه. وهم وإن  
كانوا ذكروها للتنقيص منها ومن الحجاج إلا أن أبيات الهجاء هذه كتبت لهذه  
الإصلاحات البقاء. وحفظت حق الحجاج في الابتداع فيها، منها أنه أول من عمل  
المحامى<sup>(٢)</sup>، قال بعض رجائز الأكرباء<sup>(٣)</sup>:

أُولُو عَبْدٍ عَمِيلَ الْمَحَامِلَا أَخْرَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلا

فهو غاضب منه يدعوه عليه بالخزي العاجل والأجل.

والحجاج أول من ضرب درهماً "عربياً" قال عمران بن عاصم (ت نحو ٨٥هـ) وهو من  
جند المهلب، يمدح المهلب ويعرض بالحجاج<sup>(٤)</sup>:

ضَرَبُوا الدَّرَاهِمَ فِي إِمَارَتِهِمْ  
حَاقَّاً تُرَىٰ مِنْهَا مَرَافِقُهُمْ  
وَظَرَبُتِ الْحَرَبُ دَيَانِي وَالْحَرَبُ  
كَمَنَاكِبِ الْجَمَالَةِ الْجُرْبِ

فالمهلب يفكر في الحرب لذا ابتكر لجنوده نوعاً جديداً من الركاب<sup>(٥)</sup>. أما الأمير  
الحجاج، في الفكر في المال وتطوير النقود<sup>(٦)</sup>. فالمهلب تفكيره للأخرة والحجاج للدنيا.  
ومن إصلاحاته الداخلية أنه لما خرب السواد وقل إنتاجه شكا الناس للحجاج ذلك.

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني .١٦٠ / ١٧

(٢) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين .٣٠٤ / ٢

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين .٣٠٤ / ٢

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة .٤٧ / ٢

(٥) انظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة .٤٧ / ٢

(٦) انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص .٢٨١

فرأى الحل في تحريم لحوم البقر ليكثر البقر ويستعان به على الحمر. وبالتالي تنتعش الزراعة في السواد<sup>(١)</sup>. وهو حل مناسب، إلا أن هاجيه توصلوا إلى تصويره حلاً مضحكاً غير مناسب. فقال بعض الشعراء<sup>(٢)</sup>:

فَحَرَمَ فِيْنَ الْحُوْمَ الْبَقَرَ  
شَكَوْنَا إِلَيْهِ خَرَابَ السَّوَادِ  
أُرْيَهَا السُّسْهَا وَتَرْيَنِي الْقَمَرُ  
فَكَنَّا كَمَا قِيلَ فِي بُعْدِهِ

فهم يصورون الحل بعيداً عن المشكلة، فما العلاقة بين فساد الزرع ولحوم البقر! إلا أن المتأمل يجد بينهما علاقة كما رأى الحاج.

بخل الحاج:

والأمير من أهم صفات الكرم وبذل المعروف. أما الحاج فقد وصفه هاجوه بـالبخل الشديد متذمرين من الموازنة سبباً لهم لإظهار هذه الصفة في الحاج ليكون أكثر إصغاراً للحجاج. فعمرو بن يزيد النهدي يوازن بينه وبين مصعب بن الزبير (ت ٧٢ هـ) قال<sup>(٣)</sup>:

الْمَرْتَأَنَّ الْجُودَ إِذْ مَاتَ مَصْعَبٌ  
دَقَنَاهُ وَاسْتَرَعَى الْأَمَانَةَ ذِيْبُ

وقال العديل موازناً بينه وبين قائد المهلب<sup>(٤)</sup>:

فَبَابُ الْفَتَّى الْأَرْدِيَّ بِالْعُرْفِ يُفْتَحُ  
لَكُنْ أَرْتَجَ الْحَجَاجَ بِالْبُخْلِ مَالَهُ  
مِنَ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ حِرْمَ مُطَوْحُ  
وَلَيْسَ كَعِلْجَ مِنْ ثُمُودَ بِكَفِهِ

### تكفير الحاج:

وتحدى الشعراء الهاجرون عن مدى التزام الحاج الدين، فأعنى همدان رأه تحول من الإيمان إلى الكفر<sup>(٥)</sup>:

(١) انظر: العسكري: أبا هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الأولي، تحقيق: وليد قصاب، محمد المصري (الرياض، دار العلوم)، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) العسكري: الأولي، ص ٢٤٧.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٨٠.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢، ص ٢٦٠.

(٥) ديوان أعشى همدان وأخباره، ص ١٦٤.

إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكُفَّارِ الْفَتَانَ حِينَ طَغَىٰ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الإِيمَانِ  
بِالسَّيِّدِ الْغِطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

لذلك هو بحاجة إلى تأديب. وسيكون ذلك على يد ابن الأشعث وكذلك رأى الطفيلي  
بن عامر بن وائلة من أصحاب ابن الأشعث<sup>(١)</sup>:

هَذَهَا يُؤْلَانَ إِلَيْكَ ذُنُوبُ  
عَذَابٌ يَأْيُدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهِيبٌ  
أَتَوْكَ يَقُوْدُونَ الْمَنَائِيَا وَإِنَّمَا  
أَلَا أَبْلُغُ الْحَجَاجَ أَنْ قَدْ أَظَلَّهُ

فذنوبه هي التي جرت عليه الحرب، وتأدبيه سيكون على أيدي المؤمنين. فهو غير  
معدود منهم.

أما الفرزدق فقد أخذ عليه عدم قبول النصيحة الدينية<sup>(٢)</sup>:

وَكَانَ إِذَا قِيلَ أَتَقِ اللهُ شَمَرَتْ  
بِهِ عِزَّةٌ لَا يُسْتَطَاعُ جِدَالُهَا

وشبهه الفرزدق بابن نوح في غروره وكفره فقال<sup>(٣)</sup>:

عِنْسٌ قَالَ إِنِّي مُرْتَقٌ فِي السَّلَامِ  
إِلَى جَلٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمٌ  
عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ  
هُبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِي الْطَّرَاحِمِ  
فَلَمَّا عَنَّا الْجَحَادُ حِينَ طَغَىٰ بِهِ  
فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحَ سَارَتِي  
رَمَسَ اللَّهُ فِي جُنُمَائِهِ مِثْلَ مَارَمِي  
جَنُودًا تَسُوقُ الْفَيْلَ حَتَّىٰ أَعَادَهَا

فكان نهايته كنهاية ابن نوح دون توبة، وكنهاية أصحاب الفيل الذين رمتهم  
طيراً أبابيل.

أما الخوارج فلا عجب أن رأوه ممن لا يأمر بالمعروف. قال قطري<sup>(٤)</sup>:

إِذَا نَحْنُ رُحْنَا فِي الْحَدِيدِ الْمُطَاهِرِ  
أَمِيرٌ بِتَهْ وَرَبٌّ غَيْرُ أَمِيرٍ  
لَشَّانَ مَا بَيْنَ ابْنِ جَعْدٍ وَبَيْنَنَا  
وَرَاحَ ابْنُ جَعْدٍ الْخَيْرَ نَحْنُ وَأَمِيرُهِ

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك .١٢/٨.

(٢) شرح ديوان الفرزدق .٦٢٣/٢.

(٣) شرح ديوان الفرزدق .٨٥٣/٢.

(٤) ابن أنتم: الفتوح .٢٦/٧.

## سفكه للدماء:

أما سفكه للدماء فقد تحدث عنه أسماء بن خارجة فقال<sup>(١)</sup>:

شَبَّهْتُهُ شِلَاغَ دَاهَ لَقَيْتُهُ  
يُلْقِي الرُّؤُسَ شَوَّاحِبَ الْأَوَدَاجَ  
رَاحٌ شَمَوْلٌ غَيْرُ دَاهَ مِزَاجَ  
تَجْرِي الدِّمَاءُ عَلَى النِّطَاعِ كَانَهَا

فهو يجعله كالأسد الذي يكثر القتل حتى تسيل الدماء بين يديه، أما الأقبيل القيني فقال<sup>(٢)</sup>:

إِنْ امْرًا قَامَ فِي الْحَجَاجِ يَشْتَمُهُ  
وَتَابُهُ مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ مَمْطُورُ

فأسماء جعل الدماء تسيل بين يديه والأقبيل جعله ممطوروًّا بالدماء لكترة قتله، وكلا الشاعرين ذكرا كثرة قتله لاعتذار عن القدوم عليه، أما خليفة بن خالد بن الهرماس فقد تجرأ على الحجاج أكثر إذ قال<sup>(٣)</sup>:

فَلِلَّهِ حَجَاجُ بْنُ يُوسُفَ حَاكِمًا  
أَرَاقَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِلَا جُرمٍ

فهو يريق دماء المسلمين بالذات دون سبب شرعي، فقتله الحجاج على هذا البيت بعد أن كان قد عفا عنه.

## السخرية من هيئة الحجاج:

أما هيئة الحجاج فلم يغفل عنها الشعراء الهاجوون، فسخر من عينيه إمام بن أقرم فقال<sup>(٤)</sup>:

وَلَا الْحَجَاجُ عَيْنِي بَنْتِ مَاءِ  
تُقَلِّبُ طَرْفَهَا حَذَرَ الصُّقُورُ

فجمع له بين السخرية من شكل عينيه، وبين وصفه بالجبن، وعد هذا من التشبيه المحمود، فعيناه تشبه عيني طيور الماء إذا ارتعبت. وكذلك الراجز قال<sup>(٥)</sup>:

هَلَمَّ هَاتُوا صِفَةَ الْحَجَاجِ  
كَانَ عَيْنِي مِنَ الزُّجَاجِ

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦١/١٧.

(٢) الرقام البصري: العفو بالاعتذار ٣٥٩/١.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٣٦/١٢.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٣٨٦/١.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٤٠٠/١٢.

## كَأَنْ سَاقِيهِ عَمُودًا سَاج

فسخر من شكل عينيه ومن ساقيه، وسخر قطبة بن زياد من ساعديه فقال<sup>(١)</sup>:

خَبَثْتُنَّهُ فِي سَاعِدِيهِ تَفَاوَتٌ كَرِيهِ الْمُحِيَا قَرْنَهُ غَيْرُ وَائِلٍ<sup>(٢)</sup>

فالحجاج كانت عيناه تلفتان النظر فتشبهها الشاعر الأول بعيني طيور الماء والشاعر الآخر بعيون الزجاج، كما كان في أطرافه عيوب كما رأها هؤلاء الشعراء، واختصر قطبة بن زياد وصفه بقوله "كريه المحيا" وكل شخص فعلًا كريه بالنسبة لأعدائه.

تحسين الأحوال بعد موته:

وقد تبدلت الأحوال بعد الحجاج كما ذكرها جوه من الشعراء، تبدلت على أهل العراق وعلى أهل الحجاج أنفسهم، أما أهل العراق فصور الفرزدق موتة خيراً عليهم فقال<sup>(٣)</sup>:

عَلَيْكُمْ غُيُومٌ وَهِيَ حُمُرٌ ظَالِهَا  
رَحْيٌ عَنْكُمْ كَانَتْ مُلْحَنًا ثَالِهَا  
أَدَاهِمَ بِالْمَهْدِيِّ صُمَّاً ثَالِهَا  
صَبَاحٌ مَسَاءٌ بِالْعِرَاقِ اسْتِلَالُهَا

وَقُلْتُ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِينَ الْمُرْتَكُنْ  
فَبُدَلَّتِمْ جَوْدَ الرَّبِيعِ وَحَوَّلَتِ  
إِلَّا تَشْكُرُونَ اللَّهَ إِذْ فَكَ عَنْكُمْ  
وَشِيمَتِ يَهِ عَنْكُمْ سَيُوفٌ عَلَيْكُمْ

فالحجاج كان كالغيوم الحمراء التي تنذر بالقحط والشدة، وكالحرى الثقيلة وكالقيود الشديدة فأزاحه عنهم سليمان بن عبد الملك، وأزاح كذلك السيوف التي سلطها على أهل العراق صباحاً مساءً، فبموت الحجاج كان الفرج لأهل العراق، وبموته حل الفرج على الهاريين من جبروته في أنحاء البلاد، كالفارين من فلول جيش ابن الأشعث<sup>(٤)</sup>:

بِهِ الْهَنْدَ الْوَاحِدِ عَلَيْهَا جِلَالُهَا<sup>(٥)</sup>

أَلِكِنِي إِلَى مَنْ كَانَ بِالصِّينِ إِذْ رَمَتْ

(١) الرقم البصري: العفو والاعتذار. ٢١١/١

(٢) خبئنة: العظيم الشديد من الأسد.

(٣) شرح ديوان الفرزدق ٦٢٠/٢ و ٦٢٢.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ٦٢٢/٢.

(٥) ألواح عليها جلالها: يربى السفن.

## هُلْمٌ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَدْلِ عِنْدَنَا

## فَقَدْ مَاتَ عَنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ خَبَالُهَا

فهو يدعوهم للعودة إلى البلاد حيث شاع فيها الإسلام والعدل اللذان كانت البلدان  
محرومة منهما بوجود الحجاج.

أما أهل الحجاج فقد أفسح موته مجالاً لانتقام منهم<sup>(١)</sup>:

لَقُوا دُولَةً كَانَ الْعَدْوُ يَدْهَا<sup>(٢)</sup>  
وَفِي النَّارِ مَثَوَاهُمْ كَلْوَاهَا  
فَطَارَ عَلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ افْتَالُهَا

لَسْنُ نَفْرَ الْحَجَاجُ الْمُعْتَبِ  
لَقَدْ أَصْبَحَ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ أَذْلَهُ  
وَكَانُوا يَرَوْنَ الدَّائِرَاتِ بِغَيْرِهِمْ

فالانتقام شمل جميع آل معتب وليس فقط أبناء الحجاج أو أبناء يوسف وشمل  
الشر الأحياء منهم والأموات. وكانوا في السابق بعيدين عن كل أذى. والآن سُلط  
عليهم العذاب. وصدقت تلك المرأة الباكية على الحجاج<sup>(٣)</sup>:

الْيَوْمَ يَرَ حُمْنَا مَنْ كَانَ يَحْسُدُنَا      وَالْيَوْمَ نَتَبَعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعَا

بين الصورة الشعرية والصورة التاريخية:

إن أول ما يلفت النظر هو أن الصورة التاريخية للحجاج تسيطر عليها صورته السلبية.  
فمعظم المترجمين رسموا له صورة غایة في السوء<sup>(٤)</sup>. بينما عالم الشعر سيطرت عليه  
صورته الإيجابية، ففرق شاسع من حيث الكلمة بين الأبيات التي رسمت صورته الإيجابية  
وتلك التي عبرت عنها صورته السلبية، ومع أن هذا الشعر كله قيل في وقت الحجاج

(١) شرح ديوان الفرزدق ٦٢٢/٢.

(٢) نفر: قوم. يدها: يتصرّ علىها.

(٣) الحاجظ: فصل ما بين العداوة والحسد (ضمن رسائل الحاجظ) ٣٧٢/١.

(٤) انظر: على سبيل المثال: المسعودي: مروج الذهب ١٥٣/٢. ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي  
الكرم: الكامل في التاريخ (ابن روت. دار صادر ط. ٦. ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥ م). الذهبي: محمد بن أحمد بن  
عثمان: سير أعلام النبلاء. تحقيق: مأمون الصاغري، أشرف على التحقيق: شعيب الأرناؤوط  
(بيروت. مؤسسة الرسالة. ط. ١٤٠١ هـ. ١٩٨١ م). ابن كثير: البداية والنهاية ١١٧/٩. ابن  
حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: تهذيب التهذيب (حيدر آباد. دائرة المعارف النظامية. ط. ١.  
٢١٢. ٢١٠/٢ هـ).

ومعظم صانعي الصورة الإيجابية من الشعراء الكبار أصحاب الدواوين، إلا أن الصورة التاريخية على ما يبدو لم تتأثر كثيراً بالصورة الأدبية للحجاج.

### الصورة الحربية:

إن أهم صفة ركز عليها الشعراء هي الصورة الحربية والدور العسكري للحجاج وقد استغرقت هذه الناحية معظم الشعر الذي دار حول الحجاج، واتفقت الصورتان الإيجابية والسلبية على التفصيل فيها. وهذا أمر يتفق تماماً مع ما أثبتته كتب التاريخ عن سيرة الحجاج وكثرة خوضه للمعارك، فمنطقة إمارة الحجاج منطقة تموج بالقلائل العقدية والسياسية، لذا فبمجرد أن تولى إمارة العراق كان مسؤولاً عن إنقاذ جيش المهلب، وحث الجندي على العودة إليه<sup>(١)</sup> مما جعله يتخذ شخصية القائد العسكري. وما كاد يبعث الجيش إلى المهلب عام ٧٥ هـ حتى خلعه أهل العراق في تلك السنة، واجتمعت مضره ربيعة واليمن على عبد الله بن الجارود (ت ٧٦ هـ) لمحاربة الحجاج وخلعه، فالتقوا برسنقباذ، فانتصر عليهم الحجاج وقتل قادتهم<sup>(٢)</sup>. ثم توالت سلسلة الأيام في حياة الحجاج.

وكان أكبر تركيز من الشعراء على أيام الحجاج مع ابن الأشعث من ناحية الصورتين الإيجابية والسلبية وما صورته كتب التاريخ عن هذه الأيام تجعلها جديرة بما قيل فيها من الشعر، وما قيل في قادتها من المديح وما وصفه به أعداؤه من الهجاء. وحرب الحجاج مع الخوارج مع شدتها وقوتها وأهميتها تحدث عنها هاجوه أكثر من مادحيه وقد يكون السبب في ذلك أن شعراء من غير الخوارج رموا فيها بشباكهم أمثال جند المهلب الغاضبين على الحجاج، والشعراء الفارين من حرب الخوارج الناقمين على الحجاج.

ومما يرتبط بالشخصية الحربية للحجاج، كثرة وصفه بالجبن من قبل هاجيه من الشعراء فهو جبان، فرار من المعركة، يتحصن بالحوائط والأبواب، بل استغل هاجوه عنصر المرأة، في إثبات هذه الصفة على الحجاج.

وما ثبته الصورة التاريخية للحجاج من كثرة ما واجهه من حروب متتالية في شتى

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٢١٣/٧.

(٢) انظر: ابن حبيب: المخبر ص ٤٨٢.

أنباء منطقة إمارته الواسعة وخروجه منها منتصراً، يدل على شجاعة منقطعة النظير، وخبرة في الحرب وممارسة لأهوالها. وقد تكون هذه الصفة أصلقت بالحجاج لما عرف عنه من عدم مباشرة للقتال بنفسه، إذا كان يخرج مع الجيش ويتحذل له كرسياً خلف المقاتلين، يراقب وينصح ويوجه<sup>(١)</sup>. لكن لا يباشر القتال إلا قليلاً. فهذا التصرف من الحجاج ألهم هاجيه من الشعراء أبياتهم في هجائه بالجبن والتحصن خلف الأسوار، وإن أضطر لخوض معركة فقلة خبرته مصيره فيها الفرار على حسب رأي هاجيه.

#### سفكه للدماء:

ولعل أهم ما حُمل على الحجاج هو سفكه للدماء حتى قال ابن كثير: "الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء"<sup>(٢)</sup>، وحتى قالت أسماء بنت أبي بكر (ت ٧٣هـ) أما إني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: "إن فيبني تقيف مبيراً وكذاباً، فأما المبیر فأنت، وأما الكذاب فالمحتار بن أبي عبيد"<sup>(٣)</sup>، ومع ذلك لا يوجد في الشعر ذكر لسفكه للدماء بما يستحقه من تفخيم ولا يستغل في الهجاء الاستغلال الأمثل، إذ كل ما ورد حول ذلك في شعر الهجاء ثلاثة أبيات فحسب.

وقد كان الحجاج سفك دماء الصالحين والعباد بدءاً بعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ) أثناء حربه له في مكة، وانتهاء بسعید بن جبیر (ت ٩٤هـ) لخروجه مع ابن الأشعث، وبين هذا وذاك أريقت دماء كثيرة للصالحين والعباد وأبناء كبار الصحابة، وقد سكت راسمو الصورة السلبية عن حوادث القتل هذه وأماراسمو الصورة الإيجابية فقد نظروا إلى الأمر على أنه مدح، بل يلاحظ قوة اللهجة وشدتها في هجاء أعداء الحجاج حتى قال جرير عن قتل عبد الله بن الزبير في معرض إشادته بأفعال الحجاج<sup>(٤)</sup>:

أَلَّا رَبُّ جَبَّارٍ حَمَلَتْ عَلَى الْعَصَا  
وَبَابٌ ..... عَنْ مِنْبَرِ الْمُلْكِ زَائِلٌ  
وَذُو قَطَّارِيَّ لَفَّهُ مِنْكَ وَابِلٌ  
تَفَنَّى شَسَّيِبٌ مُنْيَةً سَفَلَتْ بِهِ

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٢٥٢. ٢٥٠/٧

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٣٢/٩

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٢٦٧، ونص الحديث: "إن في تقيف كذاباً ومبيراً" أحمد بن حنبل: المسند، شرحه ووضع فهارسه: أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف) ١٨/٨

(٤) ديوان جرير ٤٠٨/١

فجعل هذا الصحابي الجليل في مصاف شبيب وقطري الخارجيين. بل ذكره بأسلوب أكثر إيزاء للكرامة منهمما. وقد يكون علة ذلك أن عبد الله بن الزبير طمح للخلافة ونمازع فيهابني أمية حتى كاد يسلبهم إياها. مما أحنتهم عليه. كما ورد في شعر الفرزدق<sup>(١)</sup>:

رَأَمُوا الْخِلَافَةَ عَنْ غَدَرٍ فَأَخْطَاهُمْ مِنْهَا صُدُورٌ وَفَازُوا بِالْعَرَاقِيبِ

وهذا الأمر يبعث على عدم الإكثار من ذكر عبد الله بن الزبير أو مقتله في الشعر. فكيف بتخطئة الحجاج وتعييره بقتله.

أما سعيد بن جبير فقد كان من الموالين لبني أمية وكتب التاريخ تتفق على أن قتله خطأ كبير في حق الإسلام والمسلمين<sup>(٢)</sup> ومع ذلك لم يُضع بيت شعر واحد في تهجين قتله. فيما اطلعت عليه من مصادر . بل صاغ جرير بيت شعر يهجن فعل سعيد بن جبير. ويصوب فعل الحجاج به. فقال مادحًا للحجاج<sup>(٣)</sup>:

يَا رَبَّ نَاكِثَ بَيْعَتِينَ تَرَكْتَهُ وَخَضَابَ لِحَيَّتِهِ دَمُ الْأَوَادِاجِ

وعرف عن الحجاج أيضًا قتله لرجال كبار في السن قد ابيضت لحاهم في مواطن مختلفة. مثل قتله عمير بن ضاب في الكوفة. وشيخاً كبيراً من بني يشكر في البصرة<sup>(٤)</sup> لتخلفهما عن الخروج إلى المهلب. ثم قتله كميل بن زياد النخعي من أصحاب ابن الأشعث ورجلًا معترزاً الناس من ختعم بعد انتهاء حربه مع ابن الأشعث<sup>(٥)</sup>. وكلهم كما يقولون لم يرق من عمرهم إلا ظماء حمار. وهذه الحوادث كان فيها فرصة للهاجين إلا أنها لم تستغل. واستغلها المادحون كقول الفرزدق<sup>(٦)</sup>:

وَخَاضِبِ لِحَيَّةِ غَدَرَتْ وَحَانَتْ جَعَلَتْ لِشَيْهَادَمَهُ خِضَابًا

وقول جرير<sup>(٧)</sup>:

(١) شرح ديوان الفرزدق ٢٥/١.

(٢) انظر: الجاحظ؛ أبا عثمان عمرو بن بحر؛ فخر السودان على البيضا ( ضمن رسائل الجاحظ )، تحقيق: عبد السلام هارون ( القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ. ١٩٦٥م ) ١٧٩/١.

(٣) ديوان جرير ١٣٨/١.

(٤) انظر: المبرد: الكامل ٢/١١٢٠، ٣/١١٢١.

(٥) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ٨/٢٥.

(٦) شرح ديوان الفرزدق ١/٤٠.

(٧) ديوان جرير ١/٤٤.

## وأشمطَ قد ترددَ في عَمَاءِ جَعَلْتَ لِشَيْءٍ لِحَيَّتِهِ خِطَابًا

فالماضيون المعجبون بشخصية الحاجاج الشعرية انتهزوا كل فرصة لإشادة به، حتى وهو يقتل كبار السن، فهو في نظرهم لا يرحم العصاة أبداً، ولا يمنعه عمرهم أو مكانتهم من تنفيذ القصاص بهم.

فالغريب هو الفجوة الواسعة بين الصورة التاريخية للحجاج التي تضم عدد القتلى الذين أباهم الحجاج، حتى أوصلاوه إلى مائة وعشرين ألفاً<sup>(١)</sup>. وتعيد وتكرر وتضم في حوادث القتل، وتصورها بشكل يدل على استبداد الحاجاج وسفهه في سفك الدماء<sup>(٢)</sup>. وبين الصورة الشعرية التي لم تتحدث عن هذا الموضوع ولم تستغله أدنى استغلال بل حولته إلى مادة جديدة للمدح.

علاقته ببني أمية:

والحجاج بن يوسف الثقي محبوب من قبل بني أمية، وهذه الصفة أثبتتها الشعر والتاريخ. فكما أطّال الشعراء في وصف العلاقة القوية التي تربط الحجاج ببني أمية، وبيان مدى ثقة الخليفة به، وتصويب رأيه في اختياره. كذلك أسرفت كتب التاريخ في ذكر حوادث تدل على مكانة الحاجاج من بني أمية وكرامته عليهم. وبلغ الأمر بعد الملك بن مروان أن يطلب من جرير أن يشنف أذنيه بقصاصه في مدح الحاجاج على كثرتها وأنه أحد أبنائه<sup>(٣)</sup>. وظلت مكانته عالية عند عبد الملك حتى حضرته الوفاة، فجعل جزءاً من وصيته لأبنائه أن يكرموا الحاجاج<sup>(٤)</sup>. وفعلاً أكرمه الوليد أيا إكرام. فزوج ابنه مسروراً وكان عابداً ناسكاً بابنة الحاجاج بن يوسف<sup>(٥)</sup>. ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يصيّب الحاجاج بملامة إلا رجلين فقط هما ابن محيريز وأبو الأبيض العنسي ومع ذلك لما كتب الحاجاج إلى الوليد بن عبد الملك يشتكي أبا الأبيض العنسي. قال له الوليد: "ما للحجاج كتب يشكوك لتنتهي أولأبعننك إليه"<sup>(٦)</sup>. ف مجرد شكوى الحاجاج فيه أنهت

(١) انظر: المسعودي: مروج الذهب ٢/١٥٢.

(٢) انظر: المبرد: الكامل ١/٢٦٤، ٢٦٥.

(٣) انظر: التعلبي: التاج ص ٢٣٢.

(٤) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٢٢٥. والمبرد: التعازى والمراثي ص ١٢٣، ١٢٤.

(٥) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/١٥٩.

(٦) انظر: البسوبي: المعرفة والتاريخ ٢/٢٦٧.

حصانته، وجعلته مثل بقية الناس. وظلت هذه المكانة للحجاج عند الوليد حتى توفي الحجاج، فخرج الوليد على الناس مشعاً على الرأس يتضجع على الحجاج<sup>(١)</sup>.

### هيبة الحجاج:

أما عنصر الهيبة التي تفنن الشعراء في رسمه للحجاج حتى صوروه قادراً على الوصول إليهم وهو في أكثر الأماكن تحصناً فهو عنصر تؤيده كتب التاريخ، وقد يكون للعنصر السابق وهو قوله من الخلافة الأموية عاملاً مساعداً جداً على بعث الهيبة في نفوس الآخرين. فعندما طلب الحجاج من عبد الملك بن مروان عزل يزيد بن المهلب وال الخليفة راضٍ عنه ولله ولوالده أيام مشهودة لم يقف الخليفة حائلاً دون تنفيذ الحجاج لذلك<sup>(٢)</sup>. ومن هم دون يزيد بن المهلب كثروا كلهم يعرف أن الخليفة لن يقف دون رغبة الحجاج لو أراده بمكره. وفي حادثة مطرف بن المغيرة تصور كتب التاريخ مدى الرعب والهيبة التي يبتليها الحجاج في نفوس الناس. فمطرف بن المغيرة قابل مبعوث شبيب واختلف معه. ومع ذلك بلغ الرعب مبلغه في قلب مولاه ابن أبي زياد. حتى جثا على ركبتيه مشفقاً على مطرف. وقال له: "والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة. ولزيادن على كل كلمة عشرة أمثالها. والله، إن لو كنت في السحاب هارباً من الحجاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك أنت ومن معك"<sup>(٣)</sup> وهذا هو بالضبط ما صوره الشعراً من سطوة الحجاج، وقدرته على الوصول إلى معارضيه وشدة عقابه وقوته.

### اصلاحات الحجاج:

والحجاج بن يوسف ظل ولياً مدة تزيد على عشرين عاماً. ومع ذلك لم يمدحه المادحون من الشعراء بإصلاحات مدنية ملموسة إذ مدح بمنع الرشوة والغلول، والحد من اللصوصية. وتأمين طريق الحاج إلى آخر هذه الأمور التي ترتبط بالناحية الدينية والأمنية وهي أمور وقتية تنتهي بوفاة الحجاج. أما إصلاحاته المدنية الملموسة التي نصت عليها كتب التراث مثلكسوته للكعبة بالدياج<sup>(٤)</sup> وبناء القنوات بمكة<sup>(٥)</sup>. وسك النقود باللغة

(١) انظر: المبرد: الكامل: ٤٥٢/٢.

(٢) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک: ٤٤/٨.

(٣) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک: ٢٦٢/٧.

(٤) انظر: الأزرقى: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق: رشدى الصالح ملحس. بيروت. دار الأندلس. ٢٠١٣هـ / ٢٥٣.

(٥) انظر: الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. ٢٨١/٢.

العربية<sup>(١)</sup>، وتزيينها بـ”لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ“، ومثل بنائه مدينة واسط أول مدينة في الإسلام بعد عهد الصحابة<sup>(٢)</sup>. واهتمامه بوسائل النقل البرية والبحرية ومحاولة تيسيرها<sup>(٣)</sup>، وغيرها من الإصلاحات فلا يوجد لها ذكر في مدح المادحين، ومع ذلك استغلها الهاجرون من الشعراء، وجعلوا منها سبة للحجاج. وقد يكون هجاء الهاججين أحد العوامل التي حفظت نسبة هذه الأعمال للحجاج وأثبته الله. وهذه الأعمال في الحقيقة إصلاحات مثمرة إلا أن الباحث يستغرب عدم الاهتمام بمدحه بها، وقد يكون السبب أن الشعراء في عصر الحجاج ما زالوا يسيرون على نهج القصيدة الجاهلية وعناصر المديح فيها، ومادحو الحجاج من الشعراء الكبار، ومن أهل الاستشهاد، لذلك كان مدحه بهذه الإصلاحات تجديداً في القصيدة تأباه طبيعتهم المتباينة لا المبدعة، أما شعر الهجاء فهو يحمل الكثير، وناظموه جاءوا به تنفيساً عن غضبهم، ولم يبنوه قصائد متكاملة كشعر المديح.

### كرم الحجاج:

وما جاء على ألسنة الشعراء في وصف كرم الحجاج أقل بكثير مما يليق بأمير حكم رقعة كبيرة من العالم الإسلامي، الرقعة التي يقيم فيها عدد كبير من الشعراء ويتردد إليها عدد أكبر منهم وخاصة من الباذية ينتجون الأجواد والأمراء طلباً للعطاء، وظلت ولابته مدة طويلة جداً تقرب من عشرين عاماً، ومع ذلك كله لا يمدح بالكرم كثيراً، وأبيات المديح له بالكرم أنت تابعة لموضوع آخر أهم، والأمر الذي خفف من قلة أبيات المديح بالكرم هو أن الحجاج لم يهج كثيراً بالبخل.

وال التاريخ يثبت حوادث كثيرة كان فيها الحجاج جواداً في تعامله مع الشعر والشعراء، منها عندما أرسل له عبد الملك بن مروان أنه يوصيه بما أوصى به البكري زيداً فجعل الحجاج لمن يفسر له هذا الأمر عشرة الآف درهم، فلما أخبره أحدهم بالشعر الذي يفسر له ذلك القول دفع إليه الدرهم<sup>(٤)</sup>.

وهو يعطي الشعراء أيضاً، فعندما جاء إليه أبو النجم العجلاني (ت ١٢٠هـ) مادحاً وأعجب

(١) انظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٢٨١.

(٢) انظر: ياقوت: معجم البلدان ٥ / ٣٥٠٧ (واسط).

(٣) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين ٢٣٠٢.

(٤) انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٢٦٦.

الحجاج برجزه. سأله عن حاجته فطلب أن يقطعه وادي ذي الجنين في منازل قومه، فأقطعه إياه<sup>(١)</sup>. وكذلك فعل مع جدر (ات نحو ١٠٠ هـ) وبعد أن مدحه جدر . وكان أسيراً في سجن الحجاج . خيره الحجاج: "إن شئت أسينينا عطتك، وإن شئت خلينا سبيلك". فاختار أمراً ثالثاً أ茅ظاه له الحجاج إذ قال: "لا بل اختار مجاورة الحجاج أكرمه الله" ففرض له ولأهل بيته وأحسن جائزته<sup>(٢)</sup>.

ولكن الحجاج على ما يبدو لا يعطي من بيت مال المسلمين، بل يعطي من عطائه. وفي قصة الجحاف بن حكيم الذي جاء يطلب منه المساعدة في الديات دليل على أمانة الحجاج: إذ غضب لضخامة طلب الجحاف . وتوهم فيه أنه طلب مالا يستحقه من بيت مال المسلمين. فقال الحجاج: "أعهدتني خائناً لا أبالك!!"<sup>(٣)</sup>. وفي رواية "والله لا أعطيك مال الله"<sup>(٤)</sup>. وفي جميع الروايات أن الجحاف طلب عمالة الحجاج، فنزل عنها<sup>(٥)</sup>. فهذه سياسة الحجاج في العطاء وهو يتبعها مع نفسه وهو يتبعها مع عماله، فلما هجا أعشى همدان (ات ٨٢ هـ) شجرة أحد عمال الحجاج على الخراج. لأن شجرة أبى أن يعطيه، قال الحجاج لعامله: "مر المعطي أن يعطي الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا" ليشتري عرضه منه<sup>(٦)</sup>. وأن الحجاج لا يعطي إلا من عطائه فلا بد أن يصبح عطاوه محدوداً. لذا يصبح بخيلاً بالمقارنة بمن يعطي من بيت مال المسلمين.

وللحجاج أسلوب فريد في مجازاة الشعراء. فجرير مثلاً لكثرة شعر المديح الذي قاله في الحجاج وجودته لم يملك الحجاج ما يجازيه به، لذلك رأى أن يبعثه إلى عبد الملك بن مروان. وفي هذا تكريماً لجرير أي تكريماً فضلاً عن العطاء الموفور من الخليفة<sup>(٧)</sup>. فقد يكون لأمانة الحجاج حرصه على عدم مساس بيت المال ما جعل عطاءه يقل

(١) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني: ١٦٩/١٠.

(٢) انظر: ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب ٤٧/٥.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني: ٢٠١/١٢.

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ٥/٣٢١.

(٥) انظر: ديوان الأخطل. صنعة السكري رواية عن ابن حبيب ص ٣٨. البلاذري: أنساب الأشراف ٥/٣٢١.

أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني ٦/٥٧.

(٦) انظر: أبي الفرج الأصفهاني: الأغاني ٦/٥٧.

(٧) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/٢٧٨.

عن غيره، وإن دعته الحاجة إلى إجزال العطاء بعث إلى الخليفة ليتولى المكافأة مما جعل الشعراء من مادحيه لا يكثرون من مدحه بالكرم، كما جعل أعداءه لا يكثرون من هجائه بالبخل.

### رثاء الحجاج:

ومن الأمور اللافتة للنظر أن الحجاج على ماله من مكانة كبيرة عند الخليفة الأموي، ورغم كثرة مادحيه من الشعراء، لا يوجد له رثاء، فيما اطلعت عليه من مصادر، إلا في شعر الفرزدق<sup>(١)</sup>. ويبرز هنا سؤال: أين بقية الشعراء من مدحوا الحجاج وأخلصوا في مدحه، خاصة أن الحجاج توفي قبل وفاة الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ)، والوليد محب له، وكما تقرب الفرزدق إلى الوليد بن عبد الملك برثائه للحجاج فإنه من المنتظر أن يتقرب إليه شعراء آخرون برثاءً أمير سيطر على جزء الدولة الشرقي الأكثر خطراً، فقام بواجبه خير قيام، ولكن المصادر التي اطلعت عليها لا يوجد فيها كثیر غناء، إذ تخلو من شعر في رثاء الحجاج.

ولمحاولة الإجابة التقريبية على هذا السؤال، فإنه يلاحظ أن الحجاج توفي على الأرجح في رمضان أو شوال من عام ٩٥ هـ<sup>(٢)</sup>، والوليد بن عبد الملك توفي في جمادي الأولى أو الآخرة من عام ٩٦ هـ<sup>(٣)</sup>. فالفرق بين موتهما على أبعد تقدير ثمانية شهور، وفي ذلك الوقت كانت هذه الشهور الثمانية غير كافية في نشر الأخبار، والشعراء متفرقون في الديار، ولم يلبثوا حتى تولى سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩ هـ) الخلافة، وكان يكره الحجاج كراهية شديدة، حتى أنه أمر أن يلعن الحجاج على المنابر في اليمامة<sup>(٤)</sup>. لذلك لا يتوقع أن يقوم أحد برثائه بعد ذلك.

والشعراء الذين مدحوا الحجاج من أمثال عبد الله بن الزبير الأسدي (ت ٧٥ هـ) ولily(axielle (ت ٨٠ هـ)، والعجاج (ت ٩٠ هـ)، والأختل (ت ٩٠ هـ) ماتوا قبل الحجاج، والفرزدق (ت ١١٠ هـ) قامر برثائه لأنه يقيم في العراق، وحرير (ت ١١١ هـ) كان يقيم في الbadia بعيداً عن العراق وإنما يقدم إليها بين الفينة والأخرى مادحأ أو هاجياً وممتنياً وقد يكون بين وصول

(١) انظر: شرح ديوان الفرزدق /١٢٦٥/٢٠٤٩٤.

(٢) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٩٦/٨.

(٣) انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والمملوک ٩٧/٨.

(٤) انظر: البسوی: المعرفة والتاريخ ٤٨٢/٢.

خبر موت الحجاج إليه وصياغته قصيدة رثاء في الحجاج وصول الأئمة لاعنين للحجاج بأمر سليمان بن عبد الملك في اليمامة بلد جرير، مما منعه من رثائه.

بصورة الحجاج كما رسماها الشعراء اتفقت مع الصورة التاريخية في وجوه منها تصوير هيبة الحجاج التي أحافت أصدقائه قبل أعدائه، وما صورته من تقدير خلفاء بني أمية له حتى عدوه ذراعهم الأيمن، واختلفت في تصويرهم لاصحاحات الحجاج التي اتسمت بالتنوع والكثرة في كتب التاريخ، ولم يتحدث مادحوه إلا عن جزء يسير منها. أما الاختلاف الكبير بين الصورتين الشعرية والتاريخية فيرى في صورته الحربية والعسكرية، فصورته عند الشعراء يغلب عليها صفة القائد البطل الذي يقود الحرب طلباً لرضا الله وابعاداً لشبح الفرقة وطاعة لولاة الأمر، وأهدافه السامية تلك خرج من معاركه منتصراً، وهو لإخلاصه في حربه تلك لا تأخذه في الله لومة لائم في قطع دابر المفسدين مهما كثر عددهم أو كبر سنهم، أما الصورة التاريخية فجعلته متجميناً في حروبها تلك معتدياً فيها حتى أحل لنفسه قتل كبار السن ومن اعتزلوا الحرب، وقد أكثرت كتب التاريخ الحديث عن سفكه للدماء وصورت ذلك بصور شتى وضخمت عدد القتلى مما يجعل الحجاج محبأً لسفك الدماء بدون هدف ديني وتربوي، ومع ذلك سكت الشعراء الهاجون عن استغلال هذه الظاهرة التي يحسبها الباحث ستستغرق معظم شعر الهجاء بناء على التصور التاريخي.

فهذا هو الحجاج في ميزان شعراء عصره رجحت كفة الصورة الإيجابية كثيراً عن كفة الصورة السلبية، وعلى عكس ذلك كانت صورة الحجاج التاريخية ترجم فيها كفة صورته السلبية.

ولم يبق أمام الباحث المنصف إلا أن يردد قول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) فبعد ذكره لما قاله سابقه عن أفعال الحجاج ومعظمها أفعال سيئة قال: ”ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوهه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشنائعات، وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر وكان يكثر من تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يستهرب عنه شيء من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وساترها، وخفيات البدور وضمائرها“<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٥/١٣٢، ١٣٢.

## قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ١٢٠ هـ).
- (١) الكامل في التاريخ (بيروت، دار صادر، ط ٦، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ مـ).
- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).
- (٢) المستند: شرحه وطبع فهارسه: أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف).
- الأخطل: أبو مالك غياث بن غوث التغلبي (ت ٩٠ هـ).
- (٣) شعر الأخطل، صنعة السكري رواية عن ابن حبيب، تحقيق: فخر الدين قباوة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ مـ).
- الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو ٢٥٠ هـ).
- (٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس (بيروت، دار الأندرس، ١٣٨٥ هـ).
- ابن أعثم: أبو محمد أحمد الكوفي (ت ٣١٤ هـ).
- (٥) كتاب الفتوح (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٦، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ مـ).
- أعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن العارث (ت ٢٣ هـ).
- (٦) ديوان أعشى همدان وأخباره، تحقيق: حسن أبو ياسين (الرياض، دار العلوم، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٧٧ مـ).
- البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ).
- (٧) التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة: عبد المعين خان (المكتبة الإسلامية، تركيا).
- البسوبي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ).
- (٨) المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ مـ).
- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ).
- (٩) س茗ط الآلي، تحقيق: عبد العزيز الميموني (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤ هـ، ١٩٣٦ مـ).
- (١٠) معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ مـ).

- البلازري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
- (١١) أنساب الأشراف، تحقيق: محمد الفردوس العظيم (دمشق، دار اليقظة العربية، ٢٠٠٢م).
- أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢٩هـ).
- (١٢) ديوان الحماسة، تحقيق: عبد الله عبد الرحمن عسيلان (الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٨١هـ، ٢٠١٠م).
- (١٣) الوحشيات، وهو الحماسة الصغرى، تحقيق: عبد العزيز الميموني وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف، ط٢).
- الثعلبي: محمد بن الحارث:
- (١٤) أخلاق الملوك المعروفة باسم التاج في أخلاق الملوك، والمعزو خطأ إلى الجاحظ (بيروت، دار الفكر، ودار البحار، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م).
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).
- (١٥) كتاب البغال (ضمن رسائل الجاحظ) تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م).
- (١٦) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون (بيروت، دار الفكر، ط٤).
- (١٧) الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون (بيروت، دار البحار والتراجم العربية).
- (١٨) فخر السودان على البيضا (ضمن رسائل الجاحظ)، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م).
- (١٩) فصل ما بين العداوة والحسد (ضمن رسائل الجاحظ)، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م).
- جرير: جرير بن عطية الخطفي (ت ١١١هـ).
- (٢٠) ديوان جرير، تحقيق: نعман محمد أمين طه (القاهرة، دار المعارف، ط٢).
- الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٢١هـ).
- (٢١) الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١٣٥٧هـ، ١٩٢٨م).
- الحارث بن خالد المخزومي (ت ٨٠هـ).

- (٢٢) شعر الحارث بن خالد، تحقيق يحيى الجبوري (النجف، مطبعة النعمان، ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).
- ابن حبيب: أبو جعفر حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٤٥٤هـ).
- (٢٣) المحرر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر (بيروت، دار الآفاق الجديدة).
- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٥٨٤هـ).
- (٢٤) تهذيب التهذيب (حيدر آبار، دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٥هـ).
- ابن أبي الحديد: أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ).
- (٢٥) شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسن تميم (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٣م).
- ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد (ت ٦٢٥هـ).
- (٢٦) التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس (بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٦م).
- أبو حنيفة: أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ).
- (٢٧) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال (بيروت، دار المسيرة).
- خليفة بن خياط (ت ٤٠٢هـ).
- (٢٨) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت، دار القلم ومؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).
- ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٢٨١هـ).
- (٢٩) تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط١، ٤٠٤١هـ / ١٩٨٤م).
- ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد العزيز بن محمد (ت ٢٨١هـ).
- (٣٠) الأشراف، تحقيق: وليد قصاب (الدوحة، دار الثقافة، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٣م).
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).
- (٣١) سير أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاغرجي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- الرقام البصري: أبو الحسن محمد بن محمد (عاش في الربع الأول من القرن الرابع

الهجري).

- (٣٢) العفو والاعتذار. تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠١هـ - ١٩٨١هـ).  
- ابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ).
- (٣٣) الطبقات الكبرى (بيروت، دار بيروت ودار صادر. ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨هـ).  
- ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ).
- (٣٤) طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة، مطبعة المدنى).  
- الصولى: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٢٥هـ).
- (٣٥) أخبار أبي تمار. تحقيق: محمد عبده عزام، خليل محمود شاكر، نظير الإسلام الهندي (بيروت، دار الآفاق الجديدة. ط٢. ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م).  
- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
- (٣٦) تاريخ الأمم والملوک (بيروت، دار القاموس الحديث).  
- ابن طيفور: أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ).
- (٣٧) بلاغات النساء. تحقيق: محمد طاهر الزين (الكويت، مكتبة السنديس. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).  
- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلس (ت ٣٢٨هـ).
- (٣٨) العقد الفريد. تحقيق: محمد العريان (القاهرة، دار الفكر).  
- عبد الله بن الزبير الأسدى (ت نحو ٧٥٥هـ).
- (٣٩) شعر عبد الله بن الزبير. جمع وتحقيق: يحيى الجبوري (بغداد، دار الحرية للطباعة. ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).  
- العجاج: عبد الله بن رؤبة (ت ٩٠هـ).
- (٤٠) ديوان العجاج رواية الأصممي وشرحه. تحقيق: عزة حسن (بيروت، حلب، دار الشرق العربي. ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).  
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ).
- (٤١) بغية الطلب في تاريخ حلب (فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

- أبوالعرب: محمد بن أحمد التميمي (ت ٤٣٢هـ).
- (٤٢) كتاب المحن، تحقيق: يحيى الجبوري (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- العسكري: أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت بعد ٤٣٩هـ).
- (٤٣) الأول، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري (الرياض، دار العلوم).
- (٤٤) الصناعتين، تحقيق: علي محمد البحاوي، محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢).
- أبوعلي القالي: إسماعيل بن القاسم (ت ٤٣٥هـ).
- (٤٥) الأمالي، مراجعة لجنة التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- أبوعيادة: معمر بن المثنى (ت ٤٢٩هـ).
- (٤٦) نفائض جرير والفرزدق (ليدن، بريل، ١٩٠٨ - ١٩٠٩م).
- أبوالفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ).
- (٤٧) الأغاني، تحقيق: لجنة من الأدباء (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م).
- الفرزدق: همام بن غالب (ت ٤١١هـ).
- (٤٨) شرح ديوان الفرزدق، تحقيق: عبد الله الصاوي (القاهرة، مطبعة الصاوي).
- القتال الكلابي:
- (٤٩) ديوان القتال الكلابي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٤٧٦هـ).
- (٥٠) الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م).
- (٥١) عيون الأخبار (بيروت، دار الكتاب العربي).
- (٥٢) المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة (القاهرة، دار المعارف، ط٤).
- ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ).
- (٥٣) البداية والنهاية (بيروت، مكتبة المعارف).

- ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ).
- (٥٤) جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن (بيروت، عالم الكتب ومكتبة النهضة، ١٤٠٧-١٩٨٦ مـ).
- ليل الأخيلية: ليلي بنت عبد الله بن الرحال (ت ٨٠ هـ).
- (٥٥) ديوان ليل الأخيلية، تحقيق: خليل العطية وجليل العطية (بغداد، دار الجمهورية، ط ١٩٧٧-١٩٧٧ مـ).
- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ).
- (٥٦) التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي (دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٦-١٩٧٦ مـ).
- (٥٧) الكامل، تحقيق: زكي مبارك (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ط ١٣٥٦-١٩٣٧ مـ).
- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ).
- (٥٨) التنبية والإشراف (بيروت، مكتبة خياط).
- (٥٩) مروج الذهب (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ٢٠٢١-١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ مـ).
- أبو النجم العجي: الفضل بن قدامه (ت ١٣٠ هـ).
- (٦٠) ديوان أبي النجم العجي، تحقيق: علاء الدين آغا (الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١-١٩٨١ مـ).
- النهشلي: أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم (ت ٤٠٥ هـ).
- (٦١) اختيار الممتع من علم الشعر وعمله، تحقيق: محمود شاكر القحطان (القاهرة، دار المعارف، ط ١٩٨٣ مـ).
- الوزير المغربي: الحسين بن علي بن الحسين (ت ٤١٨ هـ).
- (٦٢) الإيناس في علم الأنساب، أعده للنشر: حمد الجاسر (الرياض، النادي الأدبي، ط ١٤٠٥-١٩٨٠ مـ).
- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ).
- (٦٣) معجم البلدان (بيروت، دار صادر).
- اليعقوبي: أحمد أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ).
- (٦٤) تاريخ اليعقوبي (بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠-١٩٨٠ هـ).





مطبع الجامعة



# JOURNAL OF ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA  
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION  
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD  
ISLAMIC UNIVERSITY



- **A Discussion of (Itha) "If" as Used by Abdulbaqi Alrazqani (1099 H)**  
Dr Mona bint Ali Al-Fallaj
- **Statements of Narrators and Scholars regarding "Al-Ein" Dictionary and the Problem of the Attribution of its Authorship.**  
Dr. Saud ibn Abdullah Al-Husain
- **A Criticism of the Approach of Al-Taqie Al-Subaki's Pre-Positioning to Denote Accentuation: A Rhetorical Study.**  
Prof. Mahmoud Toufiq Sa'ad
- **The Effect of the Holy Quran in the Poetry of Abi-Tammam**  
Dr. Ali ibn Mohammad Al-Mahmoud
- **The Images of Al-Hajjaj in the Poetry of his Contemporaries.**  
Dr. Laila bint Mohammad Al-Dakhiel